شرح منظومة

صنعة من طب لمن حب

في علم الأدب

لناظمها:

محمد بن سعيد ابن طوق المري

بسم الله الرحمن الرحيم

تَصْدِيرٌ

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فأصل هذا الكتاب مجالس في شرح منظومة صنعة من طب لمن حب في علم الأدب وهذا تفريغ لتلك المجالس توليت مراجعته فأصلحت ما تراءى لي من خلل وأعدت صياغة مواضع منه .

أسأل الله أن يجزي من تولَّى تفريغه خير الجزاء على الإجادة والإتقان وحسن التنسيق وما بذل فيه من جهد ووقت وأن يضاعف به الحسنات ويرفع به الدرجات .

والله المرجو أن يتقبل العمل ويغفر الزلل، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وكتب

محمد بن سعيد ابن طوق المري

ليلة الأحد الثامن من شهر جمادى الآخرة

سنة أربع وأربعين وأربع مئة وألف

بمدينة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ فإن أصل هذه المادة مجالس نُظِّمت بالتعاون بين برنامج إحياء البيان ومركز النُّبل لقراءة واستشراح واستجازة **منظومة صنعة من طب لمن حب في علم الأدب** لناظمها فضيلة الشيخ/ محمد بن سعيد ابن طوق المُرِّيّ – حفظه الله- وقد تمَّت بتوفيق الله في أربعة وعشرين مجلسًا خلا مجلس القراءة.

وهذا العمل هو تفريغ لتلك المجالس المسجلة، ولئن كان التَّقرير ليس كالتَّحرير كما قيل إلا أن هذا التفريغ -لِما أولاه شيخنا من عناية كبيرة؛ فقوَّمه، ورجع فيه النَّظر، ونقَّح مادته لتستقيم مع الإبرازة الثانية للمتن- لهو بالتَّحرير أشبه؛ لولا قصور علم المُفرِّغ وهمَّته عن شأو الإجادة والإتقان ❊فالتمس العذر تكن مُصِيبا❊

هذا.. وجزى الله بالخيرات أشياخنا، واستعملهم في حفظ منار العلم، ومعالم الشَّرع
والحمد لله ربِّ العالمين

رابط الإبرازة الثانية للمتن **رابط قناة الدروس العلمية للمؤلف**
رابط قراءة المنظومة **رابط برنامج إحياء البيان**
رابط الشرح **رابط مركز النُّبل**

البريد الشَّبكي للمؤلف:

٧٢٤٢٢٣٢@gmail.com

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

الحمد لله مُولي الإحسان، مُعلِّم البيان، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث بأفصح لسان، نبيِّنا محمدٍ وعلى الآل والأصحاب والإخوان، صلاةً وسلامًا يُجدِّدهما الجديدان، ويُمْلِيهما الـمَلَوان، ما سبَّحت الوُرْقُ على الأفنان، وعَنَتِ الوجوه للملِك الدَّيَّان، أما بعد:

[مجزوء الرجز]

فَالشِّعْرُ دِيوَانُ العَرَبْ * وَكَمْ أَنَالَ مِن أَرَبْ
فَانْسِلْ إِذَا رُمْتَ الأَدَبْ * إِلَيهِ مِن كُلِّ حَدَبْ
رِوَايَةُ الأَشْعَارِ * تَكْسُو الأَدِيبَ العَارِي
وَتَرْفَعُ الوَضِيعَا * وَتُكْرِمُ الشَّفِيعَا
وَتُنْجِحُ المَآرِبَا * وَتُصْلِحُ المَعَايِبَا
وَتُطْرِبُ الإِخْوَانَا * وَتُذْهِبُ الأَحْزَانَا
وَتُنْعِشُ العُشَّاقَا * وَتُؤْنِسُ الـمُشْتَاقَا
وَتَنْسَخُ الأَحْقَادَا * وَتُثْبِتُ الوِدَادَا
وَتُقْدِمُ الجَبَانَا * وَتُعْطِفُ الغَضْبَانَا
فَقُمْ لَهُ مُهْتَمَّا * وَاحْفَظْهُ حِفظًا جَمَّا
وَخَيرُهُ مَا أَطْرَبَا * مُسْتَمِعًا وَّأَعْجَبَا

حريٌّ بحملة العلم، وشُداة المعرفة أن يُرطِّبوا مشاعرهم بهذه النَّفحات الأدبيَّة؛ حتى يَعذُب قولهم، وتجمُل عباراتهم، ويَحْلوَ تقريرهم لحقائق العلم؛ فتقع من القلوب موقع القَطْر من الأرض العطشى، والعذب الفرات من الكبد الحرَّى.

وهذه ليالي أنس نتعاطى فيها كؤوس الأدب، نشربها زُلالًا، ونُديرها حلالًا، نتدارس فيها منظومة: **صَنْعَةِ مَنْ طَبّ لِـمَنْ حَبّ في عِلمِ الأَدَب** مع الأخ الوفيّ والحِبِّ الصَّفيّ الشيخ: **أبي الحسن عليِّ بن الحسن العامريّ** صاحب **إحياء البيان** زاده الله من العلم والإيمان،

وجعله مباركًا أينمـــا كان.

ومعنـا الشيخ النَّبيـل صـاحب الخُلُق الجميـل الشيـخ: **عبـدالرحمن السَّيِّد** المـدير التنفيـذي **لمركز النُّبـل** أحسـن الله إليـه، وبـارك عليـه، وأجـرى الخيـر علـى يديـه. وأُرحِّـب بجميـع مـن حضر؛ فحياكم الله جميعًا وبيَّاكم، وأنار بالسَّعادة مُحيَّاكم، وأصلح دينكم ودنياكم.

[البسيط]

يا مرحبًا مرحبًا يا مرحبًا بِكُمُ * يا مرحبًا ذاتَ تَبْذِيرٍ وإسْرافِ
وإنْ تكُنْ مرحبًا إكْثارُها سَرَفٌ * فليسَ إكْثارُها فيكُمْ بإسْرافِ

[الرجز]

يا رَبِّ يا رَبِّ تقبَّلِ العَمَلْ * واغفِرْ لِما يكونُ فيهِ مِنْ زللْ
وَلْتَجْعَلَنْهُ خالِصًا بِـلا رِيَا * لِوَجْهِكَ الكريمِ يا ذا الكِبْرِيَا
يا رَبِّ مِنَّــا سَعْيَنــا تقبَّــلِ * وأعْطِنــا وأرْضِنـا وأجْـزِلِ

كان من غرض هذه المنظومة إحياء حُبِّ الأدب؛ بأن تُعرض روائعه، وجواهره، ونوادره؛ فإنـها إذا عُرِضَتْ في الـمَعْرِض الـحسن أوشكَتْ القلوب أن تنجذب إليها، والأفئدة أن تَـهْوِيَ إليها. ولا نريد أن نشتغل عن الأدب بـما قاله الناس في فضله، بل نريد أن نعيش مع الشعراء وهم يُنشِدون في أنديتهم، ويتفاخرون في مجالس خلفائهم، ومع الأعراب وهم يرتجزون على نوقهم، ومع البُلغاء في ارتجالهم؛ نرى سرعة بديهتهم، وحُلوَ نادرتهم، وعذوبة منطقهم، وطريف حكاياتهم؛ ذلك أدْنى أن تستحكم محبَّة الأدب في النفوس؛ فيَرْتَعَ طالبه في رِياضِه، ويَكْرَعَ من حِياضِه، ولا يزال كذلك حتى ينقاد منه الطَّبْع، وتنهض المَلَكَة، ويرى جمال اللسان، ويَرْتاض على البيــان، ويجريَ قلمــه على السَّداد، وتُمِدّه القريحـة بالأَمْداد.

وقـد ابتدأ بعد المقدِّمة بذكر دواعي العناية بالأدب، وشـواهد تأثيره؛ فـذكر مـن ذلك أن

الإسلام رفع شأن الأدب، وأن الأدب يحمل على الاتِّصاف بالكمالات، ويزيد في العقل، ويُرَوِّحُ القلب. وذكر شيئًا من شواهد تأثير الأدب؛ فالأدب يخفض العالي، ويرفع الوضيع، ويُهيِّجُ الأحقاد، ويَسُلُّ الغضَب، ويُمضي الشَّفاعات.. إلى آخر ما ذكر. وهي سبعة عشر شيئًا ترجع كلها إلى فضل الأدب وتأثيره، ختمها بذكر عناية العلماء بالأدب.

وإذا ذُكر شيء من هذه الدَّواعي؛ فإنه يُؤتى بما يُصدِّقه من القصص، والأخبار، والأشعار؛ فإذا ذُكر مثلًا أن الأدب يسُلُّ الغضب فليس المقصود أن يُنقل أن فلانًا من الأدباء قال مثلًا: إن للأدب تأثيرًا على القلوب، وإنه يسلُّ غضب الغضوب، وقال فلان: إن الأدب ينسخ الأحقاد، ويُذهب وَحَرَ الصَّدر؛ لا، بل المقصود أن يُذكر الشعر الذي قيل فوُهِبت للشَّاعر بسببه نفسه، والكلمة التي قيلت؛ فغُفرت بسببها الهَفْوَة، وأُقِيلَت العَثْرَة، وتُغُمِّدَت الإساءة؛ فلا نشتغل بما قاله الناس في فضل الأدب عن الأدب نفسه.

ثم انتقل إلى عصور الأدب من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث؛ فذكر في كل عصر أشهر أعلامه أو مَنْ هم مِنْ أشهر أعلامه، وشيئًا من المُتَخَيَّر المُنْتقى من أشعارهم والأدب الموروث عنهم؛ ليفعل ذلك فعله في النفوس المُعرِضة، والقلوب المُدبِرة؛ فيَسْتميلُها ويُقبِل بها؛ فيكون من هذا تجديد الصِّلة بين هذا الجيل وبين الأدب الموروث عن أسلافنا. ثم إنه لا يستغني أهل الأدب وأُولُو الأَرَب عن معرفة ظريف المُضحكات، وشريف المُفاكهات؛ إذا لاطفوا ظريفًا، أو مازحوا شريفًا؛ لذا ذكر قبل الخاتمة فصلين: أحدهما في مِزاح الأئمَّة، والآخر في نوادر الحَمْقى والمُغفَّلين.

وقد قال الأصمعي: **"بالعلم وصلنا، وبالمُلَح نِلْنا"** لذا ستنتهي بك الأبيات إلى خروج من جِدِّ الكلام إلى ظَرْفِه، ومن حَزْنِه إلى سَهْلِه؛ بما ستراه من نَسيب الشُّعراء، واتِّساعهم في القول، ونوادر الحمقى والمغفلين، وأخبار المزاح، وما ورد عن الأشراف والأئمة من ذلك. وهذه جادَّةٌ في الأدب سلكها السَّالِكون، وأخذ فيها القائلون، ولو وقع في المنظومة تَوقِّي المُتزمِّتين؛ لذهب شَطْرُ بهاء المنظومة، وشطر مائها، فأرسل نفسك على سجيتها

ولْتعرِف المذهب في ذلك؛ فإن الله تعالى يُحبُّ أن تؤتى رُخصه كما يُحبُّ أن تؤتى عزائمه.

ويحسُن قبل البَدْء أن نعرف معنى الأدب، ودورة حياة هذه الكلمة:

الأدب في الأصل: هو الدعوة إلى الطعام، يقال: أَدَبَ القومَ يأْدِبُهم أدْبًا وأدَبًا؛ إذا دعاهم إلى الطعام، ومنه (المَأْدُبَة) للطعام الذي يُصنع ويُدعى النَّاس إليه ، قال طَرَفَة بن العَبْد:

[الرمل]

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى * لا تَرَى الآدِبَ مِنَّا يَنْتَقِرْ

نحن في المشتاة: أي في وقت الشتاء وهو وقت مخمصة، وجوع، وشدَّة. **والجفلى**: الدعوة العامة. والآدب: الداعي. **ينتقر**: يخصُّ بالدعوة.

والإطعام مرتبط بخَصْلَة عظيمة هي الكرم، والكرم كان من أشرف خِلال العرب، لولا الكرم ما وجد المسافر من يسقيه في سفره وقطعه الفلوات؛ لذا أُطلِق بعد ذلك الأدبُ على كرم الأخلاق وتهذيب الطِّباع.

ومن هذا المعنى: ما يُروى أن النبي ﷺ قال: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**». وهو صحيح المعنى وإن كان لا يُعرف له إسنادٌ ثابت. ومنه قول تلك العجوز -التي كان ولدها يضربها، فإذا سُئل عن ذلك قال: أريد أن أُؤَدِّبها- فقالت:

[البسيط]

أَمْسَى يُمَزِّقُ أَثْوَابِي وَيَضْرِبُنِي * أَبَعْدَ سِتِّينَ يَبْغِي عِنْدِيَ الأَدَبَا؟

وقد قال ابن فارس في هذه الكلمة: إنها ترجع إلى الاجتماع. وهذا صحيح؛ فإن الناس كما يجتمعون على الطعام، يجتمعون أيضًا على استحسان الكرم والأخلاق المُهذبة.

وفي الدولة الأموية كان الملوك يتَّخِذون المُؤَدِّبينَ لأولادهم، فكان مُعلِّم أولاد الخلفاء يُسمَّى مُؤَدِّبًا، وكان المؤدِّبون يُلقِّنون أولاد الخلفاء الأشعار، والخطب، وأخبار العرب، وأنسابهم، وأيامهم؛ فأُطلق الأدب على كلِّ ذلك، فصار الأدب يُطلق على حفظ أشعار

العرب، وأخبارها، والأخذ من كل علمٍ بطرف. ثم لما تكاثرت العلوم اختُصَّ لفظ الأدب بعلوم العربية، ثـم دارت الكلمة دورتها الأخيرة؛ فصار الأدب قسيمًا للنحو والصرف والبلاغة، ويطلق على الكلام البليغ من الشعر والنثر؛ فكل ما يعينك على أن تُعبِّر عمَّا في نفسك تعبيرًا بيِّنًا واضحًا، يأخذ بأسباب الحسن، ويتحلَّى بحُلى البيان؛ فهو الأدب الذي نريد. وهذا هو المقصود من علم الأدب؛ **المقصود من علم الأدب أن تستطيع أن تُعبِّر عما في خلجات نفسك تعبيرًا بليغًا واضحًا يتزيَّن بزينة الفصاحة.**

قال ابن خلدون -في مقدمته- عن علم الأدب: **" المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجادة في فَنَّي المنظوم والمنثور، على أساليب العرب ومناحيهم"** أ.هـ. فيدخل في علم الأدب على هذا: الشعر العالي وروايته، والخُطب وإلقاؤها، والنصوص النَّثرية البليغة والرياضة بها، وكذلك ما لا بدَّ منه لسَداد التعبير من مسائل النحو والصرف واللغة التي يستقيم بها اللسان؛ فهذا الأدب وهذه ثمرته.

* * *

بِاسْـمِ الإِلَـهِ وَلِرَبِّـي الحَمْـدُ ١ ثُـمَّ السَّـلَامَانِ وَأَمَّـا بَعْـدُ

اشتمل البيت الأول على خمسة أشياء: البسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام -وهما المقصودان بقوله: "ثم السلامان" فهذه تثنية على سبيل التَّغْليب؛ لكون الصلاة والسلام كثيرًا ما يصطحبان- والخامس: التخلُّص بـ "أما بعد".

لَمَّـا رَأَيْـتُ الاِحْتِفَـا بِـالأَدَبِ ٢ طَـارَتْ بِـهِ فِي الجَـوِّ عَنْقَا مُغْـرِبِ

الاحتفا: ممدود قصره للضرورة، وهي من أقيس الضرورات، قال ابن مالك:

[الرجز]

وَقَصْرُ ذي المَدِّ اضطِرَارًا مُجْمَعُ * عليه والعَكسُ بِخُلْفٍ يَقَعُ

يقال: احتفى به إذا بالغ في إكرامه، وأظهر السُّرور والفرح، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤٧]. أي كثير اللُّطف بي. والعنقا: طائرٌ عظيم معروف الاسم، مجهول الجسم، يقال: "عَنْقاءُ مُغْرِبٌ" على الصِّفة و"عنقاءُ مُغْرِبٍ" على الإضافة. وقيل لها عنقاء مغرب؛ لأنها تَغْرُبُ بكل ما أخذته؛ من أَغْرَبَ في البلاد إذا أبعد فيها، وهو مثلٌ يُضرَب لما يُئس منه.

حَـتَّى خَلَـتْ دِيَـارُهُ مِـنْ أَهْـلِـهِ ٣ وَدَرَسَـتْ رُسُـومُهُ بِجَهْلِـهِ

ودرست: أي انْمَحَت. رسومه: أي آثاره.

وَغَاضَ مَـاؤُهُ بِـذَا الزَّمَـانِ ٤ (فَذِكْـرُ ذَا وَحَذْفُـهُ سِـيَّانِ)

وغاض: أي قلَّ ونَضَبَ.

(فذكر ذا وحذفه سِيّان): هذا مُضَمَّنٌ من ألفية ابن مالك.

وَقَـــالَ مَـــنْ لِقَـــدْرِهِ يَعُونَـــا: ٥ إِنَّـــا إِلَـــى الإِلَـــهِ رَاجِعُونَـــا

ومن نظر في واقعنا الأدبيِّ اليوم وجد من التفريط ما يتفطَّر له القلب؛ كم من شبابنا اليوم من يُحسن التعبير عما في نفسه تعبيرًا صحيحًا؟!

كم منهم من يستطيع أن يقرأ في كتاب خمس دقائق دون أن يطأ على عظام الخليل وسيبويه بكثرة اللحن؟!

كم منهم من امتدت يده إلى أُمَّاتِ كتب الأدب؛ كالأمالي، والكامل، والبيان والتَّبيُّن، وعيون الأخبار؟!

كم منهم من يعرف أبا تمام، وعلي بن الجهم، والبُحْتُرِيّ؟ لست أقول من يعرف مروان بن أبي حفصة، والكُميت، والطِّرِمَّاح؟! وقد سرى هذا إلى طلبة العلم، بل إلى طلبة كُليَّات اللغة الذين يوشك أحدهم بعد سنة أو سنتين أن يكون معلِّمًا للغة العربية، وسرى للمُذيعين والإعلاميين؛ حتى إنك تسمع من يقرأ في كتاب فلا تسلم له ثلاثة أسطر إلا سمعته يخفض ما رفعته العرب، أو يرفع ما خفضته العرب، ولا يدع نحويًا ولا لُغويًا ولا عالمًا بالعربية من لدن سيبويه إلى الأَشْمُوني إلا آذاه، ونبش قبره، وبعثر عظامه! وشرٌّ من هذا ما تزل به ألسنة بعضهم من اللحن في كتاب الله، وفي حديث رسول الله ﷺ؛ فانظر إلى أين صرنا؟!

أفلا يحقُّ لي ولك ولكل من يغار على لغته أن يقول: التمسوا شيئًا من الأدب أيها الناس، قوِّموا ألسنتكم، امحوا العار، وانفضوا الغبار، لا خير فيمن لا يغار.

وقال من لقدره يعونا: مَنْ يحفظون للأدب قدره. إنا إلى الإله راجعونا: يسترجعون لهذه المُصيبة.

وَقَـــامَ كُـــلٌّ مِنْهُـــمُ يُشِيـــدُ: ٦ {أَلَـيْسَ مِـنْكُمْ رَجُـلٌ رَشِـيدُ}

يشيد: يرفع مكانة الأدب، ويرفع صوته أيضًا يقول: (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِـيدُ)؛ ذو عقل سديد.

فَـذَا لَعَمْـرِي خَلَـلٌ فِي الـمَـــنْهَجِ ٧ وَخَطَــلٌ يُفْضِـــي لِبَــابٍ مُــرْتَجِ

وخطل: خطأٌ. المُرْتَج: المغلق. فهذا الإعراض عن اللغة والأدب يوصل إلى باب مغلق، فبدون اللسان العربي لا تكون لطالب العلم مُكْنَةٌ في فهم الكتاب والسنة، كيف يؤمن على الشريعة من لا يؤمن على اللسان، فهذا الإعراض عن الأدب بمعناه الواسع الذي تدخل فيه علوم العربية (خلل في المنهج) إذ كيف يكون هذا العلم الذي به تفهم كلام ربك وسنة نبيك ﷺ كيف يكون أهون منظور إليه؟!

وحال بعضهم في قلَّة الاحتفاء بالأدب واللغة، وعدم المبالاة كحال ذلك النَّبَطيّ الذي قال عنه الفرزدق: ما أفحمني أحدٌ إلا نبطيٌّ من أهل تِيرا –وهي بلدة بالأحواز– لقي ذلك النبطي الفرزدق فقال له: أنت الفرزدق الشاعر؟ قال: نعم. قال: إن هجوتني تموت زوجتي عَيْشُونَة؟ قال: لا. قال: فتموت حمارتي؟ قال: لا. قال: فمن رجلي إلى عنقي. –يعني قل ما شئت ما دام ستسلم لي حمارتي، وتسلم لي عيشونة؛ فاهجُني بما شئت– فقال له الفرزدق: ويلك فلمَ تركت رأسك؟ فقال النبطي: حتى أنظر كيف تصنع! فكان الفرزدق بعد ذلك يقول: لقد استراح النبطي من حيث تعب الكرام.

وهذه الشكوى من زهد الناس في الأدب شكوى قديمة وإن كانت الآن قد تفاقمت، وقد قال ابن الرُّومي من قديم:

[المتقارب]

لقد ذهبَ الشِّعــرُ والقائلِــوهُ ❊ وقَـلَّ البصـيرُ بأبصـارهمْ
فَلَـوْ أنَّ مُحتسِبًا عـــــادلًا ❊ على الشعـــراءِ وأشعارِهـمْ
لأفْلَتَ من يَـدِه عُشْـرُهـمْ ❊ ودَرَّرَ تسعـــةَ أعْشارِهـمْ

درَّر: أي ضرب تسعة أعشارهم بالدِّرَّة وهي العصا.

أَرَدْتُ أَنْ أَصُـوغَ نَظْمًـا فِي الأَدَبْ ٨ يَكُـونُ قُـرَّةً لِعَـيْنِ مَـنْ طَلَـبْ

هذا جواب لمّا في قوله: (لما رأيت الاحتفا بالأدب). أردت أن أصوغ: يقال صاغ الشيء إذا عمله وقدَّره. يكون قرة لعين من طلب: يكون قرة لعين الطالب.

جَمَعْتُـهُ مِـنْ هَاهُنَـا وَهَاهُنَـا ٩ لَخَّصْـتُهُ مُبَالِغًـا لِيُجْتَنَـى

جمعته: من كتب متفرقة سيأتي ذكر بعضها. ليجتنى: ليُستفاد؛ يقال: جنيت الثمرة أجنيها وأجتنيها بمعناه.

وَالقَصْدُ: أَنْ يُعْرَضَ فِي ذَا النَّـظْـمِ ١٠ الصَّـيِّبُ النَّـافِعُ مِـنْ ذَا العِلْـمِ

إِذْ عَرْضُـهُ نَظْمًـا بِمَعْـرِضٍ حَسَـنْ ١١ حَـرٍ بِـأَنْ يُعْـنَى بِـهِ أُولُـو الفِطَـنْ

القصد أن يُعرض شيء من جواهره، وروائعه، ونوادره؛ لأنها إذا عرضت في المَعْرِض الحسن كانت حريَّةً أن يحب طالب العلم علم الأدب وأن يعتني به، وإحياء حبِّ الأدب في القلوب هو الخطوة الأولى لصناعة الأدباء، وكل محاولة لصناعة أديب دونها يُخشى ألَّا تؤتي أكلها، فإذا تمكنا من إحياء حبُّ الأدب من نفوسنا ونفوس الجيل؛ فأبشروا بواقعٍ أدبيٍّ مشرق.

دُونَكَهُ غَيْثًا مَرِيعًـا مِـنْ سُـحُبْ ١٢ طَوَيْتُـهُ طَيَّ السِّـجِلِّ لِـلْـكُـتُـبْ

دونكه: خذه. غيثًا مريعًا: في الحديث قال النَّبي ﷺ: «**اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا مريئًا مَرِيعًا**».

والمَرِيعُ: المُخْصِب، يقال: أَمْرَعَ الوادي ومَرُعَ مَراعةً إذا أخْصَبَ بكثرة الكلأ، وإسناده إلى الغيث مجاز عقلي علاقته السَّببيَّة. والطيُّ: ضدُّ النشر، يقول: إنه آثر طيَّ الكلام على نَشْره، واختصر في المنظومة جهده. والسِّجل: الصحيفة. والكتب: المكتوب. والمعنى طويته كما تطوى الصحيفة على المكتوب فيها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ

﴿لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]. المعنى كما تطوى الصحيفة على ما كُتِب فيها.

صَنْعَةَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ اجْعَلِ ١٣ سُمًا لَهُ وَالفَضْلُ للهِ العَلِي

يقال: اصنع هذا الأمر لي صنعة من طبَّ لمن حبَّ؛ أي صنعة حاذقٍ لإنسان يُحبه، وهو مثلٌ يُضرب في التَّنَوُّق في الحاجة، وتحسينها، واحتمال التعب فيها. والسُّما: لغة في الاسم.

فَانْسِلْ مَعِي إِنْ رُمْتَ عِلْمَ الأَدَبِ ١٤ إِلَى مَغَانِيْ رَوْضِهِ المُطَيَّبِ

فانسل: يقال: نَسَلَ في مشيه ينْسِل وينْسُل بالكسر والضم؛ إذا أسرع، والكسر أفصح وهو المقروء به، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ٥١﴾ [يس:٥١].

رمت: يقال رام الشيء إذا طلبه وأراده. والمغاني: جمع مَغْنى لمكان الإقامة، ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ﴾ [الأعراف: ٩٢]، ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ﴾ [يونس:٢٤]. والروض: واحدته روضة، وهي الموضع المُعْجِب بالزهور.

لِتَجْتَنِيْ الرَّائِقَ مِنْ ثِمَارِهِ ١٥ وَتَنْتَقِيْ الشَّائِقَ مِنْ أَخْبَارِهِ

الرائق: المُعجِب، يقال: راقني أي أعجبني. والشائق: الذي تُنازِعك نفسك إليه، الشوق: نزاع النفس إلى الشيء؛ فالشيء الشائق هو الذي تُنازعك نفسك إليه.

* * *

دَوَاعِي العِنَايَةِ بِالأَدَبِ وَشَوَاهِدُ تَأْثِيرِهِ

هَاكَ دَوَاعِيْ الِاشْتِغَالِ بِالأَدَبْ ١٦ وَالقَوْلَ فِي تَأْثِيرِهِ عِنْدَ العَرَبْ
مَعْ طُرَفٍ مُمْتِعَةٍ مِلَاحِ ١٧ تَفْعَلُ بِالأَلْبَابِ فِعْلَ الرَّاحِ

هذان البيتان ترجمة لهذا الباب الذي ذُكرت فيه دواعي العناية بالأدب وشواهد تأثيره، ذُكرت من سبعة عشر وجهًا، والترجمة بالنظم طريقة جرى عليها جماعة من النُّظَّام -أن تكون التراجم ضمن النظم فلا تفرد بكلام منثور- هذه طريقة جرى عليها جماعة من النُّظَّام؛ كابن بَرِّيٍّ في (**الدُّرر اللَّوامع**)، وعبدالعزيز المغربي في (**قرَّة الأبصار في سيرة المُشفَّع المختار ﷺ**)، فلا يقول لك مثلًا: "باب مبعث النبي ﷺ" بل يترجم بنظم فيقول:

[الرجز]

بيانُ مَبْعثِ النَّبيِ الهادي * صلَّى عليهِ خالقُ العبادِ

وفي هذا الباب ملح، وأخبار، وأشعار ممتعة، يستلذُّها سامعها وقارئها، هذا قوله: (مع طرف ممتعة ملاح). والرَّاح: الخمر قال تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥].

والمقصود أنها أخبار لذيذة.

ثم البيتان بعده:

[١-الإسلام رفع شأن الأدب]

[١]الشِّعْرُ مِنْ عُلُومِنَا الشَّرْعِيَّهْ ١٨ مُنَزَّلٌ مَنْزِلَةً عَلِيَّهْ
(إِلَّا يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ بَانَا ١٩ أَخًا لَهَا قَدْ غُذِيَا لِبَانَا)

هو ناظرٌ فيهما إلى ما قاله ابن السِّيد البَطَلْيُوسي -رحمه الله- فإنه قال: الطريقة الفقهية مفتقرة إلى علم الأدب مؤسَّسة على أصول كلام العرب، وإنما مثلها ومثله قول أبي الأسود:

[الطويل]

فإلّا يَكُنْها أو تَكُنْهُ فإنَّـهُ ❊ أَخُوها غَذَتْهُ أُمُّهُ بِلِبانِها

المقصود بيان عظيم منزلة الشعر في الشرع، وهذا البيتان تمهيد لما سيأتي بعد من الكلام على عناية الإسلام بالأدب والشعر.

رَفَعَـهُ الإِسْــلَامُ فَهْــوَ أَرْشَــقُ ٢٠ مِــنَ النِّبَــالِ فِي العِــدَا وَأَعْلَــقُ

هذه الأبيات كالتأصيل الشرعي لمكانة الأدب والشعر في الإسلام، وجوانب عناية الإسلام بالشعر كثيرة لم يقف الأمر عند سماع النبي ﷺ للشعر والإذن بإنشاده؛ بل كان ﷺ يتمثل بالشعر ويثني على جيِّده، ويتأثر به، وكان يُنشده، ويستنشده، ويوظِّفه في خدمة الدين، وفي شدِّ العزائم، ويتَّخذه وسيلة لمخاطبة الوفود، ويبحث عن الكفاءات الشعرية، ويكشف عن المواهب. وهذه الأحاديث التي سيُشار إليها فيما يأتي؛ لم يؤخذ شيء منها من كتب الأدب -حتى لا يُظن أن هذا من تزيُّدات الأدباء يريدون أن يروِّجوا لسلعتهم فيقولون: إن الإسلام دعا إلى العناية بالأدب- بل هذه الأحاديث في كتب السنة.

والتصدير ببيان منزلة الأدب في الإسلام طريقة جرى عليها جماعة من الأدباء في كتبهم؛ كما تراه في (**زهر الآداب وثمر الألباب للحُصْرِيّ**) فإنه ابتدأ بذكر حديث: «إِنَّ من البيانِ لَسِحْرًا».

أرشق: أي أشد رَشْقًا، والرَّشْق هو الرمي بالنَّبْل. وأعلق: أي أشد عُلُوقًا.

والمعنى: أن هجاءهم يعلق بهم ويلزمهم، فما هجا به الصحابة المشركين لا يزال يُروى إلى يومنا هذا.

تَمَثَّــلَ النَّــبِيْ بِــهِ وَكَانَــا ٢١ يَسْــمَعُهُ مِــنْ صَــحْبِهِ أَحْيَانَــا

تمثَّل: يقال تمثَّل البيت وتمثل به؛ إذا أنشده.

انْظُرْ إِلَى تَمَثُّلِ الـمُخْتَارِ ٢٢ بِقَوْلِهِ: (يَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ)

ذكر هنا خمس شواهد على تمثل النبي ﷺ بالشعر، أشار إلى الأول بقوله:

(يأتيك بالأخبار): هذه إشارة إلى حديث عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «**كان ﷺ إذا اسْتَراثَ الخبَرَ تَمثَّلَ فيه ببيتِ طَرَفة: وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَن لَّم تُزَوِّدِ**». أخرجه الإمام أحمد في المُسند. وصدره: ***ستُبْدِي لكَ الأيَّامُ ما كُنتَ جاهِلا*** يعني أن الأيام كفيلة بكشف ما تجهله، وسيأتيك بالأخبار من لم تجعل له زادًا.

(أَصْـدَقُ كِلْمَـةٍ) كَـذَا (أَبَيْنَـا) ٢٣ (وَهُـنَّ شَرُّ غَالِـبٍ) لَدَيْنَـا

(أصدق كلمة): هذه إشارة إلى ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أصدقُ كَلِمَةٍ قالها شاعرٌ كَلِمَةُ لَبِيد: أَلَا كُلُّ شَيءٍ مَّا خَلَا اللهَ بَاطِلُ**».

كذا (أبينا): في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التُّراب، وهو يقول: «**واللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا * وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا * فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا * وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا * والمشْرِكونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا* وإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا**» وفي رواية للبخاري قال: وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ : «**أَبَيْنَا أَبَيْنَا**». يعني كان النبي ﷺ يرفع صوته بهذه الكلمة الأخيرة، وهي كلمات لابن رواحة رضي الله عنه.

(وهن شر غالب) لدينا: هذه إشارة إلى قصة لطيفة -في زوائد مسند الإمام أحمد لابنه عبدالله- حاصلها: أن أعشى مازنة -واسمه: عبدالله بن الأعور- كانت عنده امرأة يقال لها معاذة، فخرج في رجب يَميرُ أهله؛ فنشزت امرأته وهربت، ولجأت إلى رجل من قومها أعزّ من زوجها يقال له: مُطَرِّف بن بُهْصُل؛ فلما قدم زوجها لم يجدها في بيته، وأُخبر أنها نشزت عليه، ولجأت إلى مطرِّفٍ هذا؛ فذهب إليه وقال: "أعندك امرأتي معاذة؟" قال: "ليست عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك" -كان مطرِّفٌ أعزَّ منه- فخرج أعشى مازنة حتى أتى النبي ﷺ وأنشأ يقول:

[مشطور الرجز]

يا سَيِّدَ النَّاسِ وَدَيَّانَ الْعَرَبْ * أَشْكُو إِلَيْكَ ذِرْبَةً مِنَ الذِّرَبْ
خَرَجْتُ أَبْغِيهَا الطَّعَامَ فِي رَجَبْ * فَخَلَفَتْنِي بِنِزَاعٍ وَهَرَبْ
أَخْلَفَتِ الْعَهْدَ وَلَطَّتْ بِالذَّنَبْ * وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غُلِبْ

يا سيِّد الناس وديان العرب: من دان الناس إذا قهرهم على الطاعة.

أشكو إليك ذربة من الذِّرب: أراد سلاطة اللسان.

خرجت أبيغيها الطعام في رجب: بغى الشيء: طلبه.

فخَلَفتني: أي بقيت بعدي. وفي بعض الروايات بالتشديد "فخلَّفتني": تركتني.

بنزاع وهرب: وفي بعض الروايات: "وحَرَب" بالحاء: وهو الغضب.

أخلفت العهد ولطَّت بالذنب: كناية عن النشوز، ويقال: لطَّت الناقة بذنبها إذا أبت على الفحل.

وهن شرُّ غالبٍ لمن غُلِب: فجعل النَّبي ﷺ يقول عند ذلك: «**وهن شرُّ غالبٍ لمن غُلِب**».

- انظر كيف وقف مع البيت المختار- فكتب النبي ﷺ إلى مُطرِّفٍ أنِ **انظر امرأة هذا -معاذة- فادفعها إليه**. فلما وصل الكتاب إلى مطرِّف قال لها: "يا مُعاذةُ هذا كتاب رسول الله ﷺ فيكِ؛ فأنا دافعُكِ إليه". قالت: "خُذ لي عليه العهد والميثاق ألاَّ يُعاقبني فيما صنعتُ" فأخذ لها ذاك عليه، ودفعها مُطرّفٌ إليه فأنشأ زوجها يقولُ:

[الطويل]

لَعَمْـرُكَ مَا حُبِّي مُعَاذَةَ بِالَّذِي * يُغَيِّرُهُ الواشِي ولا قِدَمُ الْعَهْدِ
ولا سُوءُ مَا جَاءَتْ بِهِ إذ أَزَالَهَا * غُوَاةُ الرِّجَالِ إِذْ يُنَاجُونَهَا بَعْدِي

(هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ٢٤ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ)

في الصحيحين عن جندب بن سفيان ﷺ أن رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد – يعني المغازي – وقد دَمِيَت إصبعه فقال: «هل أنتِ إلا إصبعٌ دَمِيتِ * وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيتِ». والبيت لابن رواحة ﷺ، فهذه خمسة شواهد مما ورد من تمثل النبي ﷺ بالشعر.

أَثَّرَ فِيهِ الشِّعْرُ لَمَّا أُنْشِدَا: ٢٥ (يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا)

(بَانَتْ سُعَادُ) (امْنُنْ عَلَيْنَا) وَاهِبَا ٢٦ (إِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَا) (يَا رَاكِبَا)

أشار في هذين البيتين إلى خمسة أخبارٍ في تأثُّر النبي ﷺ بالشعر قال:

(يا ربِّ إني ناشد محمدا): هذه إشارة إلى أبيات عمرو بن سالم الخزاعي ﷺ التي أنشدها بين يدي النبي ﷺ ولها قصة: وهي أن قريشًا لما تظاهرت مع بني بكرٍ على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق الذي كان في صلح الحديبية بما استحلوا من خزاعة، وكانت خزاعة في عقد النبي ﷺ وعهده؛ فخرج عمرو بن سالم الخزاعي ﷺ حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه والنبي ﷺ جالس في المسجد بين ظهراني الناس، فقال:

[مشطور الرجز]

يَا رَبِّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا * حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا * ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَعْتَدَا * وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا * إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا * إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُوَكَّدَا * وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصَّدَا

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُــو أَحَدَا * وَهُــمْ أَذَلُّ وَأَقَــلُّ عَــدَدَا
هُــمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّــدًا * وَقَتَلُــونَا رُكَّعًا وَسُجَّــدَا

فقال ﷺ: «**نُصِرتَ يا عمرُو بنَ سالم**» فكان من أثر ذلك فتح مكة.

(بانت سعاد): هي قصيدة كعب بن زهير بن أبي سُلمى، والده زهير صاحب المعلقة المشهورة: (**أَمِنْ أمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ**)، وقد ساق الله تعالى كعبًا للإسلام، وكان من خبر إسلامه؛ أن أخًا له يقال له: بُجير أسلم قبله؛ فأغضب ذلك كعبًا فكتب إليه:

[الطويل]

ألا أَبْلِغا عنِّي بُجَيْرًا رِسالةً * فهل لك فيما قلتَ وَيْحَكَ هل لَكَا
فبيِّن لنا إن كنتَ لَسْتَ بفاعلٍ * على أيِّ شيءٍ غيرِ ذلك دَلَّكَا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمًّا ولا أبًا * عليهِ ولم تُدْرِكْ عليهِ أخًا لَكَا
فإنْ كنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ * ولا قائلٍ إمَّا عَثَرْتَ لَعًا لَكَا
سقاكَ بها المأمونُ كأسًا رَوِيَّةً * فَأَنْهَلَكَ المأمــونُ منها وعَلَّكَا

فأجابه بجير بأبياتٍ قال فيها:

[الطويل]

فمَنْ مُبْلِغٌ كعبًا فهـل لكَ في التي * تَلُـومُ عليها باطلًا وهي أَحْزَمُ
إلى اللهِ لا العُزَّى ولا اللاتِ وَحْدَهُ * فتَنْجُو إذا كان النَّجاءُ وتَسْلَمُ
لدى يومَ لا ينجو وليسَ بِمُفْلِتٍ * من النارِ إلا طاهرُ القلبِ مسلم
فدينُ زهيرٍ وهـو لا شيءَ دِينُـهُ * ودينُ أبي سُلْمَى عَلَيَّ مُحـرَّمُ

وكتب إليه أن رسول الله ﷺ قتل رجالًا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقي من شعراء قريش قد هربوا في كل وجه قال: "فإن كانت لك في نفسك حاجة فَطِرْ إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحدًا جاء تائبًا، فإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض" -أي إلى محلٍّ يُنجيك منه- فلما بلغ كعبًا الكتاب أتى قبيلته مزينة لتُجِيره من رسول الله ﷺ فأبوا ذلك عليه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأشفق على نفسه، وأرجف الوُشاة به فقالوا: إنك يا ابن أبي سُلمى لمقتول -كما ذكر في قصيدته- فخرج يريد رسول الله ﷺ بالمدينة، ونزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة؛ فغدا به الرَّجل الجهني إلى المسجد، وأشار له إلى رسول الله ﷺ فذهب إليه كعب فوضع يده في يده ﷺ وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاءك ليستأمِن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: **نعم**. قال: أنا كعب بن زهير. فوثب رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله دعني وعدوَّ الله أضرب عنُقه. فقال رسول الله ﷺ: **دَعْهُ عنكَ فإنهُ قد جاءَ تائبًا نازعًا عمَّا كان عليه**. فغضب كعب على هذا الحيِّ من الأنصار ووجد في نفسه، وأنشد قصيدته بين يدي النبي ﷺ:

[البسيط]

بانَتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتبُولُ * مُتيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكبُولُ

إلى أن قال:

نُبِّئْتُ أَنَّ رسولَ اللهِ أَوْعَدَني * والعَفْوُ عِندَ رسولِ اللهِ مَأمولُ
مَهْلًا هداكَ الذي أعطاكَ نافِلَةَ الـ * قُرآنِ فيها مَواعِيظٌ وتَفْصِيلُ
لا تَأْخُذَنِّي بأقوالِ الوُشاةِ وَلَمْ * أُذْنِبْ ولو كَثُرَتْ عَنِّي الأقاوِيلُ

إلى أن قال:

إنَّ الرَّســولَ لَنُورٌ يُسْتَضــاءُ بِهِ * مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسْلولُ
في فِتْيَةٍ مِن قُرَيشٍ قــالَ قائِلُهُــمْ * بِبَطنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَموا زُولُوا
زَالوا فما زالَ أَنْكاسٌ وَلا كُشُفٌ * عِندَ اللِّقــاءِ ولا مِيلٌ مَعازِيلُ

وقد خصَّ في قصيدته هذه المهاجرين من قريش بمدحته، وعرَّض بالأنصار، فقال: إن رسول الله ﷺ قال له بعد أن فرغ من إنشاده قصيدته: «**لولا ذكرت الأنصار بخير فإنهم لذلك أهل**». فقال كعب:

[الكامل]

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحَياةِ فَلا يَزَلْ * في مِقْنَبٍ مِن صالِحي الأَنصارِ
وَرِثوا المَكارِمَ كابِرًا عَن كابِرٍ * إنَّ الكِــرامَ هُمُ بَنو الأَخْيارِ

في قصيدة يمدح فيها الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن. والشاهد أن النبي ﷺ تأثر بقصيدته، وفي هذا يقول صاحب الشَّمَقْمَقِيَّة:

[الرجز]

وقدْ حَبَا كَعْبًا غَدَاةَ مَدْحِهِ * بِبُرْدَةٍ ومِائَــةٍ مِن أَيْنُقِ

يقول إن النبي ﷺ أعطاه على هذا الشعر بُردته، ومائة ناقة. يقال: إن معاوية ﵁ بذل في هذه البردة لكعب عشرة آلاف درهم؛ فامتنع، وقال: **"ما كنت لِأُوثِرَ بثوب رسول ﷺ أحدًا"**؛ فلما مات كعب ﵁ ؛ بعث معاوية ﵁ لورثته بعشرين ألف درهم فأعطوه البُرْدَة.

(امنن علينا) واهِبًا: هذه أبيات لأبي جَرْوَل زهير بن صُرَد ﵁، ولها قصة: وهي أن الله لما نصر رسوله ﷺ والمؤمنين يوم حنين، وأصاب رسول الله ﷺ ما أصاب من أموالهم وسباياهم، وذهب يُفرِّق السَّبْيَ والشَّاء؛ أتاه وفد هوازن وقد أسلموا، وأنشده زهير بن صُرَد ﵁ أبياتًا منها قوله:

[البسيط]

امْنُنْ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ * فإنَّكَ المرءُ نرجوهُ ونَنْتَظِرُ
امنن على نِسْوَةٍ قد كنتَ ترضعُها * إذ فُوكَ تَمْلؤهُ مِن مَخْضِها الدِّرَرُ
إذ أنت طفلٌ صغيرٌ كنتَ ترضعُها * وإذ يُرينَكَ ما تأتي وما تَذَرُ
لا تجعلنَّا كمَنْ شالَتْ نعامَتُهُ * واسْتَبْقِ مِنَّا فإنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ
إنّا لَنَشْكُرُ لِلنَّعْماءِ إذ كُفِرَتْ * وعندنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

امنن على نسوة قد كنت ترضعها: لأن منهم حليمة السَّعدية مرضعة النبي ﷺ.

ولما سمع النبي ﷺ هذا الشعر تأثَّر به، فقال: «**ما كان لي ولبني عبدِالمطَّلبِ فهو لكم**» وقالت قريش: ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ولرسوله.

(إنا لنرجو فوق ذا): هذه إشارة إلى أبيات النابغة الجَعْدي ﵁، وقد وفد إلى النبي ﷺ مسلمًا، وأنشده قوله:

[الطويل]

أتيتُ رسولَ اللهِ إذ جاءَ بالهُدى * ويَتْلُو كتابًا كالمَجَرَّةِ نَيِّرَا

إلى أن قال:

بَلَغْنَا السَّماءَ مجدُنا وسَناؤنا * وإنا لنرجو فوقَ ذلكَ مَظْهَرَا

قال رسول الله ﷺ: «**إلى أين يا أبا ليلى؟**» فقال: إلى الجنة. فقال النبي ﷺ: «**نعم إن شاء الله**».

وإلى هذا أشار ابن الوَنَّان في الشَّمَقْمَقِيَّة بقوله:

وبَشَّرَ الجَعْدِيَّ وابنَ ثابتٍ * بجنَّةٍ جزاءَ شِعْرٍ عُنْسُقِ

والعُنْسُق: التامُّ الحُسْن. ثم قال النابغة الجعدي ﵁:

ولا خيرَ في حلمٍ إذا لم تكُنْ لهُ * بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أن يُكَدَّرَا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكُنْ لهُ * حليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال النبي ﷺ: «**لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ**». قالوا: فكان النابغة الجعدي من أحسن الناس ثغرًا، وكان كلما سقطت له سنٌّ نبتت له أخرى.

(يا ركبًا): هذه إشارة إلى أبيات قُتَيْلَة بنت النَّضْر بن الحارث -وقيل: هي أخته- التي بعثت بها إلى النبي ﷺ بعد بدر، وقد كان النضر بن الحارث شيطانًا من شياطين قريش، رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- **أن كل آية فيها وصف القرآن بأنه أساطير الأولين؛ فإنها نزلت فيه.**

وقيل إنه نزل فيه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣١﴾ [الأنفال: ٣١].

و﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٢﴾ [الأنفال:٣٢].

وكذلك: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ٣﴾ [الحج: ٣]. قيل: هو النضر بن الحارث.

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ١﴾ [المعارج: ١]. قيل: هو النضر بن الحارث.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨﴾ [الجاثية: ٧ – ٨]. قيل: هو النضر بن الحارث.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]. قيل: هو النضر بن الحارث.

كان يؤذي النبي ﷺ وينصب له العداوة، وقد كان قدم الحِيرَة، وتعلَّم فيها أحاديث ملوك الفُرس، وأحاديث رُسْتُم، وسِبِنْدِيار وأضرابهما؛ فكان إذا جلس النبي ﷺ مجلسًا فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه مما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله؛ خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه؛ فهلم إليّ أحدثكم بأحسن من حديثه، ثم

يُحدِّثهم عن ملوك فارس، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟

ولم يقتل المسلمون من أسْرى بدرٍ إلا رجلين: عقبة بن أبي مُعَيْط، والنضر بن الحارث هذا، وكلاهما كان من شياطين قريش، والشاهد أنه لما قُتل النضر قالت قتيلة ترثيه:

[الكامل]

يا راكبًا إنَّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ * مِن صُبحِ خامسةٍ وأنتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بها مَيْتًا بأنَّ تحِيَّةً * ما إنْ تزالُ بها النَّجائبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إليكَ وعَبرةً مَسْفوحَةً * جادَتْ بِواكِفِها وأُخرى تَخْنِقُ
هل يَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نادَيتَهُ * بلْ كيفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ
ظلَّتْ سيوفُ بني أبيهِ تَنوشُهُ * للهِ أرحامٌ هناك تُشَقَّقُ
قَسْرًا يُساقُ إلى المَنيَّةِ مُتْعَبًا * رَسْفَ المُقيَّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَقُ
أمحمَّدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ * في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كانَ ضرَّكَ لو مَنَنْتَ فربَّما * منَّ الفتى وهْوَ المَغيظُ المُحْنَقُ
أو كنتَ قابِلَ فديةً فَلَنَأْتِيَنْ * بأعزِّ ما يَغْلُو لديكَ ويَنْفُقُ
فالنَّضرُ أقربُ مَنْ أَسَرْتَ قرابةً * وأحقُّهمْ إنْ كانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

ذكر ابن عبدالبرّ: أن الأبيات لما بلغت النّبي ﷺ بكى حتى أخْضَلَت الدموع لحيته، وقال: «لو بلغنِي شعرُها قبلَ أن أقتله ما قتلته». وإلى هذا أشار في الشمقمقيَّة بقوله:

وعندما سَمِعَ من قُتَيْلَةٍ * رِثا قَتِيلِها الذي لم يُعْتَقِ
ردَّ لها سَلَبَهُ وقد بكى * شَفَقَةً بدَمْعِهِ المُنْطَلِقِ

والشاهد: أنه تأثر بالشعر؛ فهذه شواهد على تأثر النبي ﷺ بالشعر.

يَسْتَنْشِدُ الشِّعْرَ يَقُولُ: (هَلْ مَعَكْ) ٢٧ (وَهِيهِ يَا خُنَاسُ) (هَاتِ مِدْحَتَكْ)

يستنشد الشعر: السِّين للطَّلب؛ أي يطلب من غيره أن يُنشد الشعر.

يقول: (هل معك): هذه إشارة إلى حديث الشَّرِيد بن سُوَيْد ﷺ في صحيح مسلم قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**هل معكَ من شعرِ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ شيءٌ؟**» قلت: نعم، قال: «**هِيهِ**» فأنشدته بيتا، فقال: «**هِيهِ**» ثم أنشدته بيتا، فقال: «**هِيهِ**» حتى أنشدته مائة بيت.

(وهيه ياخناس): هي الخَنْساء بنت عمرو بن الشَّريد، واسمها: تُماضِر –وسيأتي شيء من شعرها في شعر الصحابة في عصور الأدب– وقد قدمت مع قومها بني سُلَيْم على رسول الله ﷺ فأسلمت معهم قال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب ذكروا أن رسول الله ﷺ كان يستنشدها، فيُعجبه شعرها، وكانت تُنشده وهو يقول: «**هِيهِ يا خُناس**» أو «**يُومِئُ بيدِه**».

(هات مِدحتك): قوله هذا يصدق على خبرين:

أولهما: ما أخرجه ابن أبي شيبة عن الأسود بن سريع ﷺ قلت: **يا رسول الله إني مدحت الله مدحة ومدحتك أخرى**، فقال رسول الله ﷺ: «**هاتِ، وابدأ بِمَدْحِكَ الله**».

والآخر: ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن خريم بن أوس بن حارثة بن لامٍ ﷺ أنه قال: **هاجرت إلى رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَه من تبوك، فأسلمت فسمعت العباس بن عبدالمطلب يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحَك**، فقال رسول الله ﷺ: «**قُلْ لا يَفْضُضِ الله فاك**» قال: فقال العباس ﷺ:

[المنسرح]

مِنْ قَبْلِهَا طِبْتَ فِي الظِّلالِ وفي * مُسْتَوْدَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ
ثُمَّ هَبَطتَ البِلادَ لا بَشَرٌ * أَنْتَ ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نطفةٌ تركبُ السَّفِينَ وقدْ * أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَهُ الغرقُ

تُنْقَلُ مِن صالِبٍ إلى رَحِمٍ ❋ إذا مضى عالَمٌ بَدَا طَبَقُ
حتَّى احْتَوى بَيْتُكَ المُهَيْمِنُ مِنْ ❋ خِنْدِفَ عَلْيَاءَ تَحْتَها النُّطُقُ
وأنتَ لمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْـ ❋ أَرْضُ وضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فنحنُ في ذلك الضياءِ وفي النُّـ ❋ ورِ وسُبْلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

يَسُلُّ مِنْهُ صَارِمًا لَا يَنْبُو ٢٨ (أَجِبْهُ يَا حَسَّانُ) (هِيهِ كَعْبُ)

يسل: يخرج. منه: من الشعر. صارمًا: الصارم؛ السيف القاطع، ومنه في القرآن: ﴿إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ١٧﴾ [القلم: ١٧]. أي: ليقطعنها. ﴿أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾ [القلم: ٢٢]. أي: قاطعين. لا ينبو: يقال: نبا السيف عن الضَّريبة إذا رجع من غير قطع.

(أجبه يا حسان): هذه إشارة إلى قصة وفد بني تميم لما دخلوا المسجد فنادوا الرسول ﷺ من وراء الحجرات: أن اخرج إلينا يا محمد؛ فآذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم، فقالوا: يا محمد جئنا نفاخرك؛ فأذن لشاعرنا وخطيبنا. قال ﷺ: «**قد أذنت لخطيبكم فليقل**» فقام عُطارِد بن الحاجب فخطب، فقال رسول الله ﷺ لخطيبه -وهو ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه- : «**قم فأجب**» فقام ثابت فخطب. ثم قام الزِّبرقان بن بدر فأنشد شعرًا، وكان حسان غائبًا؛ فبعث إليه رسول الله ﷺ فلما انتهى إلى الرسول ﷺ قال له: «**قم يا حسان فأجب الرَّجل فيما قال**» -وإلى هذا أشير في البيت (أجبه يا حسان)- فقام حسان -وكان من عجيب خلقه أنه إذا أخرج لسانه يضرب به أرنبة أنفه من طوله كما ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء- وكان رضي الله عنه يقول: "**لو وضعته على شعر لحلقه، أو على صخر لفلقه**" - فقام حسان فقال:

[البسيط]

إِنَّ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ * قَدْ بَيَّنوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بها كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ * تَقْوَى الإلهِ وبِالأَمْرِ الذي شَرَعُوا
قَوْمٌ إذا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ * أو حاوَلُوا النَّفْعَ في أَشْياعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تلكَ مِنهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ * إنَّ الخَلائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا البِدَعُ

فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع بن حابس: "والله إن هذا الرجل لمؤتًّى له –يعني: النبي ﷺ– لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا" فلما فرغ القوم أسلموا فأحسن الرسول ﷺ جوائزهم.

(هيه كعب): هذه إشارة إلى ما أخرجه معمر بن راشد في جامعه عن ابن سيرين أنه قال: قال رسول ﷺ وهو محاصر أهل الطائف لكعب بن مالك: «هيه» يستنشده؛ فأنشده قصيدة فيهم، يقول:

[الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ * وخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا
نُخَيِّرُها ولَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ * قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أو ثَقِيفَا

فقال ﷺ : «لَهُنَّ أَسْرَعُ فيهم مِن وَقْعِ النَّبْلِ».

وَاذْكُرْ هُنَا نَبَأَ دَوْسِ الحُرَّدِ ٢٩ إِذْ أَسْلَمُوا فَرَقَ بَيْتٍ مُفْرَدِ

الحُرَّد: أي الممتنعين عن الدخول في الإسلام، يقال: حرَدَه؛ إذا منعه. ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾ [القلم: ٢٥]. أي وغدوا عازمين على منع المساكين. نبأ دوس: هو ما قاله ابن سيرين رحمه الله– قال: **"وقد أسلمت دوسٌ فَرَقًا من بيت قاله كعب"** وذكر البيت الآخِر من البيتين

السابقين؛ يعني نعطي السيوف الخِيَرَة، ولو أنها نطقت؛ لاختارت حرب دوسٍ أو ثقيف، وأسلمت قبيلة دوس خوفًا من هذا البيت.

وَ(مِنْـهُ حِكْمَـةٌ) وَلِابْـنِ ثَابِـتِ ٣٠ قَدْ وُضِعَ المِـنْـبَرُ خُـذْ بِـثَـابِـتِ

(ومنه حكمة): هذه إشارة إلى ما في البخاري عن أُبَيِّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من الشِّعْرِ حِكْمَةً**».

(ولابن ثابت..قد وضع المنبر خذ بثابت): في سنن أبي داوود عن عائشة –رضي الله عنها- أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبرًا في المسجد فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رُوحَ القُدُسِ مَعَ حسَّانَ ما نافحَ عن رسولِ اللهِ**».

وَانْظُرْ لِبَابِ الشِّـعْرِ عِنْـدَ ابْـنِ أَبِي ٣١ شَـيْبَةَ تُلْـفِ مَـا أَطَـالَ عَجَـبِي

باب الرُّخصة في الشعر من مصنف ابن أبي شيبة فيه كثير من الأحاديث التي سبق بعضها، وكثير من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم، من ذلك ما أخرجه عن أبي خالد الوالِبيّ أنه قال: "**كنت أجلس مع أصحاب رسول الله ﷺ؛ فلعلهم لا يذكرون إلا الشعر حتى يتفرَّقوا**" -هكذا مجلسٌ ليس فيه إلا الشعر- .

وأخرج عن عكرمة أنه قال: "**كنت أسير مع ابن عباس** –رضي الله عنهما- **ونحن في الحج منطلقون إلى عرفات؛ فكنت أُنشِده الشعر، فيفتحه عليّ**".

وأخرج عن كثير بن أفلح أنه قال: "**كان آخر مجلس جلسنا فيه مع زيد بن ثابت** رضي الله عنه **مجلسًا تناشدنا في الشِّعر**".

وأخرج عن عكرمة أنه كان يقول: "**كان ابن عباس** –رضي الله عنهما- **إذا سُئل عن شيء من القرآن؛ أنشد شعرًا من أشعارهم**".

وأخرج عن أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه قال: "**لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ مُتَحزِّقِين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم،**

وإذا أُريد أحد منهم على شيء من أمر دينه؛ دارت حماليق عينيه كأنه مجنون".

وأخرج عن ابن الزبير -رضي الله عنهما-: **"أنه كان ينشد الشعر وهو يطوف بالبيت"**.

وهذه الآثار كلها هي بعض ما في باب الرخصة في الشعر من مصنف ابن أبي شيبة، ولو نظرت في غيره من الكتب التي تنقل أقاويلهم؛ لرأيت ما يزيدك يقينًا بأن الأدب له عند سلفنا من الشرف والمنزلة الحظ الوافر، والشأن الظاهر، حتى قال المُفضَّل: "لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر وتمثل به" ولا نستكثر هذا في شأن الأدب والشعر؛ فشأنه أكبر، ونحن ما زلنا في أول دواعي العناية بالأدب، وبقي علينا ستة عشر وجهًا من وجوه فضل الأدب وتأثيره.

وبه تعلم أن التَّزْهيد في الشعر، والتهوين من شأنه زيغٌ عن منهج سلفنا:

وذا لعمري خلل في المنهج * وخطل يفضي لباب مرتج

فهو زيغ عن منهج سلفنا في العلم والعبادة، وهو من صنيع الأعاجم كما قال سعيد بن المسيِّب، وقد قيل له: "إن قومًا بالعراق يَعِيبون إنشاد الشعر؛ فقال: نسكوا نُسُكًا أعجميًا".

فإن قال قائل: **إن الله ذمَّ الشعراء فقال:** ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٦]. **فما الجواب؟**

الجواب: أن يقال له: أكمل الآيات، من يقرأ هذه الآيات وينقطع نفسه هنا هو مثل الذي يقرأ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون: ٤]. ويقف، أين الاستثناء الذي يرفع اللائمة عن المؤمنين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وإن قال قائل: **إن النبي ﷺ قال -كما في الصحيحين-: «لأن يمتلئ جوفُ أحدِكم قَيْحًا يَرِيهِ خيرٌ له من أن يمتلئ شعرًا» فما الجواب؟**

الجواب: أن المذموم هو أن يكون الشعر مستوليًا على القلب بحيث يشغله عن القرآن والحديث؛ وإلا فكيف نوفِّق بين هذا الحديث، وبين الأدلة المتكاثرة التي فيها حثُّ الإسلام

على الشعر؛ تجد هذا الجواب في شرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث في شرحه على البخاري، وفي شرح النووي على مسلم.

وإن قال قائل: **إن الله نزه نبيه ﷺ عن قول الشعر فقال تعالى:** ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]. **وما ذاك إلا لنقص الشعر؛ فما الجواب؟**

الجواب: أن الله تعالى نفى الشاعريَّة عن النبي ﷺ لئلا تدخل الشُّبهة على من أُرسِل إليه؛ فيظنُّ أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر، كما نفى الله تعالى عن نبيه ﷺ القراءة والكتابة فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وذلك ليكون أبلغ في قطع حجة المبطلين، وأدَلَّ على أن هذا القرآن من عند الله؛ فإنه لو جاء ممن يقرأ أو يكتب؛ لارتاب المبطلون فقالوا: لعله تعلمه، أو كتبه بيده؛ فالله سبحانه وتعالى نفى عن نبيه ﷺ القراءة والكتابة؛ **فهل يُقال: إن القراءة والكتابة نقص؟ قطعًا لا، إذن ما الحكمة من نفي القراءة والكتابة؟**

الجواب: في تتمَّة الآية: ﴿إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ أي لو كنت تقرأ أو تكتب لشك المبطلون في نبوتك، وتذرعوا بأنك تأخذ من الكتب السالفة؛ فالله تعالى نفى الشاعرية عن النبي ﷺ؛ لهذه العلة نفسها؛ لئلا تدخل الشبهة على من أُرسِل إليه فيظن أنه قوي على القرآن بما في طبعه من القوة على الشعر، قال في الشمقمقية عن الشعر:

ما هُوَ إلا كالكتابةِ وما * فضلُهُما إلا كشمسِ الأُفُقِ
وإنَّما نُزِّهَ عنهما النَّبي * لِيُدْرَكَ الإعجازُ بالتَّحَقُّقِ

[٢-الأدب يعين على فهم القرآن]

وَفِيــــــــهِ تَفْسِــــــــيرُ كَلَامِ اللهِ ٣٢ فَــاعْنَ بِــهِ وَلَا تَكُــنْ بِــاللَّاهِي

هذا الثاني من دواعي العناية بالأدب أن فيه تفسير كلام الله، وبيان معانيه؛ فاعن به ولا تكن باللاهي.

{يَأْخُــذَهُمْ عَلَى تَخَــوُّفٍ} نَشَـــــرْ ٣٣ (عَلَـيْكُمُ دِيْـوَانَكُمْ) قَـالَ عُمَـرْ

سأل عمر ﷺ وهو على المنبر أصحابه عن قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]. ما التخوُّف؟ فقال رجل من هُذَيْل: "التخوف: التَّنَقُّص" فقال: أَوَ تعرف ذلك العرب؟ قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي:

[البسيط]

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا * كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

تخوف الرحل منها: أي تنقَّص الرَّحل من الناقة. **تامكًا**: أي سنامًا مرتفعًا. **قردًا**: أي قد تراكم لحمه من السِّمن، أو كثر عليه القُراد. **كما تخوف**: كما تنقص. **عود النبعة**: النبعة شجرٌ تتخذ منه القِسيّ. **السفن**: المِبْرَد. والمعنى تنقَّص الرحل سنام هذه الناقة المرتفع؛ كما تنقص المبرد عود النبعة.

فقال عمر ﷺ عند ذلك: **"عليكم بديوانكم لا تضلوا"**. قالوا: وما ديواننا؟ قال: **"شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم"**.

نشر: أي أن هذا الخبر نشر أن في الأدب تفسير القرآن وبيان معانيه.

إِنْ خَفِيَ اللَّفْظُ عَلَى مَنْ قَـدْ طَلَـبْ ٣٤ فَلْيَلْتَمِسْ مَعْنَـاهُ فِي شِـعْرِ العَـرَبْ

عقد بهذا قول ابن عباس –رضي الله عنهما-: **"إذا قرأتم شيئًا من كلام الله فلم تعرفوه؛ فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب"**.

وَلِابْـنِ عَبَّـاسٍ مَـعَ ابْـنِ الأَزْرَقِ ٣٥ شَاهِدُ صِدْقٍ ذَا الـمَـقَالِ الـمُـشْرِقِ

شاهد هذا خبر مسائل نافع بن الأزرق؛ فإنه بينما ابن عباس –رضي الله عنهما- في فناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، قال نافع بن الأزرق لصاحبه نَجْدَة الحَرُوري -وهما من كبار الخوارج-: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فلنسأله، فقاما إليه فقالا له: إنا نريد أن نسألك عن أشياء في كتاب الله فتفسرها لنا، وتأتينا بما صدَّقه من كلام العرب، فقال لهما ابن عباس: **"سلاني عما بدا لكما"**. فسألاه مسائل، فكان كلما أجاب ابن عباس –رضي الله عنهما- ؛ سأله نافع: وهل تعرف ذلك العرب؟ فيخبره ابن عباس بما يشهد لذلك من كلام العرب.

من ذلك أنه قال له: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]. ما الوسيلة؟ قال: الوسيلة؛ الحاجة. قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول عنترة:

[الكامل]

إنَّ الرِّجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ * إن يأخذوكِ تَكَحَّلي وتخضَّبي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤﴾ [العاديات: ٤]. قال: النقع ما يسطع من حوافر الخيل. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعتَ قول حسان:

[الوافر]

عَدِمْنا خيلنا إن لم تَرَوْها * تُثيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُها كَداءُ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ١١٩﴾ [طه: ١١٩]. قال: لا تعرق فيها من شدة حرِّ الشمس. قال وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت قول الشاعر:

[الطويل]

رأتْ رَجُلًا أمَّا إذا الشَّمْسُ عارَضَتْ * فَيَضْحَى وأمَّا بالعشِيِّ فَيَخْصَرُ

في مسائل كثيرة ذكرها السيوطي في الإتقان؛ فالأدب يعين على فهم القرآن، وانظر إلى تعظيمهم شأن شعر الجاهلية؛ فهذا عمر ﷺ يقول: **"عليكم بديوانكم لا تضلوا"** ويفسره بشعر الجاهلية. وابن عباس –رضي الله عنهما– يقول: **"الشعر ديوان العرب، وهو أول علم العرب، عليكم بشعر الجاهلية وشعر الحجاز"** ويحتج به في تفسير القرآن. وانظر إلى قول عمر ﷺ: **"كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه"**. فالشعر الجاهلي هو أعلى ما لديهم من العلوم؛ تذوَّقوه، وتأملوا فيه، وهذا التأمُّل والتذوُّق هو عمل كبيرهم وصغيرهم كما يقول الأستاذ الكبير: محمود شاكر؛ فهو عمل صغيرهم وكبيرهم، ورجالهم ونسائهم، وأشرافهم وعامَّتهم، وأحرارهم ومواليهم. وهو القسط الأوفر في حياتهم، في باديتهم وحاضرتهم، وفي جدهم وفي لهوهم، وكانوا على مثل تضرُّم النار من الشغف به، والإلحاح عليه، حتى صُقِلت ذاكرتهم؛ فوَعَت. وأُرهِفَ به إحساسهم؛ فميَّز بعضه من بعض. وبهذا تعلم لماذا كانت مطالبة العرب في الجاهلية بالإيمان بالنبي ﷺ وبما جاء به، كانت المطالبة تعتمد على شيء واحد فقط؛ وهو أن يستمعوا لهذا القرآن، وهم لما لهم من حسٍّ مرهفٍ، وذهنٍ مصقولٍ واعٍ، وبصرٍ نافذٍ بالكلام البليغ الذي هو صنعتهم؛ إذا استمعوا إلى بديع نظم القرآن الذي تحداهم الله به، وبلاغة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه؛ خضعوا وأقرُّوا بعجزهم، وعلموا علمًا يقينًا أنه مباينٌ لجميع لكلام البشر، وأنه كلام ربِّ العالمين. وهذا

الفصل لم يكن ليتأتَّى لهم لولا ما أوتوه من البيان الذي يفوق كل بيان؛ لأنه أعلى خصائص بيان البشر، وهو الباقي الآن في شعر الجاهلية.

[٣-الأدب عنوان الهوية]

[٣]وَهُوَ عُنْوَانُ هُوِيَّةِ الأُمَمْ ٣٦ وَاهًا لَهَا مِنْ رِفْعَةٍ وَمِنْ شَمَمْ!

اللغة والأدب في كل أمة هو شعارها، وعنوان هويتها، وقد كتب كاتب فِرَنْسيّ قصة تبين هذا وتوضحه، عنوانها: **(الدرس الأخير)** حاصلها أن صبيًّا قال:

غدوت إلى المدرسة صبيحة يوم من الأيام الأخيرة من العام ولمَّا أحفظ درسي؛ فخشيت أن يُقرِّعني أستاذي ويعاقبني، فأخذت طريق الحقول علِّي أقطع النهار في اللعب واللهو، ثم بدا لي فعدت عن هذه الفكرة، وذهبت إلى المدرسة قلق الذهن مشغول البال، فما لفت نظري إلا إسراع الناس -مصفرَّة ألوانهم عليهم علامات الخوف والألم- إلى حيث لا أعلم، فتبعتهم حتى وصلوا إلى دار الحاكم، ثم لا أدري ماذا كان بعد ذلك؛ لأني أسرعت إلى المدرسة؛ فذهبت سعيًا إلى غرفة الدرس، ووجدت الأستاذ فيها يروح ويجيء قلقًا، وقد ارتدى حُلَّته الرسمية التي ما كان يرتديها إلا في يوم احتفاءٍ أو يوم قدوم مفتِّش، ورأيت بعضًا من أهالي القرية قد جلسوا على مقاعد التلاميذ، واجمين، شاخصة أبصارهم، بوجوه مكفهرّة؛ فانسللت إلى مكاني وأنا أشد ما أكون حيرة ووجلًا، وعلا الأستاذ المنبر، فقال بصوت مرتجف، ورنَّةٍ حزينة كأنها بكاء ونحيب: أولادي هذه آخر ساعة أراكم فيها ثم نفترق إلى غير تلاق؛ لأن بلادكم قد احتلَّها الألمان، واستبدلوا لغتهم الجرمانية بلغتكم الفِرَنسية؛ فلا فرنسية بعد اليوم، وخنقته العبرات فما استطاع أن يُتِمَّ كلامه؛ فعلمت لِمَ كان الناس يسرعون إلى دار الحاكم؟! ثم عاد الأستاذ فقال: والآن أصغوا إليّ لأتلوَ عليكم الدرس الأخير. قم يا فلان -قاله للصبي- قال: فلم أسمع اسمي حتى ارتجفت وقمت، ولم أكن حفظت درسي، فوقفت ساكتًا. فقال: اجلس يا بنيّ، فأنا لن أعاقبك ولن ألومك، فقد

فات أوان اللوم والعقاب، **لكن اعلموا يا أولادي أنكم أضعتم بلادكم، وسلَّمتموها إلى عدوكم بإهمالكم لغتكم**".

فهذه القصة تصور بصدق كيف يكون إهمال اللغة والأدب سبيلًا إلى تضييع الأمة وفقدانها سيادتها، وفي المقابل: العناية باللغة والأدب يحفظ للمجتمع شخصيته وقوته، وليس ببعيد ما فعلته يهود؛ فقد بعثت اللغة العبرية من قبرها من أجل أن تكون عنصر تفاهم مشترك بين هؤلاء الذين جاؤوا من ثقافات مختلفة؛ فهم يعرفون أن اللغة الموحدة جديرة بأن تصهر هذا الكيان، وأن تجعله شيئًا واحدًا. وأيضًا فِرَنْسا فقد كانت ترى أن العمل الجبار الذي عليها إنجازه فيما احتلته من البلاد؛ أنه نشر لغتها حتى تقوم مقام لغة أهل البلد، قال نابليون: **"علموا اللغة الفرنسية؛ ففي تعليمها خدمة الوطن الحقيقية"** وهكذا كانت تفعل دول الاحتلال في البلاد التي احتلتها.

وحين يقال: إن اللغة والأدب عنوان الهوية، ليس هذا تقديمًا للغة على الدين، كلا بل الدين هو الرابطة العُظْمى بين بنيه، لكن هذا الدين هو الذي جاء بالحث على تعلم العربية، وهو الذي نزل كتابه بالعربية؛ فالتمسك باللغة تمسك بالدين.

مَنْ ضَيَّعَ اللِّسَانَ ضَاعَ دِينُهُ ٣٧ خَلَا مِنَ اسَادِ الشَّرَى عَرِينُهُ

الشَّرى: موضع كثير الأسود. يقال: هم أُسْد الشرى، أي أشداء شجعان. قال الفرزدق:

[الطويل]

وإنَّ الذي يسعى يُخبِّبُ زوجتي ❋ كساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يسْتَبيلُها

والعرين: مأوى الأسد الذي يألفه، وأصل العرين، جماعة الشجر.

[٤-الأدب يحمل على الاتصاف بالكمالات]

يَدْعُو إلَى مَحَاسِنِ الخِصَالِ ٣٨ يُرَوِّضُ النَّفْسَ عَلَى الكَمَالِ

من دواعي الاشتغال بالأدب أنه يحمل على الاتصاف بالكمالات، ويروض النفس على الخلال الكريمة، ويبعثها على مكارم الأخلاق، وقد رُوي عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال: **"علموا أولادكم الشعر؛ فإنه يعلمهم مكارم الأخلاق"**، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري ﷺ: **"مُرْ من قبلك بتعلم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"**. ودفع عبدالملك بن مروان ولده إلى الشعبي وقال: **"علمهم الشعر؛ يمْجدُوا وينْجُدوا"**. أي يكونوا أهل مجد، وأهل نجدة.

(لَوْلَا خِلَالٌ سَنَّهَا لَمَا دَرَى ٣٩ بَاغِي العُلَا مِنْ أَيْنَ يُكْرَمُ الوَرَى)

هذه إشارة إلى بيت أبي تمام:

[الطويل]

ولولا خِلالٌ سَنّها الشِّعْر ما دَرَى * بُغاةُ العُلا مِنْ أينَ تُؤتَى المَكارِمُ

وقد قال بعض الأدباء: أحسن ما مُدح به الشعر قول أبي تمام..وذكر هذا البيت، وبعضهم يقدِّم عليه قول ابن الرومي في المعنى نفسه:

[الطويل]

أرى الشِّعْرَ يُحْيي الجودَ والبأسَ بالَّذي * تُبَقِّيهِ أَرْوَاحٌ لها عَطِراتُ
وما المجدُ لَوْلا الشِّعْرِ إلا معاهِدٌ * وما الناسُ إلا أعْظُمٌ نخِراتُ

ولعبدالملك بن مروان كلمة نفيسة في تحقيق هذا المعنى لا أجد بدًا من روايتها بلفظها لأن روايتها بالمعنى تفسدها.

لما قدم الحجاج بن يوسف العراق جفا الشعراءَ جفاءً اتصل خبره بعبدالملك بن مروان؛ فكتب إليه: **"بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عبدالملك إلى الحجاج بن يوسف، أما بعد فقد بلغني عنك ما كذب فراستي فيك، وأخلف ظني عندك، وهو إعراضك عن الشعر والشعراء؛ فإنك لا تعرف فضيلة الشعر، ولا تعرف مواضع كلام الشعراء، ومواقع سهامهم، أوَ ما علمت يا أخا ثقيف أن في الشعر بقاء الذكر ونماء الفخر، وأن الشعراء طُرُزُ المملكة، وحُلِي الدولة، وعناوين النعمة، وتمائم المجد، ودلائل الكرم، وأنهم يحضون على الأفعال الجميلة، وينهون عن الخلائق الذميمة، وأنهم سنُّوا سبيل المكارم لطلابها، ودلُّوا بغاة المحامد على أبوابها، وأن الإحسان إليهم كرم، والإعراض عنهم لؤم وندم؛ فاستدرك فارط تفريطك، وامح بصوابك وحي أغاليطك"**. وقد ذكر بعض الأدباء أن أبا تمام أخذ قوله من قول عبدالملك للحجاج وأنهم سنُّوا سبيل المكارم لطلابها، ودلُّوا بُغاة المحامد على أبوابها.

وقد صدَّق الناظم هذا القول بخبرين، قال:

نَاهِيكَ قَوْلُهُ: (أَبَتْ لِي هِمَّتِي) ٤٠ (اِنْفُوا الضَّغِينَ) كَمْ بِهَا مِنْ حِكْمَةِ

أما الخبر الأول: فهو أن معاوية ﷺ قال:

اجعلوا الشعر أكبرَ همِّكم، وأكثرَ دَأْبِكم؛ فلقد رأيتُني ليلة الـهَرِير بصِفِّين -وهي وقعة كانت بين أهل الشام وأهل العراق- وقد أُتيتُ بفرس أَغَرَّ مُحَجَّلٍ بَعِيدِ البطن من الأرض، وأنا أريد الهربَ لشِدَّة البَلْوى، فما حَمَلني على الإقامة إلَّا أبيات عمرو بن الإطْنَابة:

[الوافر]

أَبَتْ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بَلَائِي * وَأَخْذِي الحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيحِ
وَإِقْحَامِي عَلَى المَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ البَطَلِ المُشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَاشَتْ * مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي
لِأَدْفَعَ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ * وَأَحْمِيَ بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

فهذه الأبيات هي التي حملته على الإقامة وترك الفرار.

والخبر الثاني الذي أشار إليه بقوله: (انفوا الضَّغين):

الرَّشِيد كان قد شَغَلَه أَمْرُ وَلَدَيْهِ الأمين والمأمون؛ مَن الذي يَعْهَد إليه بالأمر منهما؟ فأحضرهما وهما صبيان، فأَغْرَى بينهما -يختبر حِلْمَهُمَا- فأسرع الأمين إلى المأمون، وكان المأمون أحلَمَهُمَا، ثم إنه أمرهما أن يتصارعا فَوَثَب الأمين وسَكَن المأمون، فقال له الرَّشِيد: ما لك لا تقوم، أَخِفْتَ ابن الهاشمية؟ إنه لَأَيِّد. فقال المأمون: هو على ما ذكر أمير المؤمنين، ولكني لم أخفه؛ وإنما قبض يدي عنه الذي قبض لساني. فقال له الرشيد: وما الذي قبض يدك ولسانك؟ فقال: قول الأُمَوِي لبنيه:

[الكامل]

اِنفُوا الضَّغَائِنَ بَينَكُمْ وَتَوَاصَلُوا * بَينَ الأَبَاعِدِ وَالحُضُورِ الشُّهَّدِ
حَتَّى تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَجُلُودُكُمْ * لِمُسَوَّدٍ مِّنكُمْ وَغيرِ مُسَوَّدِ
إِنَّ القِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا * بِالكَسْرِ ذُو حَنَقٍ وَبَطْشٍ أَيِّدِ
عَزَّتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ * فَالوَهْنُ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

وإلى هذا أشار في الشَّمَقْمَقِيَّة بقوله:

وَلَكَ فِي مَن كَان مِثْلَ الأُمَوِيْـ * ـيِ أُسْوَةٌ بِها اقْتَدى كُلُّ تَقِي

الأُمَوِي: عبدالملك بن مروان. ومَن كان مثله: المأمون.

[٥-الأدب يزيد في العقل]

يَزِيدُ فِي العَقْلِ وَيُحْيِي الفِكْرَا ٤١ هَذِي الشَّوَاهِدُ أَتَتْكَ تَتْرَى

من دواعي العناية بالأدب والسعي في تحصيله؛ أنه يزيد في العقل، ويُفتِّق الذهن، ويُحيي

الفكر؛ **فإحياء البيان في الأمة إحياء للفكر فيها**، وقد ورد عن عمر ﷺ أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ يوصيه: **"خذ الناس بالعربية؛ فإنها تزيد في العقل، وتُثبت المروءة"**، وقال بعض السلف: **"اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة، وزيادة في العقل"**.

ومما يُبيِّن أثر العناية بالأدب في زيادة العقل؛ ما يعرف عند الأدباء بتحسين القبيح، وتقبيح الحسن، أن يعمِد المتكلم إلى شيء قبيح؛ فيُحسِّنه، أو إلى شيء حسن فيُقبِّحه؛ وهذا يستدعي إعمالًا للعقل، ولفتًا للذهن إلى جوانب كان غافلًا عنها.

(هذي الشواهد أتتك ترى): تترى أي متتابعة.

يُحَسِّنُ القَبِيْحَ مَهْمَا شَانَا ٤٢ يُقَبِّحُ الجَمِيْلَ مَهْمَا زَانَا

يُزَخْرِفُ البَاطِلَ مَهْمَا كَانَا ٤٣ الثَّقَفِي {إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانَا}

هذه إشارة إلى خبر للحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك أن عبدالملك بن مروان بنى بابًا من من أبواب المسجد الأقصى ، وبنى الحجاج بابًا إلى جانبه، فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذي بناه عبدالملك، فشَقَّ ذلك عليه؛ فَبَلَغ ذلك الحجاجَ فكتب: إلى عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين، إنما مَثَلي ومَثَلك كمَثَل ابني آدم إذ قرَّبا قربانًا فتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتَقَبَّل من الآخر -لأنه كانت علامة قبول القُرْبان: أن تنزل صاعقة من السماء على القربان المُتَقَبَّل- فسُرِّي عن عبدالملك.

وَخَالِدُ القَسْرِيْ مَعَ المُبِيْرِ ٤٤ غَيْلَانٌ الضَّبِّيِّ مَعَ الأَمِيرِ

المُبير: هو الحجاج بن يوسف، في صحيح مسلم أن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- قالت للحجاج: **"أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذابًا ومُبيرًا؛ فأما الكذاب فرأيناه -تعني المختار بن أبي عبيد- وأما المُبير فلا إخالُك إلا إيَّاه"**.

وخالد القَسْرِي كان أمير مكة وصَعِد المنبر مرة يوم الجمعة، فذكر الحجاجَ وحَمِد طاعتَه وأثنى عليه خيرًا، فلما كان في الجمعة الثانية، ورد عليه كتاب سليمان بن عبدالملك، يأمره فيه بشَتْم الحجاج، ونشر عيوبه، وإظهار البراءة منه. فكيف تخلص؟

صَعِد المنبر في الجمعة الثانية، فحَمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن إبليسَ كان في الملائكة، وكان يُظهِر من طاعة الله تعالى ما كانت الملائكة ترى له به فضلًا، وكان الله عَلِم من خُبْثِه وغِشِّه ما كان خفي عن الملائكة، فلما أراد الله فضيحته أمره بالسجود لآدم؛ فظهر لهم ما كان يُخفيه عنهم فلَعَنُوه، وإن الحجاجَ كان يُظهِر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلًا، وكان الله قد أَطْلَع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ما خفي عنا، فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدي أمير المؤمنين.

وما نزل خالد القسري حتى ذمَّ الحجاجَ وأظهر البراءة منه، وتخلص من هذا الموقف بحسن بيانه، ورحم الله ابن الرومي إذ يقول:

[البسيط]

فِي زُخْرُفِ القَـوْلِ تَزْيِينٌ لِبَاطِلِهِ * والحَقُّ قـد يَعْتَرِيْهِ سُـوءُ تَعْبِيرِ
تَقُولُ: هَذَا مُجَاجُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ * وإنْ ذَمَمْتَ تَقُلْ: قَيْءُ الزَّنَابِيرِ
مَدْحًا وذمًّا وما جَاوَزْتَ وَصْفَهُما * حُسْنُ البيانِ يُرِي الظَّلْمَاءَ كَالنُّورِ

غيلان الضبي مع الأمير: هذه إشارة إلى خبر غَيْلَانَ بن خَرَشَة الضَّبِّيِّ مع الأمير عبدالله بن عامر، وكان مَرَّ معه على نهر أم عبد الله الذي كان يشق البصرة، فقال عبد الله بن عامر: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمير، يتعلم فيه العَوْمَ صبيانُهم، ويكون لسُقْيَاهم ومَسِيل مِيَاهِهم، ويأتيهم بمِيرَتِهم. ثم لما تَغَلَّب زياد بن أبيه -وكان عدوًا لعبد الله بن عامر- مَرَّ غَيْلَان بن خَرَشَة نفسه مع زياد بن أبيه على هذا النهر، فقال زياد: ما أضرَّ هذا النهر لأهل هذا المِصْر! فقال غَيْلَان: أجل والله، تَنْدَى منه دُورُهم،

ويَغْرَق فيه صبيانُهم، ويَكْثُر بسببه ذبابُهم. - بغض النظر عن البعد الأخلاقي- انظر إلى البعد العقلي الذي يجعلك قادرًا أن تنظر إلى الشيء الواحد من جانب وتجعله حسنًا، وتنظر إليه من جانب آخر فتجعله قبيحًا، وهذا لا شك يتطلب استثارة عقلية عميقة.

الزِّبْرِقَانُ مَعَ نَجْلِ الأَهْتَمِ ٤٥ عُذْرُ فِرَارِ ابْنِ هِشَامٍ الكَمِي

يُروى أن الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم قدما على رسول الله ﷺ، فقال الزِّبْرِقان: يا رسول الله، أنا سيد بني تميم والـمُطَاع فيهم والـمُحَبَّب لديهم، أمنعهم من الظلم وآخذ لهم حقوقهم، وهذا يعلم -يعني عمرَو بنَ الأهتم- فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العَارِضَة، مَانع لِجَانبه، مُطَاع في أَدْنَيه. فقال الزبرقان: والله لقد علم مني أكثر مما قال، وما منعه إلا الحسد! فقال عمرو: أنا أحسدك! فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، أحمق الوالد، مُضَيَّع العشيرة، والله يا رسول الله، لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الأخرى، ولكني رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسَخِطتُ فقلت أقبح ما علمت، ولقد صدقت في الأولى والآخرة جميعًا، فقال رسول الله ﷺ «إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا» [أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك وقال ابن كثير في البداية والنهاية بعد أن ساق الخبر بإسناده: هذا إسناد غريب جدا].

الكميّ: الشجاع البطل. الحارث بن هشام كان في جيش المشركين ففرَّ يوم بدر وترك أخاه أبا جهل -عمرَو بنَ هشام- وأسلمه للقتل؛ فعيَّره حسانُ بذلك، وقال في قصيدة له:

[الكامل]

إِن كُنتِ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي ❊ فَنَجَوتِ مَنْجَى الحَارِثِ بنِ هِشَامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أَن يُّقَاتِلَ دُونَهُمْ ❊ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمِرَّةٍ وَّلِجَامِ

فاعتذر الحارث بن هشام عن فراره وقال:

[الكامل]

اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ * حَتَّى عَلَوا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلْ وَاحِدًا * أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنهُمْ وَالأَحِبَّةُ فِيهِمُ * طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَومٍ مُفْسِدِ

انظر كيف حسن بهذه الأبيات ما يتفق الناس على قبحه! قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: "ما اعتذر أحد من الفرار بأحسن من هذا الاعتذار!".

حتى إن هذا الاعتذار تُرْجِم لبعض ملوك الأعاجم فقال: يا معشر العرب، حسَّنتم كل شيء حتى الفرار! أي بلغتم بلطافة ألسنتكم وحسن احتجاجكم مبلغًا لم يبلغه أحد. وقد أسلم الحارث بن هشام ﵁ يوم الفتح وحسن إسلامه.

مَا قَالَهُ ابْنُ الجَهْمِ حِينَ سُجِنَا ٤٦ وَنَجْلُ الَانْبَارِيِّ حِينَ أَبَّنَا

أنت إذا أردت أن تستبطن بعض الشعر للبحث عن جماله، أو إذا نظرت في شعر بعض الشعراء الفحول للبحث عن أسرار الشاعرية عندهم، وجدت أنهم يقلِّبون القول، ويفتنُّون فيه افتنانًا عجيبًا، فعلي بن الجهم مثلًا لما أمر المتوكل بحبسه، ما ترك شيئًا قبيحًا في السجن إلا حسَّنه بشعره، من ذلك أنه قال:

[الكامل]

قالت: حُبِستَ فقلتُ: ليس بِضائري * حَبْسي وأيُّ مهنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أوَمَا رأيتِ الليثَ يألفُ غِيلَهُ * كِبْرًا وأَوْباشُ السِّباعِ تردَّدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ * عن ناظريكِ لما أضاءَ الفَرْقَدُ
والحبْسُ ما لم تَغْشَهُ لدنيَّةٍ * شَنْعاءَ نِعْمَ المنزلُ المتورَّدُ
بيتٌ يُجَدِّدُ للكريمِ كرامةً * ويُزارُ فيه ولا يَزورُ ويحمدُ

في أبيات، ثم إنه بلغ المتوكل أن ابن الجهم هجاه؛ فنفاه المتوكل إلى خُرسان، وكتب إلى واليه عليها أن يصلب إذا وردها يومًا إلى الليل؛ فجاءتهم القصيدة هذه المرة من فوق خشبة الصلب، قال:

[الكامل]

لم ينصبوا بالشاذياخ عَشِيَّةَ الـ * إثنينِ مَغْمُورًا ولا مجهولا
نَصَبُوا بحمدِ اللهِ مِلءَ عُيونِهِمْ * حُسْنًا ومِلْءَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلا
ما ضرَّهُ أن بُزَّ عنهُ لِباسُهُ * فالسيفُ أهولُ ما يُرى مَسْلُولا
هل كانَ إلا الليثَ فارقَ غِيلَهُ * فرأيتَهُ في مِحْمَلٍ محمولا

فانظر كيف شبَّه نفسه بالسيف مُغْمَدًا ومسلولًا فأحسن، قال في الأولى: "**قالت: حُبِست**.."البيت. شبه نفسه بالسيف مغمدًا فأحسن، وقال في الأخرى: "**ما ضره أن بُزّ**.." البيت. شبه نفسه بالسيف مسلولًا فأحسن.

وقد قال أبو عبدالله اليَحْصُبي -كما في طبقات الشعراء لابن المعتز-: لما قال علي بن الجهم وهو محبوس كلمته التي يخاطب فيها المتوكل، ثم كلمته حين صلب: "**حكموا له بأنه أشعر الناس، فأذعنت له الشعراء وهابته الأمراء**" لأنه استعمل السَّيف مُغْمَدًا ومسلولًا في الثناء على نفسه فأحسن.

ونجل الانباري حين أبنا: **التأبين**: الثناء على الشخص بعد موته، وأبو الحسن الأنباري له قصيدة رثى بها الوزير ابن بقيَّة لما صُلِب، وقد كان الأنباري مغمورًا بنعم ابن بَقِيَّة مدة تصرفه في الوزارة؛ فلما رآه مصلوبًا أنشد مرثية هي من أعظم المراثي، ما سُمِع بمثلها في مصلوب، ما ترك شيئًا في هذه المثلة التي ليس شيء أشنع منها إلا جعله حسنًا بنفثة نفثها بسحر بيانه؛ حتى إن عضُد الدولة الذي صلب ابن بقية تمنى أن لو كان هو المصلوب، وأنها قيلت فيه، قال أبو الحسن الأنباري:

[الوافر]

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المَماتِ * لَحَقٌّ أنتَ إحدى المُعْجِزاتِ
كأنَّكَ قائمٌ فيهمْ خَطيبًا * وكلُّهمُ قيامٌ للصَّلاةِ
مَددتَّ يديكَ نحوهمُ احتفاءً * كمدِّهِما إليهمْ بالهِباتِ
ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عنْ أنْ * يَضُمَّ عُلاكَ مِن بعدِ الوفاةِ
أصَارُوا الجَوَّ قبرَكَ واسْتَنَابُوا * عن الأكفانِ ثوبَ السَّافياتِ
لعُظْمِكَ في النفوسِ تبيتُ تُرْعَى * بحُرَّاسٍ وحُفَّاظٍ ثِقاتِ
وتُوقَدُ حَوْلَكَ النِّيرانُ ليلًا * كذلكَ كنتَ أيامَ الحياةِ
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِن قَبلُ زيدٌ * عَلاها في السِّنينَ الماضِياتِ
وتلكَ قضيَّةٌ فيها تَأَسٍّ * تُباعِدُ عنكَ تَعييرَ العُداةِ
ولم أرَ قبلَ جِذْعِكَ قطُّ جِذْعًا * تمكَّنَ مِن عِناقِ المَكرُماتِ

ركبت مطية من قبل زيد: هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، طالب بالخلافة في زمن هشام بن عبدالملك؛ فقتل وصُلِب. وهي أطول من هذا، وقد أجمع أهل الأدب؛ أنه لم ينظم مثلها في بابها.

وَحُسْنُ تَعْلِيلٍ صَنِيعَةُ النَّدِسْ ٤٧ (مَنْ نَبَّأَ الوَرْقَا) (شُعَاعُ مُنْعَكِسْ)

النَدس: الفَهِمُ الفَطِن.

حسن التعليل من المحسنات المعنوية عند البلاغيين، وهو أن تُدَّعى لوصفٍ علَّة له باعتبارٍ لطيف غير حقيقي، من مشهور أمثلته عند البلاغيين قول المتنبي:

[الكامل]

لَمْ يَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وَإِنَّمـا * حُـمَّـتْ بِـهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ

أنكر أن يكون السحاب الممطر قد أشبه الممدوح في كرمه و عطائه، وأتى بعِلَّة في غاية اللطف وهي: أن السحاب أخذته الرُّحَضاء -وهي الحمى- من شدة الغيرة من الممدوح فتصبب منه الماء من شدة حرارة الحمى، ومن مشهور أمثلته عندهم قول المتنبي أيضًا:

[الرمل]

مَـا بِـهِ قَتْـلُ أَعَادِيـهِ وَلَكِـنْ * يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الـذِّئَابُ

عِلَّةُ قَتْلِ الأعداء عادة دَفْعُ مضرتهم، لكن المتنبي هنا جعل علة قتل ممدوحه أعداءه أنه يخشى أن يخيِّب رجاء الذئاب في لحوم من سيقتله من أعدائه؛ لذلك يقتلهم. هذا حسن التعليل.

من نبأ الورقا: مما يُستظرف ويُستطرف ما وقع لابن عُنَيْنٍ الشاعر؛ فإنه حضر مرة مجلس الفخر الرازي بخرسان وهو على المنبر فجاءت حمامة خلفها جارح يطاردها فألقت نفسها على الفخر الرازي كالمستجيرة به؛ فرجع عنها الجارح، فأنشأ ابن عنين على البديهة:

[الكامل]

جاءتْ سليمانَ الزمانِ حمامةٌ * والموتُ يلمعُ مِن جناحَيْ خاطِفِ
مَنْ نبَّأَ الوَرْقاءَ أنَّ مَحَلَّكُمْ * حَرَمٌ وأنكَ مَلْجَأٌ للخائفِ

فطرب له الرازي، واستدناه، وأجلسه قريبًا منه، وبعث إليه بعدما قام من مجلسه خلعة كاملة، ودنانير كثيرة،ولم يفارق ابن عنين إحسانه بعد ذلك، ثم زاد عليها ابن عنين أبياتًا أُخَر.

شعاع منعكس: الـمَازِرِي –تفتح الزاي وتكسر–كان جالسًا مع أصحابه فدخل شُعَاعُ شمس من كُوَّة الحائط وأصاب رجله، فقال: * هَذَا شِعَاعٌ مُنْعَكِسْ *
وقوله هذا: شَطْرُ بيتٍ من مَجْزُوءِ الرَّجَزْ، وكان عنده أحد الطلبة سريع البديهة، فأحسن في التعليل، وقال:

[مجزوء الرجز]

هَـذَا شُـعَاعٌ مُـنْعَكِسْ * لِعِلَّـةٍ لَّا تَلْتَبِسْ
لَمَّـا رَآكَ عُنْصُـرًا * مِـن كُـلِّ عِلْـمٍ يَّنْبَجِسْ
أَتَـى يَـمُدُّ سَـاعِدًا * مِـن نُّـورِ عِلْـمٍ يَّقْتَبِسْ

ادعى أن شُعاع الشمس دخل من كُوَّة الحائط؛ ليقتبس شيئًا من نور علم المازري رحمه الله.

[٦–الأدب يُخلِّد المفاخر]

[٦]يُخَلِّدُ الـمَفَاخِرَ العَلِيَّهْ ٤٨ فَتْحُ أَبِي تَمَّامَ عَمُّورِيَّهْ
مَا فَتْحُ عَمُّورِيَّةٍ -وَإِنْ عَلَتْ- ٤٩ كَشَقْحَبٍ زَلَّاقَةٍ إِنْ قُورِنَتْ

أكثرنا يعرف فتح عمورية لأبيات أبي تمام التي قال فيها:

[البسيط]

السَّيفُ أَصْدَقُ أَنبَاءً مِنَ الكُتُبِ * فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي * مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ وَالرِّيَبِ
وَالعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً * بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لَا فِي السَّبعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا * صَاغُوهُ مِن زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِن كَذِبِ
تَخَرُّصًا وَّأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً * لَّيسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ

حتى قال بعض الأدباء: كان فتح أبي تمام لعمورية بشعره، أعظمَ من فتح المعتصم لها بجيشه؛ ففتح عمورية كان فتحًا عظيمًا لكن ما فتح عمورية أمام معركة شقحب التي هزم فيها المسلمون التتار، وانتصروا عليهم انتصارًا عظيمًا بعدما أن أسقط التتار حاضرة الخلافة العباسية في بغداد؛ حتى قال بعض المؤرخين: **"إنه لم تُبْتلَ أمة الإسلام ببلوى أعظم من قدوم التتار"** كانوا يرسلون إلى أمير المدينة أو الحامية يعلمونه بقدومهم؛ فمن شدة الخوف تُسلَّم لهم المدينة دون قتال، وقد هزم التتار شرّ هزيمة في معركة (شَقْحَب) سنة: اثنتين وسبعمائة، وشارك فيها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله- وأبلى بلاءً حسنًا؛ فكان يُثبِّت الناس، ويقوي عزائمهم، وكان يقول: **"والله إنكم لمنصورون"** فيقولون: قل إن شاء الله. فيقول: **"إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا"**. وقد وصف أحداثها وأطال فيما جرى فيها ابن كثير –رحمه الله- في البداية والنهاية.

وما فتح عمورية أمام الزَّلّاقة التي حفظ الله بها الإسلام في الأندلس أكثر من أربع مئة سنة؛ فلولا فضل الله على الإسلام بمعركة الزلّاقة؛ لتقدم سقوط الأندلس أكثر من أربعة قرون، لما استنجد أهل الأندلس بيوسف ابن تاشفين وطلبوا منه النُّصرة؛ فاستجاب لهم وعبر البحر بجيش المرابطين، وتوحَّد جيش الأندلس، وجيش المرابطين بقيادة ابن تاشفين؛ فانتصروا على عدوهم انتصارًا عظيمًا؛ كان ذلك في سنة تسع وسبعين وأربعمائة.

أكثر الناس لا يعرف شيئًا عن هاتين المعركتين؛ لأنهما لم ترزقا شاعرًا يخلِّدهما، لكنهم يعرفون فتح عمورية؛ لأن أبا تمام خلدها بشعره؛ فأي قدرة للأدب هذه، لا شك أن قدرة الأدب على تخليد المفاخر والمآثر سبب للدعوة إليه؛ فإذا أخذت الأمة بأزمة الأدب خلَّدت مآثرها ومفاخرها.

[٧-الأدب يهيج الأحقاد]

[٧]يُهَيِّــجُ الأَحْقَـادَ بَـيْنَ النَّـاسِ ٥٠ شِـبْـلُ سُـدَيْـفُ مَـعْ أَبِي العَبَّـاسِ

من خصائص الأدب أنه يثير الأحقاد؛ وليس هذا إقرارًا لتهييجه للأحقاد وإثارته للغضب؛ فإن الإسلام أمر باجتماع الكلمة، ونهى عن الإفساد بين الناس؛ لكنها طبيعة في الأدب تدل على عظيم تأثيره ، وما له من سلطان على النفوس، وقد قال قبل في ترجمة هذا الباب:

هاك دواعي الاشتغال بالأدب * والقـول في تأثيره عند العرب

فهذا –تهييج الأدب للأحقاد- يرجع إلى الشطر الثاني من الترجمة، وهذا التأثير لا شك أنه من دواعي العناية به.

شبل: شبل بن عبدالله دخل على أبي العباس السفّاح -وكان في لسانهِ شرٌّ ورَهَقٌ- وعندهُ ثمانون من بني أمية – ومعلوم عندكم ما كان بين بني العباس وبني أمية من الوحشة الشديدة والعداوة- فساءه أن رأى بني أمية آمنين عنده؛ فأنشده قصيدة له محرِّضًا عليهم، قال:

[الخفيف]

أَقْصِـهِـمْ أَيُّـهَـا الـخَـلِـيفَـةُ وَاقْـطَـعْ * عَـنـكَ بِالسَّـيـفِ شَـأْفَةَ الأَرْجَـاسِ
ذُلُّـهَا أَظْهَــرَ الـتَّــوَدُّدَ مِـنْـهَــا * وَلَـهَـا مِـنـكُـمُ كَـحَـزِّ الـمَـوَاسِـي
وَلَـقَــدْ غَـاظَـنِـي وَغَـاظَ سِــوَائِي * قُرْبُـهَــا مِــن نَّـمَـارِقٍ وَّكَـرَاسِــي
أَنـزِلُـوهَـا بِـحَـيـثُ أَنـزَلَـهَا اللّـ * ـهُ بِـدَارِ الـهَـوانِ وَالإِتْـعَـاسِ
واذْكُرُوا مَـصْـرَعَ الـحُـسَـيـنِ وَزَيـدٍ * وَقَـتِـيـلًا بِـجَـانِـبِ الـمِـهْـرَاسِ
وَالـقَـتِـيـلَ الَّـذِي بِـحَـرَّانَ أَمْـسَـى * ثَـاوِيًـا بَـيـنَ غُـرْبَـةٍ وَّتَـنَـاسِـي

يذكره قتلاه؛ يريد أن يهيج الحقد والغضب في نفسه، فلما سمع ذلك أبو العباس تَنَكَّر، وأمر بهم فقُتلوا.

سديف: هو سديف بن ميمون، -وهو كسابقه في لسانه شرٌّ ورَهَق- دخل على أبي العباس السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبدالملك وابناه وقيل غيرهم، فأنشده سُدَيف:

[الخفيف]

لا يَغُرَّنكَ مَا تَرَى مِن أُنَاسٍ * إِنَّ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَاءً دَوِيًّا
فَضَعِ السَّيفَ وَارْفَعِ السَّوْطَ حَتَّى * لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيًّا

فأثار غضب أبي العباس، فأمر بقتل من عنده. وهذا من عظيم تأثير الأدب.

مَا قَالَتِ البَسُوسُ فِي سَرَابٍ ٥١ وَزُفَرُ بْنُ الحَارِثِ الكِلَابِي

البسوس: هي البسوس بنت مُنْقِذ التميميَّة؛ خالة جَسّاس بن مُرَّة بن ذُهْل الشَّيباني قاتِلِ كُلَيْب، كان من خبرها: أنه كان لها جار من جَرْم، له ناقة يقال له سَرَاب، وكان كليب قد حمى أرضًا ليس يرعى فيها غير إبله وإبل جساس لمصاهرة بينهما؛ وذلك أن جَليلَة بنت مرة -أخت جساس- كانت تحت كليب، فخرجت سراب ناقة الجرمي في إبل جساس ترعى، ودخلت حِمى كُليب؛ فنظر إليها كُليب فأنكرها، فرماها بسهم فأصاب ضرعها؛ فولَّت إلى صاحبها حتى بركت بفنائه وضرعها يَشْخُب دمًا ولبنًا؛ فلما نظر إليها صرخ بالذل؛ فخرجت البسوس جارته، ونظرت إلى الناقة؛ فلما رأت ما بها ضربت يدها على رأسها ونادت: واذُلَّاه.. ثم أنشأت تقول:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ لو أَصْبَحْتُ في دارِ مُنْقِذٍ * لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لأَبْيَاتِي
ولكِنَّنِي أَصْبَحْتُ في دارِ غُرْبَةٍ * مَتَى يَعْدُ فيها الذئبُ يَعْدُ على شَاتِي
فَيَا سعدُ لا تُغْرَرْ بنفسكَ وَارْتَحِلْ * فإنَّك في قومٍ عن الجارِ أَمْوَاتِ
ودُونَكَ أَذْوَادِي فإنِّيَ عَنْهُمُ * لَرَاحِلَةٌ لا يُفْقِدوني بُنَيَّاتِي

منقذ: أبوها. **وسعد**: هو جارها الجَرْميّ صاحب الناقة.

ولما سمع جساس قولها: أثارت الحقد في نفسه، وقال: "ليقتلن غدًا جملٌ هو أعظم عَقْرًا من ناقة جارك" ولم يزل جساس يتربص بكليب ويرقب غفلته حتى وجده خاليًا فقتله؛ فكان من أثر ذلك حرب البسوس التي دامت أربعين سنة، وسيأتي خبرها إن شاء الله في الكلام على العصر الجاهلي من عصور الأدب. والشاهد هنا أن الذي هيج حقده وأثار كامن غضبه هو هذه الأبيات.

زفر بن الحارث الكلابي: كان سيدًا من سادات قومه، وكان في جيش الضَّحّاك بن قيس الذي بايعه أهل دمشق في حربه مع مروان بن الحكم الذي بايعه أهل الشام في معركة: (مَرْج راهِط) وقد كُسر فيها جيش الضحاك بن قيس، وفرَّ زفر بن الحارث، وقال أبياتًا منها قوله:

وقد ينبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرى * وتبقى حَزازاتُ النُّفوسِ كما هِيَا

وقد كان هذا الانتصار لمروان بن الحكم من أسباب استتباب الأمر لبني أميّة؛ ثم إن عبدالملك بن مروان عفى عن زفر، واستنزله من قَرْقِيسيا –وهي مدينة قديمة في سورية الآن– وعفا عنه وبالغ في إكرامه حتى إنه أقعده مرة على سريره؛ فدخل شُرَحْبيل بن ذي الكَلاع الحِمْيَري وكان من شجعان جيش عبدالملك، فلما نظر إلى زُفَر مع عبدالملك على السرير بكى؛ فقال له عبدالملك: ما يُبكيك؟ قال: يا أمير المؤمنين كيف لا أبكي وسيف هذا يقطُر دمًا من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافهم عليه –يعني هو قتل قومي لأنهم يطيعونك ثم أنت تُجلسه على سريرك– ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! فقال عبدالملك: إني لم أجلسه معي لأن يكون عليَّ أكرم منك؛ ولكن لسانه لساني، وحديثه يعجبني؛ فبلغت الأخطل وهو يشرب، فقال: أما والله لأقومنَّ في ذلك مقامًا لم يقم به ابن ذي الكَلاع؛ ثم خرج حتى دخل على عبدالملك فلما ملأ عينيه منه قال:

[الوافر]

وكأسٍ مثلِ عينِ الدِّيكِ صِرْفٍ * تُنَسِّي الشاربينَ لها العُقولا
إذا شرِبَ الفتى منها ثلاثًا * بغيرِ الماءِ حاولَ أن يطُولا
مَشى قُرَشيَّةً لا شكَّ فيها * وأَرْخى مِن مآزِرِهِ الفُضُولا

فقال له عبدالملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إلا خُطَّةٌ في رأسك. فقال: أجل والله يا أمير المؤمنين حين يجلس هذا عدو الله –انظر الأخطل النصراني يقول عن زفر عدو الله– معك على سريرك وهو القائل بالأمس:

[الطويل]

وقد ينبُتُ المرعى على دِمَنِ الثَّرى * وتبقى حَزازاتُ النُّفوسِ كما هِيَا

قال: فقبض عبدالملك رجله ثم ضرب بها صدر زفر فقلبه عن السرير، وقال: لا أذهب الله حزازات تلك الصدور، فقال زفر: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتنيه؛ فكان زفر بعد ذلك يقول: ما أيقنت بالموت إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال. فانظر كيف هيج حقده بهذا البيت.

وَالأَحْوَصُ الشَّاعِرُ فِي ابْنِ حَزْمِ ٥٢ وَنَجْلُ زَيَّاتٍ فَقُلْ بِعِلْمِ

والأَحْوَص الشاعر: الأحوص الشاعر كان قد تحامل عليه أمير المدينة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم تحاملًا شديدًا، فشَخَصَ إلى الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي، فأنشده قصيدةً يمتدحه فيها، ثم قال مُتَظَلِّمًا:

[البسيط]

لا تَرْثِينَّ لِحَزْمِيٍّ ظَفِرْتَ بِهِ * يَوْمًا ولَوْ أُلْقِيَ الحَزْمِيُّ فِي النَّارِ
النَّاخِسِينَ لِمَرْوَانٍ بِذِي خُشُبٍ * والدَّاخِلِينَ على عُثْمَانَ فِي الدَّارِ

فهيج حقده بهذين البيتين، فقال له الوليد: صدقت والله لقد غفلنا عن حزمٍ وآل حزم. وأمر باستئصال أموالهم وإسقاطهم جميعًا من الديوان، وعَزَل ابن حزم أمير المدينة.

ونجل زيات: إبراهيم بن الـمَهْدِي لـمَّا وَثَبَ على المأمون، وكان قد اقترض من التجار مالًا كثيرًا، وكان فيه مالٌ لعبدالملك الـزَّيَّات، فلمَّا لـم يتم له أمر الخروج لوى التجارَ أموالَهم ولم يَرْجِعْها إليهم، فصنع محمد بن عبدالملك الزيات قصيدةً يُخاطِب بها الخليفةَ الـمأمون، ولم يعرِضها على المأمون وإنما عرضها على إبراهيم يهدده -كأنه يقول: إن لـم تَرجِع مال أبي عرضتها على المأمون، وهيجت حقده بما سأقول- قال في هذه الأبيات:

[الطويل]

تَذَكَّـرْ أَمِيـرَ الـمُؤْمِنِـينَ قِيَامَـهُ * بِأَيْمَانِهِ فِي الـهَزْلِ مِنْهُ وَفِي الجِدِّ
ووَاللهِ مـا مِـن تَـوْبَةٍ نَّزَعَـتْ بِـهِ * إِلَـيكَ وَلَا مَـيلٍ إِلَـيكَ ولا وُدِّ
وكيف بِـمَن قَدْ بَايَعَ النَّاسُ وَالْتَقَتْ * بِبَيْعَتِهِ الرُّكْبَانُ غَوْرًا إلى نَجْدِ
ومَن صَكَّ تَسْلِيمُ الـخِلافَةِ سَمْعَهُ * يُنادَى بِها بَينَ السِّمَاطَينِ عَن بُعْدِ
وأَيُّ امْرِئٍ سَمَّى بِها قَطُّ نَفْسَهُ * فَفَارَقَهَا حَتَّى يُغَيَّبَ فِي اللَّحْدِ

وعرضها على إبراهيم فاستَحْلَفه إبراهيم أن يكْتُمها، وأدَّى مال أبيه دون سائر التجار؛ لأنه لو سمعها المأمون ستهيج حقده على إبراهيم.

فقل بعلم: إذا كان الشعر قد يهيج الأحقاد، ويثير العداوات؛ فاحفظ لسانك، ولا تقل إلا بعلم.

[٨-الأدب ينزع الأحقاد]

[٨]وَيَنْزِعُ الحِقْدَ القَدِيمَ الـمُحْتَدِمْ ٥٣ شَاهَدَهُ تَمِيمُ عِنْدَ الـمُعْتَصِمْ

من دواعي العناية بالأدب أنه يستعطف المستشيط غيظًا حتى يطفئ جمرة غضبه، ويسُلّ دفائن حقده. المحتدم: يقال: احْتَدَمَت النار؛ إذا اشتد حرُّها، واحتدم فلان غيظًا؛ إذا تحرَّق من الغضب. ومن أعجب ما أنت سامع في هذا المعنى خبر تميم بن جميل، قال:

شاهده تميم عند المعتصم: كان تميم بن جميل خرج على الـمُعْتَصِم واجتمع عليه كثير من الأعراب؛ فعظم أمره، وشاع ذكره، حتى قيل إن المعتصم حلف أنه إن ظفر به ليقتلنه بيده، لا يَكِل قتله إلى سيّاف ولا إلى غيره، ثم إن تميمًا قُمِع، وجِيءَ به أسيرًا بين يدي الـمُعْتَصِم، ودخل حين دخل على الـمُعْتَصِم ثابت الـجَنَان غير دَهِشٍ ولا وجِل؛ كأنه مَدْعُوٌّ إلى وليمة لا إلى قتل فلمَّا مثل بين يديه دعا الـمُعْتَصِم بالنِّطْعِ والسَّيف –والنِّطع: البِساط من الأديم الذي يوضع تحت من يراد قتله– ورأى الـمُعْتَصِم أن يَسْتَنطِقَه؛ لِينظُر أين جَنَانُه وَلِسَانُه من هذا الثبات الذي رآه منه، فقال: يا تميم، إن كان لك عُذْرٌ فَأْتِ به أو حُجَّةٌ فَأَدْلِ بها. فقال تميم: يا أمير المؤمنين، إن الذُّنوب تُخْرِسُ الألسنة الفصيحة، وتَصْدَع القلوب الصحيحة، ولقد عَظُمَتِ الـجَرِيرةُ وكَبُر الذنب، وساء الظن، ولم يَبْقَ إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربُهما منك، وأسرعُهما إليك أَوْلَاهُما بِامْتِنَانِك وأَشْبَهُهُمَا بِخلائِقِك، ثم أنشأ يقول ارتجالًا:

[الطويل]

أَرَى الـمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنِّطْعِ كَامِنًا * يُلاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ ما أَتَلَفَّتُ
وأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ اليَومَ قَاتِلِي * وَأَيُّ امْرِئٍ مِمَّا قَضَى اللهُ يُفْلِتُ
وأَيُّ امْرِئٍ يأْتِي بِعُذْرٍ وحُجَّةٍ * وَسَيفُ المَنَايَا بَيْنَ عَيْنَيهِ مُصْلَتُ
ومَا جَزَعِي أَنِّي أَمُوتُ وإِنَّنِي * لأَعْلَمُ أَنَّ المَوتَ شَيءٌ مُوَقَّتُ
ولَكِنَّ خَلْفِي صِبْيَةً قَدْ تَرَكْتُهُمْ * وأَكْبَادُهُم مِّنْ حَسْرَةٍ تَتَفَتَّتُ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْعَى إِلَيهِمُ * وقَدْ خَمَشُوا تِلْكَ الوُجُوهَ وَصَوَّتُوا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا آمِنِينَ بِغِبْطَةٍ * أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوَّتُوا

فتبسم الـمُعْتَصِم وقال: كاد والله يا تميم أن يَسْبِقَ السَّيفُ العَذَل، قد غَفَرْتُ لك الصَّبْوَةَ وتَرَكْتُك للصِّبْيَة. ويقال: إنه وَلَّاهُ على المدينة التي خرج فيها عليه. فَنَالَ بِلِسَانِه ما لم يَنَلْهُ بِسِنانِه.

مُعَطِّلُ الثَّغْرِ لِأَجْلِ عِرْسِهِ ٥٤ عُذْرُ سُرَاقَةَ اتِّقَاءَ حَبْسِهِ

معطِّل الثغر لأجل عرسه: من أطرف ما رُوي في هذا المعنى خبر ذلك الفتى مع بِشْر بن مروان، وهو أخو عبدالملك بن مروان، وقد وَلِيَ إمرة العِراقَيْن –البصرة والكوفة– لأخيه عبدالملك، وكان شديدًا على من يُعطِّل ثغره؛ فكان إذا ظفِر بواحد منهم عاقبه عقوبة شديدة لا يُقِرُّها شرع ولا عُرْف، كان فيما قيل: يُقِيمُه على كرسيّ، ويُسمِّر كفيه في الحائط بمسمار، وينزع الكرسيّ من تحته، فيتركه يضطرب حتى يموت. وكان فتى من بني عِجْل في الثغر، وكان حديث عهد بعُرْس؛ فكتبت إليه زوجته تَسْتَزِيرُه، فكتب إليها:

[البسيط]

لَوْلا مخافةُ بِشْرٍ أو عُقُوبَتُهُ * أو أن يُشدَّ على كفيَّ مِسْمارُ
إذًا لَعَطَّلْتُ ثَغْرِي ثم زُرْتُكُمُ * إنَّ المُحِبَّ إذا ما اشْتاقَ زوارُ

فكتبت إليه:

[البسيط]

ليس المُحِبُّ الذي يَخْشى العِقابَ ولَوْ * كانت عُقُوبَتُهُ في إلْفِهِ النَّارُ
بل المُحِبُّ الذي لا شيءَ يَمْنَعُهُ * أو تَسْتَقِرَّ ومَنْ يهوى به الدَّارُ

فلما قرأ كتابها عطَّل ثغره وانصرف إليها وهو يقول:

[البسيط]

أستغفِرُ اللهَ إذْ خِفْتُ الأميرَ ولَمْ * أَخْشَ الذي أنا مِنهُ غَيرُ مُقْتَدِرِ
فَشَأنَ بِشْرٍ بِلَحْمِي فَلْيُعَذِّبُهُ * أو يَعْفُ عَفْوَ أميرٍ خيرِ مُقْتَدِرِ
فما أُبالِي إذا أَمْسَيتِ راضِيَةً * يا هندُ ما نِيلَ مِنْ شَعْرِي ومِنْ بَشَرِي

ثم قدم البصرة، فما بقيَ إلا يومين حتى وشى به واشٍ إلى بشر، فقال بشر: عليَّ به. فأُتِيَ به، فقال: يا فاسق عطَّلت ثَغْرَك، هلمُّوا الكرسي. فقال: أعز الله الأمير إن لي عُذْرًا. قال:

وما عذرك؟ فأنشده ما كان بينه وبين زوجته من أبيات؛ فرقَّ له بشر، وعفا عنه؛ فكان أول مُعطِّل لثغره لم يُسمِّره بشر.

عذر سُراقة اتقاء حبسه: سراقة بن مِرْداسٍ البارِقِيّ أخذه المختار بن أبي عُبيد أسيرًا، فقال: للمختار:

[الرجز]

امْنُنْ عَلَيَّ اليومَ يا خيرَ مَعَدّ * وخيرَ من لبَّى وصلَّى وسَجَد

فعفى عنه المختار وخلّى سبيله، ثم خرج على المختار مع إسحاق بن الأشعث؛ فأُتي به أسيرًا، فقال له المختار: ألم أعف عنك، وأَمُنَّ عليك؟ أما والله لأقتلنَّك. فقال سراقة: لا والله لا تفعل إن شاء الله. قال: ولِمَه؟ قال: لأن أبي أخبرني أنك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجرًا حجرًا وأنا معك، ثم أنشده:

[الوافر]

ألا أبْلِغْ أبا إسحاقَ أنَّا * حَمَلْنا حَمْلةً كانتْ عَلَيْنا
فَأَسْجِحْ إذ قدَرْتَ فلو قَدَرْنا * لَجُرْنا في الحُكُومةِ واعْتَدَيْنا

فخلَّى المختار سبيله، وما إن خرج من عنده حتى خرج عليه مرة ثالثة مع إسحاق بن الأشعث؛ فأخذه المختار أسيرًا؛ فأُتي به. فقال له المختار: الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدو الله هذه ثالثة. فقال: أما والله ما هؤلاء الذين أخذوني، أين هم؟ لا أراهم! إنا لما التقينا رأينا قومًا عليهم ثياب بيض، تحتهم خيل بُلْق تطير بين السماء والأرض. فقال المختار: خلُّوا سبيله ليخبر الناس –يعني ليخبرهم أن الملائكة تقاتل معنا وأنها هي التي أسرته– وإنما قال سراقة ذلك لينجو. ثم إنه لما أطلق المختار سراحه عاد لقتاله، وكان المختار يدَّعي أنه يُوحى إليه، وقد ذكر ذلك لابن عباس –رضي الله عنهما– فقال: **"صدق المختار، قال الله عز وجل:** ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]".

وفي صحيح مسلم: **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ سيكونُ في ثَقِيفٍ كذَّابٌ ومُبِيرٌ**. وذكر النووي في شرح مسلم: **أن العلماء اتفقوا على أن المراد بالكذاب المختار بن أبي عبيد هذا، وأن المراد بالمبير الحجاج بن يوسف**، قال سراقة للمختار:

[الوافر]

كفرتُ بوحْيكُمْ وجعلتُ نذرًا * عَلَيَّ هجاءكَمْ حتى المَمَاتِ
أُرِي عَيْنَيَّ ما لَمْ تَرْأَيَاهُ * كِلانا عالِمٌ بالتُّرَّهاتِ

(أَنْتَ عَمُودُ الـمُلْكِ) لِلْمُمَزَّقِ ٥٥ (غَلَّ يَدًا مُطْلِقُهَا) فَأَطْلِقِ

أنت عمود الملك للمزق: الممزَّق العَبْدي شاعرٌ جاهلي بلغه أن النُّعمان بن المُنْذِر أراد أن يجتاح قومه عبدالقيس؛ فكتب إليه أبياتًا يقول فيها:

[الطويل]

عَلَوْتُمْ مُلُوكَ الأرْضِ بالحَزْمِ والتُّقَى * وغَرْبِ نَدًى مِن غُرَّةِ المَجْدِ يَسْتَقِي
وأَنتَ عَمُودُ المُلْكِ مهما تَقُلْ نَقُلْ * ومهما تَضَعْ مِن باطِلٍ لا يُحَقَّقِ
فإن يَجْبُنوا تَشْجُعْ وإن يَبْخَلوا تَجُدْ * وإن يَخْرَقُوا بالأمْرِ تَفْصِلْ وتَفْرُقِ
أَحَقًّا أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنَّ ابنَ مَزْنَنَا * على غيرِ إجْرامٍ بِريقِي مُشْرِقِي
فإن كنتُ مَأْكُولًا فكُنْ أنت آكِلِي * وإلّا فأدْرِكْنِي ولمَّا أُمَزَّقِ

فصفح النعمان عن قومه بهذه الأبيات، وترك ما كان هَمَّ به من غزوهم؛ فانظر كيف ينزع الأدب الأحقاد ويسلُّ الغضب.

غلَّ يدًا مطلقها فأطلق: هذه إشارة إلى خبر عمران بن حِطَّان مع الحجاج، وذلك أنه كان من الخوارج، وكان الحجاج حَنِقًا عليه بسبب خروجه، حتى جيء به أسيرًا في ضمن أسرى الخوارج، فقال: اضربوا عنقه، وسَبَّ عمرانَ، وأقْذَعَ في سبِّه. فقال عمران: بئس ما أدَّبك به

مؤدبك يا حجاج؛ كيف أَمِنتَ أن أجيبك بمثل ما جبهتني به أو أفحش؟ أبعد الموت منزلة أُصَانِعُك عليها؟ فأطرق الحجاج استحياء مما فرط منه، وأمر له بفرس وسَرْج وسيف وخلّى سبيله، فلما عاد عمران إلى أصحابه الخوارج قالوا له: والله يا أبا سِمَاك ما أطلقك إلّا الله، فَعُدْ بنا إلى حرب الفاسق. فقال: هيهات هيهات غَلَّ يدًا مُطْلِقُها، واستَرَقَّ رقبةً مُعْتِقُها. فأرسلها مثلًا، وفي هذا يقول في الشمقمقية، مُشِيرًا إلى هذا المثل:

ولا تَعُدْ لِحَرْبِ مَن مَّنَّ وَلَوْ * مَنَّ فَمَا غَلَّ يَداً كمُطْلِقِ

فانظر كيف سلَّ غضب الحجاج عليه بحسن بيانه.

أَمِنْتَ عِنْدَنَا أَيَا شَعْبِيُّ ٥٦ فَانْصَرِفَ امِنًا أَيَا تَقِيُّ

أمنت عندنا أيا شعبي: كان الشَّعبي قد خرج في فتنة ابن الأشْعَث، ولما خمدت الفتنة جعل الحجاج يتتبَّع من دخلوا في هذه الفتنة؛ ومنهم الشعبي، فلما جيء به قال له الحجاج: ما عذرك؟ -وقد كان الحجاج يكرم الشعبي قبل الفتنة- فقال الشَّعبي: أيها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذر إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وايْمُ الله لا أقول في هذا المقام إلا حقًّا، قد والله خرجنا عليك، واجتهدنا كل الجهد فما أَلَوْنَا، فما كنا بالفجرة الأقوياء ولا بالبررة الأتقياء، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا، فإن سطوت فبذنوبنا وما جرَّت إلينا أيدينا، وإن عفوت فبحلمك، وبعدُ فالحجة لك علينا. فقال له الحجاج: أنت والله أحب إليَّ ممن يدخل عليَّ يقطر سيفه من دمائنا، ثم يقول: ما فعلت وما شهدت. قال: قد أَمِنتَ عندنا يا شَعبي، فَانصَرِفْ، فانصرَفَ الشعبي.

مُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ يَشْهَدَانِ لِي ٥٧ سَلْ مُصْعَبًا يَا رَبِّ فِيمَ قَاتِلِي

موسى وإبراهيم يشهدان لي: الحجاج كان يطلب رجلًا ليقتله ففرَّ الرجل، فقيل له: قد فرَّ الرجل فما ندري أين ذهب وهذا خاله موجود. فاستدعاه الحجَّاج وأراد النكال به. فقال:

علام تُنكِّلون بي؟ فقال الحجاج: من أجل قريبك فلان. فقال: أَوَلَوْ جئتكَ بشاهدين يشهدان على براءتي. قال: هات. قال: موسى وإبراهيم -عليهما الصلاة السلام- فقال الحجاج: وكيف ذلك؟ فتلا الرجل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨﴾ [النجم: ٣٦ – ٣٨]. فضحك الحجاج، وقال: أمَّا هذا فقد أُلْهِمَ حُجَّته فاتركوه.

ومن المعلوم أن الحجاج كان يؤاخذ الرجل على جريرة غيره، وقد أعلن ذلك في خطبته أول ما قدم العراق أميرًا، فقال: **"والله لأَلْحُوَنَّكم لَحْوَ العُود، ولأعْصِبَنَّكم عَصْبَ السَّلَمَة، ولأضربنَّكم ضرب غرائب الإبل، ولآخُذَنَّ البَرِيء بالسقيم، والمحسن بالمُسيء، والمطيع بالعاصي؛ حتى تستقيم لي قناتكم"**.

ومن الأخبار الطريفة في أخذ الإنسان بجريرة غيره ما حكاه الجاحظ أن امرأةً أتَت معلمًا بابن لها وقالت له: إنَّ هذا الصبي عاقٌّ لا يطيع أمه، فأُحِبُّ أن تُفْزِعَهْ، فأخذ المعلم لحيته والْتقمها في فَمِه وصاح صيحة هائلة ففزعت الأم، وقالت: إنما قلت لك أَفْزِع الصبي ليس إياي! فقال لها: أما علمت أن العذاب إذا نزل أهلك الصالح والطالح!

سل مصعبًا يا رب فيم قاتلي: أُتي مصعب بن الزبير بأسرى من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بقتل أسير منهم. فقال الأسير: يا أيها الأمير، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق به وأقول: يا رب، سَلْ مصعبًا فِيمَ قتلني؟ فاستحيى مصعب وأمر بإطلاقه لحسن بيانه، فقال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفضٍ ودَعَة. قال: أمرت لك بثلاثين ألف درهم. فقال: أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبدالله بن قيس الرُّقَيَّات. قال: ولِمَ ذلك؟ قال: لقوله فيك:

[الخفيف]

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شِهَابٌ مِّنَ اللَّـ * ـهِ تَجَلَّتْ عَن وَّجْهِهِ الظَّلْمَاءُ

فضحك مصعب، وقال: اقبض ما أمرنا لك به ولابن قيس عندنا مثله. فما شعر عبدالله بن قيس إلا وقد وافاه المال على باب بيته، لا يدري من أين جاءه.

كَمْ صِينَ مِنْ دِمًا وَمِنْ مَحَارِمِ ٥٨ بِكِلْمَةٍ تَمْلَأُ سَمْعَ الظَّالِمِ

كم صين: حُفِظ. من دمًا: من دماءٍ. ومن محارم: المحارم جمع مَحْرُمَة؛ كمَكْرُمَة، وتفتح الراء، ومحارمك وحُرَمُك: نساؤك وما تحمي.

وَكَمْ وَكَمْ نِيلَ بِشِعْرٍ رَاقِ ٥٩ يَسْبِي الفُؤَادَ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ

راق: من الرُّقِيّ والعُلُو، وفعله: رَقِيَ يَرْقَى؛ أي علا وصَعِد. يسبي الفؤاد: يأسره بسحر البيان. ما له من راق: راقي هنا من الرُّقْيَة، وفعلها: رَقَى يَرْقِي، أي عَوَّذه بالله.

[٩-الأدب يرفع الخامل]

[٩]وَيَرْفَعُ **الخَامِلَ** كُنْ ذَا مَصْدَقِ ٦٠ مِثْلَ بَنِي الأَنْفِ وَكَالمُحَلَّقِ

من خصائص الأدب وشواهد سلطانه على النفوس والتي تدعو إلى العناية به؛ أنه يرفع الخامل ويخفض العالي؛ فقد رفع كثيرًا من الناس ما قيل فيهم من الشعر بعد ضَعَةٍ وخمول واطِّراح؛ حتى صاروا يفتخرون بما كانوا به يعيَّرون، ووضع جماعة من أهل الأقدار الشريفة والمنازل المُنِيفَة حتى صاروا يُعيَّرون بما كانوا به يفتخرون؛ فمِمَّن رفعه ما قيل فيه من الشِّعر بنو أنف الناقة، وهم بنو جعفر بن قُرَيْع، وسبب جريان هذا اللقب على جعفر أن أباه قُرَيعًا نحر ناقة فقسمها بين نسائه، فبعثَت جعفرًا أمُّه؛ تسأل زوجَها حظَّها من اللحم، فلم يجد غير رأس الناقة وعُنُقِها، فقال الأب: شأنك بهذا، فأدخل جعفر يده في أنف الناقة وجعل يجرها إلى أمه والناس يضحكون منه، فلُقِّب بأنف الناقة، فكان جعفر يُسَبُّ بهذا، وبقي هذا اللقب سُبَّةً في عَقِبه، فكان الواحد منهم إذا سئل عن نسبه ينتسب إلى جده، يقول من بني قُرَيع، ويتجاوز النِّسْبَة إلى جعفر فرارًا من اللقب. وبقوا على ذلك حتى جاء الحُطَيْئَة فمدحهم بقصيدته التي يقول فيها:

[البسيط]

قالتْ أُمَامَةُ لا تَجزَعْ فَقُلْتُ لـها * إنَّ العَـزَاءَ وإنَّ الصَّـبْرَ قـد غُلِبَـا
سِيرِي أُمَامُ فإنَّ الأَكْثَرِينَ حَصًى * والأَكْـرَمِينَ إذا مـا يُنسَـبُونَ أَبَـا
قَومٌ هُـمُ الأنفُ والأَذْنَابُ غيرُهُمُ * ومَـن يُسَـوِّي بِـأنفِ النَّاقَـةِ الـذَّنبَا

فرفعهم بهذا الشعر، وصار هذا اللقب مدحًا لهم وفخرًا بعد أن كان ضَعَةً وذمًّا، وصار الواحد منهم إذا سُئِل: مِمَّن أنت؟ يقول: من بني أنف الناقة كما ترى!

وكالمحلَّق: وممَّن رفعه الشعر عبدالعُزَّى بن حَنْتَم الكِلابي المُلَقَّب بالمُحَلَّق؛ لأن فرسًا عضَّه في وجنته فكانت العضَّة كالحَلْقَة، وقيل غير ذلك في جريان هذا اللقب عليه. وكان رجُلا مُقِلًّا ليس له كبير شيء من مالٍ ولا جاهٍ ولا حسب، وكانت له عشر بنات لم تتزوج أي واحدة منهن، فمَرَّ الأعشى أبو بَصِير مَرَّةً بقريته؛ فقالت له أمه –وقيل: زوجه-: إن أبا بصير رجل مَجْدُودٌ في شعره–أي محظوظ– وأنت رجلٌ خاملٌ مُقِلٌّ ولك بنات، فلو سبقت إليه وأكرمته رجونا أن يكون لك منه خير؛ فبادر المحلق إليه وأنزله ونحر له وسقاه الخمر، فلمَّا اختلط كَبِد الناقة بالخمر في بطنه، ولبس الـجُبَّة التي أعطاه إياها الـمُحَلَّق واختال فيها، استيقظت شياطين شعره، فقال قصيدته التي مطلعها:

[الطويل]

أَرِقْتُ وما هـذا السُّهَادُ الـمُؤَرِّقُ؟ * وما بِيَ مِن سُقْمٍ وَمَا بِي تَعَشُّقُ

وفيها يقول:

لَعَمْرِي لقد لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ * إلى ضَوْءِ نارٍ فِي يَفاعٍ تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لِمَقْرُورَينِ يَصْطَلِيانِهَا * وباتَ على النَّارِ النَّدَى والـمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيِ أُمٍّ تَحَالَفَا * بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ
تَرى الجُودَ يَسْرِي سائِلًا فوقَ وَجْهِهِ * كما زَانَ مَتْنَ الـهُنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ

فلم يفرغ من إنشادها حتى تسارع الأشراف يخطبون بناته، فلم تُمْسِ واحدة منهن إلا في عِصْمة رجلٍ أفضل من أبيها ألف ضعف كما قال ابن رشيق في العمدة. وفي خبره روايات كثيرة، وقد قال في الشمقمقية:

كم خاملٍ سَمَا به إلى العُلا * بيتُ مديحٍ مِن بَلِيغ ذَلِقِ
مثلِ بني الأنفِ ومثلِ هَرِمٍ * وكالذي يُعْرَفُ بالمُحَلَّقِ

وهرم بن سنان لم يكن خاملًا بل كان من سادات قومه؛ ولكن أخاه خارجة بن سنان كان أشهر منه وأَذْكَرَ في الناس، فلما وقع لزهير بن أبي سُلمى في هرم ما وقع من المدح -الذي سيأتي إنشاده إن شاء الله في الكلام على عصور الأدب- ازداد هرم شرفًا على شرفه حتى فاق أخاه في ذلك، بل لا يكاد أخوه يذكر، والآن لم يذكر إلا تبعًا لذكر هرم.

[١٠- الأدب يخفض العالي]

[١٠] وَيَخْفِضُ العَالِيَ خُذْ بَيَانِي ٦١ بَنِي نُمَيْرٍ وَبَنِي العَجْلَانِ

كما يرفع الأدب الوضيع فهو كذلك يخفض العالي، وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه، وسقط عن رُتْبَته، وعِيبَ بفضيلته: (بنو نُمَيْر) وكانوا جمرة من جمرات العرب، إذا سئل أحدهم: ممن الرَّجل؟ فخَّم لفظه ومدَّ صوته باسم قبيلته، حتى هجاهم جرير وكان سبب ذلك: أنَّ الرَّاعِيَ النُّمَيرِي فَضَّل الفَرَزْدَقَ على جَرِير، فقال:

[الكامل]

يَا صَاحِبَيَّ دَنَا الرَّوَاحُ فَسِيرَا * غَلَبَ الفَرَزْدَقُ في الهِجَاءِ جَرِيرَا

فذهب إليه جريرٌ وكَلَّمَه في ذلك، وقال: يا أبا جَنْدَل إن قولك لَيُستمع، وإنك تُفضِّل الفرزدق عليَّ تفضيلًا قبيحًا، وأنا أمدح قومك والفرزدق يهجوهم وهو ابن عمي دونك يكفيك من ذلك إذا ذكرنا أن تقول: كلاهما شاعر كريم، ولا تتحمل مني ولا منه لائمة،

فبينما جريرٌ والرَّاعي كذلك إذ أقبل جَنْدَل -ولد الرَّاعي- وضرب بالسَّوْطِ بَغْلَةَ والده وقال: لا أراك واقفًا على هذا كأنك تخشى منه شرًّا أو ترجو من خيرًا؛ فَزَحَمَتِ البغلة جريرًا حتى سَقطَتْ قَلَنسُوَتُه، فقال جرير: والله لو عَرَّجَ عليَّ الرَّاعي لقلت: إنها هَفْوَةٌ من سَفِيه -يعني جندلًا- ولكن الراعي لم يُعَرِّج عليه؛ فأخذ جرير قَلَنسُوَتَه فمسحها وَرَدَّها إلى محلِّها، وانصرف مغضبًا إلى منزله، وقال فيهم أبياته التي منها قوله:

[الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُّمَيرٍ * فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابَا
ولَوْ وُضِعَتْ حُلُومُ بَنِي نُمَيرٍ * على الميزانِ ما عَدَلَتْ ذُبَابَا

فلم يرفعوا بعدها رأسًا، ولم تلق قبيلة من العرب بِهَجْوٍ ما لقيت نمير من هجو جرير، حتى صاروا يفرون من الانتساب إلى نمير، وينتسبون إلى جدٍّ لهم أعلى، وكان جرير يسمي قصيدته هذه: (الدَّمَّاغة) ومطلعها:

أقِلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ والعِتَابَا * وقُولي إنْ أَصَبْتُ لقد أصَابَا

قال الجاحظ: ما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هُجيَت به ما لقيت نمير من بيت جرير. ومن لطيف الأخبار: ما يُحْكَى أن مَولًى لِبَاهِلَةَ كان يَرِدُ السُّوقَ فَيَسْخَر منه قوم من بني نُمَير، فقال له أسياده: إن نَبَزَكَ أحدهم فقل له:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُّمَيرٍ

فلمَّا عاد إلى السوق ولَقِيَهم سَخِرُوا منه ونَبَزُوه، فأراد أن يقول البيت فَنَسِيَه فقال: غَمِّضْ وإِلَّا جاءك ما تكره؛ فكفُّوا عنه، وعَلِمُوا أنه قد عرف قول جرير فيهم. ويُحْكَى أن امرأة مرَّت بقوم من بني نُمَير فأخذوا ينظرون إليها نَظَر رِيبَة، فقالت: والله لا قول الله امْتَثَلْتُم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]. ولا قول جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُّمَيرٍ

وقد وضعهم جرير حتى صاروا مضرب مثل، قال الشاعر:

[الوافر]

وسوف يَزيدُكُمْ ضَعَةً هجائي * كما وضعَ الهجاءُ بني نُمَيْرِ

وقد قال الجاحظ في البيان والتَّبيُّن: " وهل فضح الحَبِطات –تفتح الباء وتكسر– مع شرف حَسَكَة بن عتَّاب، وعبَّاد بن الحُصين وولده –وهؤلاء الذين سمَّى من أشراف بني تميم– إلا قول الشاعر:

[الوافر]

رأيتُ الحُمْرَ مِن شرِّ المَطايَا * كما الحَبِطاتُ شرُّ بني تميمِ

وبني العجلان: بنو العجلان كانوا لُقِّبُوا بهذا لتَعْجِيلِهِمُ القِرَى للضيوف، فكانوا يفتخرون بهذه النِّسْبَة، حتى هَجَاهُمُ النَّجَاشِيُّ الشاعر –وهو قَيْسُ بنُ عَمْرو الحارثي– قال فيهم:

[الطويل]

إِذَا اللهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَّدِقَّةٍ * فَعَادَى بَنِي العَجْلَانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ
قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ * وَّلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ
وَلَا يَرِدُونَ الـمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً * إِذَا صَدَرَ الوُرَّادُ عَن كُلِّ مَنْهَلِ
تَعَافُ الكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ * وَتَأْكُلُ مِن كَعْبِ بنِ عَوفٍ ونَهْشَلِ
وَمَا سُمِّيَ العَجْلَانَ إِلَّا لِقَوْلِهِمْ * خُذِ القَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّها العَبْدُ واعْجَلِ

ذكر الرُّواة أنهم اتَّضَعُوا بعد هذا الشعر بعد رفعتهم حتى صاروا يفرُّون من الانتساب إلى العجلان، وجعل الواحد منهم إذا سئل عن نسبه يقول: كَعْبيّ مخافة أن يُسخر منه. وقد اشتكوا إلى عمرَ بنِ الخطاب ﷺ وقالوا: إن النَّجاشيَّ هجانا. فقال: ماذا قال لكم؟ فأنشَدُوا البيت الأول:

إذا اللهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ ودِقَّةٍ * فعادى بني العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

قال: هذا رجل دعا فإن كان مظلومًا استُجيب له، وإن لم يكن مظلومًا لم يُستجب له.

فقالوا: إنه قال:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ * ولا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر: ليت آل الخطاب كانوا كذلك -يَحْمِلُها على المَحْمَل الحسن-.

قالوا: إنه قال:

ولا يَرِدُونَ الماءَ إلّا عَشِيَّةً * إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عَن كُلِّ مَنْهَلِ

فقال: ذلك أَصْفَى للماء وأَقَلُّ لِلْكَدَر. قالوا: إنه قال:

تَعَافُ الكِلابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ * وتَأْكُلُ مِن كَعْبِ بنِ عَوفٍ ونَهْشَلِ

فقال عمر: كَفَى ضياعًا بمَن تأكل الكلابُ لَحْمَه -يعني أنتم تزعمون أنه فَضَّل أولئك عليكم لأن الكلاب لا تأكل من لحومهم؟! وأي خير في أكل الكلاب!-

قالوا إنه قال:

وما سُمِّيَ العَجْلانَ إلّا لِقَوْلِهِم * خُذِ القَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا العَبْدُ واعْجَلِ

فقال: سيِّد القوم خادمهم، وكلنا عبيدٌ لله فما أرى بهذا بأسًا.

قالوا: سَلْ حَسَّان بن ثابت. فسأله فقال: ما هَجَاهُم ولكن سَلَحَ عليهم. فَسَجَنَه عمرُ، وقيل بل جلده.

وَابْنَ زِيَادٍ إِذْ لَبِيدٌ وَضَعَهْ ٦٢ (مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهْ)

من شواهد وضع الأدب للعالي خبر الرَّبيع بن زياد؛ فإنه كان ملازمًا للنعمان بن المنذر، وكان سَبَبُ انحطاطه: أنه وَفَدَ مُلاعِبُ الأَسِنَّة -عامرُ بنُ مالك- وإخوتُه، ومعهم لَبِيدُ بين ربيعة العامري- وهو ابن أخيهم وكان يومئذ غلامًا صغيرًا ابنَ تسعِ سنين، وكان يجلس في

رَحْلِهِم ويَرْعَى لهم إبلَهم- وفدوا على النعمان فوجدوا عنده الربيع بن زياد -وكان عدوًّا لهم- فجعل يَحطُّ من قَدْرِهم عند النُّعْمان؛ فسمعهم لَبِيد مرةً يتكلمون في أمر الربيع، ويقولون: ارجعوا بنا إلى أَهْلِينا لا يَضْحَك منَّا الربيعُ بنُ زياد، فسألهم لَبِيد فكَتَمُوه، فقال: والله لا رَعَيْتُ لكم ولا حَفِظْتُ لكم رِحالَكم حتى تخبروني؛ فأخبروه أنه غَلَبَهُم وصَدَّ وجهَ الملك عنهم، فقال: هل تقدرون على أن تجمعوا بيني وبينه فأَزْجُرُه عنكم بقَوْلٍ مُمِضٍّ فلا يلتفت النعمان إليه أبدا؟ فقالوا له: وهل عندك ذلك؟ قال: نعم. قالوا: فإنا نَبْلوك -أي نختبرك- بشتم هذه البَقْلَة، وكانت أمامهم بقلة فأخذها بيده وذمَّها؛ فوجدوه أهلًا لذلك. فقالوا: أنت والله صاحبه. فلما أصبحوا حلقوا رأسه وتركوا له ذُؤابتين، وألبسوه حُلَّة، وغدوا به معهم حتى انتهوا إلى النعمان، والنُّعْمَان في قُبَّةٍ وحوله الناس، ومعه الربيع بن زياد يؤاكله، فناداه لَبِيد من وراء القُبَّة قائلًا:

[مشطور الرجز]

أَنَامَ أَمْ يَسْمَعُ رَبُّ القُبَّهْ
يا أَوْهَبَ النَّاسِ لِعَنسٍ صُلْبَهْ

فأدخلهم النُّعمان، فقال لبيد:

أَكُلَّ يومٍ هَامَتِي مُقَزَّعَهْ؟
يا رُبَّ هَيْجا هِيَ خَيرٌ مِّن دَعَهْ
يا وَاهِبَ الخَيرِ الكَثِيرِ مِن سَعَهْ
نَحْنُ بَنِي أُمِّ البَنِينَ الأَرْبَعَهْ
المُطْعِمُونَ الجَفْنَةَ المُدَعْدَعَهْ
وَالضَّارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَهْ
مَهْلًا أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تَأْكُلْ مَعَهْ

المدعدعة: الممتلئة. **الخيضعة**: اختلاف الأصوات في الحرب.

ثم ذكر أبياتًا يَسُبُّ فيها الربيعَ أقْذَع فيها وأفحش؛ فرفع النعمان يده عن الطعام، وحجب الربيع بن زياد، وسقطت منزلته عنده، وأراد الربيع الاعتذار، فقال له النعمان:

[البسيط]

شَرِّدْ بِرَحْلِكَ عَنِّي حَيثُ شِئتَ ولا * تُكْثِـرْ عَلَـيَّ وَدَعْ عَنـكَ الأقـاوِيلا
وَارْحَلْ بِحَيثُ أَرَدْتَ؛ الأَرْضُ وَاسِعَةٌ * وانشُرْ بِهَا الطَّرْفَ إنْ عَرْضًا وَّإن طُولا
قَدْ قِيلَ مَا قِيلَ إن صِدْقًا وإن كَذِبًا * فَمَا اعْتِذَارُكَ مِن قَوْلٍ إذا قِيلا

ولم يُرَ الربيعُ بِحَضْرَة النُّعْمَان بعد ذلك. قال في الشمقمقية:

وكمْ وكمْ حَطَّ الهِجا مِن ماجدٍ * ذي رُتْبَةٍ قَعْسا وقدرٍ سَمِقِ
مثلِ الربيعِ وبني العَجْلانِ مَعْ * بني نُمَيرٍ جَمَرَاتِ الحَرَقِ

[١١-الأدب تُحمى به الأعراض]

[١١] تُحْمَى بِهِ الأَعْرَاضُ فِي النَّوَائِبِ ٦٣ (مَا تَرَكَ الهَاجُونَ) يَا ابْنَ غَالِبِ

من دواعي العناية بالأدب أن الأدب تحمى به الأعراض، ويُذب به عن الأنساب، وربما حمى الشاعر قبيلته، لذا كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتتها القبائل فهنَّأتها وصنعت الأطعمة، ويتباشر به الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تُنتَج.

(ماترك الهاجون) يا ابن غالب: ممن حمى قبيلته زياد الأعجم، وذلك أن الفرزدق همام بن غالب هَمَّ بهجاء عبدالقيس، فبلغ ذلك زيادًا وهو منهم، فبعث إليه لا تعجل وأنا مُهدٍ

لك بهدية؛ فانتظر الفرزدق الهدية فجاءت وكانت أبياتًا يهدد بها الفرزدق إن هجا قبيلته:

[الطويل]

فَـمَـا تَـرَكَ الـهَاجُونَ لِـي إِنْ هَجَوتُهُ * مَـصَـحًّـا أَرَاهُ فِـي أَدِيـمِ الـفَـرَزدَقِ
ولا تَرَكوا عَـظْـمًا يُّرَى تَحْتَ لَـحْـمِهِ * لِكَاسِـــرِهِ أَبْقَـــوهُ لِلْمُتَعـــرِّقِ
سَأَكْسِـرُ مَـا أَبْقَـوا لَـهُ مِـنْ عِظَامِـهِ * وَأَنكُـتُ مُـخَّ السَّـاقِ مِنـهُ وَأَنتَقِـي
فَإِنَّـا وَمَـا تُـهْـدِي لَـنَـا إِنْ هَـجَوتَـنَـا * لَكَالبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ فِـي البَـحْـرِ يَغرَقِ

فلما بلغته الأبيات كفّ الفرزدق عما أراد وقال: لا سبيل إلى هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم.

(مَـنْ يَـكُ خَائِفًـا أَذَاةَ شِـعْرِي) ٦٤ وَابْنُ بَشِـيرٍ خَـافَ هَجْـوًا يَبْـرِي

(من يك خائفًا أذاة شعري): هجا رجل من بني حرام الفرزدق، فجاء به قومه يقودونه إليه؛ فقال الفرزدق:

[الوافر]

ومَنْ يَكُ خائفًا لأذاةِ شِعْري * فقد أَمِن الهِجَاءَ بنو حَرامِ
هُمُ قادوا سَفِيهَهُمُ وخافوا * قلائدَ مِثْلَ أَطْواقِ الحَمامِ

وأطواق الحمام يضرب بها المثل في الثبات واللزوم، يقول إنهم خافوا أن أهجوهم هجاء يلزمهم؛ لذا جاؤوا بسفيههم.

وابن بشير خاف هجوًا يبري: يقال بَرَى السَّهْم يَبْرِيه؛ إذا نَحَتَه، والمِبْراةُ؛ السِّكين يُبرى بها.

الأَحْوَص بن محمد الأنصاري هجا رجلًا من الأنصار يقال له ابن بشير وكان مُكثرًا، فاشترى ابن بشير هدية ووفد بها إلى الفرزدق مستجيرًا به فأجاره، ثم قال له الفرزدق: أين أنت من الأحوص؟ فقال: هو الذي أشكو، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال: أليس الذي يقول:

[الطويل]

أَلَا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا * فقد هـاجَ أَحْــزاني وذَكَّـرَني نُعْمَى

قال: بلى. قال: والله لا أهجو شاعرًا هذا شِعره.

فاشترى ابن بشير أنفس من الهدية الأولى وقدم بها على جرير فاستجاره، فأجاره ثم قال له جرير: ما فعل ابن عمك الأحوص؟ قال: هو صاحبي الذي هجاني، قال: أليس هو القائل:

[الطويل]

تَـمَشَّى بِشَـتْمِي فِي أَكَـارِيسِ مَـالِكٍ * يُّشِـيدُ بِـهِ كَالكَلْـبِ إِذْ يَـنبَحُ النَّجْمَـا

قال: بلى. قال: والله لا أهجو شاعراً هذا شعره، فاشترى أكثر من الهديتين، وأهداها إلى الأحوص وصالحه.

لِلشُّـــعَرَا أَلْسِـــنَةٌ طَـوِيلَـــةْ ٦٥ إِذَا كَـوَتْ فَمَـا لَهَـا مِـنْ حِـيلَـةْ
لِذَا تَحَـــامَى رُفَعَـــاءُ القَـــدْرِ ٦٦ مِـزَاحَهُمْ خَـشْـيَـةَ بَيْـتٍ يُفْـرِي

للشعرا ألسنة طويلة: هذا مأخوذ من أبيات أنشدها الجاحظ في البيان والتَّبيُّن، قال:

[الوافر]

ولِلشُّعراءِ أَلْسِنَةٌ حِدَادٌ * على العَوْراتِ مُوفِيَةٌ دَلِيلَهْ
ومِنْ عَقْلِ الكريمِ إذا اتَّقاهُمْ * وداراهُمْ مُداراةً جميلهْ
إذا وَضَعُوا مَكاوِيَهُمْ عليهِ * وإنْ كذَبوا فليس لهنَّ حِيلَهْ

ولهذا تحامى الأشراف وتجنبوا ممازحة الشعراء، وحرصوا على إرضائهم خشية بيت من الشاعر يخلد مسبتهم على الأزمان، هذا قوله: لذا تحامى رفعاء القدر * مزاحهم خشية بيت يُفري يقال: أَفْرَى الأديم؛ إذا قطعه على جهة الإفساد، وفَراه؛ إذا قطعه على جهة الإصلاح.

قاله الكسائي: يقال: "قد أَفرَيْتَ وما فَرَيْتَ" لمن أفسد ولم يُصلِح. هذا جارٍ على قول الكسائي، وقيل غير ذلك، فمنهم من جعل فَرَى وأَفْرَى للمعنيين، للقطع مع إصلاح أو مع إفساد. وقد قال دِعْبِلٌ الخُزاعي في هذا المعنى:

[البسيط]

لا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لامْرِئٍ طَبِنٍ ❊ ما راضَهُ قَلْبُهُ أَجْراهُ في الشَّفَةِ
فَرُبَّ قافِيَةٍ بالمَزْحِ جارِيَةٍ ❊ في مَحْفِلٍ لَمْ يُرَدْ إِنْماؤها نَمَتِ
إنِّي إذا قُلْتُ بَيْتًا ماتَ قائلُهُ ❊ ومَنْ يُقالُ لهُ والبيتُ لَمْ يَمُتِ

أي لا تمازح شاعرًا طَبِنًا أي فطنًا قد ذُلِّل له القول، كلما جال في قلبه شيء أجراه على لسانه.

والشاعر يقول:

❊والقولُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإِبَرُ❊

وامرؤ القيس يقول:

❊وجرحُ اللِّسان كجرحِ اليدِ❊

وهذا كثير في الشعر، ثم لما ذكر ما قد يُتوهم منه ذمُّ الشعراء؛ استدرك فقال:

لَا تَبْتَئِسْ فَقَدْ أَتَاكَ المَامَنُ ٦٧ بِقَوْلِهِ: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}

لا تبتئس: لا تحزن ولا تغتم، ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود: ٣٦]. يعني لا تحزن ولا تغتم.

فقد أتاك المامن بقوله: (إلا الذين ءامنوا): يُشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ – ٢٢٧].

[١٢-الأدب يُنجز ما تأخر من الصِّلات]

[١٢]**يُنْجِزُ كُلَّ صِلَةٍ لِشَاعِرِ ٦٨ كَدِعْبِلٍ لَمَّا أَتَى ابْنَ طَاهِرِ**

من دواعي العناية بالأدب وشواهد تأثيره أنه يستنجز ما تأخر من صِلات الكرام، ويستخلص الوعود المنتهية بالحرمان، وهذا يحصل من بعض أصحاب الجاه فإذا مدحه الشاعر؛ وعده بالعطاء تحت حُمَيَّا المدح ونشوة الفرح بالمدح؛ فَيَرْسُمُ له مثلًا بعشرة آلاف درهم؛ فإذا انفضَّ المجلس وعاد إليه عقله؛ أخذ يُماطل الشاعر ويُمنيه حتى ييأس الشاعر ويترك المطالبة، وأحيانًا يكون ينتظر مالًا يأتيه، أو يُشغل عن الشاعر؛ فتُبطئ على الشاعر صلته؛ ومن ذلك أن بعض الشعراء قصد مَعْنَ بن زائدة؛ فوعده معنٌ واشتغل عنه، فنفدت نفقة الشاعر، وضاق لذلك صدره وعزم على الانصراف عن بابه؛ فكتب إليه أبياتًا يقول فيها:

[الوافر]

بأيِّ الخَلَّتَيْنِ عليكَ أُثْني * فإني عندَ مُنْصَرَفي مَسُولُ
أَبِالحُسْنى وليس لها ضِياءٌ * عليَّ فمَنْ يُصَدِّقُ ما أقولُ
أَمِ الأُخْرَى ولستَ لها بِأَهْلٍ * وأنتَ لِكُلِّ مَكْرُمَةٍ فَعولُ

فلما قرأ ذلك معن دعا به فاعتذر إليه، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

كدعبل لما أتى ابن طاهر: وقع لدعبل الخزاعي مع الأمير عبدالله بن طاهر نظير هذا، فمثل بين يديه وقال: أصلح الله الأمير إني لا أقول لك كما قال صاحب معن - وذكر الأبيات الثلاثة المتقدمة - قال: ولكنِّي أقول:

[الكامل]

ماذا أقولُ إذا أتيتُ مَعاشِري * صِفْرًا يَدايَ مِنَ الجَوادِ المُجْزِلِ
إنْ قلتُ أعطاني كذبتُ وإنْ أَقُلْ * ضَنَّ الأميرُ بمالِهِ لم يَجْمُلِ

ولَأَنتَ أعلمُ بالمكارمِ والعُلا * مِنْ أنْ أقولَ فعلتَ ما لم تفعلِ
فَاخْتَرْ لنفسِكَ ما أقولُ، فإنَّني * لا بدَّ مُخْبِرُهُمْ وإنْ لم أُسْأَلِ

فقال له الأمير ابن طاهر: قاتلك الله، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

أَبُـو العَتَاهِيَـةِ مَـعْ نَجْـلِ العَـلَا ٦٩ بَشَّـارُ حِـينَ البَـرْمَـكِـيُّ مَطَـلَا

أبو العتاهية مع نجل العلا: حصل نظير ما تقدم لأبي العتاهية مع عمرو بن العلاء؛ فإنه مدح ابن العلاء فتأخر عنه برُّه، وكان عمرو ينتظر مالًا يجيء إليه من بعض أعماله فأبطأ عليه فكتب إليه أبو العتاهية هذه الأبيات:

[البسيط]

يا بنَ العلاءِ ويا بنَ القِرْمِ مِرْداسِ * إني لَأُطْرِيكَ في أَهْلِي وجُلَّاسِي
أُثْنِي عليكَ ولي حالٌ تُكَذِّبُنِي * فيما أقولُ فأَسْتَحْيِي من الناسِ
حتى إذا قيلَ ما أَوْلاكَ من صَفَدٍ * طَأْطَأْتُ من سوءِ حالٍ عندها راسي

الصَّفَد: العطاء.

بشار حين البرمكي مطلا: بشار بن بُرْد ورد على خالد البَرْمَكِيّ وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده خالد ومطله، فوقف بشار على طريقه وهو يريد المسجد؛ فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

[الطويل]

أظلَّتْ علينا منكَ يومًا سحابةٌ * أضاءتْ لنا برقًا وأبطا رَشاشُها
فلا غَيْمُها يُجلَى فَيَيْأَسَ طامِعٌ * ولا غَيْثُها يأتي فَيُروى عِطاشُها

فحبس بغلته، وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى تبلُّك إن شاء الله.

جُـونُ سَـحَابٍ غَيْثُهَـا لَـمْ يَهْـمِ ٧٠ إِلَّا بِحُـرِّ الشِّـعْرِ عَـذْبِ الـنَّـظْـمِ

الجُـون: بضـم الجيـم؛ جمـع جَـوْن بفتحهـا، وهـو هنـا الأسـود. والسـحاب: اسـم جنـس جمعـي، يُفـرَّق بينـه وبـين مفـرده بالتـاء؛ فواحدتـه: سـحابة. وهـو مـن إضـافة الصـفة إلـى موصوفها. والغيث: المطر. وهَمَى الماء يَهْمِي: إذا سال.

شبه هـذه الصِّـلات والعطايـا التـي وُعِـدوا بهـا وتـأخرت شـبهها بالسـحاب الجُـون التـي يُرجـى مطرهـا وينتظـر، وهـذا المطـر –والمقصـود بـه العطـاء– مـا اسـتنجزه الشـاعر إلا بشـعره الحُـرّ، ونظمـه العـذب؛ فمـن شـواهد تـأثير الأدب أنـه يُنجـز مـا تـأخر مـن الصِّلات.

[١٤- الأدب يُمضي الشفاعات]

[١٣]يُمْضِـي الشَّفَاعَاتِ وَيُنْجِحُ الأَرَبْ ٧١ تَـأْثِيرُهُ يَفُـوقُ تَـأْثِيرَ الذَّهَـبْ

من دواعي العناية بالأدب أنه يُمضي الشفاعات، ويستنجح الحوائج، وما ذاك إلا لعظيم تأثيره وسلطانه على النفوس، وقد ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: "من أفضل ما أُعطيته العرب؛ الأبيات يقدِّمها الرجل بين يدي حاجته، يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم".

وتكلم رجل في حاجة عند عمر بن عبدالعزيز، وكان في قضاء حاجته مشقة؛ فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز، وتأتَّى لها، فقال عمر بن عبدالعزيز: "والله إن هذا للسِّحر الحلال".

الأرب: الحاجة.

عَلْقَمَـةُ الفَحْـلُ لَدَى الغَسَّـانِي ٧٢ شُـفِّعَ فِي شَـاسٍ وَكُلِّ عَانِي

من شواهد إمضاء الأدب للشفاعات أنه لما قتل الحارثُ بن أبي شَمِرٍ الغسَّاني

المنذرَ ابن ماء السماء –وهو المنذر الأكبر، وماء السماء أمُّه– أسر جماعة من أصحابه، وكان فيمن أُسِر شاس بن عَبَدَة في تسعين رجلًا من بني تميم، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس، وهو المعروف بعلقمة الفحل، فقصد الحارث بقصيدته المشهورة التي أولها:

[الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ * بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

إلى أن قال:

إلى الحارثِ الوهابِ أَعْمَلْتُ ناقَتِي * لِكَلْكَلِهـا والقُصْرَيَيْنِ وَجِيبُ

قال:

فلا تَحْرِمَنِّي نائِلاً عنْ جَنابَةٍ * فإنِّي امرؤٌ وَسْطَ القِبابِ غَريبُ
وفي كُلِّ حيٍّ قد خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ * فَحُقَّ لِشَاسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوبُ

فقال الحارث: نعم، وأَذْنِبَة. وأطلق له شاسًا أخاه، وجماعة أسرى بني تميم، ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم. العاني: الأسير.

وَفِي كِلَابٍ شَفَعَ ابْنُ الأَسْكَرِ ٧٣ فَرَدَّهُ الفَارُوقُ لَمْ يُقَصِّرِ

وفي كلاب شفع ابن الأسكر: كلاب بن أمية بن الأسكر خرج هو وأخٌ له إلى الغزو في زمن عمر بن الخطاب ﵁، وأمية يومئذ شيخ كبير قد ضعف بصره فحزن عليهما، وقال في ذلك أشعارًا منها قوله:

[البسيط]

يا أُمَّ هَيْثَمَ مـاذا قلتِ أَبْلاني * رَيْبُ المَنُونِ وهذانِ الجَدِيدانِ
إمَّا تَرَيْ حَجَرِي قد رَكَّ جانبُـهُ * فقد يَسُرُّكِ صُلْبًا غيرَ كَدَّانِ
أوْ ما تَرَيْنِي لا أمضي إلى سَفَـرٍ * إلا معي واحدٌ منكمْ أو اثنانِ

ولستُ أَهْدِي بلادًا كنتُ أسكُنُها * قد كنتُ أهدي بها نفسي وصُحْباني
يا ابْنَيْ أُميَّةَ إني عنكُما غـانِ * وما الغِنى غيرَ أني مُرْعَشٌ فانِ
يا ابْنَيْ أُميَّةَ إلَّا تَشْهَـدا كِبَرِي * فإنَّ نَأيَكُما والثُّكْلَ مِثْلانِ
إذ يحملُ الفرسُ الأحْـوَى ثلاثتَنا * وإذ فراقُكُما والموتُ سِيَّانِ
أصبحتُ هُزْءًا لراعي الضَّأنِ أُعْجِبُـهُ * ماذا يَريبُكَ مِنِّي راعيَ الضَّانِ
انْعَقْ بضأنكَ في نَجْـمٍ تُحَفِّرُهُ * مِن الأباطِحِ واحْبِسْها بِجُمْدانِ
إنْ تَرْعَ ضأنًا فإني قـد رَعَيْتُهُمُ * بِيضَ الوُجُوهِ بني عَمِّي وإخواني

وقال أيضًا:

[الوافر]

سَأَسْتَعْدِي على الفاروقِ رَبًّا * لهُ عَمَدَ الحَجيجُ على اتِّساقِ
وأدعـو اللهَ مُجْتَهِدًا عليهِ * بِبَطْنِ الأَخْشَبَيْنِ إلى دُفاقِ
إنِ الفاروقُ لم يَرْدُدْ كِلابًا * على شيخينِ هامُهُمَا زَوَاقِي

فبكى عمر ﷺ لما سمع أبياته بكاء شديدًا، ورقَّ له رقَّة شديدة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ بالكوفة يأمره بإقفال كلاب بن أمية إلى المدينة؛ فلما دخل عليه قال له عمر ﷺ: ماذا بلغ من برِّك بأبيك قال: كنت أوثره وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أردت أن أحلب له لبنًا أغزر ناقة في إبله وأسمنها، فأريحها، وأتركها حتى تستقر، ثم أغسل أخلافها حتى تبرد، ثم أحلب له فأسقيه، فبعث عمر إلى أمية فجاء يتهادى، وقد ضعف بصره وانحنى، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ فقال: كما ترى يا أمير المؤمنين. قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلابًا فَأَشَمَّه شَمَّةً، وأضمّه ضمّة قبل أن أموت. فبكى عمر ﷺ وقال ستبلغ في هذا ما تحب إن شاء الله. ثم أمر كلابًا أن يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها، ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك هذا يا أبا كلاب، فلما أخذه وأدناه إلى فمه

قال: لعمر الله يا أمير المؤمنين إني لأشم رائحة يدي كلاب من هذا الإناء، فقال عمرﷺ: هذا كلاب عندك حاضر قد جئناك به، فوثب إلى ابنه؛ فضمه إليه وقبله، وجعل عمرﷺ يبكي ومن حضره، وقال لكلاب: الزم أبويك، فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما.

عِنْـــدَ تَمِـــيمٍ شَـــفَعَ الفَـــرَزْدَقُ ٧٤ (هَبْ لِي خُنَيْسًا) إِنَّـكَ الـمُـــوَفَّقُ

عند تميم شفع الفرزدق: تميم بن زيد القيني ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي على السِّند؛ فدخل تميم البصرة فجعل يُخرج من أهلها من شاء؛ فجاءت عجوز إلى الفرزدق تسأله أن يشفع في ابنها، وقالت له: إن تميم بن زيد خرج بابن لي معه، ولا قرَّة لعيني ولا كاسب لي غيره. فقال لها: وما اسم ابنك؟ قالت: خُنَيْس. فكتب الفرزدق إلى تميم بن زيد مع بعض من شَخَصَ إليه:

[الطويل]

تميمُ بنَ زيدٍ لا تَكُونَنَّ حاجَتي * بظَهْـرٍ فلا يَعْيَا عَلَيَّ جَوابُها
وَهَبْ لي خُنَيسًا واحْتَسِبْ فيهِ مِنَّةً * لِعَبْرَةِ أُمٍّ ما يَسُوغُ شَرابُها
وقد عَلِمَ الأَقْوامُ أَنَّكَ ماجِدٌ * ولَيْثٌ إذا ما الحربُ شَبَّ شِهابُها

فلما ورد الكتاب على تميم تشكك في الاسم، فقال: أَحُبَيْشٌ أم خُنَيْس؟ فقال: انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا؛ فأُصِيب ستة ما بين خنيس وحبيش؛ فأخذهم كلهم ووجه بهم إلى الفرزدق.

فِي الوَاثِقِ الطَّـائِيُّ أَوْصَى المُعْتَصِـمْ ٧٥ أَنْ يَـلِيَ العَهْـدَ فَنَـالَ مَـا عُـلِـمْ

أبو تمام الطَّائي شفع للواثق بالله هارون عند أبيه المعتصم في أن يوليه العهد؛ فقال قصيدته التي مطلعها:

[الكامل]

الحقُّ أَبْلَجُ والسُّيوفُ عَواري * فَحَذارِ مِنْ أَسَدِ العَرينِ حذارِ

وفيها يقول:

فاشْدُدْ بهارونَ الخِلافةَ إنَّهُ * سَكَنٌ لِوَحْشَتِها ودارُ قَرارِ
بفتى بني العباسِ والقمرِ الذي * حَفَّتْهُ أَنْجُمُ يَعْرُبٍ ونِزارِ
كَرَمُ العُمُومَةِ والخُؤولَةِ مَجَّهُ * سَلَفا قُرَيشٍ فيهِ والأنصارِ
هُوَ نَوْءُ يُمْنٍ فيهِمُ وسَعادَةٍ * وسِراجُ لَيلٍ فيهِمُ ونَهارُ
فاقْمَعْ شياطينَ النِّفاقِ بِمُهْتَدٍ * تَرضى البَرِيَّةُ هَدْيَهُ والباري
لِيَسيرَ في الآفاقِ سِيرَةَ رَأْفَةٍ * ويَسُوسَها بِسَكِينَةٍ ووَقارِ
فالصِّينُ مَنْظُومٌ بِأَنَدَلُسٍ إلى * حِيطانِ رُومِيَةٍ فَمُلْكِ ذَمارِ
ولقد عَلِمتُ بِأَنَّ ذَلِكَ مِعْصَمٌ * ما كُنتَ تَتْرُكُهُ بِغَيرِ سِوارِ
فالأرضُ دارٌ أَقْفَرَتْ ما لم يَكُنْ * مِن هاشِمٍ رَبٌّ لِتِلكَ الدَّارِ
سُوَرُ القُرانِ الغُرُّ فيكُمْ أُنزِلَتْ * ولَكُمْ تُصاغُ مَحاسِنُ الأشْعارِ

فنال ما عُلِم: ولّاه العهد، وإثر وفاة المعتصم بويع الواثق بالخلافة.

وَاسْتَعْطَفَ الوَالِيَ نَجْلَ طَوْقِ ٧٦ فِي تَغْلِبٍ بَعْدَ ذَهَابِ الطَّوْقِ

فَوَقَعَتْ مِنْهُ بِأَعْلَى مَوْقِعِ ٧٧ بَعْدَ عَدَاوَةٍ وَشَرٍّ مُفْظِعِ

واستعطف أبو تمام أيضًا مالك بن طَوْقٍ التَّغْلِبي لقومه بني تَغْلِب، وكانوا أفسدوا في الطرق فخافوه، واستشفعوا بأبي تمام، فقال في قصيدة مشهورة يخاطب فيها مالكًا:

[الكامل]

وَرَأَيتَ قَومَكَ وَالإِساءَةُ مِنهُمُ * جَرحَى بِظُفرٍ لِلزَّمانِ وَنابِ

إلى أن قال:

هُمْ صَيَّروا تِلكَ البُروقَ صَواعِقًا * فِيهِمْ وَذاكَ العَفوَ سَوْطَ عَذابِ
فَأَقِلْ أُسامَةُ جُرْمَها واصْفَحْ لها * عَنهُ وَهَبْ ما كـانَ لِلوَهَّابِ
أَسْبِلْ عليهِم سِترَ عَفوِكَ مُفْضِلًا * وانْفَحْ لَهُم مِن نائِلٍ بِذِنابِ
لَكَ في رَسولِ اللهِ أَعظَمُ أُسْوَةٍ * وأَجَلُّها في سُنَّةٍ وكِتابِ
أعطى المُؤَلَّفَةَ القُلوبِ رِضاهُمُ * كَرَمًا وَرَدَّ أَخائذَ الأحـزابِ

فذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أجلَّ موقع؛ فأجزل ثوابه عليها، وقبل شفاعته وردَّ القوم إلى رُتبتهم ومنزلتهم من بعد اليأس المُسْتحكِم والعداوة الشديدة، هذا قوله: واستعطف: أي أبو تمام الطائي المذكور في البيت السابق. الوالي نجل طوق: هو مالك بن طوق التغلبي. في تغلب: في قبيلة تغلب. بعد ذهاب الطوق: الطوق هنا الطاقة. فوقعت منه بأعلى موقع: وقعت من مالك بن طوق هذه الشفاعة التي في أبيات أبي تمام بأعلى موقع وقبل شفاعة أبي تمام في تغلب، وردَّهم إلى رتبتهم ومنزلتهم منه. بعد عداوة وشرٍّ مُفْظِع: يقال: أَفْظَعَ الأمر فهو مُفْظِع؛ إذا اشتدت شناعته وجاوز حدَّه.

وَابْنُ الخَطِيبِ بِقَصِيدٍ جُمَلَا ٧٨ قَضَى السِّفَارَةَ وَنَالَ الأَمَلَا

ابن الخطيب هو لسان الدين ابن خطيب، وهو مفخرة من مفاخر الأندلس، بعثه السلطان سفيرًا إلى أبي عِنان مُسْتمِدًا له على عدوه في وفد من وزراء الأندلس وفقهائها؛ فلما مثل بين يدي أبي عنان أنشد وهو قائم:

[المنسرح]

خليفةَ اللهِ ساعدَ القدرُ * عُلاكَ ما لاحَ في الدُّجى قمرُ
ودافعتْ عنكَ كفُّ قُدْرَتِهِ * ما ليس يَسْطِيعُ دَفْعَهُ البَشَرُ

وجهُكَ في النَّائباتِ بدرُ دُجًى * لنا وفي المَحْلِ كفُّكَ المطرُ
والناسُ طُرًّا بأرضِ أندلسٍ * لولاكَ ما أَوْطَنُوا ولا عَمَرُوا
وجملـةُ الأمـرِ أنهُ وَطَنٌ * في غيرِ عُلْياكَ ما لَهُ وَطَـرُ
ومَنْ بِهِ مُذْ وَصَلْتَ حَبْلَهُمُ * ما جحدوا نعمةً ولا كفروا
وقـد أَهَمَّتْهُـمُ نُفوسُهُـمُ * فَوَجَّهـوني إليكَ وانْتَظَـروا

فاهتز السلطان لهذه الأبيات، وأذن لهم في الجلوس، وقال له قبل أن يجلس: ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباته، وأثقل كواهلهم بالإحسان، قال القاضي أبو القاسم الشريف –وكان معهم في ذلك الوفد– قال: "لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يُسلِّم على السلطان إلا هذا".

مِنْ خَـيْرِ مَـا قَـدْ أُعْطِيَتْـهُ العَـرَبُ ٧٩ تَقْـدِيمُهَا بَـيْنَ يَـدَيْ مَـا تَطْلُـبُ
أَبْيَـاتَ شِـعْرٍ تُـنْهِضُ الكَرِيمَـا ٨٠ وَتَـسْتَـمِـيـلُ الكَـاشِحَ اللَّئِيمَـا

عقد بهذين البيتين قول عمر بن الخطاب ﷺ الذي سبقت الإشارة إليه قال: **"من أفضل ما أُعطيته العرب الأبيات يقدمها الرجل بين يدي حاجته يستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم"**.

[١٤–الأدب يُثمر السلامة من اللَّحن]

[١٤]يَمْنَـعُ مِـنْ لَحْـنٍ وَقَـولٍ مُنْكَـرِ ٨١ فَاللَّحْنُ فِي السَّـرِيِّ مِثْـلُ الجُـدَرِي

يمنع من لحن وقول منكر: من دواعي العناية بالأدب أنه يُثمر سلامة اللسان، ويُخلِّص من شناعة اللَّحْنِ وهُجْنَتِه، وقد كان السلف يُبغضون اللحن، وينفرون منه، وكانوا يؤدِّبون أولادهم عليه؛ فإذا سمع أحدهم من ولده لحنًا أدَّبه، ثم آل الأمر في زماننا إلى أن صار اللحن فاشِيًا، لا أقول في مجالس الناس، بل في قاعات الدراسة، ومجالس العلم، ومن الثمرات التي يجْتنيها طالب علم الأدب؛ سلامة لسانه من اللحن، وصيانته من الخطأ في الكلام.

فاللحن في السري مثل الجدري: عقد بهذا قول عبدالملك بن مروان: **"اللَّحْن في الرجل السَّريّ –أي الشريف– كالجُدَري في الوجه"**.

(أَخْوَفُ مَا أَخَافُ) قَالَ الأَصْمَعِي ٨٢ وَاللهِ مَا الأَلْكَنُ مِثْلَ المِصْقَعِ

(أخوف ما أخاف) قال الأصمعي: أشار إلى قول الأصمعي: **"إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جُملة قوله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» لأنه ﷺ لم يكن يَلْحَن فمهما رويت عنه ولحنتَ فيه كذبت عليه"**.

لذا قال الحافظ العراقي في ألفية الحديث:

[الرجز]

وَلْيَحْذَرِ اللَّحَّانَ والمُصَحِّفا * على حَدِيثِهِ بأن يُحرِّفا
فَيَدْخُلا في قولِهِ مَنْ كَذَبا * فَحَقٌّ النَّحْوُ على مَنْ طَلَبا

والله ما الألكن مثل المصقع: الألكن: الذي لا يُفْصِح بالعربية. والمصقع: البليغ الماهر في خطبته.

وقد قال بعضهم: والله ما استوى رجلان دينُهما واحد، وحسبُهما واحد، ومروءتُهما واحدة؛ أحدهما يلحن والآخر لا يلحن، إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن. فقيل له: هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيَّته، أرأيت الآخرة ما باله فُضِّل فيها؟ قال: إنه يقرأ كتاب الله كما أنزله الله، وإن الذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه.

لَوْ كَانَ لَحْنُكَ مِنَ الذُّنُوبِ ٨٣ لَكَانَ مِنْ كَبَائِرِ الخُطُوبِ!

قال رَقَبَة بن مَصْقَلَة لرجل كان يلحن لحنًا شديدًا: **"لو كان لحنك من الذنوب؛ كان من الكبائر"**.

وَانْظُرْ هُنَا لِجَامِعِ الخَطِيبِ ٨٤ كَافِيكَ مَا فِيهِ مِنَ التَّرْغِيبِ

ترجم الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع بقوله: **"الترغيب في تعلم النحو والعربية لأداء الحديث بالعبارة السَّويَّة"** وذكر تحته آثارًا كثيرة، الشاهد منها المناسب لما نحن فيه؛ ما فيها من ذمِّ اللحن، والترغيب في طلب العربية للسلامة من شناعة اللحن.

[١٥-الأدب يورث سرعة البديهة]

[١٥]يُورِثُ مِنْ بَدِيهَةِ السَّرَاةِ ٨٥ تَعَالَ أُسْمِعْكَ فَقُلْ لِي: هَاتِ

ومن دواعي العناية بالأدب أنه يورث سرعة البديهة، وحسن الجواب. وجلُّ هؤلاء الذين ستأتي أخبارهم هم ممن عُرفوا بالفصاحة، والبيان والاشتغال بالأدب والشعر؛ فأكسبهم ذلك سرعة البديهة، والقدرة على التخلص من المواقف المحرجة.

أَخْطَبُ عُرْبٍ دُونَمَا مُدَافَعَهْ ٨٦ سَحْبَانُ مَنْ يَجْرِي وَلَا يُجْرَى مَعَهْ

سحبان وائل كان خطيب العرب بأسرها غير مُنازَعٍ ولا مُدافَع؛ يقال إن معاوية ﵁ وفد عليه وفد من خراسان، فَطَلَبَ سحبانَ، فلم يوجد عامة النهار، ثم اقْتُضِبَ من ناحية كان فيها اقتضابًا وجيء به إلى مجلس الخليفة -لم يُمهل ليُعِدَّ شيئًا- والوفد أمامه، والناس مجتمعون، وقيل له تكلم في مقام الخلافة، فقال: انظروا لي عصًا تُقِيم من أَوَدِي، فقالوا: ما تصنع بالعصا وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربَّه وعصاه في يده، فضحك معاوية، وقال: هاتوا عصاه. فاتَّكأ سحبان على العصا وخطب من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ما تنحنح ولا أعاد كلمة ولا تردد ولا ابتدأ في معنى فخرج عنه وقد بقي عليه فيه شيء، فقال له معاوية: إنك أخطب العرب! قال سحبان: والعجم والإنس والجن.

وهو القائل:

[الطويل]

لقد عَلِمَ الحَيُّ اليَمانُونَ أنَّني * إذا قلتُ: أمَّا بَعْدُ أنِّي خَطِيبُها

(فِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ) لِعَوْفِ ٨٧ مَنْ شِعْرُهُ يُذْكِي لَهِيبَ الجَوْفِ

عوف بن مُحَلِّم الشَّيْباني رأى الأمير طاهر بن الحسين على حَرَّاقَة –وهي ضرب من السُّفُن– وكان عوف على الجِسر، فناداه بهذه الأبيات:

[المتقارب]

عَجِبْتُ لِحَرّاقَةِ ابنِ الحُسَيـ * ـنِ كَيفَ تَعُومُ وَلا تَغرَقُ
وَبَحْرانِ مِن تَحْتِهَا واحِدٌ * وَآخَرُ مِن فَوقِهَا مُطْبِقُ
وَأَعجَبُ مِن ذاكَ عيدانُها * وَقَد مَسَّها كَيفَ لا تورِقُ

وبحران من تحتها: البحر الذي تحتها؛ البحر المعروف، والذي فوقها يعني به الأمير طاهر بن الحسن.

فكانت هذه الأبيات سبب اتصاله به، وكان عوف صاحب نوادر، وأخبار، ومعرفة بأيام الناس؛ فاختصه الأمير طاهر بن الحسين لمنادمته ومسامرته، فكان لا يسافر إلا وهو معه، وبقي كذلك ثلاثين سنة لا يفارقه، وكلما استأذن عوف في الانصراف إلى أهله ووطنه، لا يأذن له من فرط محبته له إلى أن مات الأمير طاهر ووليَ بعده ابنه عبدالله، وكان أشد تعلقًا به من أبيه طاهر؛ فأنزله منزلته من أبيه، وأفضل عليه حتى كثر ماله وحَسُنَت حاله، فاتفق أن خرجوا مرة فسمع عبدالله بن طاهر صوت عَنْدَلِيب يغرِّد أحسن تغريد، فقال: قاتل الله أبا كبير الهُذلي إذ يقول:

[الطويل]

أَلَا يا حَمَامَ الأَيْكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ * وَّغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ
أَفِقْ لا تَنُحْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ فَإِنَّنِي * بَكَيْتُ زَمَانًا وَّالفُؤَادُ صَحِيحُ
وَلُوعًا فَشَطَّتْ غُرْبَةً دَارُ زَيْنَبٍ * فَهَا أَنَا أَبْكِي وَالفُؤَادُ قَرِيحُ

فقال عوف بن محلِّم: أحسن والله وأجاد أبو كبير، إنه كان في الهذليين مئةٌ وثلاثون شاعرًا ما فيهم إلا مفلق وما كان فيهم مثل أبي كبير وأخذ يصفه، فقال له عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت قوله، فقال له: قد كَبِرت سنّي، وفَنِيَ ذهني، وأنكَرتُ كل ما كنت أعرفه. فألحَّ عليه عبدالله، فتذكر إذ ذاك عوف بن محلِّم عياله الذين لم يرهم منذ ثلاثين سنة، فقال على البديهة والارتجال –وهو من بدائع البدائه-:

[الطويل]

أَفِي كُلِّ عَامٍ غُرْبَةٌ ونُزُوحُ * أَمَا لِلنَّوَى مِن وَنْيَةٍ فَتُرِيحُ؟
لَقَد طَلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ رَكَائِبِي * فَهَلْ أَرَيَنَّ البَيْنَ وَهْوَ طَلِيحُ؟
وَأَرَّقَنِي بِالرَّيِّ نَوْحُ حَمَامَةٍ * فَنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الحزينُ يَنُوحُ
على أَنَّهَا نَاحَتْ وَلَمْ تُذْرِ دَمْعَةً * ونُحْتُ وَأَسْرَابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
ونَاحَتْ وَفَرْخَاهَا بِحَيثُ تَرَاهُمَا * وَمِن دُونِ أَفْرَاخِي مَهَامِهُ فِيحُ
أَلَا يا حَمَامَ الأَيكِ إِلْفُكَ حَاضِرٌ * وَّغُصْنُكَ مَيَّادٌ فَفِيمَ تَنُوحُ؟
عَسَى جُودُ عَبدِاللهِ أَنْ يَعْكِسَ النَّوَى * فَتُضْحِي عَصَا التَّسْيَارِ وَهْيَ طَرِيحُ
فَإِنَّ الغِنَى يُدْنِي الفَتَى مِن صَدِيقِهِ * وَعُدْمَ الفَتَى بالمُغْرِبِينَ طَرُوحُ

فاستعبر عبدالله ورقَّ له وبكى، وجرت دموعه، وقال: إنني لضنينٌ بمفارقتك، شحيح على الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعملتَ معي خُفًّا ولا حافرًا إلا راجعًا إلى أهلك، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

(أَطْـوَلُ مِـنْ مَـاذَا) أَيَـا فَـرَزْدَقُ؟ ٨٨ أَجِزْ أَدِيـكَ الجِـنِّ قَـوْلِي: (فَرَّقُـوا)

(أطول من ماذا) أيا فرزدق: سأل الطِّرمَّاح الشاعر الفرزدق يومًا فقال: يا أبا فراس، أنت القائل:

[الكامل]

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا * بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

أعز من ماذا؟ وأطول من ماذا؟

وأذَّن المؤذن وهو يسأله، فقال الفرزدق: ألا تسمع ما يقول المؤذن؟ الله أكبر، أكبرُ من ماذا؟ يعني أنه أكبر من كل شيء، فكذلك بيتٌ دعائمه أعز من كل عزيز وأطول من كل طويل، فانقطع الطِّرمَّاح انقطاعًا ظاهرًا.

أجز أديك الجن قولي: (فرقوا): لقي أبو تمام مرةً دِيكَ الجِن –وديك الجن هو عبدالسَّلام بن رغبان الكلبي من شعراء الدولة العباسية، وديك الجن لقب له– لقيه أبو تمام وهو طفل يلعب، ويدَّعي قول الشعر، فأراد أبو تمام أن يختبره، فقال: إن كنتَ شاعرًا كما تقول فَأَجِز:

[الخفيف]

فَرَّقُوا بَيـنَ مَنْ أُحِبُّ وَبَيـنِـي

فقال ديك الجن: أُبَعِّد أم أُقَرِّب؟ قال: بَعِّد. قال:

مِثْلَ بُعْدِ السِّمَاكِ وَالفَرْقَدَينِ

قال: قَرِّب. قال:

مِثْلَ مَا بين حاجِبَيَّ وعَيْنِي

(لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ) ٨٩ (السَّيْلُ لَا يَنْجُسُ) هَلْ تَمْرُونَهُ!

(لا تنكروا ضربي له من دونه): من عجيب أخبار البديهة، ما يروى من خبر أبي تمام مع أحمد بن المعتصم، وذلك أنه قال في مدح أحمد بن المعتصم الذي هو ابن الخليفة:

[الكامل]

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَماحَةِ حَاتِمٍ * فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

فقال له بعض من كان حاضرًا –وأراد الطعن عليه– قال: ما زدتَ على أن شبَّهت الأمير بأَجْلَافِ العرب! فأطرق أبو تمام يسيرًا، ثم ارتجل بيتين زادهما في القصيدة لوقته لم يكونا فيها، وهما قوله:

[الكامل]

لَا تُنكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَن دُونَهُ * مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدى وَالبَاسِ
فَاللهُ قَد ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ * مَثَلًا مِنَ المِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

فعجب أحمد بن المعتصم وجميع من حضره من فطنته، وذكائه، وسرعة بديهته، وأضعف أحمد جائزته.

يقول: لا تنكروا قولي إن إقدامه كإقدام عمرو وهو أشجع منه، وإن سماحته كسماحة حاتم وهو أكرم منه، وإن حلمه كحلم أحنف وهو أحلم منه، وإن ذكاءه كذكاء إياس وهو أذكى منه؛ لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]. ونور الله ﷻ أعظم لكنَّ المراد ضرب المثل.

(السيل لا ينجس) هل تمرونه: ومن الأخبار في البديهة: أن الشوكاني –رحمه الله– أَلَّف كتابه: (**السَّيل الجَرَّار في شرح حدائق الأزهار**) وحدائق الأزهار من متون الزَّيْدِيَّة، فضعَّف الشوكاني كثيرًا مما فيه؛ فغضب لهذا بعضهم، وألَّف كتابًا يرد فيه على الشوكاني سمَّاه:

(الغَطَمْطَمَ الزَّخَّـــار الـمُتَدَفِّق على حــدائق الأزهــار لِيُطَهِّـرَه من رجس السَّيل الجـــرَّار) –والغطمطم هو البحر العظيم الواسع– فلما بلغ ذلك الشوكاني قال: هذا ليس بفقيه؛ ألا يعلم أن السيل لا ينجس؟!

لأنه يقول: ليطهره من رجس السيل الجرار، والسيل لا ينجس، «**إذا بَلَغَ الماءُ قُلَّتَيْنِ لم يَحْمِلِ الخَبَثَ**» فهذا من فطنته وحضور ذهنه.

هل تمرونه: هل تجحدونه، ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ [النجم: ١٢] كما في قراءة الكسائي.

(مِنَّــا أَمِـيرَ الـمُـــؤْمِنِينَ) جَــاءِ ٩٠ (وَحَــذْفُ يَــا يَجُــوزُ فِي النِّــدَاءِ)

(منا أمير المؤمنين) جاء: شَبيب بن يزيد الشيباني كان من الخوارج الذين خرجوا زمن الدولة الأموية، وقاتل الحجاج، وادعى الخلافة، وتسمَّى بأمير المؤمنين، قال فيه بعض أصحابه من الخوارج:

[الطويل]

فإن يكُ منكمْ كان مروانُ وابْنُهُ ❋ وعمروٌ ومنكمْ هاشمٌ وحَبيبُ
فمِنَّا حُصَيْنٌ والبَطِينُ وقَعْنَبٌ ❋ ومنَّا أميرُ المؤمنينَ شَبِيبُ

وقد أُخذ هذا الرجل بعد أن أُخمدت فتنة شبيب، وأُدخل على عبدالملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ألست القائل –وذكر البيتين السابقين– فقال الرجل: إنما قلت: **"ومنَّا أميرَ المؤمنين شبيب"** فأعجبه اعتذاره فأطلقه. فخلص من الموت بتغيير حركة، فعلى رفع (أمير) جعل شبيبًا أميرًا للمؤمنين، وخلع يده من طاعة عبدالملك بن مروان، وعلى نصب (أمير) أي: ومنا يا أميرَ المؤمنين يا عبدالملك بن مروان شبيب، فلم ينزع اسم أمير المؤمنين عن عبدالملك بن مروان، غاية ما فعل أنه حذف يا النِّداء، وحذفها جائز كما قال الحريري في ملحة الإعراب:

وحذف يا يجوز في النداء * كقولهم: ربِّ استجب دعائي

قال ابن خَلِّكان في وَفيات الأعيان لما ذكر هذا الخبر: "وهذا الجواب في نهاية الحسن".

(إِنَّكَ لَاقٍ) يَا جَرِيرُ فِي مِنَى ٩١ للهِ دَرُّ رَدِّهِ مَا أَحْسَنَا!

حدَّث أبو عُبيدة قال: التقى جرير والفرزدق بمنى وهما حاجَّان، فقال الفرزدق لجرير:

[الطويل]

فإنَّكَ لاقٍ بِالمَنَازِلِ مِن مِّنًى * فَخارًا، فَخَبِّرْني بِمَن أَنتَ فَاخِرُ؟

فقال له جرير: **"لبيك اللهم لبيك"**.

قال أبو عبيدة: "فكان أصحابنا يستحسنون هذا الجواب من جرير ويتعجبون منه".

يعني هذا مقام لا يذكر فيه إلا الله ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

(كُنْتَ مَعَ الأَمِيرِ مَا وَلَّاكَا؟ ٩٢ قَالَ: القَفَا) لَا تَعِسَتْ مُنَاكَا

قال أحدهما لصاحبه: قد كنت مع الأمير، فما ولَّاك؟ قال: ولَّاني قَفاه!

لا تعست مناك: المُنى جمع مُنْيَة، ما يُقَدِّره الإنسان في نفسه ويُحبُّ أن يصير إليه، يقال فيه: **"مُنْيَة"** و **"أُمْنِيَّة"** وجمع المنية **"مُنى"**، وجمع الأمنيَّة **"أمانيّ"** بتشديد الياء وتخفيفها أيضًا.

(وَهَلْ بَقِيْ فِي دَهْرِنَا مَنْ يُلْقَى؟ ٩٣ قَالَ: نَعَمْ فِي البِئْرِ) وَيْكَ رِفْقَا

(شَارَكْتَنِي فِي الفِعْلِ وَانْفَرَدْتَا ٩٤ بِعَجَبٍ) (هَجَوْتَ مَنْ عَرَفْتَا)

(وهل بقي في دهرنا من يلقى..: أبو العَيْناء محمد بن القاسم بن خلَّاد له أخبار كثيرة في كتب

الأدب، كان من أحفظ الناس، وأفصحهم لسانًا، وأسرعهم جوابًا، وكان كفيفًا، قيل له مرَّة: هل بقي في دهرنا من يُلْقى؟ قال: نعم في البئر!

(شاركتني في الفعل وانفردتا..: ولقيه رجل من إخوانه في السَّحر فجعل يعجب من بكوره يقول: يا أبا العيناء ما الذي أخرجك في السَّحر؟ فقال أبو العيناء: سبحان الله أراك تشاركني في الفعل، وتُفْرِدُني بالعجب!

ومن أخبار أبي العيناء في سرعة الجواب: أنه سأله الخليفة المتوكل مرَّة: كيف حالك؟ فقال: في أحوال مختلفة؛ خيرها رأيتك، وشرُّها غيبتك.

وحضر يومًا مجلس بعض الوزراء فتفاوضوا حديث البرامكة، وكرمهم وما كانوا عليه من الجود، وكان أبو العيناء قد بالغ في وصفهم، وأثنى عليهم، وعلى ما كانوا عليه من البذل والإفضال، فقال الوزير لأبي العيناء: قد أكثرت من ذكرهم ووصفك إياهم، وإنما هذا تصنيف الورّاقين، وكذب المؤلِّفين. فقال له أبو العيناء: فلم لا يكذب الورَّاقون عليك أيها الوزير؟! فسكت الوزير، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه.

(هجوت من عرفتا): الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نِزار العُبَيْديّ –صاحب مصر- كتابًا سبَّه فيه وهجاه؛ فكتب إليه الأموي: أما بعد، فإنك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك. فاشتد هذا على العزيز وأفحمه عن الجواب.

وكان العبيديون يدعون أنهم من آل البيت ويذكرون نسبهم على المنبر، حتى إنَّ العزيز أحد خلفائهم –وكانوا أربعة عشر متخلِّفًا لا خليفة كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء، ولما تكلم في تاريخ الإسلام عن عبيدالله الملقب بالمهدي أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية قال: ويا حبذا لو كان رافضيًا وبَسّ، ولكنه زنديق- فالعزيز صعد المنبر في أول ولايته يوم جمعة فوجد رقعةً مكتوبًا فيها:

[السريع]

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنكَرًا * يُتْلَى عَلَى المِنبَرِ فِي الجَامِعِ
إِن كُنتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا * فَاذْكُرْ أَبًا بَعْدَ الأبِ الرَّابِعِ
وَإِن تُرِد تَحْقِيقَ مَا قُلْتُهُ * فَانسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ لا دَعِ الأنسَابَ مَسْتُورَةً * وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنسَابَ بَنِي هَاشِمٍ * يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ

والطائع الخليفة العباسيّ في ذلك الوقت وهو معروف النِّسْبَة.

وكانوا يدعون علم الغيب؛ صعد العزيز مرة ووجد رقعة مكتوبًا فيها:

[مُخَلَّع البسيط]

بِالظُّلْمِ وَالجَوْرِ قَد رَضِينَا * وَلَيسَ بِالكُفْرِ وَالحَمَاقَهْ
إِن كُنتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيبٍ * فَاذْكُرْ لنا صَاحِبَ البِطَاقَهْ

(وَأَنَا وَاللهِ قَدِ ارْتَبْتُ أَيَا ٩٥ أَمِيرَنَا أَنِّي اسْتَجَدْتُ وَصْفِيَا)

من لطيف أخبار البديهة أن ابن الرِّقاع الشاعر أنشد قصيدة في مجلس الوليد بن عبدالملك في وصف الخمر، فقال الوليد: قد والله وصفتها فأجدت وصفها، حتى ارتبتُ بك. فقال ابن الرِّقاع: وأنا والله يا أمير المؤمنين قد ارتبت بك؛ كيف عرفتَ أني أجدت صفتها؟ فضحك الوليد وتركه.

وَاسْمَعْ لِهَذَا العَجَبِ العُجَابِ ٩٦ مِنْ نَبَأِ الفَضْلِ مَعَ الأَعْرَابِي

الفضل بن يحيى البَرْمَكِيّ خرج يومًا للصَّيد وهو في موكبه ومعه الأصمعي، فرأى أعرابيًا مقبلًا على ناقته قد أقبل من البريَّة يركض في سيره، فقال: هذا يقصدني، فلا يكلمه أحد غيري. فلما دنا الأعرابي، ورأى المَضارِب تُضرَب، والخيام تنصب، والعسكر الكثير،

والجَمَّ الغفير، وسمع الغوغاء والضجَّة؛ ظنَّ أنه ركب أمير المؤمنين، فنزل وعقل راحلته وتقدَّم وسلَّم وجلس، فقال له الفضل: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ قال: من قُضاعة. قال: من أدناها أم من أقصاها؟ قال: بل من أقصاها. فالتفت الفضل إلى الأصمعي، وقال: كم من العراق إلى أرض قضاعة؟ قال: ثمانمائة فرسخ. فقال: يا أخا العرب مثلك لم يقصد من ثمانمائة فرسخ إلا لشيء؟ قال: قصدت هؤلاء الأماجد الأنجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد. قال: من هم؟ قال: البرامكة. قال الفضل: يا أخا العرب إن البرامكة خلق كثير، وفيهم جليل وخطير، ولكلٍّ منهم خاصة وعامة؛ فهلَّا أفردت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك؟ قال: أجل، اخترت أطولهم باعًا، وأسمحهم كفًّا. قال: من هو؟ قال: الفضل بن يحيى بن خالد -وهو يخاطب الفضل بن يحيى لكنه لا يعرفه يظنه أمير المؤمنين- فقال له الفضل: يا أخا العرب إن الفضل جليل القدر عظيم الخطر، إذا جلس للناس مجلسًا عامًّا لم يحضر مجلسه إلا العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء والكتاب. أعالم أنت؟ قال: لا. قال: أفأديب أنت؟ قال: لا. قال: أفعارف أنت بأيام العرب وأشعارها؟ قال: لا. قال: وردت على الفضل بكتاب وسيلة؟ قال: لا. فقال: يا أخا العرب غرتك نفسك! مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو كما عرفت عنه من الجلالة. بأيِّ ذريعة أو وسيلة تَقْدَم عليه؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما قصدته إلا لإحسانه المعروف، وكرمه الموصوف، وبيتين من الشعر قلتهما فيه. فقال الفضل: أنشدني البيتين فإن كانا يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه، وإن كانا لا يصلحان بَرِرْتُك بشيء من مالي ورجعت إلى باديتك، وإن كنت لم تستحق بشعرك شيئًا. قال: أفتفعل أيها الأمير؟ قال: نعم. قال: فإني أقول:

[الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنَّ الجودَ مِن عهدِ آدمٍ * تَحَدَّرَ حتى صارَ يملكُهُ الفضلُ
ولو أنَّ أمًّا قَضَّها جوعُ طفلِها * ونادتْ على الفضلِ بن يحيى اغْتَذى الطفلُ

قال: أحسنت، فإن قال لك: هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر وأخذ الجائزة عليهما، فأنشدني غيرهما، فما تقول؟ قال أقول: -وكل ما سيأتي الآن هو من ارتجاله-

[الكامل]

قد كان آدمُ حينَ حانَ وفاتُهُ * أوصاكَ وهْوَ يجودُ بالحَوْباءِ
بِبَنِيهِ أنْ ترعاهُمُ فرَعَيْتَهُمْ * وكَفَيْتَ آدمَ عَيْلَةَ الأبناءِ

قال: أحسنت، فإن قال لك الفضل ممتحنًا هذان البيتان أخذتهما من أفواه الناس. فأنشدني غيرهما. فما تقول؟ وقد رمقتك الأدباء بالأبصار وامتدت الأعناق إليك وتحتاج أن تناضل عن نفسك. قال: إذن أقول:

[البسيط]

مَلَّتْ جَهابِذُ فَضْلٍ وزنَ نائِلِهِ * ومَلَّ كاتِبُهُ إحصاءَ ما يَهَبُ
واللهِ لولاكَ لم يُمْدَحْ بِمَكْرُمَةٍ * خَلْقٌ ولم يرتفِعْ مجدٌ ولا حَسَبُ

قال: أحسنت، فإن قال لك هذان البيتان أيضًا أخذتهما من أفواه الناس، ما كنت قائلًا؟ قال: أقول:

[الطويل]

ولِلفَضْلِ صَوْلاتٌ على مالِ نفسهِ * يُرَى المالُ مِنهُ بالمَذَلَّةِ والعَنَا
ولو أنَّ ربَّ المالِ أبْصَرَ مالَهُ * لَصَلَّى على مالِ الأميرِ وأَذَّنَا

قال: أحسنت، فإن قال لك الفضل: هذان البيتان مسروقان أيضًا. أنشدني غيرهما فماذا تقول؟ قال إذًا أقول:

[الطويل]

ولو قيلَ للمعروفِ نادِ أخا العُلا * لَنادى بأعلى الصوتِ يا فضلُ يا فضلُ
ولو أنفقتْ جَدْواكَ مِنْ رَمْلِ عالِجٍ * لَأصبحَ مِنْ جدواكَ قد نَفِدَ الرَّمْلُ

قال: أحسنت، فإن قال لك: قد ضجرنا من الفاضل والمفضول –أي لا تذكرني باسمي– أنشدني بيتين على الكنية، ما تقول. قال: إذًا أقول:

[الطويل]

ألا يا أبا العباسِ يا واحدَ الوَرَى * ويا مَلِكًا خَدُّ المُلوكِ لـهُ نَعْـلُ
إليكَ تسيرُ الناسُ شَرْقًا ومَغْرِبًا * فُرادى وأزواجًا كأَنَّهُمُ النَّحْلُ

قال: أحسنت، فإن قال لك الفضل: أنشدنا غير الاسم والكنية والقافية. –فضجر الأعرابي– وقال: والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا؛ لأقولن أربعة أبيات في المدح ما سبقني إليهن عربي ولا أعجمي، ولئن زادني بعدها لأجمعن قوائم ناقتي وأضعها في بطنه، وأرجع إلى قضاعة خاسرًا ولا أبالي. فاستحيا الفضل ونكَّس رأسه، وقال للأعرابي: أسمعني الأبيات الأربعة. قال: أقول:

[الطويل]

ولائِمَةٍ لامَتْكَ يا فضـلُ في النَّـدى * فقلتُ لها هل يَقْدَحُ اللَّومُ في البحرِ
أَتَنْهَيْنَ فضـلًا عن عطـاياهُ في الوَرى * فمَنْ ذا الذي يَنْهى السَّحابَ عن القَطْرِ
كـأنَّ نـوالَ الفضـلِ في كـلِّ بَلْـدَةٍ * تَحَدُّرُ هـذا المُـزْنُ في مَهْمَـهٍ قَفْـرِ
كأنَّ وُفُــودَ النـاسِ مِن كلِّ وِجْهَـةٍ * إلى الفضلِ لاقَـوا عندهُ ليلةَ القَـدْرِ

فأمسك الفضل عن فِيه، وسقط على وجهه ضاحكًا، ثم رفع رأسه وقال: أنا والله الفضل بن يحيى، سَلْ ما شئت. فقال: سألتك بالله أيها الأمير إنك لهو؟ قال: نعم. قال: فأقلني –لأنه هدَّده بوضع قوائم ناقته في بطنه– قال: أقالك الله، اذكر حاجتك. قال: حاجتي عشرة آلاف درهم. قال الفضل: أَزْرَيْتَ بنا وبنفسك! تُعطى مائة ألف درهم، وأمر بأن تُدفع له مائة ألف. فلما صار المال إليه حسده وزير الفضل، وقال: يا مولاي هذا إسراف، يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات استرقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال؟! فقال: استحقَّه

بحضوره إلينا من أرض قضاعة. فقال الوزير: أقسمت عليك إلا أخذت سهمًا من كنانتك وركَّبته في كَبِد قَوْسِك وأَوْمَأْتَ به إلى الأعرابي؛ فإن ردَّ عن نفسه ببيت من الشعر، وإلا استعدت مالك، ويكون له في بعضه كفاية. فأخذ الفضل سهمًا وركَّبه في كبد قوسه وأومأ إلى الأعرابي وقال له: رُدَّ سهمي ببيت من الشعر؛ فأنشأ الأعرابي يقول:

[الطويل]

لَقَوْسُكَ قَوْسُ الجُودِ والوَتَرُ النَّدى ❊ وسَهْمُكَ سَهْمُ العِزِّ فَارْمِ بِهِ فَقْري

فضحك الفضل، وأنشأ يقول:

[الطويل]

إذا مَلَكَتْ كفِّي مَنَالًا ولم أُنِلْ ❊ فلا انْبَسَطَتْ كفِّي ولا نَهَضَتْ رِجْلي
على اللهِ إخْلافُ الذي قد بَذَلْتُهُ ❊ فلا مُسْعِدي بُخْلي ولا مُتْلِفي بَذْلي
أَرُوني بَخيلًا نالَ مَجْدًا بِبُخْلِهِ ❊ وهاتُوا كَرِيمًا ماتَ مِن كَثْرَةِ البَذْلِ

ثم قال الفضل لوزيره: أعطِ الأعرابي مائة ألف درهم لقصده وشعره، ومائة ألف درهم ليكفينا شرَّ قوائم ناقته؛ فأخذ الأعرابي المال وانصرف.

وَاذْكُرْ أَبَا دُلَامَةٍ ذَا النَّادِرَهْ ٩٧ وَرَائِدَ البَدِيهَةِ المُبَادِرَهْ

ختم هذه الأبيات في أخبار سرعة البديهة بذكر أبي دلامة زَنْدِ بن الجَوْن أمير الفكاهة ورائد الدُّعابة الذي امتلأت كتب الأدب من نوادره، وأخباره، وطرائفه، وتعلق به الخلفاء والوُلاة؛ لجودة شعره، وحسن أدبه، وكثافة مُلَحِه، ومن أخباره: أن المهديَّ كان في مجلسه، فدخل أبو دُلَامَةَ وكان في المجلس جماعة من بني هاشم من الوُجَهَاء والكُبَراء والأَعْيَان، فلما دخل أبو دُلَامة قال المهدي: أقسم بالله لَئن لم تَهْجُ واحدًا من هؤلاء الذين في المجلس لأَفْعَلَنَّ ولأَفْعَلَنَّ، فكان كلَّما مَرَّ نظرُه إلى رجل غَمَزَه بِعَينِه -أي لا تَهْجُني وأُعْطِيك ما يُرْضِيك- وكلهم من الوُجَهاء والكُبَراء. قال أبو دلامة: فنظرتُ إلى أمير المؤمنين فعلمت

أنها عَزْمَةٌ من عَزَمَاتِه؛ فَهَدَتْهُ حِيلَتُه إلى أن يَهْجُوَ نفسه؛ لأنه واحد من أهل المجلس، فقال:

[الوافر]

أَلَا أَبْلِـغْ لَـدَيكَ أَبَـا دُلَامَـهْ * فَلَسْـتَ مِـنَ الكِـرَامِ وَلَا كَرَامَـهْ
جَمَعتَ دَمَامَةً وَجَمَعْتَ لُؤْمًا * كَـذَاكَ اللُّـؤمُ تَتْبَعُـهُ الدَّمَامَـهْ

في أبيات..فضحك القوم وعجبوا من حُسْنِ تَخَلُّصِه، وما بقي منهم أحد إلا وَصَلَه وأهدى إليه.

ومن لطائفه: أنَّ المهدي خرج يومًا مع علي بن سليمان إلى الصَّيد، فرمى المهديُّ سهمه فأصاب ظَبْيًا، ورمى علي بن سليمان سهمًا فأصاب كَلْبًا، فضحك المهدي وقال: يا أبا دُلَامَة احكم وحُكْمُك نافذ، فقال أبو دُلَامَة على البَدِيهَة:

[مجزوء الرمل]

قَـدْ رَمَـى المَهْـدِيُّ ظَبْـيًا * شَـــكَّ بِالسَّهْـــمِ فُـــؤَادَهْ
وَعَلَـــيُّ بـــنُ سُـــلَيْمَا * نَ رَمَـــى كَلْبًـــا فَصَـــادَهْ
فَهَنِيئًـــا لَّهُمَـــا كُـــلْ * لُ امْـــرِئٍ يَّـــأْكُل زَادَهْ

يعني أن الخليفة يأكل من الظبي، وأنَّ علي بن سليمان حُكْمي فيه أن يأكل من الكلب؛ فضحك المهدي حتى كاد يسقط من سَرْجِه، وقال: صدق أبو دلامة. وأمر له بجائزة سَنِيَّة، فافتدى علي بن سليمان نفسه من ذلك الحكم بمالٍ كثير.

وممَّا يُسْتَطْرَفُ ويُسْتَظْرَفُ ويُتَعجَّبُ منه من أخباره: أن المهديَّ غَضِبَ عليه يومًا فحلف بالله لَيَخْرُجَنَّ في بَعْثِ حَرْب -وأبو دلامة ليس صاحب حرب بل صاحب لَهْوٍ ومُجُون- فخرج مع رَوْحِ بنِ حاتم المُهَلَّبي لقتال الشُّرَاةِ -وهم الخوارج- ولما التقى الجَمْعَان بَرَزَ رجل من الخوارج يريد المُبَارَزَة، فأمر رَوْح بن حاتم أبا دلامة أن يَخْرَج للمبارزة، فقال أبو دُلَامَة: نَشَدتُك بالله لا تَفعَل. قال رَوح: والله لَتَفْعَلَن. قال أبو دُلَامة: هذا والله إذًا أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يومٍ من أيام الدنيا وأنا جائع، فَأْمُر لي بشيء آكله، فأمر له بدجاجةٍ

ورغيفين، فلما رآه الخارجيّ بارزًا من الصف أقبل عليه بالسيف فقال له أبو دُلَامَة: مَهْلَك، قِفْ. فقال الخارجي: ما لديك؟ قال: أتَسْتَجِيزُ أن تقتل رجلًا على دينك؟ قال: لا. قال: فلمَ تريد قتلي وأنا على دينك؟ فقال الرجل: اذهب. فقال: لا والله لا أفعل حتى تسمعَني. قال: قُل. قال: هل بيني وبينك تِرَة؟ قال: لا. قال: فهل بين أهلي وبين أهلك عداوة؟ قال: لا. قال: فو الله لا أنصرف حتى تأكل معي من طعامي، فيعلم هؤلاء جميعًا هَوَانَهم علينا وأنَّا على وِفَاق -وهذا الكلام كله وهُم بين الجيشين والسيوف مشهورة والناس ينظرون إليهما- فاقتربا حتى تداخلت أعناق فرسَيْهما، وجعلا يأكلان معًا.

ورَوْحٌ وأصحابه يكادون يسقطون من الضحك لما يرون من صنيع أبي دُلَامَة. فلما فرغا رجع الخارجي إلى جيشه ورجع أبو دُلَامَة إلى رَوح وهو يقول: قد كفيتك قِرْني، فَقُلْ لغيري يَكْفِيك قِرنَه.

ومن عجيب احتياله في طلب المال: أنه كان يدَّعي أنه رأى رؤيا ويطلب بها المال، وتعرفون ما في الصحيح: «مَنْ تَحلَّمَ بِحُلْمٍ لم يَرَهُ كُلِّفَ أنْ يَعْقِدَ بين شَعيرَتينِ ولن يَفْعَلَ» وهكذا كان يفعل، مرَّ يومًا على تَمَّارٍ في الكوفة فقال له:

[المتقارب]

رَأَيتُكَ أَطْعَمْتَنِي فِي المَنَامِ * قَوَاصِرَ مِن تَمْرِكَ البَارِحَهْ
فَأُمُّ العِيَالِ وصِبْيَانُهَا * إِلَى البَابِ أَعْيُنُهُمْ طَامِحَهْ

فأعطاه شيئًا من التَّمر.

وأطرف من هذا أنه دخل على الخليفة أبي جَعْفَر المَنصُور وقال له:

[مجزوء الكامل]

إِنِّي رَأَيْتُكَ فِي المَنَا * مِ وَأَنْتَ تُعْطِينِي خِيَارَهْ
مَمْلُوءَةً بِدَرَاهِمٍ * وعَلَيكَ تَأْوِيلُ العِبَارَهْ

فضحك المنصور وقال: هات خِيَارة لِأملأها لك دراهم. فمضى إلى السوق وأتى بِدُبَّاءَةٍ عظيمة -يَقْطِين- فقال له أبو جعفر: ما هذا؟ ألم تقل إنك رأيت خيارة؟! فقال: ما رأيت في المنام إلا دُبَّاءَة ولكني نسيت، فلما رأيت الدُّبَّاءَة في السوق تذكرت.

[١٦-الأدب يُرَوِّحُ القلب]

[١٦]وَفِيــهِ إِجْمَــامُ الفُــؤَادِ الفَــاتِرِ ٩٨ (وَاسْتُحْسِنَ الإِنْشَادُ فِي الأَوَاخِـرِ)

إجمام الفؤاد: إراحته. يقال: أَجَمَّ نفسه إذا أراحها. الفاتر: الذي انكسرت حدَّته، وضعفت قوته، فيُعيد الاشتغال بالأدب إليه نشاطه.

(واستحسن الإنشاد في الأواخر): هذا تضمين من ألفية العراقي في الحديث، قال:

[الرجز]

واستُحسِنَ الإنشادُ في الأواخرِ ❊ بعـدَ الحِكايات معَ النَّـوادرِ

جرت عادة المحدثين أن يُنشدوا في أواخر مجالس التحديث شيئًا من الشعر العذب مع الحكايات اللطيفة، والنوادر المستحسنة، ثم أشار في البيتين بعده إلى خمسة آثارٍ عن السلف تشهد لكون الأدب يُروِّح النفس، ويُجِمُّ القلب.

(أَحْمِضْ بِنَا) وَ(هَاتِ مِـنْ أَخْبَـارِ) ٩٩ (أَجِـمَّ مِــنِّي النَّفْــسَ بِالأَشْـعَارِ)

(تُحَـفُ أَهْـلِ الجَنَّـةِ الأَخْبَـارُ) ١٠٠ (وَهْيَ لِـسَـالِـكِ العُـلَا الأَبْـزَارُ)

(أحمض بنا): كان ابن عباس -رضي الله عنهما- إذا أفاض في القرآن والسُنَن قال لِـمَن عنده: **"أَحْـمِضُوا بنا"** أي خُوضُوا في الأشعار والأخبار التي تُرَوِّح النفس.

(هات من أخبار): وكان الزُهْرِيُّ يقول: **"هاتوا من أشعاركم، هاتوا من أخباركم؛ فإنَّ الأُذُنَ مَجَّاجَة، وإنَّ النفس حَمِضَة"** فإن الأذن مجّاجة: يعني أن الأذن صارت لا تَعِي ما تسمع، وإنما تُلقيه نسيانًا كما يُمَجُّ الشيء من الفم. وإن النفس حَمِضَة: الحَمْضَة: الشهوة إلى الشيء.

(أجمّ النفس مني بالأشعار): وقال عليٌّ رضي الله عنه: **"أجِمُّوا هذه القلوب، وابتَغوا لها طرائف الحِكْمَة؛ فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان"**.

(تحف أهل الجنة الأخبار): وقال مَالِك بنُ دِينَار: **"الحكايات تُحَفُ أهل الجنة"**.

(وهي لسالك العلا الأبزار): حَمَّاد بن زيد حدَّث مرةً بأحاديث، ثم قال: **"خُذُوا في أَبْزَارِ الجنة"**. أي خذوا في الحكايات التي تكون للعلم النافع الـمُوْصِل إلى الجنة كَالأَبْزَارِ في الطعام –الأبزار؛ التوابل– تُطَيِّبه وتُشَهِّيه وتُشَوِّق النفس إليه، وقد قال الناظم في هذا المعنى:

[الرجز]

ورَوِّحِ القلبَ بذكرِ الطُّرَفِ * فإنَّ ذلكَ صنيعُ السَّلَفِ

وقال أبو الفتح البُسْتي:

[الطويل]

أَفِدْ طَبْعَكَ الـمَكْدُودَ بِالجِدِّ رَاحَةً * يَّجِمَّ وَعَلِّلْهُ بِشَيءٍ مِّنَ الـمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَوْلَيْتَهُ الـمَزحَ فَلْيَكُنْ * بِمَقدارِ مَا يُولَى الطَّعَامَ مِنَ المِلْحِ

مَا نَفْثَةُ السِّحْرِ بِأَوْصَلَ إِلَى ١٠١ قَلْبِ الحَبِيبِ مِنْ قَصِيدٍ جَمُلَا

يقول: ليست نفثات السِّحر بأوصل إلى القلوب من نفثات الشعر، بل الشعر أوصل.

كَلَّا وَلَا سُلَافُ ظَلْمِ الحِبِّ ١٠٢ أَشْهَى إِلَى قَلْبِ الـمُعَنَّى الصَّبِّ

السُّلاف: الخمر. الظَّلْم: ماء الأسنان وبريقها، وهو من إضافة المُشَبَّه به إلى المُشَبَّه. الحِبّ: المحبوب. المُعَنَّى: المُتعب. الصَّبّ: من الصَّبابة وهي رِقَّة الشوق والهوى.

مِنْ رَشْفَةٍ مِنْ عَذْبِ شِعْرٍ سَلْسَلِ ١٠٣ تَسْرِي حُمَيَّاهَا بِكُلِّ مَفْصِلِ

الرَّشف: المَصّ. السَّلْسل: الماء العذب السهل في الحلق لعذوبته وصفائه. تسري حميّاها: أي سَوْرَتها وشدتها. بكل مفصل: المفصل: واحد مفاصل الأعضاء.

ولما أحبَّ الأوائل الأدب وعلِق بقلوبهم؛ أخذوا منه بحظٍّ وافر، فبرعوا وأجادوا، وقد أنشد عمر بن أبي ربيعة قصيدته:

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ

أنشدها طلحة بن عبدالرحمن بن عوف وهو راكب، فوقف وما زال شانِقًا ناقته حتى كُتِبت له. وكان بعض ولد الزبير يسأل عمَّا لا يحفظ من شعر عمر بن أبي ربيعة؛ فإذا ذكر له شيء كتبه ويده ترتعد من الفرح. وقال الشعبي: "كنت أُحدِّث عبد الملك وهو يأكل؛ فيحبس اللُّقمة، فأقول: أجزها أصلحك الله فإن الحديث من ورائك، فيقول: والله لحديثك أحبُّ إليَّ منها". وقال أبو عمرو بن العلاء: "قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع بالحرف منه لم أسمعه فتودُّ أعضائي أن لها أسماعًا تتنعَّم مثلما تنعَّمت الآذان. قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المُضلَّة ولدها، وليس له غيره. قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال". وكان أبو السائب المخزميّ يقول: "أما والله لو كان الشعر محرمًا لوردنا الرَّحْبَة كل يوم مرارًا". -والرحبة: الموضع الذي تُقام فيه الحدود في المدينة- يريد أنه لا يستطيع الصبر عنه؛ فيُحدُّ في كل يوم مرارًا ولا يتركه.

ثم ختم دواعي العناية بالأدب بذكر عناية العلماء بالأدب، وأنهم برعوا فيه وأجادوا.

[١٧- عناية العلماء بالأدب]

[١٧]وَقَدْ عُنِيْ بِهِ فُحُولُ العُلَمَا ١٠٤ جَادَ سَحَابُهُمْ بِمَا يُرْوِي الظَّمَا

هذا آخر ما ذُكر في المنظومة من دواعي العناية بالأدب، وهو من أعظم ما يدعو

طالب العلم الشرعي إلى العناية بالأدب، وهو أن علماءنا الذين هم قدواتنا اعتنوا بالأدب وبرعوا فيه. جاد سحابهم: يقال: جاد السَّحاب جَوْدًا –بفتح الجيم– إذا أمطر.

هَذَا وَهُمْ سِرَاجُنَا الوَقَّادُ ١٠٥ وَمَنْ إِلَيْهِمْ تُضْرَبُ الأَكْبَادُ

مِنْ كُلِّ مَنْ خَاضَ عُبَابَ العِلْمِ ١٠٦ وَغَاصَ فِي أَسْرَارِهِ بِالفَهْمِ

العُباب: مُعْظَم السَّيل.

عَالِي الذُّرَا سَامِي العُلَا حُرِّ الشَّرَفْ ١٠٧ مَنْ قُرْبُهُ قُرْبَى وَبُعْدُهُ تَلَفْ

الذُّرا: جمع ذِرْوَة، وذِرْوَة الشيء أعلاه.

فَإِنْ تَقُلْ: فِقْهٌ وَشِعْرٌ أَنَّى ١٠٨ ذَا؟ مَا تَظُنُّ أَنْتَ إِلَّا ظَنَّا

فإن تقل: كيف يجتمع الفقه والشعر؟

أَقُلْ: أَلَا اتَّئِدْ أَخِي لَا تَعْبَثَا ١٠٩ لَا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ مِنْ أَنْ يَنْفُثَا

اتَّئد: تمهل. لا تعبثا: أصله "لا تَعْبَثَنْ" بنون التوكيد الخفيفة، وقد قلبها ألفًا لما وقف، على حدِّ قول ابن مالك في الخلاصة:

وأَبْدِلَنْهَا بعدَ فَتْحٍ أَلِفا ❊ وَقْفًا كما تقولُ في قِفَنْ قِفا

لا بد للمصدور من أن ينفثا: أخرج ابن أبي شيبة: **"أن عمر بن عبدالعزيز قال لعبيدالله بن عبدالله بن عُتْبَة** –وهو من فقهاء المدينة السَّبعة، وهو أول من سيأتي ذكره من شعراء الفقهاء– **قال له: ما لك وللشعر؟ فقال عبيدالله: هل يستطيع المصدور إلا أن ينفث؟!"** والمصدور في الأصل الذي يشتكي صدره، من أُصيب في صدره يقال له: المصدور. ومن أصيب في صدره لا بد أن ينفث، وكثيرًا ما يطلق المصدور على المحزون. والذي يقصده عبيدالله أنه يحدث للإنسان حال يتمثل فيه بالشعر، ويُطيِّب به نفسه، ولا يكاد يمتنع منه.

وعروة بن أُذَيْنَة من فقهاء المدينة، وصالحيها، وشيوخ الإمام مالك، وهو ثاني من سيأتي ذكره من شعراء الفقهاء؛ من شعره قوله:

[البسيط]

إذا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ في كَبِدِي * غَدَوتُ نَحْوَ سِقاءِ الماءِ أَبْتَرِدُ
هَبْني بَرَدْتُ بِبَرْدِ الماءِ ظاهِرَهُ * فمَنْ لِنارٍ على الأحْشاءِ تَتَّقِدُ

يقال إنه وقفت عليه امرأة فقالت: "أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح، وأنت القائل —وذكرت هذين البيتين- والله ما قال هذا رجل صالح!" وفي رواية أنها قالت: "والله ما خرج هذا من قلب سليم!". ذكر هذا الخبر ابن عبدربِّه في **(العقد)** ثم علَّق عليه قائلًا: "وكذبت عدوَّة الله.." إلى أن قال: "..بل لم يكن مرائيًا، ولكنه كان مصدورًا فنفث".

آنَ هُنَا إِزَالَةُ القَتَامِ ١١٠ بِرَدِّ قَوْلٍ شَاعَ فِي الأَنَامِ

القتام: الغبار. بردِّ قول شاع في الأنام: أراد هنا بيان عدم صحة ما يُشاع من أن شعر الفقهاء رديء؛ لأنك تجد في بعض كتب التراجم: "..وكان شعره شعر فقيه" وهذه عبارة تساوي عند قائلها: "وكان شعره شعرًا رديئًا" فأراد بيان عدم صحة هذا التعميم، وأنه يمكن أن يكون الفقيه شاعرًا كبيرًا تسير بشعره الرُّكبان، ويتحدث به الخافِقان.

أَنَّ اشْتِغَالَ الفُقَهَا بِالخُلْفِ ١١١ عَادَ عَلَى قَرِيضِهِمْ بِالسُّخْفِ

بالخلف: بالمسائل الفقهيَّة وما فيها من اختلاف العلماء، والخلف ضدُّ الاتفاق.

فَوَصَمُوا أَشْعَارَهُمْ بِالخَلْفِ ١١٢ وَضَرَبُوهَا مَثَلًا لِلضَّعْفِ

فوصموا أشعارهم: عابوها. بالخلف: أي بالرَّداءَة. والخَلْف؛ الرَّديء من القول. يقال: "سَكَتَ أَلْفًا ونَطَقَ خَلْفًا" أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلَّم بالخطأ.

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩]. **فخلف من بعدهم**: أي من بعد الأنبياء المُصْطَفَيْن المذكورين في الآية التي قبلها.

خلف: أي أتباع سوء.

وَذَا لَعَمْرِي كِلْمٌ مَهْزُولُ ١١٣ قَدْ رَدَّهُ الْمَعْقُولُ وَالْمَنْقُولُ
الفِقْهُ وَالشِّعْرُ كِلَاهُمَا عَرَضْ ١١٤ مَنِ ادَّعَى تَزَاحُمًا فَذَا حَرَضْ

الفقه والشعر كلاهما عرض: هذا بيان لردِّ هذا الكلم المهزول بالمعقول.

من ادَّعى تزاحمًا فذا حرض: الحرض هنا فساد العقل. والحرض يطلق على المُشرف على الهلاك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥﴾ [يوسف: ٨٥]. **حتى تكون حرضًا**: أي مُشْرِفًا على الهلاك. **أو تكون من الهالكين**: أي بالفعل. ويطلق أيضًا على الفساد في العقل.

وتوضيح ذلك: أن الشاعريَّة عَرَض، والفقهيَّة عرض؛ والأعراض لا تتزاحم، والجَوْهَرُ يقبل أن يتَّصِف بأكثر من عرض؛ فالشاعرية والفقهية ليس بينها تضادٌّ، كما أن ما في الإناء يمكن أن يكون أحمر، ويمكن أن يكون حارًّا، ويمكن أن يكون حلوًا، وقد تجتمع هذه الثلاثة؛ فلا مانع لا في العقل ولا في النَّقل من اجتماعهما؛ فالقسمة الرُّباعيَّة كلها مُتَصَوَّرة وواقعة:

قد يكون شاعرًا فقيهًا.

وقد يكون شاعرًا ليس بفقيه.

وقد يكون فقيهًا ليس بشاعر.

وقد لا يكون شاعرًا ولا فقيهًا.

فليس بين الشاعرية والفقهية علاقة **تلازم** بمعنى أن وجود إحداهما تستلزم وجود الأخرى، ولا **تناقض** بمعنى أن وجود إحداهما تنفي وجود الأخرى. وهذا التقرير يَنْسِفُ ثلاثة أرباع

التعميم السابق؛ لذا إذا قال فقيه شعرًا وكان شعره ضعيفًا؛ فليس لأنه فقيه، بل لأنه تعرَّض لما لا يُحسِن، وهذا قوله:

إِنْ رَيْتَ شِعْرًا لِفَقِيهٍ يُوهَنُ ١١٥ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمَا لَا يُحْسِنُ
وَلَيْسَ فِقْهُهُ لَهُ بِعِلَّةِ ١١٦ فَأَنْصِفِ القَوْمَ وَعَامِلْ بِالَّتِي

وعامل بالَّتي: أي بالتي هي أحسن.

كَمْ مِنْ فَقِيهٍ بَذَّ فَحْلًا مُفْلِقَا ١١٧ صَابَ صَمِيمَ الشِّعْرِ لَمَّا فَوَّقَا

بذَّ: غَلَبَ. **فحلًا مفلقًا:** يقال أَفْلَقَ الشاعر؛ إذا أتى بالعجيب في شعره، فهو مُفْلِق. **صاب:** لغة في أصاب. **صميم الشعر:** صميم الشيء خالصه. **لما فوَّقا:** يقال فَوَّق السَّهم؛ إذا جعل له فُوقًا، والفُوق موضع الوَتَرِ من السهم. وفي أساس البلاغة: فَوَّقَ السهم؛ جعل الوتر في فُوقِهِ عند الرَّمي.

أَنْفَذُ مِنْ سَهْمِ النُّمَيْرِي سَهْمُهُ ١١٨ أَرَقُّ مِنْ نَسِيمِ صُبْحٍ نَظْمُهُ

النُّميري هذا الذي يُنسب إليه السهم ويضرب به المثل هو أبو حَيَّة الهَيْثَم بن الرَّبيع النُّميري. شاعر مشهور من مخضرمي الدَّولتين الأمويَّة والعباسيَّة، يروي عن الفرزدق، وكان مشهورًا بالكذب والجُبْن، وله في ذلك نوادر كثيرة مسطورة في (**الأغاني**) قال يومًا: "عَنَّ لي ظبيٌ فرميته فراغ عن سهمي فعارضه والله السهم -يعني تَبِعَه- ثم راغ فعارضه السهم -يعني أن الظبيَ أخذ ذات اليمين فتبعه السهم ثم أخذ ذات الشمال فتبعه السهم- قال: فلم يزل يروغ ويعارضه السهم حتى صَرَعَه".

هذه إحدى كَذَباتِه؛ فصار أبو حيَّة هذا مضرب مثلٍ لدى الشعراء، وممن ضرب به المثل ابن نُباتة في قوله:

[الخفيف]

وبَديعُ الجمالِ لم يَرَ طَرْفي * مِثلَ أَعْطافِهِ ولا طَرْفُ غيْري
كُلَّما حِدْتُ عن هَوَاهُ أَتَاني * سَهْمُ أَلْحاظِهِ كَسَهْمِ النُّمَيْري

وقد قال ابن الوَنَّان في الشمقمقية:

وفَوِّقَنْ سَهْمَ النُّميريِّ لِمَنْ * لِطُرُقِ العَلْياءِ لم يُوَفَّقِ

ومن كذبات النميري هذا أنه قال: "رميت ظبية فلما نفذ السهم من القوس؛ ذكرت بالظبية من أُحِبّ، فشددت وراء السهم حتى قبضت على قُذَذِه -يعني على ريش السهم- قبل أن يدرك الظبية!". أنفذ من سهم النميري سهمه: يعني لا بد أن يُصيب.

مَنْ رَامَ سَبْقَهُ بِذَا الْمِضْمَارِ ١١٩ ظَفِرَ بِالْخَيْبَةِ وَالْغُبَارِ

بذا المضمار: في مضمار الشعر.

دُونَكَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ مَا يُغْنِي ١٢٠ وَيَدْخُلُ الْفُؤَادَ قَبْلَ الأُذْنِ
عَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ وَالتَّخَيُّرِ ١٢١ وَهَلْ يُرَامُ حَصْرُ دُرِّ الأَبْحُرِ

دونك: أي خُذْ. إذا أردت أن تُغريَ بالشيء قلتَ: "دُونَكَه".

(ذُقْ هَجْرَهَا) قَدْ بَانَ عَنْهُ أُنْسُهُ ١٢٢ طَلَّقَهَا فَتَبِعَتْهَا نَفْسُهُ

غَصَّ بِرِيقِهِ فَقِيهُ طَيْبَةِ ١٢٣ ذَاكَ عُبَيْدُ اللهِ نَجْلُ عُتْبَةِ

عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل ﵁ عمُّ أبيه، وعبيدالله أحد فقهاء المدينة السبعة الذين انتهى إليهم علم المدينة، يقول الزُّهْري: "سمعت من العلم شيئًا كثيرًا؛ فظننت أني اكتفيت حتى لقيت عبيدالله فإذا كأني ليس في يدي منه شيء".

وقد كان من خبره أن طلَّق امرأته؛ فتبعتها نفسه وندم، فقال في ذلك أشعارًا، من ذلك قوله:

[الطويل]

كَتَمْتَ الهَوَى حَتَّى أَضَرَّ بِكَ الكَتْمُ * ولامَكَ أَقْوَامٌ ولَوْمُهُمُ ظُلْمُ
وَنَمَّ عليكَ الكَاشِحُونَ وَقَبْلَهُمْ * عَلَيْكَ الهَوَى قَدْ نَمَّ لَوْ نَفَعَ النَّمُّ
وَزَادَكَ إِغْرَاءً بِهَا طُولُ هَجْرِهَا * قَدِيمًا وأَبْلَى لَحْمَ أَعْظُمِكَ الهَمُّ
أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي * عَنَاهَا وَلَا تَحْيَا حَيَاةً لَهَا طَعْمُ
تَجَنَّبْتَ إِتْيَانَ الحَبِيبِ تَأَثُّمًا * أَلا إِنَّ هِجْرَانَ الحَبيبِ هُوَ الإِثْمُ
فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ * رَشَادٌ أَلَا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

كان يقول طلقها وتستريح، فما وجد بعد طلاقها إلا الهم والندم.

وله فيها:

[الطويل]

فَلَوْ أَكَلَتْ مِن نَّبْتِ دَمْعِي بَهِيْمَةٌ * لَهَيَّجَ مِنْهَا رَحْمَةً حِينَ تَأْكُلُهْ
وَلَوْ كُنتُ فِي غُلٍّ فَبُحْتُ بِلَوْعَتِي * إِلَيْهِ لَلَانَتْ لِي وَرَقَّتْ سَلَاسِلُهْ
وَلَمَّا عَصَانِي القَلْبُ أَظْهَرْتُ عَوْلَةً * وقُلْتُ أَلا قَلْبٌ بِقَلْبِي أُبَادِلُهْ؟

وله أيضًا:

[الوافر]

تَغَلْغَلَ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي * فَبَادِيهِ مَعَ الخَافِي يَسِيرُ
تَغَلْغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ * ولا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ العَهْدَ مِنْهَا * أَطِيرُ لَوَ انَّ إِنسَانًا يَطِيرُ
شَقَقْتِ القَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فِيهِ * هَوَاكِ فَلِيمَ وَالْتَأَمَ الفُطُورُ

ثم استطرد فذكر جماعة ممن طلَّق زوجته؛ فندم وقال في ذلك شعرًا، قال:

وَمَا رَأَيْتُ شَاعِرًا بَيْنَ الوَرَى ١٢٤ طَلَّقَ إِلَّا عَابَ مَا مِنْهُ جَرَى
مِثْلُ: ابْنِ شَاسٍ، قَيْسٍ، الفَرَزْدَقِ، ١٢٥ وَابْنِ أَبِي بَكْرٍ. لِسَانَكَ اتَّقِ

هؤلاء أربعة: اثنان من الصحابة، واثنان ممن بعدهم.

مثل ابن شاس: عمرو بن شاس ﷺ كان له ابن يقال له: عَرار، ماتت أمُّه وعرار مُرْضَع، فتزوج عمرو بن شاس امرأة فكانت تُسيء إلى عرار هذا، فقال لها عمرو –وكان يُحب ابنه عرارًا حبًّا عظيمًا– قال:

[الطويل]

أردتِ عَرارًا بالهَوَانِ ومَنْ يُرِدْ * عرارًا لَعَمْرِي بالهوانِ فقد ظَلَمْ
فإنَّ عرارًا إن يكُن غيرَ واضِحٍ * فإني أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ
فإن كنتِ مِنِّي أو تُريدينَ صُحْبَتي * فَكُوني لهُ كالسَّمْنِ رُبَّتْ لهُ الأَدُمْ
وإلَّا فَسِيري سَيْرَ راكبِ ناقةٍ * تَيَمَّمَ خَبْتًا ليس فِي سَيْرِهِ أَمَمْ

وقد جَهَدَ عمرو في أن يُصلح من شأن امرأته فلم يمكنه ذلك، فطلقها ثم ندم فلام نفسه؛ فقال:

[الطويل]

تَذَكَّرَ ذِكْرَى أُمِّ حَسَّانَ فَاقْشَعَرْ * على دُبُرٍ لمَّا تَبَيَّنَ مَا ائْتَمَرْ
تَذَكَّرْتُها وَهْنًا وقد حالَ دُونَها * رِعانٌ وقِيعانٌ بها الماءُ والشَّجَرْ
فكنتُ كذاتِ البَوِّ لمَّا تَذَكَّرَتْ * لها رُبَعًا حَنَّتْ لِمَعْهَدِهِ سَحَرْ

كنت كذات البوِّ: (البَوُّ) جلد ولد الناقة أو البقرة يُحْشى تِبْنًا أو نحوه ثم يُقرَّب إلى أمه؛ فَتُدِرُّ، فيقول: كنت كهذه الناقة التي قُرِّب إليها جلد ولدها فدرَّت لما تذكرت لها رُبَعًا، و(الرُّبَع) فَصِيلٌ يُنْتَجُ في الربيع وهو أول النِّتاج.

قيس: هو قيس بن ذَرِيح طلق امرأته فتَبِعَتْها نفسه، وكان أبوه قد أمره بطلاقها فطلقها، وكاد أن يذهب عقله بعد طلاقها، وندم على ذلك أشد الندم، وقال في ذلك:

[الوافر]

فَوَا كَبِدِي عَلَى تَسْرِيحِ لُبْنَى * فَكَانَ فِرَاقُ لُبْنَى كَالخِدَاعِ
تَكَنَّفَنِي الوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي * فَيَا لَلنَّاسِ لِلْوَاشِي المُطَاعِ
فَأَصْبَحْتُ الغَدَاةَ أَلُومُ نَفْسِي * عَلَى أَمْرٍ وليس بِمُسْتَطَاعِ
كَمَغْبُونٍ يَعَضُّ عَلَى يَدَيْهِ * تَبَيَّنَ غَبْنُهُ بَعْدَ البِيَاعِ

الفرزدق: ممن طلق زوجته فندم، وكان من خبره أن ابنة عمه النَّوَارَ خطبها رجل فرضيَت به، ولم يكن أحدٌ أقرب إليها من أوليائها من الفرزدق، فسألَتْه أن يُزوِّجَها إياه، فقال: حتى تُشهِدي الناس أنكِ قد جعلْتِ أمركِ إليَّ. فلما أشهدتِ الناس على ذلك قام في الناس وقال: أشهدكم أني زوجتُها نفسي. فنفَرت من ذلك وناكرته، وكان عبدالله بن الزبير –رضي الله عنهما– يُدعى له بالخلافة وكان في مكة؛ فحملها حَيٌّ من العرب إليه، فقال في ذلك الفرزدق:

[الطويل]

وَإِنَّ امْرَأً يَسْعَى يُخَبِّبُ زَوجَتِي * كَسَاعٍ إِلَى أُسْدِ الشَّرَى يَسْتَبِيلُهَا
وَمِنْ دُونِ أَبْوَالِ الأُسُودِ بَسَالَةٌ * وأَيْدٍ طِوَالٌ يَمْنَعُ الضَّيْمَ طُولُهَا

ولم يُدرك الفرزدقُ النَّوارَ حتى قدمَتْ مكة، فنزلَتْ على زوجة عبدالله بن الزبير واسمها: تُمَاضِر بنتُ مَنظُورِ بن زَبَّان، ونزل هو على حمزة بن عبدالله بن الزبير، ومدحه بشعر، لكن كان يرى أن كل ما أصلح حمزةُ من أمر عبدالله بن الزبير في النهار أفسدته زوجه تماضر في الليل، فقال في ذلك:

[البسيط]

أَمَّا البَنُونُ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ * وَشُفِّعَتْ بِنْتُ مَنْظُورِ بنِ زَبَّانَا
لَيْسَ الشَّفِيعُ الَّذِي يَأْتِيكَ مُؤْتَزِرًا * مِثْلَ الشَّفِيعِ الَّذِي يَأْتِيكَ عُرْيَانَا

فبلغ ذلك عبدالله بن الزبير فأَحْفَظَه ودعا النَّوَار، وقال: إن شِئْتِ فرَّقتُ بينكما وبعثتُه إلى ثَغْر من ثغور المسلمين وأرحت المسلمين من شرِّ لسانه، وإلا فهو ابن عمك وهو فيك راغب، فأزوجه إيَّاك. فقالت: نعم. ثم إن الفرزدق تزوج عليها وهجاها وآذاها، فلم تزل تسأله طلاقها حتى أجابها إلى ذلك، وطلبت منه أن يشهد الحسن البصري، فذهب وأشهد الحسن البصري، وقال: أشهدك أن النَّوَار طالقٌ ثلاثًا. فقال الحسن: قد شهدنا. فلما انصرف ندم على ما فعل، فقال له صاحبه: والله إني أرى أنَّ ندمك سيَتَرَقْرَق؛ أتدري من أشهدت؟ أشهدتَ الحسن البصري! والله لئن رجعت لتُرْجَمَنَّ بأَحْجارِك. فقال الفرزدق في هذا:

[الوافر]

نَـدِمْتُ نَدَامَـةَ الكُسَـعِيِّ لَمَّـا * غَـدَتْ مِنّـي مُـطَلَّقَـةً نَـوَارُ
وَكَانَتْ جَنَّتي فخرجتُ مِنْها * كَآدَمَ حِيـنَ أَخْـرَجَهُ الضِّـرَارُ
فَكُنْـتُ كَفَـاقِئٍ عَيْنَيْـهِ عَمْـدًا * فَأَصْـبَحَ لَا يُضِـيءُ لَهُ نَـهَارُ

وابن أبي بكر: ممن طلق زوجته فتبعتها نفسه عبدالله بن أبي بكر الصديق –رضي الله عنهما- فإنه كان قد تزوج عاتِكَة بنت زيد بن عمرو بن نُفَيْل –هي أخت سعيد بن زيد ﷺ المُبشر بالجنة وابنة عمِّ عمر بن الخطاب ﷺ- وكانت حسناء جميلة ذات خَلْقٍ بارِع، وخُلُقٍ رائع؛ فأُولِع بها، وشغلته عن كثير من أعمال الخير، ومن ذلك المغازي؛ فأمره أبوه بطلاقها لذلك، فقال:

[الطويل]

يقولونَ طلِّقْها وخَيِّمْ مَكانَها * مُقِيمًا تُمَنِّي النَّفسَ أحلامَ نائمِ
وإنَّ فِراقي أهلَ بيتٍ جَمَعْتُهُمْ * على كَبْرَةٍ مِنِّي لإحدى العَظائِمِ

فعزم عليه أبوه حتى طلقها، ثم تبعتها نفسه، فهَجَمَ عليه أبو بكر –أي دخل عليه بَغْتَةً- وهو يقول:

[الطويل]

أعاتِكَ لا أنْساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ * وما ناحَ قُمْرِيٌّ الحَمامُ المُطَوَّقُ
أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ * إليكِ بما تُخْفي النُّفوسُ مُعَلَّقُ
ولم أرَ مثلي طلَّقَ اليومَ مثلَها * ولا مثلَها في غيرِ جُرْمٍ تُطلَّقُ
لها خُلُقٌ جَزْلٌ ورَأْيٌ ومَنْصِبٌ * وخَلْقٌ سَوِيٌّ في الحياءِ ومَصْدَقُ

فَرَقَّ له أبوه فأذن له بارْتِجاعِها، فقال حين ارتجعها:

[الطويل]

أعاتِكَ قد طُلِّقْتِ في غَيرِ رِيبَةٍ * ورُوجِعْتِ للأمْرِ الذي هو كائنُ
كذلك أَمْرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ * على الناسِ فيهِ أُلْفَةٌ وتَبايُنُ
وما زالَ قلبي للتَّفَرُّقِ طائرًا * وقلبي لما قد قَرَّبَ اللهُ ساكِنُ
لِيَهْنِكِ أَنِّي لا أرى فيكِ سَخْطَةً * وأنَّكِ قد تمَّتْ عليكِ المَحاسِنُ
وأنَّكِ ممَّنْ زَيَّنَ اللهُ وَجْهَهُ * وليس لوَجْهٍ زانَهُ اللهُ شائنُ

لسانك اتق: اتق لسانك حتى لا تقول بعد ذلك كما قال عبيدالله :

فَذُقْ هَجْرَهَا قَدْ كُنتَ تَزْعُمُ أَنَّهُ * رَشَادٌ أَلَا يَا رُبَّمَا كَذَبَ الزَّعْمُ

(إِنَّ الَّتِي) (لَقَدْ عَلِمْتُ) رَاقَتِ ١٢٦ أَوْفَيْتَ عُرْوَةُ عَلَى الإِجَادَةِ
أَصِخْ لَهُ وَأَوْلِهِ مِنْكَ النَّظَرْ ١٢٧ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ هَلْ يَخْفَى القَمَرْ!

من أهل العلم والشعر بالمدينة عُرْوَة بن أُذَيْنَة اللَّيْثي، وهو معدود من الفقهاء والمحدِّثين، وهو من التابعين؛ سمع من ابن عمر –رضي الله عنهما– وروى عنه الإمام مالك في الموطأ، وكان يخرج في الثلث الأخير من الليل فينادي:

﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ٩٧ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٨]. الصلاة.. الصلاة..

وهو مع ذلك من مُقَدَّمي الشعراء، ترى شعره في الأغاني، وفي الحماسة، وفي سائر أُمَّات كتب الأدب، ومن عيون شعره وأصدقه تعبيرًا عن عاطفة الحبِّ الدفين في القلب، تلك الأبيات الرقيقة التي تعلَّق بها المُحِبُّون التي يقول فيها:

[الكامل]

إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فُؤَادَكَ مَلَّهَا * خُلِقَتْ هَوَاكَ كما خُلِقتَ هَوًى لهَا
فَبِكَ الَّذِي زَعَمَتْ بِهَا وَكِلَاكُمَا * يُبْدِي لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَيَبِيتُ بَيْنَ جَوانِحِي حُبٌّ لهَا * لَوْ كَانَ تَحْتَ فِرَاشِهَا لَأَقَلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا * يَوْمًا وقَد ضَحِيَتْ إِذًا لَأَظَلَّهَا
بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا * بِلَبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ * شَفَعَ الفُؤَادُ إِلَى الضَّمِيرِ فَسَلَّهَا
لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِيَ حَاجَةٌ * أَرْجُو مَعُونَتَهَا وَأَخْشَى ذُلَّهَا
مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي * مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ * مِن أَجْلِ رِقْبَتِهَا فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا

وهو في تعلُّق المحبين بشعره كابن أبي ربيعة، إلا أنه كان على جانب عظيم من الصِّيانة، ومن الطريف أن أبا السائب المخزومي –وكان كثير الطَّرَب، غزير الأدب، وله فكاهات مذكورة، وأخبار مشهورة، وجَدُّه كان شريك النَّبي ﷺ قال فيه ﷺ: **«مرحبًا بأخي وشريكي كان لا يُداري ولا يُماري»**– جاء أبو السائب المخزومي هذا إلى عروة بن عبيدالله، وكان عروة بن عبيدالله سمع هذه القصيدة من عروة بن أذينة صاحبها، فقال عروة لأبي السائب: أَلَكَ حاجة؟ قال أبو السائب: نعم، أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه. قال عروة:

وأيُّ أبيات؟ فقال أبو السائب: وهل يخفى القمر؟! فهذا الذي أراد بقوله: "أصخ له وأوله منك النظر * في اللية الظلماء هل يخفى القمر" أصخ له: أصاخ له إذا استمع وأنصت لقوله. وله قصيدة رقيقة في النَّسيب لم يُخْلِها من حكمٍ جَزْلَةٍ فخمة، مطلعها:

[البسيط]

أفي رُسومِ مَحَلٍّ غيرِ مَسْكونِ * مِن ذي الأَجارِعِ كادَ الشوقُ يُبْكِيني

يقول فيها:

إني امرؤٌ لم يَخُنْ وُدِّي مُكاذَبَةٌ * ولا الغِنى حِفْظَ أهلَ الوُدِّ يُنْسِيني
لقد عَلِمتُ وَمَا الإشْرافُ من خُلُقِي * أَن الذي هُوَ رِزْقِي سوفَ يأتيني
أَسْعَى له فيعنِّيني تَطَلُّبُهُ * ولو قَعَدتُ أَتَاني لا يُعَنِّيني
وأنَّ حَظَّ امْرِئٍ غيري سيأخُذُهُ * لا بُدَّ لا بُدَّ أن يَحْتازَهُ دُوني
فَلَنْ أُكَلِّفَ نفسي فوقَ طاقَتِها * حِرْصًا أُقيمُ بهِ في مَعْطِنِ الهُونِ
أَبَيْتُ ذلك رأيًا لستُ قارِبَهُ * ولا مُعَرِّضَهُ عِرْضي ولا دِيني
مَنْ كانَ مِن خَدَمِ الدُّنيا أَشَتَّ به * حتى يُقالَ صحيحٌ مثلُ مجنونِ

إلى أن يقول:

فما امرؤٌ لم يُضِعْ دينًا ولا حَسَبًا * بِفَضْلِ مالٍ وَقَى عِرْضًا بِمَغْبُونِ
كم مِن فقيرٍ غنيِّ النَّفْسِ تَعْرِفُهُ * ومِن غَنيٍّ فقيرِ النَّفْسِ مسكينِ

وقوله فيها: "لقد علمت وما الإشراف من خلقي..." له خبر: وهو أنه خرج مرة مع أهل العلم والفضل من المدينة إلى الشام، كان في وفد إلى هشام بن عبدالملك أمير المؤمنين آنذاك، وكان هشام يقضي حاجاتهم، فلما رأى عروة قال: أنت القائل: "لقد علمت وما الإشراف من خلقي * أن الذي هو رزقي سوف يأتيني"؟!

والله ما أراك إلا كذَّبت نفسك! فقال عروة: صدقت يا أمير المؤمنين، لقد أذكرتني ما كنت ناسيًا؛ فخرج من فَوْره وركب راحلته ورجع إلى المدينة. وفي اليوم الثاني سأل هشام بن عبدالملك عنه، قال: أين عروة؟ فقالوا: إنه رجع إلى المدينة. فلام نفسه، وقال: رجل من قريش وفد إليَّ فَجَبَهْتَه ورددته عن حاجته، وهو مع ذا شاعر، لا آمن أن يقول فيَّ ما يبقى ذكره؛ فوجَّه إليه رسولًا بألف دينار، وقال: أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فما أدركه الرسول إلا وقد دخل داره في المدينة، فطرق عليه الباب، فخرج، فقال له الرسول: هذه ألف دينار من الخليفة. فقال عروة: أبلغ أمير المؤمنين مني السلام، وقل له: كيف رأيت قولي: "أسعى له فيعنيني تطلبه ❊ ولو قعدت أتاني لا يعنيني"؟!

(فَالجِدُّ يُدْنِي) قَالَهُ المُطَّلِبِي ١٢٨ أَفْقَهُ مَنْ شَعَرَ وَاعْكِسْ تُصِبِ

الإمام محمد بن إدريس الشافعي غطَّت شهرته الفقهيَّة شاعريته، وقد كان شاعرًا مُجيدًا شهد له المتقدمون بأنه كان من أشعر الناس، وأحسنهم افتنانًا في الشعر، وقد شهد له الأئمة بأن كلامه حجَّة في اللغة، وكان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجالسه في الفقه، مع أنهم لا يتعاطون العلم، وما كانوا يفعلون ذلك إلا ليسمعوا لغته، وقد كان أهل الأدب يأتونه فيقرأون عليه الشعر؛ فيفسره لهم، ويتكلم على معانيه مما ليس عندهم، وقد قرأ الأصمعي على الشافعي: شعر هُذَيْل، وشعر الشَّنْفَرى. ولم يسلم شعر العبَّاسيين من العبث والانتحال، والغلط في النِّسْبَة، وقد كان لشعر الشافعي نصيب من ذلك، فليس كل الشعر المنسوب إلى الشافعي صحيح النِّسبة إليه، وأقتصر هنا على الإشارة إلى قصيدة واحدة من قصائده هي المشار إليها في النظم، وإن كانت ليست من أرفع شعره إلا أن لها قصة تناسب ما نحن فيه من أن أدب الفقهاء لا يقصر عن أدب غيرهم، وهي ما حكاه أبو القاسم بن الأزرق كما في (**معجم الأدباء**) وغيره، قال: "دخلت على الشافعي فقلت: يا أبا عبدالله ما تُنْصِفُنا؟! لك هذا الفقه تفوز بفوائده، ولنا هذا الشعر، وقد جئت تداخلنا فيه؟! فإما أفردتنا بالشعر أو

أشركتنا في الفقه، وقد جئت بأبيات إن أَجَزْتَها بمثلها؛ تُبْتُ أنا من الشعر، وإن عجزتَ عنها تُبْتَ أنت، فقال لي: إيه يا هذا. قال أبو القاسم: فأنشدته:

[الكامل]

ما هِمَّتي إلا مُقارَعَةُ العِدَا * خَلِقَ الزَّمانُ وهِمَّتي لم تَخْلَقِ
والنَّاسُ أعيُنُهم إلى سَلَبِ الفَتى * لا يسألونَ عن الحِجا والأَوْلَقِ
لكنَّ مَنْ رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنى * ضدَّان مُفترِقان أيَّ تَفَرُّقِ
لو كانَ بالحِيَلِ الغِنى لَوَجَدتني * بنُجُومِ أَقْطارِ السَّماءِ تَعَلُّقي

الأولق: الجنون. فقال الشافعي: ألا قلتَ كما أقول أنا الآن ارتجالًا:

إنَّ الذي رُزِقَ اليَسارَ ولم يَنَلْ * حَمْدًا ولا أَجْرًا لَغيرُ مُوَفَّقِ
فالجَدُّ يُدْني كلَّ أَمْرٍ شاسِعٍ * والجَدُّ يفتحُ كلَّ باب مُغْلَقِ
فإذا سمعتَ بأنَّ مَجْدُودًا حَوى * عُودًا فأَثْمَرَ في يَدَيْهِ فحَقِّقِ
وإذا سمعتَ بأنَّ مَحْرومًا أَتى * ماءً لِيَشْرَبَهُ فغَصَّ فصَدِّقِ
ومِن الدَّليلِ على القضاءِ وكَوْنِهِ * بُؤسُ اللَّبيبِ وطِيبُ عَيشِ الأحْمَقِ

فقال ابن الأزرق: فقلت: تالله لا قلتُ شعرًا أبدًا.

مَنْ ذَا الَّذِي يُدْرِكُ شَأْوَ الشَّافِعِي! ١٢٩ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِنْ مَشَى كَالظَّالِعِ

من ذا الذي يدرك شأو الشافعي: الشَّأْوُ: الغاية والأَمَد، والشأو أيضًا؛ السَّبق. يقال: شَآهُم شَأْوًا؛ إذا سبقهم.

ليس الصحيح إن مشى كالظالع: يقال: ظَلَعَ الرجل؛ إذا غَمَزَ في مشيه، وهو شبيه بالعَرَج؛ ولذا يقال: الظَّلْعُ عَرَجٌ يسير.

وَاذْكُـرْ أَدِيـبَ الفُقَهَـا الجُرْجَـانِي ١٣٠ مَـنْ صَـانَ حَـقَّ العِلْـمِ كُلَّ آنِ

القاضي العلامة أبو الحسن عليُّ بن عبدالعزيز الجرجاني؛ فقيه كبير من فقهاء الشافعية، له قصيدة هي من غُرَر الشعر، سارت في الآفاق، وتناشدها العلماء وحفظوها، وكان بعضهم يلقِّنها طلابه، يقول فيها:

[الطويل]

يَقُولُونَ لِي فيكَ انقِبَاضٌ وَإِنَّمَا * رَأَوْا رَجُلًا عن مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَن دَانَاهُمُ هَانَ عِندَهُمْ * وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي * وَلا كُلُّ مَن لاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَإِنِّي إِذَا مَا فَاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ * أُقَلِّبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمَا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إِن كُنتُ كُلَّمَا * بَدَا طَمَعٌ صَيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّمَا
إِذَا قِيلَ هذا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى * وَلكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا
وَلَمْ أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ العِلمِ مُهْجَتِي * لِأَخْدُمَ مَن لاقَيْتُ لكِنْ لِأُخْدَمَا
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً * إِذَن فَاتِّبَاعُ الجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمَا
وَلَو أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهَمْ * وَلَو عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا * مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

قال ابن السُّبْكي في ترجمة القاضي الجرجاني بعد أن ساق هذه الأبيات: "لله هذا الشعر، ما أبلَغَه وأَصْنعَه! وما أعلى على هامِ الجَوْزاءِ مَوْضِعَه! وما أنفعَه لو سَمِعَه مَنْ سَمَعَه!.. وهكذا فَلْيَكُن وإلا فلا أَدَبُ كل فقيه".

ومن نظر في ثناء الثعالبي عليه في كتابه (**يتيمة الدَّهر**) يظنه يصف أديبًا لا صنعة له إلا الأدب، لا يظنه يصف فقيهًا قاضيًا علامة! قال الثعالبي في ترجمة أبي الحسن الجرجاني: "حَسَنَة جُرْجان، وفرد الزَّمَان، ونادرة الفَلَك، وإنسان حَدَقَةِ العلم، ودُرَّة تاج الأدب، وفارس عسكر

الشعر، يجمع خطَّ ابن مُقْلَة إِلَى نثر الجاحظ وشعر البُحْتُرِيّ، وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه، وله يقول الصَّاحِب:

[الطويل]

إذا نحنُ سَلَّمْنا لكَ العِلْمَ كُلَّهُ ❋ فَدَعْ هذه الألفاظَ نَنْظِمْ شُذُورَها

فهذا فقيه، وقد أتى بهذا الشعر!

لِلْعَلَمِ البُسْتِيِّ (عُنْوَانُ الحِكَمْ) ١٣١ شِمْ بَرْقَهَا وَاسْتَمْطِرَنْ تِيكَ الدِّيَمْ
فَاقَتْ بَدِيعَ الدُّرِّ فِي نِظَامِهِ ١٣٢ أَزْرَتْ بِزَهْرِ الرَّوْضِ فِي أَكْمَامِهِ

شم برقها: يقال: شامَ البرقَ؛ إذا نظر إلى سحابته أين تُمطر. الديم: جمع دِيمَة؛ والدِّيمة مطر يدوم مع سكون. أزرت: الإزراء؛ التهاوُن بالشيء، يقال: أَزْرَى به إذا قصَّر به.

أبو الفتح عليُّ بن محمد البستي الكاتب من الشعراء العلماء، فهو شاعر ناثر، ومحدِّث فاضل، وفقيه شافعي، وهذه الأوصاف التي تُذكر في تراجم الأعلام هي ممن ترجم لهم، ليس مني إلا النقل، وقد أكثر من سماع الحديث من الإمام ابن حِبَّان صاحب الصحيح، وروى عنه الحاكم صاحب المُستدرك، وقال عنه: "هو أَوْحَد عصره في بابه" –يعني في الأدب والشعر وحسن البيان والكتابة إلى جانب أنه محدث فقيه– وله نثر رائع بديع يكثر فيه التَّجْنِيس والتَّسْجِيع، ومن أقواله الحكيمة التي جرت مجرى الأمثال قوله:

"عاداتُ السَّاداتِ ساداتُ العادات". "أحسنُ جُنَّة لُزومُ السُّنَّة". "الإنصافُ أحسنُ الأوصاف". "المَنِيَّة تضحكُ مِن الأُمْنِيَّة". "مَن أصلحَ فاسِدَه أَرْغَمَ حاسِدَه". "مَن أطاعَ غضبَه أضاعَ أدبَه". "مِن سعادةِ جَدِّكَ وُقوفُكَ عندَ حَدِّك". "إذا بقيَ ما قاتَك فلا تأس على ما فاتك".

فهذه من أقواله الحكيمة التي صارت تجري مجرى الأمثال. ومن شعره قوله – وهو من شواهد الجناس عند البلاغيين– :

[البسيط]

وَإِنْ أَقَــرَّ عَلَــى رَقٍّ أَنَامِلَــهُ * أَقَـرَّ بِـالرِّقِّ كُتَّـابُ الأَنَـامِ لَـهُ

يقـول: (وإن أقـرَّ) أي أثبت، (على رقٍّ) أي على ورقٍ، (أناملـه) أي أطراف أصابعـه، (أقرَّ بالرِّقِّ) أي اعترف بالمَمْلوكِيَّة، (كتاب الأنام له) أي كُتَّاب الناس. ومن شعره قوله:

[مجزوء الوافر]

إِلَى حَتْفِـي سَـعَى قَدَمِـي * أَرَى قَــدَمِي أَرَاقَ دَمِــي

(أرى قدمي) من الرؤية، و(أراق دمي) سَفَكَ دمي. ومنه قوله:

[المتقارب]

خُـذِ العَفْـوَ وَأْمُـرْ بِعُـرْفٍ كَمَـا * أُمِرْتَ وَأَعْرِضْ عن الجَاهِلِيـنْ
وَلِـنْ فِـي الكَـلَامِ لِكُـلِّ الأَنَـامِ * فَمُسْتَحْسَنٌ مِن ذَوِي الجَاهِ لِيـنْ

الأولى: (أعرض عن الجاهلين) جمع جاهل، والثانية: (من ذوي الجاه) أي المكانـة (لين).

وله قصيدته: **"عُنوانُ الحِكَم"** التي عُرف بها، وهي من غُرَر القصائد، وأحسنها سبكًا، وأعذبها لفظًا، تفيض بالنصح والتذكير، والهداية والتبصير، وهي أطول قصائده وأشهرها، يستهيم في حفظها وروايتها أهل الأدب، ويُعنى بها الناس حتى الصِّبيان في المكتب، وهي في ثلاثة وستين بيتًا، يقول فيها:

[البسيط]

زِيَادَةُ الـمَـرْءِ فِـي دُنيَـاهُ نُـقْصَانُ * وَرِبْحُهُ غَيرَ مَحْضِ الخَيرِ خُسْـرَانُ
وكُـلُّ وِجْـدَانِ حَـظٍّ لا ثَبَـاتَ لَـهُ * فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِـي التَّحْقِـيقِ فِقْـدَانُ

يَا عَامِرًا لِخَرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا ❋ باللهِ هَلْ لِخَرَابِ العُمْرِ عُمْرَانُ
وَيَا حَرِيصًا على الأمْوَالِ تَجْمَعُهَا ❋ أُنْسِيتَ أَنَّ سُرُورَ المَالِ أَحْزَانُ
زَعِ الفُؤَادَ عَنِ الدُّنيَا وَزِينَتِهَا ❋ فَصَفْوُهَا كَدَرٌ وَّالوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَرْعِ سَمْعَكَ أَمثَالًا أُفَصِّلُهَا ❋ كَمَا يُفَصَّلُ يَاقُوتٌ ومَرْجَانُ

وفيها يقول:

يَا خَادِمَ الجِسْمِ كمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ ❋ أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاستَكْمِلْ فَضَائِلَهَا ❋ فَأَنتَ بِالنَّفْسِ لا بِالجِسْمِ إِنسَانُ

وفي آخرها قوله:

وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ الدِّينَ يَجْبُرُهُ ❋ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ
خُذْهَا سَوائرَ أَمْثَالٍ مُهذَبَةً ❋ فيها لِمَن يَبْتغِي التِّبْيَانَ تِبْيَانُ
ما ضَرَّ حسَّانَها والطَّبْعُ صائِغها ❋ أنْ لم يَصُغْها قَرِيعُ الشِّعْرِ حسَّانُ

لِلمَالِكِيْ ابْنِ نَصْرٍ البَغْدَادِي ١٣٣ (مَتَى تَصِلْ) تُرْوِي الغَلِيلَ الصَّادِي

القاضي عبدالوهاب البغدادي من أَعْيان علماء الإسلام، وكان شيخ المالكيَّة في عصره وعالمهم، قال الخطيب في تاريخه: "لم أَلْقَ أفقه منه". ومع ذلك كان أديبًا شاعرًا كبيرًا، قال ابن بسَّام في الذَّخيرة: "وقد وجدت له شِعْرًا معانيه أَجْلى من الصُّبح، وألفاظه أحلى من الظَّفَر بالنُّجْح". وكان قد خرج من بغداد بسبب الفاقة، وشيَّعه يوم فصل عنها من أكابرها وأصحاب مَحابِرِها جملة مَوْفُورَة، وطوائف كثيرة؛ فقال: "لو وجدت بين ظَهْرانَيْكُم رَغِيفَيْنِ كل غداة وعشيّ؛ ما عَدَلْتُ ببلدكم بلوغ أُمْنِيَّة". واجتاز في طريقه بمَعَرَّةِ النُّعْمان قاصدًا مصر، وبالمعرة يومئذ أبو العلاء المَعَرِّيّ؛ فأضافه واحتفى به، وفي ذلك يقول المعري

في جملة أبيات:

[البسيط]

والمالِكيُّ ابنُ نَصْرٍ زارَ في سَفَرٍ * بلادَنا فَحَمِدْنا النَّأيَ والسَّفَرَا
إذا تَفَقَّهَ أَحْيَا مالِكًا جَدَلًا * ويَنْشُرُ المَلِكَ الضِّلِّيلَ إنْ شَعَرَا

الملك الضِّليل: امرؤ القيس، وهذه شهادة عالية؛ جعله في الفقه كمالك، وفي الشعر كامرئ القيس. ثم في مصر فُتحت عليه الدنيا؛ فمات من أكلة اشتهاها فأكلها، وقال كلمته المشهورة: "لا إله إلا الله؛ لمَّا عِشْنا مِتْنا". وقد بقي قلبه متعلِّقًا ببغداد، وفيها يقول:

[الطويل]

سلامٌ على بغدادَ مِن كلِّ مَوْطِنٍ * وَحُقَّ لها منِّي سَلامٌ مُضاعَفُ
فـواللهِ ما فارَقْتُها قالِيًا لَها * وإني بِشَطَّيْ جانِبَيْها لعارِفُ
ولكنَّها ضاقتْ عليَّ بِأَسْرِها * ولم تكن الأرْزاقُ فيها تُساعِفُ
وكانتْ كَخِلٍّ كنتُ أَهْوَى دُنُوَّهُ * وأَخلاقُهُ تَنْأى بهِ وتُخالِفُ

وقال فيها لما ضاقت به الحال:

[البسيط]

بغدادُ دارٌ لأهلِ المالِ طَيِّبَةٌ * ولِلْمَفاليسِ دارُ الضَّنْكِ والضِّيقِ
ظَلِلْتُ حَيْرانَ أَمْشِي في أَزِقَّتِها * كأنَّني مُصْحَفٌ في بَيْتِ زِنْدِيقِ

وقصيدته المشار إليها هنا في قوله: (متى تصل) تروي الغليل الصادي هي قوله:

[الوافر]

متى تَصِلُ العِطاشُ إلى ارتِواءٍ * إذا استَقَتِ البِحارُ مِن الرَّكايا
ومَنْ يَثْني الأصاغِرَ عن مُرادٍ * وقد جلسَ الأكابِرُ في الزَّوايا
وإنَّ تَرَفُّعَ الوُضعاءِ يومًا * على الرُّفعاءِ مِن إحدى البَلايا
إذا استَوتِ الأسافِلُ والأعالِي * فقد طابتْ مُنادَمَةُ المَنايَا

(كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ وَصَلْنَا) حَاوِ ١٣٤ (لِابْنِ دَقِيقِ العِيدِ ذِي الفَتَاوِي)

ابن دقيق العيد كان علَّامة حافظًا مجتهدًا مُبَرِّزًا في جميع العلوم، كما قال الناظم:

[الوافر]

وكان مِن العلومِ بحيثُ يُقضى * لهُ مِن كلِّ علمٍ بالجميعِ

وكان محقِّقًا للمذهبين: المالكي والشافعي، قال بعضهم:

[الوافر]

صَبا لِلْعِلْمِ صَبًّا في صِباهُ * فأعلِ بِهِمَّةِ الصَّبِّ الصَّبيِّ
فأَتْقَنَ والشَّبابُ لهُ لباسٌ * أَدِلَّةَ مالكٍ والشَّافعيِّ

(لابن دقيق العيد ذي الفتاوي): مُضمَّنٌ من (مراقي السُّعود). وكان ابن دقيق العيد مع ذلك شاعرًا كبيرًا، ومن لطيف شعره قوله:

[السريع]

كَمْ لَيلَةٍ فِيكَ وَصَلْنَا السُّرَى * لا نَعْرِفُ الغَمْضَ ولا نَسْتَرِيحْ
وَاختَلَفَ الأَصْحَابُ ماذا الَّذِي * يُزِيلُ مِن شَكْوَاهُمُ أَوْ يُرِيحْ
فَقِيلَ تَعْرِيسُهُمُ سَاعَةً * وقِيلَ بَلْ ذِكْرَاكَ وَهْوَ الصَّحِيحْ

انظر إلى هذه الأبيات ما ألطفها! بينما هو يصف أحوالهم في السُّرى ، ومشقتهم في التعب؛ إذ كأنه في حَلْقَة الدرس، وقد شرع يشرح مسألة علمية، يقول: **"واختلف الأصحاب"** ويحكي الخلاف، فقيل كذا..وقيل كذا..**"وهوالصحيح"** ويُرجِّح!

حتى قال الصَّفَديُّ في هذه الأبيات: ما رأيت أحسن من هذا! ثم قال: إنه يَحْرُم هذا النظم على غير الشيخ تقيِّ الدين.

[المتقارب]

فلم تكُ تَصْلُحُ إلَّا له ❋ ولم يكُ يَصْلُحُ إلَّا لها

قال: وما أحقَّه بقول الأَرَّجانيّ:

[الكامل]

أنا أَشْعَرُ الفُقَهَاءِ غَيرَ مُدَافَعٍ ❋ في العَصْرِ لا بَلْ أَفْقَهُ الشُّعَرَاءِ

وَلِلْفَقِيْهِ الشَّاعِرِ ابْنِ الوَرْدِي ١٣٥ لَامِيَّةٌ فَيَّاضَةٌ بِالرُّشْدِ

(نَصِيْحَةُ الإِخْوَانِ) صَدْرُهَا (اعْتَزِلْ) ١٣٦ حَلِّ بِهَا الخِلَالَ عَنْهَا لَا تَمِلْ

القاضي عمر بن الوردي من الفقهاء الشعراء له: (البَهْجَةُ الوَرْدِيَّة) نظم فيها (الحاوي) في فقه الشافعية في أكثر من خمسة آلاف بيت، وشعره رقيق يدل على ذوقٍ رفيع، قال الحافظ ابن حجر: "وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا قصَّر دونه". ووصف ابن السُّبكي شعره بأنه أحلى من السكَّر المكرَّر، وأعلى قيمة من الجوهر! وله تلك اللَّاميَّة التي سارت كل مسار، واشتهرت أيَّ اشتهار، المُسمَّاة: **(نصيحة الإخوان ومُرشِدة الخُلَّان)** يقول فيها:

[الرمل]

اعتَزِلْ ذِكْرَ الأَغَانِي وَالغَزَلْ ❋ وَقُلِ الفَصْلَ وَجَانِب مَنْ هَزَلْ
وَدَعِ الذِّكْرَى لِأَيَّامِ الصِّبَا ❋ فلِأَيَّامِ الصِّبَا نَجْمٌ أَفَلْ

قال فيها:

اطلُبِ العِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا * أَبْعَدَ الخَيرَ على أَهْلِ الكَسَلْ
وَاحتَفِلْ لِلفِقْهِ فِي الدِّينِ ولا * تَشْتَغِلْ عَنهُ بِمَالٍ وخَوَلْ
وَاهجُرِ النَّومَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ * يعرِفِ المَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَذَلْ

وفيها قوله:

جَمِّلِ المَنطِقَ بِالنَّحْوِ فَمَن * يُحْرَمِ الإِعْرَابَ فِي النُّطْقِ اختَبَلْ
انظِمِ الشِّعْرَ ولازِمْ مَذْهَبِي * فِي اطِّرَاحِ الرِّفْدِ فَالدُّنْيَا أَقَلْ
فَهْوَ عُنوانٌ على الفَضْلِ وَمَا * أَحْسَنَ الشِّعْرَ إذا لَمْ يُبتَذَلْ

وكان قد تولى القضاء ثم تركه وعزل نفسه واشتغل بالتعليم والتأليف، وله أبيات في ذم القضاء في لاميته وفي غيرها، من ذلك قوله فيها:

إِنَّ نِصْفَ النَّاسِ أَعْدَاءٌ لِمَن * وَلِيَ الأَحْكَامَ، هذا إِنْ عَدَلْ

وقوله وقد ألطف فيه ما شاء:

إِنَّ لِلنَّقْصِ وَالاستِثْقَالِ فِي * لَفْظَةِ القَاضِي لَوَعْظًا ومَثَلْ

يريد أن كلمة القاضي عند النُّحاة من الأسماء المنقوصة، ولا تظهر عليها الضمَّة والكسرة للثِّقل؛ فيقول: هذا فيه وعظ ومثل. وديوانه مليء بالأشعار الرائقة التي كثير منها فوق قصيدته هذه في الجودة.

وَلِلْإِمَامِ العَلَمِ ابْنِ القَيِّمِ ١٣٧ بَدَائِعُ أَنْعِمْ بِهَا وَأَكْرِمِ

حَقُّ العُلَا أَنْ تَزْدَهِي بِمِثْلِهِ ١٣٨ تُحْصَى الحَصَى مِنْ قَبْلِ إِحْصَا فَضْلِهِ

الإمام ابن قيِّم الجَوْزيَّة محمد بن أبي بكر الزُّرَعِيّ الدِّمشقيّ العلامة الكبير المجتهد

من قرأ في كتبه تبيَّن له أن الرجل من المُشمِّرين الصادقين في سيرهم إلى الله ﷻ والدار الآخرة، حتى إنك لترى في كتبه أنوار الكتاب والسُّنة ، وترى فيها أيضًا وَلَعَهُ بالشِّعر، وكثرة حفظه للأشعار والأمثال، وهو شاعر مُجيد، وكثير من شعره نظم؛ لكن له بدائع، من ذاك ما قال في مِيميَّته:

[الطويل]

إذا طلعتْ شمسُ النَّهارِ فإنها * أَمارَةُ تَسْلِيمِي عليكمْ فسلِّموا
أما والذي شقَّ القلوبَ وأَوْدَعَ الْـ * ـمَحَبَّةَ فيها حيثُ لا تَتَصَرَّمُ
وحمَّلها قَلْبَ المُحِبِّ وإنَّهُ * لَيَضْعُفُ عن حَمْلِ القَميصِ ويَألَمُ
وذلَّلها حتى استكانَتْ لِصَوْلَةِ الْـ * ـمَحَبَّةِ لا تَلْوِي ولا تَتَلَعْثَمُ
وذلَّلْ فيها أنفُسًا دُونَ ذلِّها * حِياضُ المَنايا فوقَها وَهْيَ حُوَّمُ
لأنتمْ على قُرْبِ الدِّيارِ وبُعْدِها * أَحِبَّتُنا إن غِبْتُمُ أو حَضَرْتُمُ
سَلُو نَسَماتِ الرِّيحِ كم قد تَحَمَّلتْ * مَحَبَّةُ صَبٍّ شَوْقُهُ ليس يُكْتَمُ
وكنتُ إذا ما اشتَدَّ بِي الشَّوقُ والجَوَى * وكادتْ عُرَى الصَّبْرِ الجميلِ تَفَصَّمُ
أُعَلِّلُ نفسي بالتَّلاقي وقُرْبِهِ * وأُوهِمُها لكنَّها تتوهَّمُ
وأُتْبِعُ طَرْفِي وِجْهَةٌ أَنْتُمُ بها * فَلِي بِحِماها مَرْبَعٌ ومُخَيَّمُ
وأذْكُرُ بَيْتًا قالَه بعضُ مَنْ خَلا * وقد ضَلَّ عنهُ صَبْرُهُ فَهْوَ مُغْرَمُ
أُسائلُ عنكمْ كلَّ غادٍ ورائحٍ * وأُومِي إلى أَوْطانِكُمْ وأُسلِّمُ
وكم يصبرُ المُشتاقُ عمَّن يُحِبُّهُ * وفي قلبِهِ نارُ الأَسَى تتضَرَّمُ

وأشهر قصائده النُّونيَّة، وهي تزيد على خمسة آلاف بيت، مطلعها:

[الكامل]

حُكْمُ المَحَبَّةِ ثابِتُ الأَرْكانِ * ما لِلصُّدُودِ بفَسْخِ ذاكَ يَدانِ

فَهَذِهِ قَلَائِدُ العِقْيَانِ ١٣٩ جَادَتْ بِهَا قَرَائِحُ الأَعْيَانِ

العقيان: الذهب الخالص. **الأعيان**: أعيان القوم؛ أشرافهم.

مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ يَصُغْهَا الحَادِرَهْ ١٤٠ يَا رَبِّ فَاجْمَعْنَا بِهِمْ فِي الآخِرَهْ

الحادرة: هو قُطْبَة بن أَوْس شاعر جاهلي، كان حسان بن ثابت ﷺ إذا قيل له: تُنُوشِدَت الأشعار في موضع كذا وكذا؛ يقول: هل أُنشدت كلمة الحُوَيْدِرَة؟!

[الكامل]

بَكَرَتْ سُميَّةُ غُدْوَةً فتَمَتَّعِي

قال أبو عبيدة: وهي من مُختار الشعر؛ أَصْمَعِيَّةٌ مُفَضَّلِيَّة.

يقول: ما ضرَّ هذه القصائد السابقة –قصائد الفقهاء– أن لم يصغها الحادرة، ما دامت قرائحهم قد جادت بها.

قَدْ عَنَّ بَحْرٌ وَالتَّيَمُّمُ بَطَلْ ١٤١ إِنْ طَلَعَ البَدْرُ فَعَدٍّ عَنْ زُحَلْ

قَدْ جَاءَكَ المُهَنَّدُ المَسْلُولُ ١٤٢ فَانْظُرْ -هَدَاكَ اللهُ- مَا تَقُولُ

هذا آخر ما ذُكر من دواعي العناية بالأدب، وهو أن العلماء والفقهاء اعتنوا به، وأجادوا وزاحموا فيه الشعراء، فلم يكن الفقه ليحول بينهم وبين أن يكونوا شعراء مبدعين؛ فهذا يدل على أهمية الأدب، وأن الاشتغال بالأدب ليس عبثًا، ولا مضيعة للوقت ، بل هو من صميم بنائك العلمي يا طالب العلم.

* * *

عُصُورُ الأَدَبِ

كنَّا فرغنا من مدارسة دواعي العناية بالأدب وشواهد تأثيره، وقد تعرفنا في المجالس السابقة على فضل الأدب، وأهميته، وتأثيره، والثمرات التي يجتنيها من اعتنى به، تعرفنا على ذلك من خلال أخبار العرب، وأشعارها، وكان الغرض من ذلك كله؛ إحياء حب الأدب في النفوس، وتشويق الطالب إليه، وأرجو أن يكون حصل شيء من ذلك.

فإن وَفَيْتُ فَحَقٌّ ذاكَ في عُنُقي * وإن أُقَصِّرْ فأنتُمْ أهـلُ إعْـذارِ

ثم انتقل إلى الكلام في عصور الأدب، وذكر في كل عصر أشهر أعلامه، أو مَن هم مِن أشهر أعلامه، وشيئًا من المنتخب المختار من أشعارهم. ولا بد للدرس الأدبي من تقسيم؛ لذا جرت عادة من يتكلمون في تاريخ الأدب أن يقسِّموا الأدب إلى عصور: أولها الجاهلي، ثم عصر صدر الإسلام، ثم العصر الأُمَوي، ثم العصر العباسي، ثم عصر الدول المتتابعة، ثم العصر الحديث من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا. وشعر الأندلس حقيق بأن يُشاد به؛ لذا أُفرد بالذكر هنا قبل العصر الحديث.

[العصر الجاهلي]

الجَاهِلِيْ صَدْرُ عُصُورِ الأَدَبِ ١٤٣ أَشْهَرُهُ مُعَلَّقَاتُ العَرَبِ

أقدم ما وصلنا من مطولات الشعر التي صحَّت روايتها تمتد إلى نحو مائة وخمسين سنة قبل الإسلام على ما ذكره أبو عثمان الجاحظ، قال: فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار؛ فمائتَيْ عام وقد ناقشه الأستاذ محمود شاكر في كتابه: (**قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلّام**).

وقد قيل: إن أول من قَصَّدَ القصائد، وذكر الوقائع هو مُهَلْهِل بن ربيعة التَّغْلِبيّ أخو كُلَيْب، وتبعه ابن أخته امرؤ القيس، وعَلْقَمة، وعَبِيد. ولم يكن للأوائل من الشعر إلا الأبيات يقولها الرَّجُل في حاجته. والشعر الجاهلي أعلى خصائص بيان البشر، وذِرْوَة كلام العرب، وأشهره (**المُعَلَّقات**). وسبب تسميتها بهذا فيما قيل: أنهم علقوها على الكعبة التي هي موضع

حجِّهم، وبيت أبيهم إبراهيم –عليه السلام- علقوها تعظيمًا لها، واحتفاءً بها. وإلى هذا أشار في الشمقمقية بقوله:

لو لم يكُنْ للشِّعرِ عندَ مَنْ مضى * فَضْلٌ على الكعبةِ لم يُعَلَّقِ

وهذا يَعُوزُهُ النَّقل الصحيح وإن كان مستفيضًا ذكره ابن عبدربه في (**العقد**)، وابن خلدون في (**مقدمته**)، والسُّيوطي في (**المُزْهِر**)، والبغدادي في (**خزانة الأدب**) وغيرهم.

وقيل: إنها سمِّيت بذلك لأنها تعلق بالقلوب والأذهان؛ لجودتها، وقوة أسلوبها، ومتانة سَبْكِها. وقد جرى هنا في ترتيب السَّبع الأُول من المعلقات جرى على ترتيب الزَّوْزَنيّ في شرحه، وقد زاد النحاس في شرحه: معلقة الأعشى والنَّابغة. وزاد التِّبْرِيزِيّ –بكسر التاء- : معلقة عَبِيد؛ فتلك عشرة كاملة. وقد ذكر هنا أصحاب المعلَّقات العشر، ثم ذكر مطالع مُعلَّقاتهم على ترتيب ذكرهم، فقال:

أَصْحَابُهَا هُمْ: حُنْدُجٌ وَطَرَفَهْ ١٤٤ وَابْنُ أَبِي سُلْمَى، لَبِيدٌ رَدِفَهْ

عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ كَذَاكَ عَنْتَرَهْ ١٤٥ وَالحَارِثَ اذْكُرْ ثُمَّ بَاقِي العَشَرَهْ

حندج: هو امرؤالقيس. هؤلاء السَّبعة رتبهم على ترتيب الزَّوزني في شرحه. ثم باقي العشرة:

عَبِيدُ وَالأَعْشَى كَذَا الذُّبْيَانِي ١٤٦ جَوْدَتُهَا يَعْرِفُهَا المُعَانِي

المُعاني: مَن عانَى الشِّعر، ومارسه، وزاوله، واشتغل به؛ عرف جودتها. ثم ذكر مطالع المعلقات العشر على الترتيب نفسه الذي ذكره لأصحابها:

(قِفَا) (لِخَوْلَةَ) (أَمِنْ أُمِّ) (عَفَتْ) ١٤٧ (هُبِّي) كَذَا (هَلْ غَادَرُوا) وَ(آذَنَتْ)

(أَقْفَرَ) (وَدِّعْ) (دَارَ مَيَّ) وَانْدُبَا ١٤٨ دُونَكَ نَشْرَ لَفِّهَا مُرَتَّبَا

(قفا): هذا مطلع قصيدة حُنْدُجٍ امرئ القيس. (لخولة): هذا مطلع معلقة طَرَفَة.

فالأول للأول، والثاني للثاني، والثالث للثالث.. وهكذا إلى العاشر. وهذا معنى قوله: دونك لف نشرها مرتبا: أي خذها على اللَّف والنَّشر المُرتَّب. **واللف والنشر**: من المحسِّنات المعنوية عند أهل البلاغة، **وهو ذكر مُتعدِّد، ثم إضافة ما لكلٍّ إليه من غير تعيين؛ ثقةً بأنَّ السامع يردُّه إليه**. ومن اللف والنشر المرتب في القرآن قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. **لتسكنوا فيه**: أي في الليل. **ولتبتغوا من فضله**: أي في النهار.

أولى المعلقات: **معلقة امرئ القيس**، وهو امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْديّ، واسمه حُنْدُج على المشهور، وقيل غير ذلك. وهو أشهر شعراء الجاهلية، وقد أجمعوا على تقديم معلقة امرئ القيس؛ لجزالة لغته، وجودة أسلوبه، وحسن تشبيهه، وإن كان أكثرهم مُجُونًا. وكانت وفاته قبل هجرة النّبي ﷺ بنحو ثمانين سنة. ومطلع معلقته:

[الطويل]

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنزِلِ * بِسِقْطِ اللِّوَى بَيَنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

والثانية: **معلقة طَرَفَة بن العَبْد البَكْريّ**. وهو من أوصف الناس للناقة، وقد قتله شعره وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة، -وسيأتي خبر قتله إن شاء الله عند ذكر من قتلهم شعرهم في موضع متأخر-.

سُئل لَبِيد: مَن أَشْعَرُ الناس؟ فقال: الملك الضِّلِيل -يعني امرأ القيس-. قيل: ثم مَن؟ قال: الشاب القتيل -يعني طرفة-. قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عَقِيل -يعني نفسه-. ومطلع معلقة طرفة:

[الطويل]

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ * تَلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

والثالثة: معلقة زُهَير بن أبي سُلْمى المُزَني. وهو من أكثر شعراء الجاهلية تهذيبًا لشعره. مات قبل مَبْعَث النّبي ﷺ بسنة. ومطلع معلقته:

[الطويل]

أَمِـنْ أُمِّ أَوْفَـى دِمْنَـةٌ لَـمْ تَكَلَّـمِ * بِحَـوْمَانَـةِ الـدُّرَّاجِ فَالمُتَثَـلَّمِ

والرابعة: معلقة لَبِيد بن رَبِيعة العامريّ رضي الله عنه. ليس في أصحاب المعلقات مسلم غيره، وقد ترك الإكثار من الشعر بعد إسلامه ولم يتركه جُملة، رُويَت له مُقَطَّعات، ويروى أنه قال بعد أن أسلم:

[البسيط]

الحمـدُ للهِ إذ لـم يَأْتِنـي أَجَلـي * حتى اكْتَسَيْتُ مِن الإسلامِ سِرْبالا

وقال:

[الكامل]

ما عاتَبَ الحُرَّ الكريمَ كَنَفْسِهِ * والمَرْءُ يُصْلِحُهُ القَرِينُ الصَّالِحُ

مطلع معلقته:

[الكامل]

عَفَـتِ الـدِّيَارُ مَـحِلُّهَا فَمُقَامُهَـا * بِـمِنًى تَأَبَّـدَ غَوْلُـهَا فَرِجَامُهَـا

والخامسة: معلقة عمرو بن كُلْثوم التَّغْلِبيّ. وهو سيد تَغْلِب، وفارسها، وشاعرها، قيل: إنه ساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وعاش مائةً وخمسين. وتوفي قبل الهجرة بنحو خمسين عامًا. وكان شاعرًا فحلًا مَطْبوعًا، شديد الفخر، قويَّ الشَّكِيمَة. وقد قام بمعلقته في سوق عُكاظ، وفي موسم مكة. وبنو تغلب تُعظِّم هذه القصيدة جدًّا، ويرويها صغارهم وكبارهم، ولشغف تغلب بها وكثرة روايتهم لها؛ قال بعض الشعراء من بكر بن وائل:

[البسيط]

أَلْهى بني تَغْلِبٍ عن كلِّ مَكْرُمَةٍ * قصيدةٌ قالها عمرُو بنُ كُلْثومِ
يُفاخِرونَ بها مذ كـان أوَّلُهُمْ * يا لَلرِّجالِ لِفَخْرٍ غيرِ مَسْؤومِ

مطلع معلقته:

[الوافر]

أَلا هُبِّـي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا * وَلا تُبْقِـي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا

والسادسة: **معلقة عَنْتَرَة بن شدَّاد العَبْسيّ**. هو أحد فرسان العرب وشعرائها المشهورين، وقد كان نبيل المعاني، ترى في شعره كرم الأخلاق، والشِّيَم، والمروءة؛ حتى إنه يُروى أن النّبي ﷺ قال: «**ما وُصِفَ لي أَعْرابِيٌّ فأَحْبَبْتُ أن أَراه إلا عنترة**». يُروى هذا. وكانت أُمُّه أَمَةً مملوكة؛ فنشأ عبدًا في بيت أبيه على عادة العرب في الجاهلية؛ إذا كان لأحدهم ولد من أَمَة ترك ولده عبدًا حتى يَمْتَحِنَ نجابته؛ فإن كان نجيبًا اعترف به وألحقه بنسبه، وإلا أبقاه عبدًا. وكان سبب ادِّعاء أبيه إيَّاه أن بعض أحياء العرب أغاروا على عَبْس؛ فأصابوا منهم، واستاقوا إبلهم، فتبعهم العبسيُّون وعنترة فيهم، فقال له أبوه: "كُرَّ يا عنترة". فقال: "العبد لا يُحسن الكَرّ، وإنما يُحسن الحِلاب والصَّرّ". فقال: "كُرّ وأنت حُرّ". فَكَرَّ فقاتل قتالًا حسنًا؛ فاعترف به أبوه. مطلع معلقته:

[الكامل]

هَـلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِـن مُتَرَدَّمِ * أَمْ هَـلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

والسابعة: **معلقة الحارث بن حِلِّزَة اليَشْكُريّ**. شاعرٌ فحلٌ مُقِلٌّ. معلقته هذه يقال: إنه ارتجلها بين يَدَيْ عمرو بن هند الملك، كان بعض الأدباء يعجب لارتجالها، يعني لو زَوَّرَها في حَوْلٍ لم يكن كثيرًا. وقد قالها يفتخر بقومه وأيامهم في حرب البَسُوس، مطلعها:

[الخفيف]

آذَنَتْنَــا بِبَيْنِهَــا أَسْــمَاءُ * رُبَّ ثَاوٍ يُـمَلُّ مِنْهُ الثَّـوَاءُ

هذه المعلقات السَّبع.

الثامنة: **معلقة الأَعْشى مَيْمُون بن قَيْس البَكْري**. وهو أحد فحول شعراء الجاهلية، والمُتكسِّبين بالشعر منهم، قال الشعر وأجاده، وذاع صِيته. وقد رحل الأعشى إلى النّبي ﷺ ليُسلم، وقال في ذلك أبياتًا، مطلعها:

[الطويل]

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْناكَ ليلةَ أَرْمَدا * وعادَكَ ما عـادَ السَّليمَ المُسَهَّدا

وفيها يقول:

فآليتُ لا أَرْثي لها مِن كَلالَةٍ * ولا مِن حَفًى حتى تَزُورَ مُحَمَّدا
نَبيٌّ يرى ما لا تـرَونَ وذِكْـرُهُ * أَغارَ لَعَمْرِي في البِلادِ وأَنْجَـدَا

وفيها قوله:

وإيّـاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّهـا * ولا تَعْبُـدِ الشيطانَ واللهَ فاعْبُـدا

ولما علمت قريش بخروجه اعترضت طريقه، وقالت: أين تريد يا أبا بصير؟ قال: "أريد صاحبكم لأُسلم". فقال له أبو سفيان: "إنه يُحرِّم الخمر والزِّنا والقِمار". فقال الأعشى: "أما الزنا فقد تركني –كان قد كبر– وأما الخمر فقد قضيت منها وَطَرًا، وأما القمار فلعلِّي أُصيب منه مالًا عوضًا عنه". فقال أبو سفيان: "إن بيننا وبين محمد هُدْنَة، فلعلك ترجع عامك هذا وتأخذ مائة ناقةٍ حمراء؛ فإن ظهر بعد ذلك أتيته، وإن انتصرنا عليه كنت قد أصبت هذه المائة". فوافق الأعشى على عَرْضِ قريش وأخذ مائة ناقة ورجع بها إلى بلده، فلما اقترب من بلده ألقاه بعيره فسقط ميّتًا. ومطلع معلقته:

[البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْـرَةَ إِنَّ الرَّكْـبَ مُرْتَـحِلُ * وَهَـلْ تُطِيـقُ وَدَاعًـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ

وقد قال المُفَضَّل الضَّبِّي : "مَن زعم أن أحدًا أشعر من الأعشى؛ فليس يعرف الشِّعر".

التاسعة: معلقة النَّابِغَة الذُّبْياني. هو أبو أُمامة زياد بن معاوية، لُقِّب النابغة لنُبوغِة في الشعر فجأة وهو كبير، وهو ممن تكسَّب بالشعر في الجاهلية، ولكنه آثر مدح ملوك المَناذِرَة بالحِيرَة، والغَساسِنَة بالشام، وقد تفرَّد باعتِذارِيَّاته المشهورة التي لم يقل أحد مثلها، وكان يحضر سوق عكاظ وتضرب له قُبَّةٌ من أَدَمٍ، ويعرض عليه الشعراء أشعارهم، مطلع معلقته:

[البسيط]

يـا دارَ مَيَّـةَ بِالعَلْيَـاءِ فَالسَّـنَدِ * أَقْـوَتْ وَطَـالَ عَلَيهَـا سَـالِفُ الأَبَدِ

والعاشرة: معلقة عَبِيد بن الأَبْرَص الأَسَدِيّ. وهو أحد فحول الشعراء وقدمائهم، مطلعها:

[مُخَلَّعُ البسيط]

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ * فَالقُطَبِيَّـاتُ فَالـذَّنُوبُ

وأكثر أبيات معلقته هذه مضطربة الوزن، ولكن أغراضها ومعانيها شريفة، وقد عِيبَ عليه كثرة التَّزْحِيف في معلقته، حتى قال أبو العلاء المعرِّي:

[الطويل]

وقد يُخْطِئُ الرَّأْيَ امرؤٌ وهْوَ حازِمٌ * كما اخْتَلَّ في وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ

لِمَـا حَوَتْـهُ مِـنْ بَهَـاءٍ أَطْرَبَـا ١٤٩ تُـدْعَى الـمُـذَهَّبَاتِ عِنْـدَ الأُدَبَـا

البهاء: الحُسن والجمال. والشيء البَهِيّ؛ الذي يملأ العين حُسْنه. تدعى المذهبات: لحسنها وبهائها. وتُدعى السُّمُوط كذلك، والسموط جمع **سِمْط** وهو الخيط الذي تُنظم فيه الجواهر

سُميت بذلك لعظيم مكانتها، واتفاق الشعراء والأدباء على تقدمها.

فَاقَتْ تَرَاكِيبَ وَمَبْنًى رَاقَتِ ١٥٠ لَكِنَّهَا وَعِرَةٌ فِي الجُمْلَةِ

وَلَيْسَ ذَا فِيهَا بِوَصْفٍ تُرْتَبِ ١٥١ (قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ) لِلْمُثَقِّبِ

فاقت تراكيب ومبنى راقت: من خصائص المعلقات: الألفاظ الجَزْلَة القوية، والتراكيب المتينة الرَّصينة. والكلام عن المعلقات طويل لكن مختصر القول فيها أنها من تراث العرب الخالد الذي لا تُمَلُّ خدمته، ولا ينتهي الباحث فيه إلى نهاية، فتنبغي العناية بها حفظًا ودراسة فهي -والشعر الجاهلي عمومًا- ذِرْوَة البيان الشِّعري وأعلاه وأصفاه. ونقتصر على هذا فيما يتعلق بالمعلقات، والوصول إليها سهل.

لكنها: أي المعلقات العشر -والشعر الجاهلي عمومًا-. وعرة في الجملة: وَصْفُها بالوُعُورَة هو بالنسبة لنا، أما في زمانهم فلم تكن تعد كذلك. ثم ليس هذا فيها بوصف لازم ثابت بل في الشعر الجاهلي شعر كثير سهل الألفاظ، قليل الغريب. وهذا قوله: وليس ذا فيها بوصف ترتب: يقال هذا أمرٌ تُرْتَبٌ؛ أي ثابت. قال الشاعر:

[الطويل]

مَلَكْنا ولم نُمْلَك وقُدْنا ولم نُقَدْ * وكان لنا حَقًّا على النَّاسِ تُرْتَبَا

أي وكان ملكنا حقًّا لنا ثابتًا على الناس.

تخلص هنا إلى ذكر شيء من الشعر الجاهلي سهل الألفاظ، فأشار إلى سبع قصائد من الشعر الجاهلي السهل الذي قلَّ الغريب فيه، قال:

(قول نعم من بعد) للمثقِّب: أول ما ذكر قصيدة **للمُثَقِّب** -بكسر القاف- **العَبْديّ**، واسمه: عائذ وقيل: عائذ الله بن مِحْصَن بن ثعلبة. وقيل له المثقب؛ لقوله في قصيدة له:

[الوافر]

رَدَدْنَ تَحِيَّةً وكَنَنَّ أُخرى * وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ للعُيونِ

الوصاوص: البَراقِع. وأولها قوله:

أفاطِمُ قبلَ بَينِكِ مَتِّعيني * ومَنْعُكِ ما سَألتُكِ أن تَبيني

وكان أبو عمرو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة ويقول: "لو كان الشعر مثلها؛ لوجب على الناس أن يتعلموه". وأما قصيدته المشار إليها في النظم ههنا فهي قوله –وهي من المُفَضَّلِيَّات–:

[الرمل]

لا تَقُولَنَّ إِذَا ما لم تُرِدْ * أَن تُتِمَّ الوَعْدَ في شَيءٍ نَعَمْ
حَسَنٌ قَوْلُ نَعَمْ مِنْ بَعْدِ لا * وقَبيحٌ قَوْلُ لا بَعدَ نَعَمْ
إنَّ لا بَعْدَ نَعَمْ فاحِشَةٌ * فَبِلا فابْدَأ إِذَا خِفْتَ النَّدَمْ
فإذا قُلْتَ نَعَمْ فاصبرْ لَها * بِنَجَاحِ القَولِ إنَّ الخُلْفَ ذَمّ
واعْلَم انَّ الذَّمَّ نَقْصٌ لِلْفَتَى * ومَتَى لا يَتَّقِ الذَّمَّ يُذَمّ
أُكْرِم الجارَ وأَرْعَى حَقَّهُ * إنَّ عِرْفانَ الفَتَى الحقَّ كَرَمْ
أَنا بَيْتِي مِن مَعَدٍّ في الذُّرَى * ولِيَ الهامَةُ والفَرْعُ الأشَمّ
لا تَرَانِي رَاتِعًا في مَجْلِسٍ * في لُحُومِ النَّاسِ كالسَّبعِ الضَّرِمْ
إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَن يَكْشِرُ لي * حينَ يَلْقانِي وإنْ غِبْتُ شَتَمْ
وكلامٍ سَيِّءٍ قد وُقِرَتْ * أُذْنِي عَنهُ وما بِي مِنْ صَمَمْ
فَتَعَزَّيْتُ خَشاةً أن يَرَى * جاهِلٌ أَنِّي كما كانَ زَعَمْ
ولَبَعْضُ الصَّفحِ والإِعْرَاضِ عن * ذِي الخَنَا أَبْقَى وإنْ كانَ ظَلَمْ

انظر إلى سهولة ألفاظها مع أنها من الشعر الجاهلي.

(لِيَ ابْنُ عَمٍّ) قَالَهَا العَدْوَانِي ١٥٢ وَقَدْ (صَفَحْنَا) فِنْدُ الزِّمَّانِي

(لي ابن عم) قالها العدواني: العدواني اسمه: حُرْثان –بضمٍّ فسكون– هو **حرثان بن الحارث**

من عَدْوان –بفتحٍ فسكون– من قدماء الشعراء في الجاهلية، وقد عُمِّر طويلًا ومات قبل الإسلام. سُمِّيَ ذا الإصْبَع لأن حيَّة نهشت إبهام قدمه فقطعها، وقيل: لأنه كان له في رجله إصبع زائدة. والقصيدة المشار إليها هي قوله:

[البسيط]

يا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدِ الْهَمِّ مَحْزُونِ * أَمْسَى تَذَكَّـرَ رَيَّا أُمَّ هَـارُونِ
أَمْسَى تَذَكَّرَها مِنْ بَعْدِ ما شَحَطَتْ * والدَّهْـرُ ذُو غِلْظَـةٍ حِينًا وذُو لِينِ
فإن يَكُـنْ حُبُّهَـا أَمْسَـى لنا شَجَنًـا * وأَصْبَـحَ الْـوَأيُ مِنها لا يُؤَاتِينـي
فقد غَنِينا وشَمْلُ الدَّهْـرِ يَجْمَعُنَا * أُطِيـعُ رَيَّـا وريَّـا لا تُعَـاصِينِي
تَرْمِي الوُشَـاةَ فلا تُخْطِي مَقاتِلَهمْ * بِصـادِقٍ مِن صَفـاءِ الـوُدِّ مَكْنُـونِ
ولِي ابنُ عـمٍّ على ما كان مِن خُلُقٍ * مُختلِفـانِ فَأَقْلِيـهِ ويَقْلِينـي
أَزْرَى بنـا أَنَّنـا شالَتْ نَعامَتُنَـا * فَخَـالَنِي دُونَـهُ بَلْ خِلْتُـهُ دُونِي
لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ * عَنِّي ولا أنت دَيَّـاني فَتَخْـزُونِي
ولا تقُـوتُ عِيَالِي يَـومَ مَسْغَبَـةٍ * ولا بِنَفْسِـكَ في العَـزَّاءِ تَكْفِينـي
إني أَبِـيٌّ أَبِـيٌّ ذو مُحافَظَـةٍ * وابـنُ أَبِـيٍّ أَبِـيٍّ مِـنْ أَبِيِّيـنِ
لا يُخْـرِجُ القَسْـرُ مِني غيرَ مَأْبِيَـةٍ * ولا ألينُ لِمَـنْ لا يبتغـي لِينِـي
كلُّ امريءٍ صـائرٌ يومًـا لِشِيمَتِـهِ * وإن تَخَلَّـقَ أَخْلاقًـا إلى حِينِ

وقـد (صفحنا) فند الزمـاني: **الفِنْـد الزِّمَّاني** اسمه: شَهْل –بشين مفتوحة فهاء ساكنة– بن شَيْبان، وفِنْد لقب له، والفند في اللغة؛ الجبل أو قطعة منه. قيل: إنه لقب بذلك لعظم شخصه، كأنه فندٌ من جبل، أي قطعة منه. وهو من فرسان العرب، كان يقال له في الجاهلية: "عَدِيد الألف" لأنه يُعدُّ بألف رجل. وقصيدته المشار إليها قوله:

[الهزج]

صَفَحْنا عن بني ذُهْلٍ * وَقُلْنَا الْقَوْمُ إخْوَانُ
عَسَى الأَيَّامُ أن يَرْجِعْـ * ـنَ قَوْمًا كالَّذي كانُوا
فلمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ * فأمسى وهْوَ عُرْيَانُ
وَلم يَبْقَ سِوَى العُدْوا * نِ دِنَّاهُمْ كما دانُوا
مَشَيْنا مِشْيَةَ اللَّيْثِ * غَدا واللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضَرْبٍ فيه تَوْهِينٌ * وتَخْضِيعٌ وإقْرانُ
وطَعْنٍ كفَمِ الزِّقِ * غَذا والزِّقُّ مَلآنُ
وفي الشَّرِّ نَجاةٌ حِيـ * ـنَ لا يُنْجِيكَ إحْسانُ
وبعضُ الحِلْمِ عند الجَهْـ * ـلِ لِلذِّلَّةِ إذعانُ

غذا: سال.

(لَقَدْ نَصَحْتُ) (فَلْتَزَعْكَ) (لَا نَرَى ١٥٣ القَتْلَ سَبًّا) (هَلْ يَرَوْنَ مَا أَرَى)

(لقد نصحت): هذه أبيات **لأُميَّة بن أبي الصَّلْت**. واسمه: عبدالله بن أبي ربيعة الثَّقَفيّ، نشأ بالطائف جاهليًّا، وكان قد قرأ الكتب المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يُخبر أن نبيًّا يبعث قد أظلَّ زمانه، ويؤمِّل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج النبي ﷺ نَفَسَها عليه، وكفر حسدًا، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة تسعٍ من الهجرة. وامتاز شعره بالسهولة –وهذا سبب ذكره في هذا الموضع- والقصيدة المشار إليها قوله:

[البسيط]

لقد نَصَحْتُ لِأقْوَامٍ وقُلْتُ لَهُمْ * أنا النَّذِيرُ فلا يَغْرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعْبُدُنَّ إلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ * فإن دَعَوْكُمْ فقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ
سُبْحَانَ ذِي الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَهُ * وقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِيُّ والجَمَدُ

مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحتَ السماءِ لَهُ * لا يَنْبَغِي أن يُنَاوِي مُلْكَهُ أَحَدُ
لا شيءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ * يَبْقَى الإلهُ وَيُودِي الْمَالُ والوَلَدُ
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يومًا خَزائنُهُ * والخُلْدَ قد حاولت عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانُ إذ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِهِ * والإنسُ والجنُّ فيما بينَها مَرَدُ
أين المُلُوكُ التي كانت لِعِزَّتِهَا * مِن كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وافِدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بلا كذِبٍ * لا بُدَّ مِن وِرْدِهِ يَوْمًا كما وَرَدُوا

قال السُّهَيْليّ في الروض الأُنُف: نسبه أبو الفرج إلى ورقة –أي ورقة بن نوفل– وفيه أبيات تُنسب إلى أمية بن أبي الصَّلت وهي من شعره الذي قاله في الجاهلية.

(فلتزعك): هذه إشارة إلى قول لبيد:

[الطويل]

فإن لم تَجِدْ مِن دون عدنانَ والِدًا * ودُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَواذِلُ

ومعلقة لبيد هي أكثر المعلقات غريبًا، فهي أصعب المعلقات العشر في الألفاظ؛ لكن هذه القصيدة للبيد قصيدة سهلة، وقد أوفى فيها على الإجادة، يرثي فيها النعمان بن المنذر، يقول:

ألا تَسْألانِ المَرْءَ ماذا يُحَاوِلُ * أَنَحْبٌ فيُقضَى أمْ ضَلالٌ وباطِلُ
حَبائِلُهُ مبثُوثَةٌ بِسَبيلِهِ * ويَفْنَى إذا ما أخطأتْهُ الحَبَائِلُ
إذا المَرءُ أسْرَى لَيلَةً ظَنَّ أَنَّهُ * قَضَى عَمَلًا والمَرْءُ ما عاشَ عامِلُ
فَقُولا لَهُ إن كان يَقْسِمُ أَمْرَهُ * أَلَمَّا يَعِظْكَ الدَّهرُ أُمُّكَ هابِلُ
فتَعْلَمَ أن لا أنتَ مُدْرِكُ مَن مَضَى * ولا أنتَ ممَّا تَحذَرُ النَّفسُ وَائِلُ
فإن أنت لم تَصْدُقْكَ نَفسُكَ فانتسِبْ * لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ القُرُونُ الأوائِلُ
فإن لم تَجِدْ مِن دونِ عَدْنانَ والِدًا * ودونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ
أَرَى النَّاسَ لا يَدرُونَ ما قَدرُ أمرِهِمْ * بلى كلُّ ذي لُبٍّ إلى اللهِ وَاسِلُ

ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللهُ باطِلُ * وكلُّ نَعِيمٍ لا مَحالةَ زائِلُ
وكلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدخُلُ بَيْنَهُمْ * دُوَيْهِيَّةٌ تَصفَرُّ مِنها الأنامِلُ
وكلُّ امرِئٍ يَوْمًا سَيَعْلَمُ سَعْيَهُ * إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ المَحاصِلُ

وهي قصيدة طويلة.

(لا نرى القتل سبًّا): أشار هنا إلى قصيدة **للسَّمَوْأَل**، وهو السموأل بن عادِياء. كان مضرب مثل في الوفاء، وكان امرؤ القيس الكندي -صاحب المعلقة- قد أودع السموأل دروعًا لأبيه كانوا يتوارثونها، وشمَّر للأخذ بثأر أبيه، وكان المنذر بن ماء السَّماء وجه الحارث بن ظالم إلى السموأل ليأتيه بأدراع امرئ القيس. وقيل: بل الذي طالب بها هو الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ جاء بنفسه إلى السموأل؛ فامتنع السموأل من إعطاء الأدراع، وتحصَّن بحصونه، وكان ابن للسموأل قد خرج للصيد، فلما رجع أخذه الحارث، ثم قال للسموأل: أتعرف هذا؟ قال: نعم، هو ابني. قال: إمَّا سلّمت الأدراع، وإما قتلته. فقال السموأل: شأنك به، إني لا أُخْفِر ذمَّتي، ولا أُسلِّم مال جاري. فقتل الحارث الغلام، والسموأل ينظر إليه ولم يسلِّم الدروع. ثم إن السموأل وافى الموسم بما كان معه من دروع امرئ القيس، وكان قد توفي؛ فأسلمها إلى ورثة امرئ القيس، وقال في ذلك:

[الوافر]

وَفَيْتُ بأَدْرُعِ الكِنْديِّ إني * إذا ما خانَ أَقْوامٌ وَفَيْتُ

فضرب بوفائه المثل. وفيه قال في الشمقمقية:

ولا تَعِدْ بِوَعْدِ عُرْقوبٍ أخًا * وَفِهْ وَفا سَمَوْألٍ بالأَبْلَقِ
شَحَّ بأَدْرُعِ امرئ القَيسِ وقد * تَرَكَ نَجْلَهُ غَسِيلَ العَلَقِ

وأما البيت المشار إليه هنا في النظم فهو قوله:

[الطويل]

ونحنُ أُناسٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً * إذا ما رأتهُ عامرٌ وسَلُولُ

وهذا البيت من لاميته المشهورة التي هي أشهر شعره، ترى فيها عزة النفس والكرم، يقول فيها:

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِن اللُّؤمِ عِرْضُهُ * فكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جميلُ
وإن هو لم يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها * فليس إلى حُسْنِ الثَّناءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ مَن كانت بقاياهُ مثلَنَا * شبابٌ تَسامَى لِلْعُلا وكُهُولُ
وما ضَرَّنا أنَّا قَلِيلٌ وجارُنا * عَزِيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليلُ
لنا جبلٌ يَحْتَلُّهُ مَن نُجِيرُهُ * مَنِيعٌ يَردُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصلُهُ تَحتَ الثَّرى وسَمَا بِهِ * إلى النَّجْمِ فَرْعٌ لا يُنالُ طَوِيلُ
هُوَ الأَبلَقُ الفَردُ الَّذي شاعَ ذِكرُهُ * يَعِزُّ على مَن رامَهُ وَيَطولُ
ونحنُ أُناسٌ لا نَرى القَتلَ سُبَّةً * إذا ما رَأَتهُ عامِرٌ وسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ المَوتِ آجالَنا لَنا * وَتَكرَهُهُ آجالُهُم فَتَطولُ
وَما ماتَ مِنّا سَيِّدٌ حَتفَ أَنفِهِ * ولا طُلَّ مِنّا حَيثُ كان قَتيلُ
تَسيلُ على حَدِّ الظُباتِ نُفوسُنا * وَلَيسَت على غَيرِ الظُباتِ تَسيلُ
صَفَونا فَلَم نَكدُرْ وأَخلَصَ سِرَّنا * إناثٌ أَطابَتْ حَمْلَنا وَفُحولُ
فَنَحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نِصابِنا * كَهامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخيلُ
وَنُنكِرُ إِن شِئنا على النَّاسِ قَولَهُمْ * ولا يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ
إذا سَيِّدٌ مِنّا خَلا قامَ سَيِّدٌ * قَؤُولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعُولُ

إلى أن قال:

سَلِي إِن جَهِلتِ الناسَ عَنّا وَعَنهُمُ * فَلَيسَ سَواءً عالِمٌ وَجَهُولُ

(هل يرون ما أرى): هذا السابع مما أشار إليه، وهي قصيدة **لزهير بن أبي سُلمى** يقول فيها:

[الطويل]

ألَا لَيتَ شِعري هل يَرى الناسُ ما أَرى * مِن الأمـرِ أو يَبـدو لَهُمْ ما بَـدا لِيا
بَـدا لِـيَ أَنَّ اللهَ حَـقٌّ فَـزادَني * إِلى الحَـقِّ تَقوى اللهِ ما كان بادِيا
بَـدا لِيَ أنَّ الناسَ تَفنى نُفوسُهُـمْ * وأَموالُـهُم ولا أَرى الدَّهـرَ فانِيـا
وأَنِّي مَتى أَهبِـطْ مِن الأرضِ تَلْعَـةً * أَجِـدْ أَثَـرًا قَبْلِـي جَدِيـدًا وعافِيـا
أَراني إذا ما بِتُّ على هَـوًى * وأَنِّي إذا أَصبَحتُ أَصبَحتُ عـادِيا
إلى حُفْـرَةٍ أُهْـدَى إليهـا مُقِيمَـةٍ * يَحُثُّ إليهـا سـائِقٌ مِـن وَرائِيـا
كأني وقـد خَلَّفْتُ تِسْعِينَ حِجَّـةً * جَعَلْتُ بِهـا عـن مَنْكِبَـيَّ رِدائِيـا
بَـدا لِـيَ أَنِّي لَستُ مُـدرِكَ ما مَضى * ولا سابِقًـا شيئًـا إذا كـان جائِيـا
أَراني إذا مـا شِئتُ لاقَـيتُ آيَـةً * تُذَكِّـرُني بعضَ الَّذي كُنتُ ناسِيـا
ومـا إن أَرى نَفسـي تَقِيهـا كَرِيهَتي * ومـا إن تَقِـي نَفسي كَرائِمُ مالِيـا
أَلَا لا أَرى علـى الحَـوادِثِ باقِيًـا * وَلا خـالِدًا إلا الجِبـالَ الرَّواسِيـا
وإلا السَّمـاءَ والبِـلادَ وَرَبَّنـا * وأَيَّـامَنـا مَـعْـدُودَةً واللَّـيالِيـا
أَلَـم تَـرَ أنَّ اللهَ أَهـلَكَ تُبَّعًـا * وأهلَكَ لُقْمـانَ بنَ عـادٍ وعادِيـا
وَأَهلَكَ ذا القَـرنَينِ مِن قَبلِ ما تَـرى * وفِرعَونَ جَبَّـارًا طَغـى والنَّجاشِيـا
أَلَا لا أَرى ذا إِمَّـةٍ أَصبَحَت بِـهِ * فَتَترُكُـهُ الأَيَّـامُ وَهْـيَ كما هِيَـا

فهذه من قصائد الجاهلية السَّهلة قليلة الغريب.

مِنْهَـا الَّذِي سَـارَ مَسِيرَ الـمَـثَلِ: ١٥٤ (مَا كَـانَ قَيْسٌ) (عَنْ قَرِينِهِ اسْأَلِ)
(جُرْحُ اللِّسَانِ) (مَا كَـذَاكَ تُـورَدُ) ١٥٥ (لَا يَصْلُحُ الأُنَاسُ فَوْضَى) (قَـلِّـدُوا)

(هَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيْ) (إِذَا لَمْ يَخْزُنِ) ١٥٦ (لَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ) (تَحَلَّمْ) (أَهِنِ)

أشار في هذه الأبيات الثلاثة إلى أبيات تجري مجرى الأمثال من شعر الجاهلية، وعِدَّة ما أشار إليه أحد عشر بيتًا:

الأول: بيت لعَبْدَة بن الطَّبيب التميميّ. عاش معظم حياته في الجاهلية، وطال عمره حتى أدرك الإسلام، والبيت المشار إليه يرثي به قيس بن عاصم المِنْقَريّ، يقول:

[الطويل]

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ❋ ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تهَدَّما

يقول: إن موت قيس بن عاصم لم يكن موتًا لشخص ، بل كان تقويضًا لبُنيان قبيلته، وهدمًا لشملها؛ لأنه هو الذي كان يجمعها. قال أبو عمرو بن العلاء عن هذا البيت: "هذا أَرْثَى بيتٍ قالته العرب". وقال ابن الأعرابي: "هو قائمٌ بنفسه، ما له نظيرٌ في الجاهلية ولا الإسلام".

والثاني: بيت لطرفة في ديوانه، وهو قوله:

[الطويل]

عن المرءِ لا تسألْ وسَلْ عن قَرِينِهِ ❋ فكلُّ قَرينٍ بالمُقارِنِ يقتدي

ويُعْزَى لعَدِيِّ بن زيد العِبادي. وهو جاهليٌّ أيضًا، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى الذي جعله تُرجمانًا بينه وبين العرب.

الثالث: قول امرئ القيس يبين شدة وقع القول وأثره:

[المتقارب]

ولَوْ عن نَثا غَيْرِهِ جاءني ❋ وجُرْحُ اللِّسانِ كَجُرْحِ اليَدِ

النَّثا: ما يُتحدَّث به من الشرِّ والخير.

والرابع: **قول مالك بن زيد مَناة بن تميم**. وكان قد تزوج وبنى بامرأته، فأوردَ الإبل أخوه سعد، ولم يحسن القيام عليها والرفق بها، فقال مالك:

[الرجز]

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مُشْتَمِلْ * ما هكذا تُورَدُ يا سَعْدُ الإبِلْ

يضرب مثلًا في المقصِّر يؤثر الراحة على المشقَّة والعمل.

والخامس: **قول الأَفْوَه واسمه: صَلاءَة بن عمرو الأَوْديّ**. وهو أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها، وسادتها، وفرسانها؛ لقِّب بالأفوه لأنه كان مُفَوَّهًا مُجيدًا القول، يقول:

[البسيط]

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْضى لا سَرَاةَ لَهُمْ * ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

والسادس: **قول لَقِيط بن يَعْمُر الإيادِيّ**. في أبيات كتبها لقومه إياد يخبرهم أن كسرى بعث جيشًا لقتالهم، يحضُّهم على التَّشْمِير لقتاله، يقول:

[البسيط]

وقَلِّدُوا أمرَكُمْ للهِ دَرُّكُمُ * رَحْبَ الذِّراعِ بأمرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعا

والسابع: **قول زهير بن أبي سُلمى**:

[الطويل]

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُهُ * وتُغْرَسُ إلا في منابِتِها النَّخْلُ

الخَطِّيّ: هو الرُّمْح المنسوب إلى الخَطِّ؛ جزيرة بالبحرين. وشيجه: الوَشِيج: شجرٌ مُلْتَفٌّ. يمدح سِنان بن حارثة والد هَرِم، يقول: الرماح الخَطِّيَّة نبتت من شجرها الأصيل، والنخل تُغرس في مغارس النخل الصالحة لإنمائه؛ يريد أن الكريم لا يأتي إلا من عنصر كريم

يبين هذا البيت الذي قبله:

فما يَكُ مِن خيرٍ أَتَوْهُ فإنَّما * تَوارَثَـهُ آبـاءُ آبائِهِـمْ قبـلُ

والثامن: قول امرئ القيس:

[الطويل]

إذا المرءُ لم يَخزُنْ عليهِ لسانَهُ * فليس على شيءٍ سِواهُ بِخَزَّانِ

يعني إذا عجز المرء عن ضبط الكلام؛ فهو عن ضبط غيره أعجز.

والتاسع: قول النابغة الذُّبياني:

[الطويل]

ولستَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ * على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

يقول: إنه ليس أحد يخلو من عيب، فإذا كان الغالب الإحسان؛ اغتُفِرَت السَّقْطَة.

والعاشر: قول حاتم الطَّائيِّ –وكان مضرب مثلٍ في الكرم– :

[الطويل]

تَحَلَّمْ عن الأَدْنَينَ واستَبْقِ وُدَّهُمْ * ولن تستطيعَ الحِلْمَ حتى تَحَلَّما

وبعده قوله:

متى تَرْقِ أَضْغـانَ العَشيرَةِ بالأنى * وكَفِّ الأذى يُحْسَمْ لكَ الدَّاءُ مَحْسَما

الأنى والأناة: الحلم والرفق.

والحادي عشر: قول حاتم أيضًا:

[الطويل]

أَهِنْ في الذي تَهْوَى التِّلادَ فإنَّهُ * إذا مِتَّ كان المالَ نَهْبًا مُقَسَّمًا

وَعُمَرٌ يَقُولُ: أَشْعَرُ الزَّمَنْ ١٥٧ مَنْ فِي قَصِيدِهِ يَقُولُ: مَنْ ومَنْ

يُشير إلى قول عمر بن الخطاب ﷛ في زهير بن أبي سلمى: "أشعر الناس مَن يقول: مَن ومَن". يشير إلى الحكم التي في آخر معلقة زهير بن أبي سلمى، يقول:

[الطويل]

وَمَن يَغتَرِبْ يَحسِبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ * وَمَن لا يُكَرِّم نَفسَهُ لا يُكَرَّمِ
وَمَن لا يُصانِع في أُمورٍ كَثيرَةٍ * يُضَرَّسْ بِأَنيابٍ وَيوطَأْ بِمَنسِمِ
وَمَن يَجعَلِ المَعروفَ مِن دونِ عِرضِهِ * يَفِرهُ وَمَن لا يَتَّقِ الشَتمَ يُشتَمِ
وَمَن يجعلِ المعروفَ في غيرِ أهلهِ * يكنْ حَمْدُهُ ذمًّا عليهِ ويَنْدَمِ

ويقول:

وَمَن يوفِ لا يُذمَم وَمَن يُفضِ قَلبُهُ * إِلى مُطمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمجَمِ
وَمَن هابَ أَسبابَ المَنايا يَنَلْنَهُ * وإن يَرْقَ أسبابَ السماءِ بِسُلَّمِ
وَمَن يَكُ ذا فَضلٍ فَيَبخَلْ بِفَضلِهِ * على قَومِهِ يُستَغْنَ عنهُ وَيُذمَمِ

لَا يَتْبَعُ الوَحْشِيَّ أَوْ يُعَاظِلُ ١٥٨ يَصْدُقُ فِي المَدِيحِ لَا يُخَاتِلُ

هذا أثرٌ آخر عن عمر بن الخطاب ﷛ أنه قال -كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة- : "أنشدوني لأشْعَرِ شعرائكم! قيل: ومن هو؟ قال: زهير. قيل: وبِمَ صار كذلك؟ قال: كان لا يُعاظِل بين القول، ولا يتبع حُوشِيّ الكلام، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه". ويروى: "ولا يتبع وَحْشيّ الكلام".

ووَحْشِيُّ الكلام وحُوشِيُّه: غريبه. والمُعاظَلَة في الكلام: تَصْعِيبه وتعقيده بأن يركب بعضه بعضًا، ويتداخل حتى يثقل نطقه وسماعه. وهو مأخوذ من تَعاظَلتِ الجَرادتان؛

إذا ركبت إحداهما الأخرى. ومعنى لا يُخاتِل: لا يُخادِع.

ثم أشار إلى بعض شعر زهير، فقال:

(إِنْ تَلْقَهُ يَوْمًا) (هُوَ الجَوَادُ) ١٥٩ (فِيهِمْ مَقَامَاتُ نَدًى تِلَادُ)
(لَوْ كَانَ يَقْعُدُ) زُهَيْرُ قَالَا ١٦٠ هَذَا هُوَ الشِّعْرُ وَإِلَّا لَا لَا!

(إن تلقه يوما): يشير إلى قوله يمدح هَرِم بن سنان، من قصيدته التي مطلعها:

[البسيط]

إنَّ الخَليطَ أَجَدَّ البَينَ فَانفَرَقا * وَعُلِّقَ القَلبُ مِن أسماءَ ما عَلِقا

يقول فيها:

قد جَعَلَ المُبْتَغُونَ الخيرَ في هَرِمٍ * والسَّائِلُونَ على أَبْوَابِهِ طُرُقَا
إن تَلْقَ يَومًا على عِلَّاتِهِ هَرِمًا * تَلْقَ السَّمَاحَةَ مِنهُ وَالنَّدَى خُلُقَا
يَطْعَنُهُمُ ما ارتَمَوا حتى إذا اطَّعَنُوا * ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبوا اعتَنَقا
لَوْ نَالَ حَيٌّ مِن الدُّنْيَا بِمَنزِلَةٍ * أُفْقَ السَّمَاءِ لَنالَتْ كفُّهُ الأُفُقَا

(هو الجواد): يشير إلى قوله يمدح هرم بن سنان أيضًا من قصيدته التي مطلعها:

[البسيط]

قِفْ بالدِّيارِ التي لم يَعْفُها القِدَمُ * بلى وغَيَّرَها الأرْواحُ والدِّيَمُ

يقول فيها:

إنَّ البَخِيلَ مَلومٌ حَيثُ كَانَ ولَـ * ـكِنَّ الجَوَادَ على عِلَّاتِهِ هَرِمُ
هُوَ الجَوادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ * عَفْوًا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظَّلِمُ
وإنْ أَتَاهُ خَلِيلٌ يومَ مَسْأَلَةٍ * يقُولُ لا غَائِبٌ مَالِي وَلا حَرِمُ

(فيهم مقامات ندًى تلاد): يشير إلى قصيدة لزهير يمدح بها سنان بن حارثة:

[الطويل]

صَحا القَلبُ عن سَلمى وقد كادَ لا يَسْلُو * وَأَقفَرَ مِن سَلمى التَعانيقُ فَالثِّقْلُ

وفيها يقول:

وفيهِم مَقاماتٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ * وأَندِيَةٌ يَنتابُها القَولُ وَالفِعلُ
على مُكثِريهِم رِزْقُ مَن يَعتَريهِمُ * وعندَ المُقِلِّينَ السَّماحَةُ وَالبَذلُ
وإن قامَ فيهِم حامِلٌ قالَ قاعِدٌ * رَشَدتَ فَلا غُرمٌ عليكَ ولا خَذْلُ
سَعى بَعدَهُمْ قَومٌ لِكَي يُدرِكُوهُمُ * فلم يفعَلوا ولم يُلِيموا ولم يَأْلُوا
فما يَكُ مِن خيرٍ أَتَوهُ فإنَّما * تَوارَثَهُ آباءُ آبائِهِم قَبلُ
وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ إلا وَشِيجُهُ * وتُغرَسُ إلا في مَنابِتِها النَخلُ

(لَوْ كَانَ يَقْعُدُ) زُهَيْرٌ قَالَا ١٦٠ هَذَا هُوَ الشِّعْرُ وَإِلَّا لَا لَا!

في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي: أن عمر بن الخطاب ﵁ كان جالسًا في أصحابه يتذاكرون الشعر والشعراء، فقيل: ابن عباس بالباب. فقال عمر: قد أتى مَن يُحِّدث مَن أشعر الناس. فلما سلَّم وجلس، قال له عمر: يا ابن عباس من أشعر الناس؟ قال: زهيرٌ يا أمير المؤمنين. قال عمر: ولِمَ ذلك؟ قال: لقوله يمدح هرمًا وقومه:

[البسيط]

لو كان يَقعُدُ فَوقَ الشمسِ مِن كَرَمٍ * قَومٌ بِأَوَّلِهِمْ أو مَجدِهِمْ قَعَدوا
قَومٌ أَبوهُمْ سِنانٌ حينَ تَنسُبُهُمْ * طابوا وَطابَ مِن الأولادِ ما ولَدوا
جِنٌّ إذا فَزِعُوا إنسٌ إذا أَمِنوا * مُرَزَّؤونَ بَهاليلٌ إذا جُهِدوا
مُحَسَّدونَ على ما كان مِن نِعَمٍ * لا يَنزِعُ اللهُ عنهمْ ما بهِ حُسِدوا

مرزَّؤون: أي يقع الرُّزْءُ في أموالهم لكرمهم وجودهم.

مُحسَّدون: العرب تمدح الرجل بأنه مُحَسَّد؛ لأن الذي ليس عنده شيء يُحسد عليه هو هيِّنٌ عندهم، الذي يُحسد هو بعيد الهِمَّة عالي القدر؛ لذلك يقول الشاعر:

[البسيط]

مُحَسَّدون وشرُّ الناسِ مَنْزِلَةً * مَن عاش في الناسِ يومًا غيرَ مَحْسودِ

لا ينزع الله عنهم ما به حُسدوا: دعاء لهم بأن لا ينزع الله عنهم هذه الصفات التي حُسدوا عليها.

عَبْدُ يَغُوثَ الحَارِثِيُّ إِذْ أُسِرْ ١٦١ يَوْمَ الكُلَابِ قَالَ شِعْرًا يَفْتَخِرْ

(مَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا لِسَانِيَا) ١٦٢ (قَدْ كُنْتُ نَحَّارَ الجَزُورِ مَاضِيَا)

عبد يغوث بن الحارث بن وقاص الحارثي؛ شاعر جاهليٌّ، فارس، سيد لقومه بني الحارث بن كعب، وكان قائدهم في يوم الكُلاب الثاني إلى بني تميم، وفي ذلك اليوم هُزم قومه، وأُسر هو وقتل، وقد قال لما أسر قصيدته هذه –وهي مُفَضَّلِيَّة– :

[الطويل]

أَلا لا تَلوماني كَفى اللَومَ ما بِيَا * وما لَكُما في اللَّوْمِ خيرٌ ولا لِيا
أَلَمْ تَعْلَمَا أنَّ المَلامَةَ نَفعُها * قليلٌ وما لَوْمِي أَخي مِن شِماليا
فَيا راكِبًا إِمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ * نَداماي مِن نَجرانَ أَن لا تَلاقِيا

إلى أن قال:

أقولُ وقد شَدُّوا لِساني بِنِسْعَةٍ * أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطلِقوا عن لِسانيا
أَمَعشَرَ تَيْمٍ قد مَلَكتُم فَأَسْجِحُوا * فإِنَّ أَخاكُمْ لم يكُن مِن بَوائِيا
فإن تَقتُلوني تَقتُلوا بِيَ سَيِّدًا * وإن تُطلِقُوني تَحْرُبوني بِمالِيا
أَحَقًّا عِبادَ اللهِ أن لستُ سامِعًا * نَشيدَ الرِّعاءِ المُعْزِبينَ المَتالِيا

فإن أخاكم لم يكن من بوائيا: يريد أني لم أقتل صاحبكم الذي تريدون قتلي به. إلى أن قال:

وقَدْ كُنتُ نَحّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الْـ * ـمَطِيِّ وأَمضي حيثُ لا حَيَّ ماضِيا
وأَنْحَرُ للشَّرْبِ الكرامِ مَطِيَّتي * وأَصْدَعُ بينَ القَيْنَتَيْنِ رِدائيا

فِيهِ مِنَ الجِيَادِ غَيْرَ الخَالِي: ١٦٣ (انْعَمْ صَبَاحًا أَيُّهَذَا البَالِي)
(طَحَا بِكَ القَلْبُ) (كِلِيني لِهَمْ) ١٦٤ (رَثَّ جَدِيدُ الحَبْلِ مِنْهَا وَانْصَرَمْ)

فيه: أي في هذا العصر الجاهلي. من الجياد: أي من القصائد الجياد. غير الخالي: غير ما سبق. فيه هذه القصائد الأربع وهي:

(انعم صباحًا أيهذا البالي): **أولها قصيدة لامرئ القيس**، يقول فيها:

[الطويل]

أَلا انْعَمْ صَباحًا أيُّها الطَّلَلُ البالي * وهل يَنْعَمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي
وقد أَغْتَدِي والطيرُ في وُكُناتِها * لِغَيثٍ مِنَ الوَسْمِيِّ رائِدُهُ خالِ
كأنَّ قُلوبَ الطيرِ رَطبًا ويابِسًا * لدى وَكْرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي
فلو أنَّ ما أسعى لِأَدْنَى مَعيشَةٍ * كَفاني وَلَم أَطلُبْ قَليلٌ مِن المالِ
ولَكِنَّما أسعى لِمَجدٍ مُؤَثَّلٍ * وَقَد يُدرِكُ المَجدَ المُؤَثَّلَ أَمْثالي
وما المَرءُ ما دامَتْ حُشاشَةُ نَفسِهِ * بِمُدرِكِ أَطْرافِ الخُطوبِ وَلا آلي

(طحا بك القلب): **ثانيها قصيدة لعَلْقَمَةَ الفحل**، وهو علقمة بن عَبَدَة التميميّ. وهو شاعر جاهلي مُجِيد من أقران امرئ القيس، وهو الذي شُفِّع في أخيه لدى الغساني، وقد سبقت الإشارة إليه في أن الأدب يُمضي الشفاعات عند قوله:

علقمةُ الفحلُ لدى الغسَّاني * شُفِّع في شاسٍ وكلِّ عاني

وتلك الأبيات من هذه القصيدة، وهي أشهر شعره، يقول فيها:

[الطويل]

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الحِسانِ طَرُوبُ * بُعَيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ
تُكَلِّفُني لَيلى وقد شَطَّ وَلْيُها * وعادَتْ عَوادٍ بَيْنَنا وَخُطوبُ
مُنَعَّمَةٌ ما يُستَطاعُ كَلامُها * على بابِها مِن أن تُزارَ رَقيبُ
إذا غابَ عنها البَعْلُ لَم تُفْشِ سِرَّهُ * وَتُرْضِي إِيابَ البَعْلِ حِينَ يَؤوبُ

إلى أن قال:

فإن تسألوني بالنساءِ فإنَّني * بَصيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ طَبيبُ
إذا شابَ رَأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالُهُ * فليس لَهُ مِن وُدِّهِنَّ نَصيبُ
يُرِدْنَ ثَراءَ المالِ حَيثُ عَلِمْنَهُ * وَشَرخُ الشَبابِ عِندَهُنَّ عَجيبُ

(كليني لهم): **ثالثها قصيدة للنابغة الذبياني**، وهو من أصحاب المعلقات العشر، وهذه القصيدة من أشهر قصائده، قالها يمدح عمرو بن الحارث الأصغر، من ملوك الغساسنة بالشام، يقول فيها:

[الطويل]

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ * ولَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ
تطاوَلَ حتى قُلتُ ليس بِمُنقَضٍ * وليس الذي يَرعى النُّجومَ بِآيِبِ
عَلَيَّ لِعَمروٍ نِعْمَةٌ بعدَ نِعمَةٍ * لوالِدِهِ لَيسَت بِذاتِ عَقارِبِ

إلى أن يقول:

إذا ما غَزَوا بِالجَيشِ حَلَّقَ فَوقَهُمْ * عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَصائِبِ
يُصاحِبْنَهُمْ حتى يُغِرْنَ مُغارَهُمْ * مِنَ الضّارِياتِ بِالدِماءِ الدَّوارِبِ

إلى أن قال:

ولا عَيبَ فيهِم غَيرَ أَنَّ سُيوفَهُمْ * بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ
ولا يَحسِبونَ الخَيرَ لا شَرَّ بَعْدَهُ * ولا يَحسِبونَ الشَرَّ ضَربَةَ لازِبِ

(رثَّ جديد الحبل منها وانصرم): **رابعها قصيدة لدُرَيْد بن الصِّمَّة**، وهو أحد فرسان العرب، وسيِّد بني جُشَم من قبائل هوازن، يقال: إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوًا، وقد أدرك الإسلام ولم يُسلم، خرج مع قومه في غزوة حُنين ولا فضل فيه للحرب، وإنما أخرجوه تيمُّنًا برأيه؛ فقتل في ذلك اليوم، قال في رثاء أخيه:

[الطويل]

أَرَثَّ جَديدُ الحَبلِ مِن أُمِّ مَعْبَدِ * بعاقِبَـةٍ أم أَخلَفَت كُـلَّ مَوعِـدِ
وبانَت ولم أَحمَدْ إلَيكَ نَوالَهـا * ولـم تَـرْجُ فينا رِدَّةَ اليَومِ أو غَـدِ

إلى أن يقول:

أَمَرتُهُمُ أَمْري بِمُنعَرَجِ اللِّوى * فلم يَسْتَبِينُوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغَدِ
فَلَمّا عَصوني كُنتُ مِنهُم وقد أَرى * غَوايَتَـهُمْ وأَنَّني غَيـرُ مُهتَـدي
وهـل أنا إلا مِن غَزِيَّـةَ إن غَوَتْ * غَـوَيتُ وإن تَرشُـدْ غَزِيَّـةُ أَرْشُـدِ
دَعـاني أخي والخَيـلُ بَيْني وبَينَهُ * فلمَّا دَعـاني لَم يَجِـدْني بِقُعْـدَدِ
أَخٌ أَرْضَعَتنـي أُمُّـهُ مِن لِبانِهـا * بِثَـدْيِ صَفاءٍ بَينَنـا لـم يُجَـدَّدِ
فَجِئتُ إلَيـهِ والرِّماحُ تَنُوشُـهُ * كوقِعِ الصَّياصي في النَّسيجِ المُمَدَّدِ
فَطاعَنتُ عَنهُ الخَيلَ حتى تَنَهْنَهَتْ * وحتى عَـلاني حـالِكُ اللَّونِ أسـوَدِ
قِتـالَ امـرِئٍ آسى أَخاهُ بِنَفسِـهِ * ويَعلَـمُ أنَّ المَـرْءَ غَيرُ مُخَلَّـدِ
تَنادَوا فقالـوا أَرْدَتِ الخَيلُ فارِسًا * فَقُلتُ أَعَبـدُ اللهِ ذَلِكُـمُ الـرَّدي
فإن يَكُ عَبـدُ اللهِ خَلَّى مَكانَـهُ * فما كـانَ وَقّـافًا ولا طائِشَ اليَدِ

إلى أن قال:

كَميشُ الإِزارِ خارِجٌ نِصفُ ساقِـهِ * صَبـورٌ على الضَّرَّاءِ طَلّاعُ أَنجُـدِ
قَليلٌ تَشَكِّيـهِ المُصيبـاتِ ذاكـرٌ * مِن اليَومِ أَعقابَ الأَحاديثِ في غَـدِ
صَبا ما صَبا حتى عَلا الشَيبُ رَأسَهُ * فلمَّا عَـلاهُ قـال لِلباطِـلِ ابْعَـدِ

وقوله: كميش الإزار خارج نصف ساقه يريد به أن نشاطه يستدعي منه أن يُقصِّر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه، وقد كانت العرب في الجاهلية تتمدَّح بتقصير الثوب ورفعه عن الكعبين، ثم جاء الإسلام فسنَّه النبي ﷺ، وقد قال مُتَمِّم بن نُوَيْرَة يرثي أخاه مالكًا ويمدحه:

[الطويل]

تــراهُ كَنَصْــلِ السَّيفِ يَهْتزُّ للنَّدى * وليس على الكَعْبينِ من ثوبهِ فَضْلُ

وقال العُجَيْرُ السَّلُوليّ:

[الطويل]

وكنتُ إذا داعٍ دعـى لِمَعـونَـةٍ * أُشَمِّرُ حتى يُنْصِفَ السَّـاقَ مِئزَري

ذكر هذا المعنى وما فيه من الأشعار ابن عبدالبرّ في (**التمهيد**)، ومنه قول أبي طالب يمدح النبي ﷺ في قصيدته البَحْريَّة:

[الطويل]

طَويلُ النِّجادِ خـارجٌ نصـفُ ساقِهِ * على وجْهِهِ يُسْقَى الغَمامُ ويُسْعِـدُ

أَفْحَـلُ مِـنْ جَمِيعِهَـا قَـدْ قَـالَـهُ ١٦٥ أَبُـو الفِـدَا مُـبَـالِـغًـا مَـقَـالَـهُ

لَامِيَّـةٌ جَـادَ بِهَـا عَـمُّ النَّـبِي ١٦٦ مَا لِلنَّدَى عَنْ شِعْرِهِ مِنْ مَـذْهَبِ

أشار هنا إلى لاميَّة أبي طالب، وإلى ما قاله أبو الفِداء ابن كثير فيها، فإنه قال مبالغًا في البداية والنهاية قولًا حملته عليه عاطفته الدِّينيَّة الصادقة التي يؤجر عليها صاحبها -إن شاء الله- وإن كانت لا تتفق مع معيار الشعر عند النُّقاد الذين لا ينظرون إلى نُبْل المعاني، وإنما ينظرون إلى جودة الشعر ألفاظًا وتراكيب، ولكل أهل فنٍّ معيارهم، قال -رحمه الله- عن لاميَّة أبي طالب: "وهذه قصيدة عظيمة فصيحة بليغة جدًا، لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت

إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعًا".

قال أبو طالب:

[الطويل]

ولمَّا رَأَيتُ القَومَ لا وُدَّ فِيهِمُ * وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوَسَائِلِ
وقد صَارَحُونَا بِالعَدَاوَةِ والأذَى * وقد طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزَايلِ
وقد حَالَفُوا قومًا عَلَينَا أَظِنَّةً * يعَضُّونَ غيظًا خَلْفَنَا بِالأَنَامِلِ
صَبَرت لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ * وأبيضَ عَضْبٍ مِن تُرَاثِ المَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِندَ البَيتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي * وأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالوَصَائِلِ
قِيَامًا معًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ * لدى حَيثُ يَقْضِي حِلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ

إلى أن قال:

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِن كُلِّ طَاعِنٍ * عَلَينَا بِسُوءٍ أو مُلِحٍّ بِباطِلِ
وَمِن كَاشِحٍ يسْعَى لنَا بِمَعِيبَةٍ * ومِن مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ ما لَمْ نُحَاوِلِ

إلى أن قال:

كَذَبتُمْ وَبَيتِ اللهِ نَتْرُكُ مكَّةً * ونَظْعَنُ إلا أَمْرُكُمْ فِي بَلابِلِ
كَذَبتُمْ وبَيتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا * ولَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ * ونُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا والحَلائِلِ

وهذا البيت الأخير تمثَّل به عُبيدة بن الحارث بن المطلب في قصة، وذلك أنه كان أحد المبارزين يوم بدر، وكان أَسَنَّ جيش المسلمين، كان عمره إذ ذاك ثلاثًا وستين سنة؛ فاختلف هو وقِرْنه قيل عتبة بن ربيعة، وقيل الوليد بن عتبة، اختلفا بينهما ضربتين، وأثبت كل واحد منهما صاحبه -أي جرحه جراحةً لا يقوم معها- وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على قِرْنه فذفَّفا عليه

-أي أجهزا عليه وأسرعا قتله- واحتملا عبيدة إلى النبي ﷺ فقال عبيدة وهو في السياق وقد وُضِع رأسه على قدم النبي ﷺ قال: **"والله وددت لو أن أبا طالب حي؛ حتى يعلم أني أحق منه بقوله: وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ * وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلَائِلِ".**

قال أبو طالب بعد ذلك:

وما تَـرْكُ قَـومٍ لا أَبَـا لَـكَ سَـيِّدًا * يَـحُوطُ الـذِّمَارَ غَيـرَ ذَرْبٍ مُوَاكِـلِ
وَأَبْـيضَ يُسْتَسْـقَى الغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ * ثِـمَالَ اليَتَـامَى عِصْـمَةً لِلْأَرامِـلِ
يَلُـوذُ بِـهِ الــهُلَّاكُ مِـن آلِ هاشِـمٍ * فَهُـمْ عِنـدَهُ فِـي رَحْـمَةٍ وفَوَاضِـلِ

إلى أن قال:

لَعَمْرِي لقد كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْـمَدٍ * وإخْوَتِـهِ دَأْبَ الـمُحِبِّ الـمُوَاصِلِ
فلا زَالَ فـي الـدُّنيَا جَـمَالًا لأهْلِها * وزَيْنًـا لِـمَن والاهُ ذَبَّ الـمَشاكِلِ
فَمَـن مِثْلُـهُ فِـي النَّـاسِ أيُّ مُـمَلَّكٍ * إذا قَاسَـهُ الـحُكَّامُ يَـومَ التَّفَاضُـلُ
حَكِـيمٌ رَشِـيدٌ عَاقِـلٌ غيـرُ طَـائِشٍ * يوَالِــي إِلَــهًا لــيس عَنـهُ بِغَافِـلِ
فَــوَاللهِ لَــوْلا أن أَجِــيءَ بِسُــبَّةٍ * تُـجَرُّ على أَشْيَاخِنَا فِـي الـمَحَافِلِ
لَكُنَّــا اتَّبَعْنَــاهُ علــى كُــلِّ حَالَــةٍ * مِن القَولِ جِدًّا غيرَ قَولِ التَّهَازُلِ
لَقَـد عَلِمُـوا أنَّ ابنَنَـا لا مُكَـذَّبٌ * لَـدَينَا ولا يُعْنَـى بِقَـولِ الأَبَاطِـلِ
فَأَصْـبَحَ فِينَـا أَحْـمَدٌ فِـي أَرُومَـةٍ * تُقَصِّـرُ عَنـهُ سَـورَةُ الـمُتَطَاوِلِ
حَـدِبتُ بِنَفْسِـي دُونَـهُ وحَـمَيْتُهُ * وَدَافَعْـتُ عَنـهُ بِالـذُّرَى والكَلاكِـلِ
فأيَّــدَهُ رَبُّ العِبَــادِ بِنَصْــرِهِ * وأَظْهَـرَ دِينًـا حَقُّـهُ غيـرُ نَاصِـلِ
رِجَـالٌ كِـرَامٌ غيـرُ مِيـلٍ نَـمَاهُمُ * إلى الـخَيـرِ آبَاءٌ كِرَامُ الـمَخَاصِلِ

ومن شعره الذي ما للندى عنه من مذهب، قوله:

[الكامل]

واللهِ لـن يصِلُوا إِلَيكَ بِجَمْعِهِمْ * حتى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا
فَاصْدَعْ بِأَمْرِكَ ما عليكَ غَضَاضَةٌ * وابشَرْ وَقَرَّ بِذاكَ مِنكَ عُيُونَا
ودَعَوْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحِي * ولقد صَدَقْتَ وكُنتَ ثَمَّ أَمِينَا
وعَرَضْتَ دِينًا لا مَحَالَةَ إِنَّهُ * مِنْ خَيرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلا المَلَامَةُ أو حِذَارِي سُبَّةً * لَوَجَدتَّنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا

مِنَ الصَّعَالِيكِ: سُلَيْكٌ، شَنْفَرَى ١٦٧ وَعُرْوَةٌ، تَأَبَّطَ الذي اجْتَرَا

من الصعاليك: الصعلوك في اللغة؛ الفقير الذي لا مال له، ولم تقف الكلمة في الجاهلية عند هذه الدلالة، بل صارت تطلق على من يتجردون للغارات وقطع الطريق، ومنهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم؛ لكثرة جرائمهم. كان العرف القَبَلِيّ في الجاهلية على أنه إذا جنى أحد أفراد القبيلة جنايةً؛ فإن القبيلة كلها تتحمل جنايته، فإذا كثرت جناية أحد خلعته، فصارت لا تَبِعَة عليها في جناياته، قد ذكر هنا من الصعاليك أربعة، وهم: **السُّلَيْك بن السُّلَكَة، والشَّنْفَرى، وعُرْوَة بن الوَرْد، وتَأَبَّطَ شرًّا**، وهو أشهر الصعاليك، واسمه: ثابت بن جابر الفَهْمِيّ، قيل: إن أمه لقبته بهذا اللقب إذ تأبط سيفًا وخرج، فلما سُئلت عنه قالت: تأبَّطَ شرًّا، ومضى لوجهه وقيل: بل لقبته بذلك لأنها رأته يتأبط جرابًا مملوءًا بالأفاعي، وقد كان سريع الجري، يقال عنه كان أعدى ذي رِجلَين، حتى إنه كان إذا أراد أن يصطاد ظبيًا؛ فإنه يجري وراءه بقدميه فلا يفوته حتى يأخذه ويذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله. وكان السليك بن السلكة والشنفرى مثل تأبط شرًا، يقال في المثل: **"أعدى من السُّليك"** و**"أعدى من الشنفرى"** ولهم قصص عجيبة في غاراتهم، يذكر تأبط شرًا بعض ذلك في قصائده وأول قصيدة في المفضليات، قصيدته التي يذكر فيها هربه من بَجِيلة، حين أرصدوا له كمينًا على ماء، وكيف نجا منهم هو وصاحباه عمرو بن بَرَّاق والشنفرى، ويقول في مطلعها:

[البسيط]

يا عِيدُ مالَكَ من شَوْقٍ وإيـراقِ * ومَرِّ طَيْفٍ على الأهـوالِ طَـرَّاقِ

وآخرها قوله:

لَتَقْرَعِنَّ عليَّ السِّنَّ من نَـدَمٍ * إذا تذكَّـرتِ يومًا بعضَ أخْلاقي

والشنفرى له (لامية العرب) على خلاف في نسبتها إليه ، يقول فيها:

[الطويل]

أَقِيمـوا بني أُمِّـي صُـدورَ مَطِيَّكُـمْ * فإني إلى قَـومٍ سِـواكُـمْ لأمْيَـلُ
فَقَدْ حُمَّتْ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِـرٌ * وشُدَّتْ لِطِيَّـاتٍ مَطايـا وأَرْحـلُ
وفي الأرضِ مَنأىً للكريمِ عن الأذى * وفيها لِمَن خـافَ القِـلى مُتَحَـوَّلُ

وفيها يقول –يصف من يُفضِّل معاشرتهم على معاشرة أهله– :

وَلِي دونَكُـمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ * وأَرْقَـطُ زُهْلُـولٌ وعَـرْفاءُ جَيْـأَلُ
هُـمُ الأهلُ لا مُسْتَودَعُ السرِّ ذائِـعٌ * لديهِـمْ ولا الجـاني بما جَرَّ يُخـذَلُ

سيد عملس: أي الذئب السريع. وأرقط زهلول: النَّمِر الأملس. وعرفاء جيأل: الضبع، ومن أسمائها الجيأل. وفيها يقول:

وإن مُدَّتِ الأيدي إلى الزَّادِ لم أكنْ * بأعجَلِهِم إذ أَجْشَعُ القَومِ أَعْجَـلُ
ومـا ذاكَ إلا بَسْطَـةٌ عـن تَفَضُّـلٍ * عليهِـمْ وكـان الأفضَـلَ المُتَفَضِّـلُ

(وعـروة): هـو عـروة بـن الـورد العَبْسيّ، ويمكـن أن تعتبره الصـعلوك المثـالي! كـان يسـرق الأمـوال مـن الأغنيـاء، ويعـود فيوزعهـا علـى الفقـراء، لا يأخـذ منهـا شـيئًا لنفسـه، كمـا قـال بعضهم: "هذه اشتراكية مبكرة من الجاهلية" وما كان يُغير على الكرام الذين يبذلون أموالهم،

بل كان يغير على من عُرفوا بالشُّحِّ والبخل، وتجد في شعره نفسًا كبيرة، وكرمًا، وبذلًا، حتى كان معاوية ﵁ يقول: **"لو كان لعروة بن الورد ولد؛ لأحببت أن أتزوج إليه"** وكان عبدالملك بن مروان يقول: "من زعم أن حاتمًا أسمح الناس؛ فقد ظلم عروة بن الورد".

وكان يقول أيضًا: "ما سرَّني أن أحدًا من العرب ولدني ممن لم يلدني إلا عروة بن الورد؛ لقوله:

[الطويل]

وإني امرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَةٌ * وأنت امرؤٌ عافي إنائك واحدُ
أَتَهزَأُ مِنِّي أن سَمِنتَ وأن ترى * بِوَجهي شُحوبَ الحَقِّ وَالحَقُّ جاهِدُ
أُفَرِّقُ جِسمي في جُسومٍ كَثيرَةٍ * وَأَحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ بارِدُ

العافي: هو السائل طالب المال. يقول أنا لا آكل وحدي، وأنت تأكل وحدك!

وكان يلقَّب عروة الصعاليك لأنه كان يقوم على شأن الصعاليك، وكان يثني على الصعاليك الذين يراهم شرفاء، يقول:

[الطويل]

وللهِ صُعْلُوكٌ صَفيحَةُ وجهِهِ * كضوءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ

إلى أن قال:

فذلك إن يَلْقَ المنيَّةَ يَلْقَها * حَميدًا وإن يَسْتَغْنِ يومًا فأجْدِرِ

فِيهِ مِنَ المَعَارِكِ الكِبَارِ ١٦٨ بَسُوسُ، دَاحِسٌ، كَذَا ذُو قَارِ

ختم بذكر هذه المعارك الكبار في الجاهلية، هذا آخر بيت فيما يتعلق بالعصر الجاهلي، حاصل خبر حرب البسوس أن كُليب بن ربيعة من تَغْلِب كان قد عزَّ وساد في ربيعة، وهو الذي قاد معدًّا كلها يوم خَزازى وفضَّ جموع اليمن؛ فاجتمعت إليه معدٌّ، وتوَّجته، وأطاعته؛ فداخله عُجب كبير فبغى على قومه، وكان من أمره أنه حمى أرضًا لا ترعى فيها إلا إبله وإبل

جسَّاس للمصاهرة التي بينهما؛ لأنه كانت تحته أخت جساس، ثم إن خالة جساس –واسمها: البَسُوس وقد سبقت إشارة إلى شيء من خبرها "ما قالت البسوس في سَراب"– كانت لجار لها ناقة يقال لها سراب، وردت حمى كليب فرآها كليب في نوقه؛ فغضب ورماها بسهم أنفذ ضرعها؛ فرجعت الناقة وضرعها يَشْخُب دمًا ولبنًا حتى بركت بفناء صاحبها؛ فصاح: "واذُلَّاه!" فلما سمعته البسوس –وكانت قد أجارته– نادت هي الأخرى: "واذُلَّاه!" فغضب جساس وقال: "والله ليُقتلن غدًا جمل عظيم، أعظم عَقْرًا من ناقة جارك" يريد بذلك كليبًا، فبلغ ذلك كليبًا فظن أنه يريد قتل "عُلَيَّان" وهو فحل كريم له؛ فقال: "هيهات.. دون عليان خَرطُ القَتَاد". ثم إن كليبًا مرَّ بقومه بني بكر على ماء يقال له: **شُبَيْث** فمنعهم منه وهم عطاش، ثم مروا على ماء آخر يقال له: **الأَحَصُّ** فمنعهم منه، ثم مرّ على ماء آخر يقال له: **الذَّنائب** فمنعهم منه؛ فتبعه جساس وقال له: طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشًا! قال: ما منعناهم من ماء إلا ونحن له شاغلون! قال: فما حملك على ما فعلت بالناقة؟ فطعنه بالرُّمح! فلما وجد كليبٌ طعم الموت. قال: يا جساس اسقني ماءً. قال: هيهات.. تجاوزت شُبيثًا والأحص ولم تشرب ومنعتنا منه! وكان مع جساس رجل من عشيرته يقال له: عمرو بن الحارث. فقال: يا عمرو أغثني بشربة ماء. فنزل عمرو عن فرسه واحتزَّ رأسه، فقيل:

[البسيط]

المُسْتَجِيرُ بعمروٍ عندَ كُرْبتِهِ * كالمُسْتَجيرِ من الرَّمْضاءِ بالنَّارِ

ثم إن قوم كليب اجتمعوا وانطلق رهط من أشرافهم إلى مُرَّة بن ذُهْل والد جساس، فقالوا: إنكم قد أتيتم أمرًا عظيمًا بقتلكم كليبًا بناقة، وقطعتم رحمكم، وإنا نعرض عليكم خِلالًا أربعًا لكم فيها مخرج، ولنا فيها مَقْنَع: إما أن تُحيوا لنا كليبًا! ، وإما أن تدفعوا إلينا جسَّاسًا فنقتله به، وإما أن تدفعوا إلينا همَّامًا فنقتله به فإنه له كفء –وهمام أخو جساس وهو من أشرافهم– وإما أن تُقيدنا من نفسك فإن فيك وفاءً لدمه!

فقال مرة: أما إحياء كليب؛ فلا قدرة لأحد به. وأما جساس؛ فغلام غِرٌّ طعن طعنةً انخلع لها قلبه فلا أدري أين ذهب. وأما همام؛ فأبو العشرة، وأخو العشرة، وعمُّ العشرة، ويوشك إن دفعته إليكم أن تصيح بنوه في وجهي فتقول: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره! وأما أنا؛ فما هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل، فما أتعجل الموت. ولكن لكم عندي خَصلتان: **أما إحداهما**: فهؤلاء أبنائي، خذوا أيًّا منهم بنِسْعَةٍ في رقبته واقتلوه بكليب. **وأما الأخرى**: فإني أدفع إليكم ألف ناقة سُود الحدَق، حُمْر الوَبَر.

فغضبوا وقالوا: إنا لم نأتك لتُرْذِلَ لنا بنيك -أي لتعطينا رُذالَ بنيك، ورُذال كلِّ شيء رديئه- ولا لتسومنا اللبن؛ فتفرقوا وثارت الحرب التي دامت أربعين سنة. وقتل منهم مُهَلْهِل أخو كليب جَمًّا غفيرًا، وكان الحارث بن عُباد -سيِّد بكر وفارسها- كان قد اعتزل الحرب، وقال: **"لا ناقة لي بها ولا جمل"** فأرسلها مثلًا. فقيل له: إن مهلهلًا قد كاد يُفني قومك! فأرسل إليه ابنًا له يقال له بُجَيْر، وقال له: قل لمهلهل: أبي يقرئُك السلام، ويقول لك: قد علمت أني اعتزلت الحرب، وخليتك مع قومي تفعل بهم ما تشاء، وقد أدركت وِتْرَك، وقتلت قومك، أَنْشُدُكَ البَقِيَّة فيهم. فأتى بُجير حتى وقف على مهلهل وهو في نادي قومه، فبلَّغه الرسالة؛ فصَمَدَ إليه مهلهل بالرمح فرماه به، وقال: **"بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيب"** فقال الغلام: إن رضيتْ بذلك بنو بكر رضيتُ؛ فلما بلغ الحارث بن عباد مقتل ابنه بجير قال: نِعْمَ القتيل قتيلًا أصلح الله به بين بني بكر وتغلب وباء بدم كليب. فقالوا: إن مهلهلًا قال: بؤ بشسع نعل كليب، فلم يصدِّق، فأرسل إلى مهلهل يقول: إن كنت قتلت ابني بكليب فقد رضيت. فقال مهلهل: إنما قتلته بشسع نعل كليب -والشسع: سَيْر النعل- فغضب الحارث عند ذاك وأنشأ يقول:

[الخفيف]

قـرِّبا مَرْبِـطَ النَّعـامَـةِ مِنّي ❋ لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيالِ
قـرِّبا مَرْبِـطَ النَّعـامَـةِ مِنّي ❋ إنَّ بيـعَ الكرامِ بالشِّسْعِ غالـي

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنّي * لِبُكاءِ الشُّيوخِ والأطفالِ
قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنّي * لِحَنينِ النِّساء والإعْوالِ
قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنّي * شابَ رأسي وأنكرَتْني رِجالي
لم أكن مِن جُناتها عَلِمَ اللَّـ * ـهُ وإني بِحَرِّها اليومَ صالي
لا بُجيرٌ أغنى قتيلًا ولا رَهْـ * ـطُ كليبٍ تَزاجَرُوا عن ضلالِ

وهذه الأبيات من قصيدة طويلة تبلغ أبياتها نحو المائة، كرر "قربا مربط النعامة مني" في نحو خمسين بيتًا، كما في: (**نهاية الأرَب في فنون الأدب**) والذي في الأصْمَعِيَّات من هذه القصيدة ثلاثة أبيات، البيت الأول والبيتان الأخيران. والنَّعامة: اسم فرسه. ثم شمَّر لحرب تغلب حتى كاد يبيدهم، ولم تقم بعده لتغلب راية، وقد أشار لهذا في عمود النسب بقوله:

[الرجز]

وَابْناهُ تَغْلِبُ و بَكْرٌ قاما * على الشِّقاقِ أربعينَ عامَا
أنْ غالَ جسَّاسٌ كُلَيبَ التَّغلِبي * لقتلهِ ناقةَ خالةِ الأبِ
ووَضَحٌ يَسْتُرُهُ بِرُكْبَتِهْ * أَبْرَزَهُ نَجاؤهُ مِن فَتْكَتِهْ
وغُلِبَتْ تَغْلِبُ حتى كلَّمُوا * في الأرضِ حارثًا عساهُ يَرْحَمُ

يشير إلى أن الحارث بن عباد حلف ألّا يترك قتالهم حتى يُكلِّموه من تحت الأرض؛ فلما كثرت وقائعه في تغلب، ورأت تغلب أنها لا تقوم له؛ حفروا سَرَبًا تحت الأرض وأدخلوا فيه رجلًا، وقالوا: إذا مرَّ بك الحارث فأنشده هذا البيت:

[الطويل]

أبا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فاسْتَبْقِ بعضَنا * حَنانيْكَ بعضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِن بعضِ

فلما مرَّ الحارث اندفع الرجل وأنشد هذا البيت، فقيل للحارث: قد برَّ بقسمك، فأبقِ بقيَّة قومك، فأمسك واصطلحت بكرٌ وتغلب.

(داحس): حرب داحس والغَبْراء قامت بين عبسٍ وذُبْيان ودامت أربعين سنة، وقد ذكرها زهير في معلقته، فقال يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف، ويذكر تحمُّلَهما الحَمالات في هذه الحرب:

[الطويل]

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيدَانِ وُجِدتُمَا * على كُلِّ حَالٍ مِن سَحِيلٍ ومُبْرَمِ
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَانَ بعدَما * تَفَانَوا ودَقُّوا بَينَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ
وَقَد قُلْتُمَا إن نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا * بِمَالٍ ومَعْروفٍ مِن القَولِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنهَا على خَيرِ مَوْطِنِ * بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِن عُقُوقٍ ومَأْثَمِ
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا * ومَن يَسْتَبِحْ كَنزًا مِن المَجْدِ يَعْظُمِ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِن تِلادِكُمْ * مَغَانِمُ شَتَّى مِن إفَالٍ مُزَنَّمِ
تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحَتْ * يُنَجِّمُهَا مَن لَيسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُهَا قَومٌ لِقَومٍ غَرَامَةً * ولَمْ يُهَرِيقُوا بَينَهُمْ مِلْءَ مِحْجَمِ

وسبب حرب داحس والغبراء أن قيس بن زهير العبسي، وحُذيفة بن بكر الفَزاريّ تراهنا –أي تسابقا في الخيل– وكان لقيس فرسان: **داحس والغبراء**. ولحذيفة فرسان: **الخَطَّار والحَنْفاء**. واتفقا على الغاية؛ فأرصدت بنو ذبيان على الطريق من يزجر الغبراء أثناء المضمار فزجروها فسُبِقت، فكان ذلك سببًا لوقوع الشرِّ بينهم، ونشبت الحرب التي استمرَّت أربعين سنة.

(كذا ذو قار): وأما ذو قار؛ فهو أول يوم انتصر فيه العرب على العجم، انتصرت فيه قبائل بكر بن وائل على الفُرس، وذكر ابن الكلبي أنها كانت بعد غزوة بدر بأشهر، وقيل: بل كانت قبل ذلك، وقد أشار إليها أبو تمام في قوله –يمدح بني شيبان من بني بكر بن وائل– :

[الطويل]

إذا افتَخَرَتْ يَومًا تَميمٌ بِقَوْسِها * وزادَتْ على ما وَطَّدَتْ مِن مَناقِبِ
فَأَنتُمْ بِذِي قَارٍ أَمالَتْ سُيوفُكُمْ * عُروشَ الذينَ استَرْهَنُوا قَوْسَ حاجِبِ

[عصر صدر الإسلام]

وَبَعْدَهُمْ أَصْحَابُ خَيْرِ البَشَرِ ١٦٩ طُوبَى لَهُمْ أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ
أَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ الأَنْبِيَا ١٧٠ تَوَقَّلُوا المَعَارِجَ العَوَالِيَا
نُجُومُ صِدْقٍ فِي دُجَى الغَيَاهِبِ ١٧١ صَالُوا عَلَى العِدَا بِكُلِّ قَاضِبِ
غَيْثٌ سَحَابُ جَوْدِهِ هَتُونُ ١٧٢ مَا كَانَ مِثْلُهُمْ وَلَا يَكُونُ

عصر صدر الإسلام: هو اسمٌ لما بين بعثة النبي ﷺ إلى آخر عهد الخلفاء الراشدين.

توقَّلوا: التَّوَقُّل؛ الصعود في الجبل. والمعارج: المصاعد والمراقي. دجى: الدُّجى جمع دُجْيَة؛ للظُّلْمة. الغياهب: جمع غَيْهَب وهي الظلمة كذلك. صالوا: صال عليه؛ وَثَبَ. العِدا: جمع عَدُوّ. بكل قاضب: القاضب؛ السيف القاطع، يقال: قَضَبَهُ؛ إذا قطعه. جوده: الجَوْد؛ المطر الغزير. في البخاري في حديث استسقاء النبي ﷺ قال أنس رضي الله عنه في آخر الحديث: «وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِن نَاحِيَةٍ إلا حَدَّثَ بِالجَوْدِ». أي بالمطر الغزير. قال في مُوَطَّأة الفَصيح:

[الرجز]

وَجادَتْ السَّماءُ جَوْدًا أَمْطَرَتْ * فَهْيَ تَجُودُ بِمَياهٍ كَثُرَتْ

ما كان مثلهم ولا يكون: مَن نظر في سيرة الصحابة بعلم وبصيرة وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل؛ علِم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء –عليهم السلام- ما كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصَّفْوَة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله –ذكره في الواسطيَّة-.

حَسَّانُ، عَبْدُ اللهِ، ثُمَّ كَعْبُ ١٧٣ سُوَّاسُ مَجْدٍ نَارُهُ لَا تَخْبُو
ثَلَاثَةٌ هُمْ شُعَرَا الرَّسُولِ ١٧٤ أَشَدُّ فِي العِدَا مِنَ النُّصُولِ

حَسَّانُ فِي ذِكْرِ العُيُوبِ يُدْمِي ١٧٥ وَابْنُ رَوَاحَةٍ بِكُفْرٍ يَرْمِي

وَهْوَ أَشَدُّهُ عَلَى مَنْ يَعْقِلُ ١٧٦ كَعْبٌ بِتَهْدِيدٍ فَعَلْنَا نَفْعَلُ

النُّصل: حديدة السَّهم والرُّمح والسَّيف، يجمع على نُصول، ونِصال، وأَنْصُل.

عقد بهذا ما قاله ابن سيرين –رحمه الله تعالى– فإنه ذكر أنَّ شعراء النَّبي ﷺ هم هؤلاء الثلاثة، ثم قال: **"فأما كعب فكان يذكر الحرب، يقول: فعلنا ونفعل ويتهدَّدُهم، وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيَّامهم، وأما عبدالله بن رواحة فكان يعيِّرهم بالكفر، وكان قوله يومئذ أهون القول عليهم، وكان قول حسان وكعب أشد القول عليهم، فلما أسلموا وفقِهوا كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة"**. ثم ذكر شيئًا من شعر هؤلاء الثلاثة ﷺ على ترتيب ذكرهم في هذه الأبيات، فقال:

(إِنَّ الذَّوَائِبَ) (عَفَتْ) (حَصَانُ) ١٧٧ (يَا عَيْنُ فَابْكِي) قَالَهَا حَسَّانُ

(إن الذوائب): لما جاء وفد بني تميم وأنشد شاعرهم، قال حسان ﷺ مجيبًا شاعر بني تميم:

[البسيط]

إنَّ الذَوَائِبَ مِن فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ * قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً للنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَن كَانَتْ سَجِيَّتُهُ * تَقْوَى الإلَهِ وَبِالأمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَومٌ إذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ * أو حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةٌ تِلكَ فِيهِمْ غَيرُ مُحْدَثَةٍ * إنَّ الخَلائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا البِدَعُ

(عفت): من أشهر شعره ﷺ قوله يوم فتح مكة:

[الوافر]

عَفَتْ ذَاتُ الأَصَابِعِ فَالجِوَاءُ * إلَى عَذْرَاءَ مَنزِلُهَا خَلَاءُ
دِيَارٌ مِّن بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ * تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ

إلى أن قال:

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إن لم تَرَوْهَا ❊ تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ
يُبَارِينَ الأسِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ❊ على أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ❊ تُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ
فَإمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ❊ وكان الفَتْحُ وانكَشَفَ الغِطَاءُ
وإلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلادِ يَومٍ ❊ يُعِزُّ اللهُ فيهِ مَن يشَاءُ
وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللهِ فِينَا ❊ وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا ❊ يقُولُ الحَقَّ إن نَفَعَ البَلَاءُ
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صَدِّقُوهُ ❊ فَقُلْتُمْ لا نَقُومُ وَلا نَشَاءُ
وَقَالَ اللهُ قَدْ سَيَّرْتُ جُنْدًا ❊ هُمُ الأنصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ
لَنَا فِي كُلِّ يَومٍ مِن مَعَدٍّ ❊ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ
فَنُحْكِمُ بِالقَوَافِي مَنْ هَجَانَا ❊ وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدِّمَاءُ
أَلا أَبْلِغْ أبا سُفْيَانَ عَنِّي ❊ مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا ❊ وعَبْدُالدَّارِ سَادَتُهَا الإمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ❊ وعِندَ اللهِ فِي ذاكَ الجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ❊ فَشَرُّكُمَا لِخَيرِكُمَا الفِدَاءُ
فَإنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ❊ لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنكُمْ وِقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لا عَيْبَ فِيهِ ❊ وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ

يُروى أنه لما انتهى فيها إلى قوله: هجوت محمدًا فأجبت عنه ❊ وعند الله في ذاك الجزاء؛ قال له النبي ﷺ: ((**جَزاؤكَ الجنَّةَ يا حسَّان**)). وإلى هذا أشار في الشمقمقيَّة بقوله:

وبَشَّرَ الجَعْدِيَّ وابنَ ثابتٍ ❊ بِجَنَّةٍ جَزاءَ شِعْرٍ عُسْنُقِ

والعُسْنُق: التامُّ الحسن.

فلما بلغ قوله: أتهجوه ولست له بكفوء ❊ فشركما لخيركما الفداء؛ قال من حضر: **"هذا أنصفُ**

بيتٍ قالته العرب".

فلما قال: فإن أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء؛ قال له النبي ﷺ: «وَقاكَ اللهُ حرَّ النارِ يا حسَّان».

(حصان): ومن شعره قوله يعتذر عن الذي كان قال في شأن أُمِّنا عائشة رضي الله عنها:

[الطويل]

حَصَانٌ رَزَانٌ مَّا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ * وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُّحُومِ الغَوافِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِن لُؤَيِّ بن غالِبٍ * كِرَامِ المَساعِي مَجْدُهُمْ غيرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا * وطَهَّرَها مِن كُلِّ سُوءٍ وباطِلِ
فَإن كُنتُ قد قُلْتُ الذي قد زَعَمْتُمُ * فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيَّ أنامِلِي
وكيفَ وَوُدِّي ما حَيِيْتُ ونُصْرَتِي * لِآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنُ المَحَافِلِ
لَهُ رَتَبٌ عَالٍ على النَّاسِ كُلِّهِمْ * تُقَصِّرُ عَنهُ سَوْرَةُ المُتَطَاوِلِ
فَإنَّ الَّذِي قد قِيلَ ليس بِلائطٍ * ولكنَّهُ قَولُ امْرِئٍ بِيَ مَاحِلِ

وهذه الأبيات تُذكِّر بأبيات جميلة قالها ابن بَهيج الأندلسي على لسان عائشة رضي الله عنها قال:

[الكامل]

مَا شَانُ أُمِّ المُؤْمِنِينَ وَشَانِي * هُدِيَ المُحِبُّ لَهَا وَضَلَّ الشَّانِي
إنِّي أَقُولُ مُبَيِّنًا عَن فَضْلِهَا * وَمُتَرْجِمًا عَن قَوْلِهَا بِلِسَانِي
يَا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ * فَالبَيْتُ بَيْتِي وَالمَكَانُ مَكَانِي
إنِّي خُصِصْتُ عَلَى نِسَاءِ مُحَمَّدٍ * بِصِفَاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعَانِي
وَسَبَقْتُهُنَّ إِلَى الفَضَائِلِ كُلِّهَا * فَالسَّبْقُ سَبْقِي وَالعِنَانُ عِنَانِي
مَرِضَ النَّبِيُّ وَمَاتَ بَينَ تَرَائِبِي * فَاليَوْمُ يَوْمِي وَالزَّمَانُ زَمَانِي
زَوْجِي رَسُولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ * اللهُ زَوَّجَنِي بِهِ وَحَبَانِي
وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِينُ بِصُورَتِي * فَأَحَبَّنِي المُخْتَارُ حِينَ رَآنِي

أنا بِكْرُهُ العَذْرَاءُ عِندِيَ سِرُّهُ * وضَجِيعُهُ فِي مَنْزِلِي قَمَرانِ
وَتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيمُ بِحُجَّتِي * وبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ
وَاللهُ خَفَّرَنِي وَعَظَّمَ حُرْمَتِي * وعلى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّانِي
وَاللهُ فِي القُرْآنِ قد لَعَنَ الَّذِي * بَعْدَ البَرَاءَةِ بِالقَبِيحِ رَمَانِي
وَاللهُ وَبَّخَ مَن أَرَادَ تَنَقُّصِي * إفْكًا وَسَبَّحَ نَفْسَهُ فِي شَانِي
إنِّي لَمُحْصَنَةُ الإِزَارِ بَرِيئَةٌ * وَدَلِيلُ حُسْنِ طَهَارَتِي إحْصَانِي

يقول فيها:

وَيْلٌ لِعَبْدٍ خَانَ آلَ مُحَمَّدٍ * بِعَدَاوَةِ الأَزْوَاجِ وَالأَخْتَانِ
طُوبى لِمَنْ وَالى جَمَاعَةَ صَحْبِهِ * وَيَكُونُ مِنْ أَحْبَابِهِ الحَسَنَانِ

ويقول فيها:

جَمَعَ الإِلَهُ المُسْلِمِينَ على أَبِي * وَاسْتُبْدِلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ
وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ * مَن ذا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خِذْلانِ
مَنْ حَبَّنِي فَلْيَجْتَنِبْ مَن سَبَّنِي * إن كانَ صَانَ مَحَبَّتِي وَرَعَانِي
وَإِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضِي * فَكِلاهُمَا فِي البُغْضِ مُسْتَوِيَانِ
صِلْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ وَلا تَحِدْ * عَنَّا فَتُسْلَبَ حُلَّةَ الإِيمَانِ
إِنِّي لَصَادِقَةُ المَقَالِ كَرِيمَةٌ * إيْ وَالَّذِي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلانِ
خُذْهَا إِلَيكَ فَإِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ * مَحْفُوفَةٌ بِالرَّوْحِ والرَّيْحَانِ

(يا عين فابكي): هذه أبيات قالها يبكي المُطْعِم بن عَدِيّ حين مات، ويذكر قيامه في نقض الصحيفة وإجارته للنبي ﷺ يقول حسان:

[الطويل]

أَيَا عَيْنُ فَابْكِي سَيِّدَ القَوْمِ وَاسْفَحِي * بِدَمْعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَا
وَبَكِّي عَظِيمَ المَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا * عَلَى النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا

فَلَوْ أنَّ مَـجْدًا أَخْلَـدَ الـدَّهْرَ وَاحِـدًا * مِن النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مُطْعِمَا
أَجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا * عَبِيـدَكَ مَـا لَبَّـى مُهِـلٌّ وأَحْرَمَـا
فَلَـوْ سُـئِلَتْ عَنْـهُ مَعَـدٌّ بِأَسْـرِهَا * وَقَـحْطَانُ أَوْ بَـاقِي بَقِيَّـةِ جُرْهُـمَا
لَقَالُوا هُوَ الـمُوفِـي بِـخُفْـرَةِ جَارِهِ * وَذِمَّتِـهِ يَوْمًـا إذا مَـا تَذَمَّـمَا
فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ الـمُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ * عَلَـى مِثْلِـهِ فِـيهِمْ أَعَـزَّ وَأَعْظَمَـا
وَآبَـى إذا يَـأْبَـى وَأَلْيَـنَ شِـيمَةً * وأَنْـوَمَ عـن جَـارٍ إذَا اللَّيْـلُ أَظْلَمَـا

أَفْـرَى حِـرَابِ القَـوْلِ بِاتِّفَـاقِ ١٧٨ وَأَشْـعَرُ الصَّـحْبِ عَلَى الإِطْـلَاقِ

أفرى: أَقْطَع. حراب: الحِراب جمع حَرْبَة، والحربة دون الرُّمح.

(فِينَـا رَسُـولُ اللهِ يَتْلُـو) قَالَهَـا ١٧٩ نَجْـلُ رَوَاحَـةٍ فَـذُقْ سَلْسَـالَهَا

سلسالها: يقال ماءٌ سَلْسَلٌ وسَلْسال؛ أي سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه. روى البخاري في صحيحه عن الهيثم بن أبي سِنان أنه سمع أبا هريرة ﷺ وهو يَقُصُّ ويقول في قَصَصِه: "إن أخًا لكم لا يقول الرَّفَث يعني بذلك عبدالله بن رواحة قال:

[الطويل]

وَفينَـا رَسُـولُ اللهِ يَتْلُـو كِتَابَـهُ * إذا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِن الصُّبْحِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُـدَى بَعْـدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا * بِهِ مُوقِنَـاتٌ أنَّ مـا قَـالَ وَاقِـعُ
يَبِيتُ يُجَافِـي جَنْبَـهُ عَن فِرَاشِـهِ * إذَا استَثْقَلَتْ بالكافرينَ الْمضَاجِـعُ

ويُروى أنه ﷺ أتى جارية له، فأحسَّت بذلك امرأته؛ فجحد عبدالله بن رواحة ذلك، فقالت له: إن كنت صادقًا فاقرأ آياتٍ من القرآن، قال: "فأنشأتُ أقول: وفينا رسول الله.." الأبيات. وأخبر بذلك النبي ﷺ قال: ((فضحكَ رسولُ اللهِ ﷺ حتى ردَّ يَدَهُ على فِيهِ))، فقالت زوجه: أتهم بصري، وأصدِّق كتاب الله.

(ثَبَّتَ مَا آتَاكَ مِنْ هِبَاتِ) ١٨٠ دَعَا لَهُ النَّبِيُّ بِالثَّبَاتِ

هذه إشارة إلى أبيات عبدالله بن رواحة التي أنشدها بين يدي النبي ﷺ قال:

[البسيط]

يا هاشمَ الخيرِ إنَّ اللهَ فضَّلكُمْ * على البَرِيَّةِ فَضْلًا ما لهُ غِيَرُ
إني تَفَرَّسْتُ فيكَ الخيرَ أَعْرِفُهُ * فِراسةً خالَفَتْهُمْ في الذي نَظَرُوا
فثَبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِن حَسَنٍ * تَثْبِيتَ موسى ونصرًا كالذي نُصِروا

فأقبل بوجهه ﷺ مستبشرًا وقال: ((وإيَّاكَ فثبَّتَ اللهُ)). هذا قوله: دعا له النبي بالثبات.

(لَقَدْ هُدِدْتُ هَدَّةً لِفَقْدِ حَمْزَةَ) قَالَ كَعْبُ بَعْدَ أُحْدِ

قال كعب رضي الله عنه يرثي حمزة رضي الله عنه بعد غزوة أحد:

[الكامل]

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً * ظَلَّتْ بَنَاتُ الجَوْفِ مِنْهَا تُرْعَدُ
وَلَوَ انَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ * لَرَأَيْتَ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ * حَيْثُ النُّبُوَّةُ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدَدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الحَدِيدِ كأَنَّهُ * ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ البَرَاثِنِ أَرْبَدُ

(لَيُغْلَبَنْ مُغَالِبُ الغَلَّابِ) ١٨٢ لَمْ يَنْسَهُ الرَّبُّ مِنَ الثَّوَابِ

روى ابن هشام أنه لما قال كعب بن مالك:

[الكامل]

جاءتْ سَخِينَةُ كي تُغالِبَ ربَّها * فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ

قال له رسول الله ﷺ: ((لقد شَكَرَكَ اللهُ يا كَعْبُ على قَوْلِكَ هذا)). وسخينة: لقب لقريش في

الجاهلية؛ ذكروا أن قُصَيًّا كان إذا ذُبحت ذبيحة أو نُحرت نَحيرة بمكة أُتيَ بعَجُزِها فصنع منه خَزِيرَة -والخزيرة: لحمٌ يطبخ بِبرٍّ- فيطعمه الناس، فسميت قريش بها سخينة. وقيل: إن العرب كانوا إذا أَسْنَتُوا أكلوا طعامًا دُونًا، وتأكل قريش الخزيرة؛ فَنَفِسَت العرب عليهم ذلك فلقبتهم: سخينة. وقد جاء عن زيد بن ثابت ﷺ أنه روى من شعر كعب بن مالك ﷺ تسعين قصيدة.

الخُلَفَا، وَابْنَا زُهَيْرٍ، حَمْزَةُ ١٨٣ عَبَّاسُ، وَابْنُ حَارِثٍ، وَعُرْوَةُ
سَوَادُ ابْنُ قَارِبٍ، عَاتِكَةُ ١٨٤ ضِرَارُ، وَابْنُ تَوْلَبٍ، فَاطِمَةُ
وَنَجْلُ عَبَّاسٍ، وَنَجْلُ عُمَرِ ١٨٥ وَمَعْبَدُ، أُمَيَّةُ بْنُ الأَسْكَرِ
وَاذْكُرْ هُنَا نَجْلَ حَبِيبٍ عَمْرَا ١٨٦ خُبَيْبًا. الجَمِيعُ قَالُوا شِعْرَا
فَمِنْ مُقِلٍّ مِنْهُمُ وَمُكْثِرِ ١٨٧ أَبْصِرْ فَمَا العِيَانُ مِثْلَ الخَبَرِ

سمَّى في هذه الأبيات بعض من قال الشعر من الصحابة ﷺ وقد قال المُفَضَّل -رحمه الله-: لم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا وقد قال الشعر، وتمثَّل به وممن قال الشعر من الصحابة؛ الخلفاء الأربعة. سرية عبدالله بن جحش ﷺ التي نزل في شأنها: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٢١٧]. ونزل في شأن عبدالله بن جحش وأصحابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ٢١٨]. لما قالت قريش: إن محمدًا ﷺ وأصحابه قد أحلوا الشهر الحرام وقاتلوا فيه، قال أبو بكر يرد عليهم:

[الطويل]

تَعُدُّونَ قَتْلًا فِي الحَرَامِ عَظِيمَةً * وأَعْظَمُ منها لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدُ
صُدُودُكُمُ عَمَّا يقولُ محمَّدٌ * وكُفْرٌ بِهِ وَاللهُ رَاءٍ وشَاهِدُ

في أبيات.. وهذا مطابق للآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ٢١٧].

ولما قدم أبو بكر المدينة وأصابته الحُمَّى ولَقِيَ من شدة الوَعْكِ ما لقي، كان ينشد ويتمثل:

[الرجز]

كُلُّ امْرِئٍ مُّصَبَّحٌ فِـي أَهْلِهِ * وَالمَوتُ أَدْنَى مِن شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال للأنصار يشكر لهم إيثارهم المهاجرين على أنفسهم: جزاكم الله خيرًا يا معشر الانصار! فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُكم إلا كما قال الغَنَوِيّ:

[الطويل]

جَزَى اللهُ عَنَّا جَعْفَرًا حينَ أُزْلِقَتْ * بِنَا نَعْلُنَا فِـي الوَاطِئِيـنَ فَزَلَّـتِ
هُمُ خَلَطُونَـا بِالنُّفُوسِ وَأَلْـجَأُوا * إِلَـى حُجُـرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّـتِ
أَبَــوا أن يَـمَلُّونَــا وَلَــوْ أنَّ أُمَّنَــا * تُـلاقِي الَّـذِي لاقَوهُ مِنَّا لَمَلَّـتِ

وعمر بن الخطاب ﷺ روي أنه قال في انصرافه من حجته التي لم يحج بعدها: **"الحمد لله ولا إله إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي -يعني ضَجْنان- أرعى إبلًا للخطاب، وكان فظًّا غليظًا يُتعبني إذا قصرت، وقد أصبحت وأمسيت، وليس بيني وبين الله أحد أخشاه"** ثم تمثل بأبيات تُنسب لورقة بن نوفل، وفيها أبيات تُنسب لأُميَّة بن أبي الصَّلْت وقد سبق إنشادها في العصر الجاهلي:

[البسيط]

لا شَيْءَ مِـمَّا تَـرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ * يَبْقَى الإِلَهُ وَيَفْنَـى الـمَالُ وَالوَلَـدُ

وقد سبقت الأبيات.. وكان عمر رضي الله عنه يستعذب الشعر الفحل، ويستشهد به، ويُوصي به، قال رضي الله عنه: **"رَوُّوا أولادكم الشعر؛ تتهذَّب طباعهم، وتَرِقَّ ألسنتهم"**. وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: **"مُرْ مَن قبلك بتعلُّم الشعر؛ فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب**

الـــرأي، ومعرفة الأنساب". ونقل محمد بن سلَّام الجُمَحِيّ عن بعض أشياخه أنه قـال: كـان عمر بن الخطاب ﷺ لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا أنشد فيه بيت شعر. وكـان عمـر ﷺ لـه نظر في الشعراء، قال يومًا لبعض جلسائه: **"من أشعر الناس؟ فأجاب كلٌّ بما عنده، فقـال: أشـعرهم مَن يقول: ومَن ومَن"**. وسبق هذا في المجلس السابق، وسبق ما قاله في شعر زهير:

لا يتبع الوحشـي أو يعـاظل * يصدق في المديح لا يخاتل

وعثمان ﷺ ينسب إليه أنه قال:

[الطويل]

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكُفَّهَا * وَإِنْ عَضَّهَا حَتَّى يَضُـرَّ بِـهَا الفَقْـرُ
وَمَـا عُسْـرَةٌ فَاصْـبِـرْ لَـهَا إن لَقِيتَـهَا * بِكَائِنَــةٍ إِلَّا سَــيَتْبَعُهَا يُسْــرُ

يُروى أن المتوكل قال يومًا لجلسائه: إن أبا بكر لما تسنَّـم المنبر هبـط من مقـام النبي ﷺ بمِرْقـاة -أي بدرجة- ثم قام عمر دون أبي بكــر، وصعــد عثمــان ذِرْوَة المنبـر! -يعني أن أبا بكر ﷺ لم يقف موقف النبي ﷺ بل نزل درجة، ثم عمر ﷺ لـم يقف موقف أبي بكـر، بـل نزل درجة أخرى، عثمان ﷺ وقف حيث وقف النبي ﷺ ولم ينزل- قال بعض مَن حضـر: ما أحد أعظم مِنَّة عليك من عثمان يا أمير المؤمنين! قال له: كيف؟ قال: لو أنـه كلمـا قام خليفة نزل مِرْقاة ونزل عثمان؛ لكنت الآن تـخطُبنا من بئر! فضحك المتوكل وضحك من حوله.

وعلي ﷺ الشعر المنقول عنه كثير لـه قصـة يـذكرها شُرَّاح مختصر خليل عند قولـه في الفـرائض: **"وهي المِنبَرِيَّة لقول عليٍّ: صار ثُـمُنُها تُسْعا"** وهـي أن عليًّا ﷺ كـان يخطـب يقـول: **"الحمـد لله الذي يحكم بالحق قَطْعا، ويجزي كلَّ نفس بما تسعى، وإليه المعـاد والرُّجْعى"** فسُئل وهـو علـى المنبر عن زوجة وأبوَين وابنتين، فقال: **"صار ثُـمُنُها تُسْعا"** -على سجع الخطبة- ومن شعره قوله:

[البسيط]

تِلْكُمْ قُرَيشُ تَمَنَّانِي لِتَقْتُـلَـنِي * فَـلا وَرَبِّـكَ مَـا بَـرُّوا وَلا ظَفِـرُوا
فَإِنْ هَلَكْـتُ فَـرَهْنٌ ذِمَّتـي لَـهُمُ * بِذَاتِ وَدْقَيـنِ لا يَـعْفُـو لَـها أَثَـرُ

والعجيب أن صاحب القاموس في مادة (وَدَق) قال: قال المازِنيّ: لم يصح -يعني أن عليًّا ﷺ تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين- وَصَوَّبه الزمخشري. ثم إن صاحب القاموس في كلامه على مُخَيِّس قال: سِجْنٌ بناه علي ﷺ وكان أولًا جعله من قَصَب وسمَّاه: نافعًا فنقبه اللصوص فقال:

[مشطور الرجز]

أَمَا تَرَانِي كَيِّسًا مُكَيِّسَا
بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيِّسَا
بَابًا حَصِينًا وأَمِينًا كَيِّسَا

يعني صاحب القاموس ذكر في مادة (و.د.ق) أن عليًّا ﷺ لم يصح عنه أنه قال من الشعر غير ذينك، ثم في كلامه على مخيس أنشد لعليٍّ ﷺ هذه الأبيات! وقد وُفِّق بينهما بأن الرجز ليس بشعر، وليس كذلك بل الرجز من الشعر، والمُثْبِت مُقدَّم على النافي، ومن حفظ حجَّة على من لم يحفظ، والشعر المنقول عنه كثير من الرجز وغيره، وقد قال الشعبيّ: "كان أبو بكر شاعرًا، وكان عمرُ شاعرًا، وكان عليٌّ أشعر الثلاثة ﷺ". وفي صحيح مسلم أنه لما برز لمَرْحَب في فتح خيبر، قال:

[مجزوء الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ
كَلَيْثِ غابَاتٍ كَرِيهِ المَنظَرَهْ
أُوفِيهُمُ بِالصَّاعِ كَيلَ السَّندَرَهْ

وابنا زهير: **هما كعب بن زهير وأخوه بُجَيْر**، وقد سبق شيء من شعرهما في أول دواعي العناية بالأدب عند ذكر قصيدة كعب: (بانت سعاد). حمزة: لما أسلم حمزة ﷺ أنشد أبياتًا يقول فيها:

[الوافر]

حَمِدتُّ اللهَ حِينَ هَدَى فُؤَادِي * إِلَى الإِسْلامِ وَالدِّينِ الحَنِيفِ
لِدِينٍ جَاءَ مِن رَبٍّ عَزِيزٍ * خَبِيرٍ بِالعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ

إذا تُلِيَتْ رَسَائِلُهُ عَلَينَا * تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللُّبِّ الحَصِيفِ
رَسَائِلُ جَاءَ أَحْمَدُ مِن هُدَاهَا * بِآيَاتٍ مُّبَيَّنَةِ الحُرُوفِ
وَأَحْمَدُ مُصْطَفًى فِينَا مُطَاعٌ * فَلا تَغْشَوهُ بِالقَولِ العَنِيفِ
فَلا وَاللهِ نُسْلِمُهُ لِقَومٍ * ولَمَّا نَقْضِ فِيهِمْ بِالسُّيُوفِ
ونَتْرُكَ مِنهُمُ قَتْلَى بِقَاعٍ * عَلَيهَا الطَّيرُ كَالوِرْدِ العَكُوفِ

عباس: سبق شعر **عباس** ﵁ في أول دواعي العناية بالأدب، عند قوله: هاتِ مدحتك، وأول شعره قوله للنبي ﷺ:

[المنسرح]

مِن قَبلِها طِبْتَ في الظلالِ وفي * مُستودعٍ حيثُ يُخصَفُ الوَرَقُ

وابن حارث: **هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب** ابن عمِّ النبيّ ﷺ أسلم عام الفتح وحسن إسلامه، وكان قبل ذلك من أشد الناس على النبي ﷺ والإسلام، وكان يقول الشعر في ذلك، وهو الذي ردَّ عليه حسان بن ثابت في قوله:

[الوافر]

ألا أَبْلِغ أبا سُفْيَانَ عَنِّي * مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الخَفَاءُ
بِأَنَّ سُيُوفَنَا تَرَكَتْكَ عَبْدًا * وعَبْدُالدَّارِ سَادَتُهَا الإِمَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وعِندَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ * فَشَرُّكُمَا لِخَيرِكُمَا الفِدَاءُ

ولما أسلم أبو سفيان أنشد شعرًا يعتذر فيه للنبي ﷺ مما كان منه، قال:

[الطويل]

لَعَمْرُكَ إنِّي يَومَ أَحْمِلُ رَايَةً * لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ * فهذا أَوَانِي حِينَ أُهْدَى وأَهْتَدِي
هَدَانِيَ هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي ودَلَّنِي * على اللهِ مَن طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ

أَصُدُّ وأَنْـأَى جَاهِدًا عن مُحَمَّدِ * وَأُدْعَى وإن لَم أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ
هُـمُ مَا هُـمُ مَـن لَمْ يَقُلْ بِهَوَاهُمُ * وإن كـان ذا رَأْيٍ يُلَـمْ وَيُفَنَّـدِ

قال ابن اسحاق: فزعموا حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: ودلّني على الله من طرّدت كل مطرّد ضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: «**أنت طرّدتني كل مُطَرَّد!**» وقد رثى رسول الله ﷺ بأبيات سيأتي ذكرها إن شاء الله عند ذكر المراثي التي قيلت في النبي ﷺ.

وعروة: **هو عروة بن زيد الخير** ذكره ابن حجر في القسم الأول من الإصابة، من شعره قوله:

[الطويل]

ألا طَرَقَتْ رَحْلِي وقد نامَ صُحْبتي * بإيوانِ شِيرينَ المزخرفِ خُلَّتي
ولو شَهِدَتْ يَوْمَيْ جَلُولاءَ حَرْبَنا * ويومَ نهـاوَنْدَ المَهُـولَ استَهَـلَّتِ
إذًا لَرَأَتْ ضَرْبَ امرئٍ غيرِ خاملٍ * مُجيدٍ بطعنِ الرُّمْحِ أَرْوَعَ مِصْلَتِ
ولمَّـا دَعَـوا يا عُـرْوَةَ بن مُهَلْهِلٍ * ضربتُ جُموعَ الفُرْسِ حتى تَوَلَّتِ

سوادٌ ابن قاربٍ: **سواد بن قارب** كان يتكهَّن في الجاهلية، وقد أسلم بعد ذلك، وسأله عمر ﵁ أن يحدثه بخبره، فقال سواد: إنه لعجب، كنت كاهنًا في الجاهلية، فبينا أنا نائم إذ أتاني نَجِيِّي فضربني برجله ثم قال: يا سواد بن قارب اسمع أَقُلْ لك! قلت: هات. قال:

[السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِـنِّ وأَرْجـاسِهـا * وَرَحْلِهَا العِيسَ بِأَحْـلاسِهَـا
تَهْوِي إلى مَكَّةَ تَبْغِي الهُـدَى * ما مُؤْمِنُوهـا مِـثْلُ أَنْجَـاسِهَـا
فارْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ مِن هاشمٍ * واسْـمُ بعَيْنَيْكَ إلـى راسِـها

هكذا ثلاث ليالٍ متواليات ينشده كل ليلة بثلاثة أبيات معناها واحد لكن قافيتها مختلفة، وفي آخر الخبر شعر سواد بن قارب لما قدم على النبي ﷺ فأنشده ما كان من رَئِيِّهِ من الجن ثلاث ليال متواليات وذكر قوله في ذلك:

[الطويل]

أتانِي نَجِيِّي بعد هَـدْءٍ وَرَقْـدَةٍ * ولَمْ يَكُ فِيمَـا قد بَلَوْتُ بِكاذِبِ
ثَلاثَ لَيَـالٍ قَـوْلُـهُ كُـلَّ لَيْلَـةٍ * أتاكَ رَسُـولٌ مِن لُـؤَيٍّ بنِ غالِبِ
فَـرَفَّعْتُ أَذْيالَ الإزارِ وشَمَّـرَتْ * بيَ الفَرَسُ الوَجْناءُ حَـوْلَ السَّباسِبِ
فَأَشْهَـدُ أنَّ اللهَ لا رَبَّ غَـيْـرُهُ * وأَنَّكَ مَـأْمُـونٌ على كُلِّ غَـائِبِ
وأَنَّكَ أَدْنَـى المُـرْسَلِـينَ وَسِيلَـةً * إلى اللهِ يا ابْنَ الأكْـرَمِينَ الأطَـايبِ
فَمُـرْنَا بمـا يَأْتِيكَ مِنْ وَحْـي ربِّنا * وإن كان فيمـا جَئتَ شَيْبُ الذَّوائبِ
وكُنْ لي شَفِيعًا يَوْمَ لا ذُو شَفَاعَـةٍ * بِمُغْنٍ فَتِيـلًا عن سَـوَادِ بنِ قـارِبِ

عاتكة: **هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل**، وقد سبق خبر عبدالله بن أبي بكر –رضي الله عنهما– لما طلقها فتبعتها نفسه وندم وقال في ذلك أبياتًا، منها قوله:

[الطويل]

فلمْ أرَ مِثلي طلَّقَ اليومَ مِثلَها * ولا مثلَهـا في غيرِ جُرْمٍ تُـطَلَّـقُ

وسبق خبر مراجعته لها، وما قال في ذلك من الشعر، ثم إن عبدالله بن أبي بكر شهد الطائف مع رسول الله ﷺ فرُميَ بسهم مات منه بعد ذلك بالمدينة، فقالت عاتكة ترثيه:

[الطويل]

رُزِئتُ بـخيـرِ النَّاسِ بعدَ نَـبيِّهِـمْ * وبعـدَ أبي بكـرٍ وما كـان قَـصَّـرا
فآليتُ لا تَـنْـفَـكُّ عَـيْـنِي سَخِينَـةً * عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْـدِيَ أَغْبَـرا
فَلِلَّهِ عَيْنا مَن رأى مِثلَـهُ فتًى * أَكَـرَّ وأَحْمَى في الهِيـاجِ وأَصْبَـرا
إذا شَرَعَتْ فيـهِ الأَسِنَّـةُ خاضَهـا * إلى المَوتِ حتى يَتْرُكَ الرُّمحَ أحْمرا

ثم تزوجها عمر ؓ فلما قتل عنها قالت ترثيه:

[الخفيف]

عَيْنُ جُـودِى بعَبْرَةٍ ونَحِيبِ * لا تَمَلِّي على الإمـامِ النَّـجِيبِ

فجَعَتْنِي المَنُونُ بالفارسِ المُعْـ * ـلَـمِ يـومَ الهِيـاجِ والتَّثْويبِ
قُلْ لأهلِ الضَّرَّاءِ والبُؤسِ مُوتُوا * قد سَقَتْهُ المَنُونُ كأسَ شَعـوبِ

ثم تزوجها الزبير بن العوام ﵁ فلما قتل عنها قالت ترثيه:

[الكامل]

غَدَرَ ابنُ جُرْمُوزٍ بفـارسِ بُهْمَةٍ * يـومَ اللِّقـاءِ وكان غيـرَ مُعـرِّدِ
يا عمـرُو لـو نَبَّهتَـهُ لَوَجَـدتَـهُ * لا طائشًـا رَعِشَ الجَنانِ ولا اليدِ
كم غَمْرَةٍ قـد خاضَهـا لم يَثْنِهِ * عنهـا طِرادُكَ يا ابن فَقْعِ القَـرْدَدِ
ثكلتكَ أمُّكَ إن ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ * فيمـا مضى مِمَّن يروحُ ويغْتدِي
شَلَّتْ يَمينُكَ إن قَتَلْتَ لمُسلمًا * حلَّتْ عليك عُقُوبَـةُ المُتَعـمِّـدِ

وقد كانت تُسمَّى: "**عاتكة الشُّهداء**".

ضِرار: ضِرار بن الخطَّاب أسلم يوم الفتح، وكانت الراية يوم الفتح عند سعد بن عُبادة ﵁ فقال:

"**اليـومُ يـومُ المَلْحَمَـهْ، اليومُ تُسْتَحَلُّ الحُرْمَهْ**".

فتخوَّف المهاجرون على قريش من سعد، وأنشد ضرار بن الخطاب يومئذٍ شعرًا حين سمع قول سعد استعطف فيه النبي ﷺ على قريش، قال السُّهَيْلي في الروض الأُنُف: "وهو من أجود شعر لـه" قال:

[الخفيف]

يا نَبِيَّ الهُـدَى إليكَ لَجَا حَيـ * ـيُّ قريشٍ ولاتَ حـينَ لَـجَاءِ
حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ سَعَـةُ الأرْ * ضِ وَعَـادَاهُـمُ إلَـهُ السَّمَـاءِ
والْتَقَتْ حَلْقَتَا البِطانِ على الْقَـوْ * مِ وَنُـودُوا بِالصَّيْلَمِ الصَّلْعَـاءِ
إنَّ سَعْدًا يُـرِيدُ قاصِمَـةَ الظَّهْـ * ـرِ بِأهْلِ الحَجُونِ والْبَطْحَـاءِ
خَـزْرَجِيٌّ لَـوْ يَسْتَطِيعُ مِن الغيْـ * ـظِ رَمَـانَـا بالنَّسْـرِ والعَـوَّاءِ

فَلَئِنْ أَقْحَمَ اللِّــوَاءَ ونَــادَى * يا حُـمَــاةَ اللِّــوَاءِ أَهْـلَ اللِّــوَاءِ
لَتَكُـونَنَّ بِالبِـطَــاحِ قُـرَيْـشٌ * بُـقْـعَـةُ القَـاعِ فِي أَكُـفِّ الإِمَـاءِ
فانْـهَـيَنْـهُ فـإِنَّـهُ أَسَــدُ الأُسْــ * ــدِ لدى الغابِ والِـغٌ فِي الدِّماءِ
إِنَّـهُ مُـطْـرِقٌ يُـريـدُ لـنـا الأَمْـ * ـرَ سُكـوتًا كالحيَّـةِ الصـمَّـاءِ

فلما سمع النبي ﷺ هذا الشعر دخله رحمة لهم ورأفة بهم، وأمر بالراية فأُخِذت من سعد بن عبادة ودفعها إلى ابنه قيس بن سعد.

وابن تولب: **النَّمِر بن تَوْلَب** من بني عُكْل قدم على النبي ﷺ مسلمًا، ومدحه بشعر أوله:

[الرجز]

إِنَّا أَتَيْناكَ وقد طالَ السَّفَر * نَقُودُ خَيْلًا ضُمَّرًا فيها ضَرَرْ

ومن شعره قوله:

[الكامل]

لا تَغْضَبَنَّ على امـرِئٍ في مـالِهِ * وعلى كَرَائمِ صُلْبِ مَالِكَ فاغْضَبِ
وإذا تُصِبْكَ خَصاصَـةٌ فـارْجُ الغِنَى * وإلى الذي يُعْطِي الرَّغائبَ فارْغَبِ

ومنه قوله:

[الطويل]

يَـوَدُّ الفَتى طُولَ السَّلامـةِ والغِـنى * فكيف يَرَى طُولَ السَّلامـةِ يَفْعَـلُ
يَـرُدُّ الفتـى بعدَ اعتِـدالٍ وصِـحَّـةٍ * يَـنُـوءُ إذا رامَ القِـيـامَ ويُـحْـمَـلُ

فاطمة: سيأتي شعر **فاطمة** -رضي الله عنها- في المَراثي التي قيلت في النبي ﷺ.

ونجل عباس: كان **ابن عباس** -رضي الله عنهما- أعجوبة في حفظ أشعار العرب، يسمع القصيدة فيحفظها من مرَّة واحدة، وكان يُسأل عن الكلمة من كلمات القرآن؛ فينشد في معناها الشعر، من شعره ما رُويَ عنه من وُجُوه أنه قال بعد ذهاب بصره وقد كَبِر، قال:

[البسيط]

إن يأخُذِ اللهُ مِن عَيْنَيَّ نُورَهُـما * ففي لساني وقَـلْبي مِنهمـا نُـورُ
قلبي ذَكِيٌّ وعَقْلي غيرُ ذي دَخَلٍ * وفي فَمِي صارمٌ كالسَّيفِ مَأْثُـورُ

ونجل عمر: **عبدالله بن عمر** –رضي الله عنهما- مما يُنسَبُ إليه أنه قال في ابنه سالم، وكان عبدالله شديد المحبة لابنه سالم، وكان يقبِّله وقد شاخ سالم، ويقول: **"شَيخٌ يُقبِّل شَيخًا"** وكانوا يلومونه في شدَّة محبته لسالم، فكان يقول:

[الطويل]

يَلُومُونَنِي فِـي سَالِـمٍ وأَلُـومُهُمْ * وَجِلْدَةُ بَيْنَ العَينِ والأنفِ سَالِـمُ

والعجيب أن الجوهري صاحب (الصِّحاح) قال: "ويقال للجلدة التي بين العين والأنف سالم". غرَّه بيت ابن عمر هذا؛ فظن أن الجلدة التي بين العين والأنف يقال لها: سالم. وإنما قصد عبدالله قُرب سالم منه ومحلَّه عنده، وقد نبه على هذا الغلط في القاموس. ومن الأخبار اللطيفة أن عبدالملك بن مروان كتب إلى الحجاج: "أنت عندي كسالمٍ والسلام".

يريد أنه عنده كالجلدة التي بين العين والأنف. فحار الحجاج، وكتب إلى قتيبة يسأله؛ فأخبره قتيبة بخبر عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما- وابنه.

قريبٌ من هذا الغلط الذي في الصحاح عن الجوهري، ما حصل لابن سيده في (المُحكم)؛ فإنه لما ذكر الجِمار قال: "وهي التي ترمى بعرفة" والجمار لا ترمى بعرفة! قال الحافظ في (لسان الميزان) –بعد أن نقل ما قاله ابن سيده في المحكم-: "والغالط في هذا يعذر لكونه لم يكن فقيهًا ولم يحُج، ولا يلزم من ذلك أن يكون قد غلط في اللغة التي هي فَنُّه".

ومعبد: **مَعْبَد بن أبي معبد الخُزاعي** ردَّ أبا سفيان بعد غزوة أحد لما هم أبو سفيان أن يرجع إلى المدينة، وقد مرَّ معبد بالنبي ﷺ بعد أُحد، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عَيْبَةَ نُصحٍ للنبي ﷺ ومعبد يومئذ مشرك لم يسلم بعد، فقال للنبي ﷺ

-وقد رأى ما به وبأصحابه من الجراح-: يا محمد أما واللهِ قد عزَّ علينا ما أصابك، ولودِدنا أن الله عافاك فيهم. ثم خرج وأبو سفيان وقومه قد أجمعوا الكرَّة على المدينة، فقال له معبد يُخوِّفه: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جَمْعٍ لم أَرَ مثله قطّ، يتحرَّقون عليكم تحرُّقًا قد اجتمع معه من كان قد تخلَّف عنه في يومكم، فيهم من الحَنَقِ عليكم شيء لم أَرَ مثله قطّ. قال أبو سفيان: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحِل حتى أرى نواصيَ الخيل، وقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من الشعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

[البسيط]

كادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي * إذ سَالَتِ الأَرْضُ بِالْجُرْدِ الأَبَابِيلِ
تَـرْدِي بِأُسْـدٍ كِـرَامٍ لا تَـنَابِلَـةٍ * عندَ اللِّقَـاءِ ولا مِيـلٍ مَـعَـازِيلِ
فَظَلْتُ عَـدْوًا أَظُـنُّ الأَرْضَ مَائِلَـةً * لمَّـا سَمَـوْا بِرَئِيسٍ غيرِ مَخْذُولِ
فقلتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِن لِقَائِكُمُ * إذا تَغَـطْمَطَتِ البَطْحَـاءُ بِالجِيـلِ
إنِّي نَذِيـرٌ لأَهْـلِ البَسْلِ ضَاحِيَـةً * لِكُـلِّ ذي إِرْبَـةٍ مِنهُـمْ وَمَعْقُـولِ
مِن جَيْشِ أَحْمَدَ لا وَخْشٍ تَنَابِلَةٍ * وليس يُوصَـفُ ما أَنْذَرْتُ بِالقِيـلِ

أمية بن الأسكر: سبق شيء من شعر **أمية بن الأسكر** عند الكلام على أن الشعر يُمضي الشفاعات عند قوله:

وفي كِلابٍ شَفَعَ ابن الأسكر * فـردَّهُ الفـاروقُ لـم يُقَصِّـرِ

وَاذْكُـرْ هُنَـا نَجْـلَ حَبِيـبٍ عَمْـرًا ١٨٦ خُبَيْبًـا. الجَمِيـعُ قَـالُوا شِـعْرًا

فَمِـنْ مُقِـلٍّ مِـنْهُمُ وَمُكْـثِرِ ١٨٧ أَبْصِـرْ فَمَـا العِيَـانُ مِثْـلَ الخَـبَرِ

نجل حبيب عمرا: **عمرو بن حَبيب** ﷺ مشهور بكنيته، هو أبو مِحْجَن الثقفيّ، وقيل في اسمه غير ذلك، لكن المذكور هنا هو الذي صدر به ابن حجر في الإصابة، وقد كان في أول أمره يشرب الخمر، ثم تاب بعد ذلك، وفي القادسية أُتِيَ سعد بن أبي وقاص بأبي مِحجن وهو سكران من الخمر؛ فأمر به فقُيِّد، وكان بسعد جِراحة، فصعد فوق بيت لينظر ما يصنع الناس، فجعل أبو محجن ينظر إلى القوم ويتمثل:

[الطويل]

كفى حَزَنًا أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنا * وأُتْـرَكَ مَشْدُودًا عليَّ وَثاقِيَا
إذا قُمْتُ عَنَّاني الحديدِ وغُلِّقَتْ * مَصارِعُ دُوني قد تُصِمُّ المُنادِيَا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخْوَةٍ * فقد تركوني واحدًا لا أخا لِيَا
فلِلَّهِ عَهْدٌ لا أَخِيسُ بعَهْدِهِ * لَئِنْ فُرِجَتْ أَلَّا أَزُورَ الحَوانيَا

ثم قال لزوجة سعد: ويلكِ خَلِّيني! فلكِ اللهُ عليَّ إن سلمت أن أجيء حتى أضع رجلي في القَيْد، وإن قتلت استرحتم مني؛ فخلَّته ووثب على فرس لسعد يقال لها: البَلْقاء، ثم أخذ الرُّمح وانطلق حتى أتى الناس، فجعل لا يحمل في ناحيَة إلا هزمهم الله، فجعل الناس يقولون: هذا مَلَك! وسعد ينظر، فجعل يقول: **الضَّبْرُ ضَبْرُ البلقاء** -أي العدو عدو البلقاء- **والظَّفْرُ طَفْرُ أبي مِحجن** -أي الوَثْب وثب أبي مِحجن- **وأبو محجن في القيد!** -يتعجَّب- فلما هُزم العدو؛ رجع أبو محجن حتى وضع رجله في القيد؛ فأخبرت زوجة سعد سعدًا بالذي كان من أمره، فقال: لا أجلدك في الخمر أبدًا! فقال أبو محجن: وأنا والله لا أشربها أبدًا!

خبيبا: آخر من ذكر **خُبَيْب بن عَدِيّ** ﷺ لما أسرته قريش بعد حادثة بعث الرَّجيع، وبلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه، قال:

[الطويل]

لقد جَمَّعَ الأحزابُ حَوْلِي وأَلَّبُوا * قَبَائِلَهُمْ وَاسْتَجْمَعُوا كُلَّ مَجْمَعِ
وكُلُّهُمْ مُبْدِي العَدَاوَةِ ضاغِنٌ * عليَّ لأنِّي في وَثَاقٍ بِمَضْيَعِ

وقد جَمَّعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ * وقُرِّبْتُ مِن جِذْعٍ طَوِيلٍ مُمَنَّعِ
إلى اللهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي * وما أَرْصَدَ الأَحْزَابُ لي عندَ مَصْرَعِي
فَذَا العَرْشِ صَبِّرْنِي على مَا يُرَادُ بِي * فَقَدْ بَضَّعُوا لَحْمِي وقد يَاسَ مَطْمَعِي
وقد خَيَّرُونِي الكُفْرَ وَالْمَوْتُ دُونَهُ * وقد هَمَلَتْ عَيْنَايَ مِن غَيْرِ مَجْزَعِ
وما بِي حِذَارُ المَوتِ إنِّي لَمَيِّتٌ * ولكن حِذَارِي جَحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ
ولستُ أُبالي حينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا * على أيِّ جَنْبٍ كانَ فِي اللهِ مَصْرَعِي
وذلكَ في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ * يُبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

(بِطَيْبَةٍ رَسْمٌ) (أَرِقْتُ) (كُنْتَا ١٨٨ رَجَاءَنَا) وَ(اغْبَرّ) مُنْذُ بِنْتَا

رَثَى بِهَا الأَصْحَابُ خَيْرَ مُرْسَلِ ١٨٩ جَرَى الأَسَى مِنْهُمْ بِكُلِّ مَفْصِلِ

ذكر هنا بعض المراثي التي رثى بها الصحابة الرسول ﷺ وعِدَّة ما ذكره منها أربعة:

(بطيبة رسم): قال حسان رضي الله عنه يبكي رسول الله ﷺ:

[الطويل]

بِطَيْبَةَ رَسْمٌ لِلرَّسولِ ومَعْهَدٌ * مُنِيرٌ وقد تَعْفُو الرُّسُومُ وتَهْمُدُ
ولا تَمْتَحِي الآيَاتُ مِن دَارِ حُرْمَةٍ * بها مِنْبَرُ الهادِي الذي كان يَصْعَدُ
ووَاضِحُ آثَارٍ وبَاقِي مَعَالِمٍ * ورَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلًّى ومَسْجِدُ
بها حُجُرَاتٌ كان يَنْزِلُ وَسْطَهَا * مِن اللهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ ويُوقَدُ

وفيها يقول:

فَبَكِّي رَسُولَ اللهِ يا عَيْنُ عَبْرَةً * ولا أَعْرِفَنْكِ الدَّهْرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وَمَالَكِ لا تَبْكِينَ ذا النِّعْمَةِ التي * على النَّاسِ مِنهَا سَابِغٌ يَتَغَمَّدُ
وما فَقَدَ المَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ * ولا مِثْلُهُ حتى القِيَامَةِ يُفْقَدُ

وله أيضًا في رثاء النبي ﷺ غير هذه القصيدة.

(أرقت): قال أبو سفيان بن الحارث يبكي رسول الله ﷺ :

[الوافر]

أَرِقْـتُ فَبَـاتَ لَيلِـي لا يَـزُولُ * وَلَيلُ أَخِي الـمُصِيبَةِ فِيهِ طُـولُ
وَأَسْعَدَنِـي البُكَـاءُ وَذَاكَ فِيمَـا * أُصِـيبَ الـمُسْلِمُونَ بِـهِ قَلِيـلُ
لَقَدْ عَظُمَـتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّـتْ * عَشِـيَّةَ قِيـلَ قَـدْ قُبِـضَ الرَّسُـولُ
وَأَضْـحَتْ أَرْضُـنَا مِـمَّا عَرَاهَـا * تَكَـادُ بِنَـا جَوَانِبُهَـا تَـمِيلُ
فَقَـدْنَا الـوَحْيَ وَالتَّنزِيـلَ فِينَـا * يَـرُوحُ بِـهِ وَيَغْـدُو جَبْـرَئِيلُ
وَذَاكَ أَحَـقُّ مَـا سَـالَتْ عَلَيـهِ * نُفُـوسُ النَّاسِ أَوْ كَرَبَتْ تَسِيلُ
نَبِـيٌّ كَـانَ يَـجْلُو الشَّـكَّ عَنَّا * بِـمَا يُـوحَى إِلَيـهِ وَمَـا يَقُـولُ
ويَهْـدِينَا فَـلَا نَـخْشَى ضَـلَالًا * عَلَيـنَـا والرَّسُـولُ لنـا دَلِيـلُ
أَفَـاطِمُ إِن جَزِعْـتِ فَـذَاكَ عُـذْرٌ * وإِن لَـمْ تَـجْزَعِي ذَاكَ السَّـبِيلُ
فَقَبْـرُ أَبِيـكِ سَـيِّدُ كُـلِّ قَبْـرٍ * وفِيـهِ سَـيِّدُ النَّـاسِ الرَّسُـولُ

(كنت رجاءنا): قالت صفية -رضي الله عنها- عمَّة النبي ﷺ ترثيه:

[الطويل]

ألا يا رسـولَ اللهِ كنتَ رَجـاءنا * وكنتَ بنا بَـرًّا ولـم تَكُ جـافِيـا
وكنتَ رحيمًا هـادِيًا ومُعَلِّمًـا * لِيَبْكِ عليكَ اليومَ مَن كان باكِيا
لَعَمْـرُكَ ما أبـكي النَّبيَّ لِفَقْدِهِ * ولكن لِمَا أَخْشَـى مِن الهَرْجِ آتِيا
كـأنَّ على قلبي لِذِكْـرِ محمـدٍ * وما خِفْتُ مِن بعدِ النَّبيِّ المَكاوِيا
أفاطِـمُ صلَّـى اللهُ ربُّ محمـدٍ * على جَـدَثٍ أَمْسَى بِيَثْرِبَ ثاوِيا
فِـدًا لِرسـولِ اللهِ أُمِّي وخالتي * وعمِّـي وآبائي ونَفْسـي ومالِيا
صَدَقْتَ وبَلَّغْتَ الرِّسالةَ صادقًا * ومِتَّ صَلِيبَ العُـودِ أَبْلَجَ صافِيا

فَلَـوْ أنَّ رَبَّ النَّـاسِ أَبْقى نبيَّنـا * سَعِـدْنا ولكـنْ أَمْـرُهُ كان ماضِيا
عليـكَ مِن اللهِ السَّـلامُ تـحيَّـةً * وأُدْخِلتَ جنَّاتٍ مِن العَدْنِ راضِيا

و(اغبر): قالت فاطمة –رضي الله عنها- بنت النبي ﷺ بعد دفنه ﷺ وقد اجتمع عندها نساؤها، قالت:

[الكامل]

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَـاءِ وكُـوِّرَتْ * شَمْسُ النَّهَارِ وأَظْلَمَ العَصْرَانِ
فَالأرضُ مِن بَعْدِ النَّبِيِّ كَئِيبَـةٌ * أَسَفًـا عَلَيْـهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَـانِ
فَلْيَبْكِهِ شَـرْقُ البِلادِ وغَرْبُهَـا * وَلْتَبْكِـهِ مُضَرٌ وكُلُّ يَمَـانِ
وَلْيَبْكِهِ الطَّوْدُ الْمُعَظَّمُ جَـوُّهُ * وَالبَيْتُ ذُو الأَسْتَـارِ وَالأرْكَانِ

رَثَى بِهَـا الأَصْـحَابُ خَـيْرَ مُرْسَـلِ ١٨٩ جَرَى الأَسَى مِنْهُمْ بِكُـلِّ مَفْصِـلِ

فَاجِعَـةٌ أَعْظِـمْ بِهَـا مِـنْ فَاجِعَـهْ! ١٩٠ بَاقِعَـةٌ وَيَـا لَهَـا مِـنْ بَاقِعَـهْ!

شِـعْرُ الرِّثَـا أَصْـدَقُ شِـعْرٍ يَنْطِـقُ ١٩١ لَا غَـرْوَ إِذْ أَكْـبَادُهُمْ تَحْـتَرِقُ

باقعة: الباقعة؛ الداهية. لا غرو: الغَرْو: العَجَب، غَرا يَغْرُو: عَجِبَ. لا غرو: لا عَجَب.

مُـتَـمِّـمٌ رَثَى أَخَـاهُ مَالِكَـا ١٩٢ بِقَوْلِـهِ: (قَـدْ لَامَـنِي عَلَى البُكَـا)

متمم رثى أخاه مالكا: **متم بن نُوَيْرَة التَّميمي** صحابي رضي الله عنه وهو صاحب المراثي الحِسان في أخيه مالك، وهو القائل:

[الطويل]

وكُنَّا كَنَدْمانَيْ جَذِيمَةَ حِقْبَـةً * مِن الدهرِ حتى قيلَ لن يتَصدَّعا
فلمـا تفرَّقْنا كـأني ومالِكًـا * لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معَا

وقد تمثلت بهما عائشة –رضي الله عنها- لما وقفت على قبر أخيها عبدالرحمن ﷺ. ومن شعره أبياته المشار إليها هنا:

[الطويل]

لقد لامَنِي عندَ القُبورِ على البُكا * رَفيقِي لِتَذْرافِ الدُّموعِ السَّوافِكِ
فقـال أتبكِـي كلَّ قـبرٍ رأيتَـهُ * لقبرٍ ثوى بينَ اللِّـوى فالدَّكادِكِ
فقلتُ لهُ إنَّ الأسى يَبْعَثُ الأسى * فَدَعْنِي فـهـذا كُـلُّـهُ قَبْرُ مالِكِ

وأكثر شعره في رثاء أخيه، ومنه قوله:

[الطويل]

جميلُ المُحَيَّا ضاحِكٌ عند ضَيفِهِ * أَغَرُّ جَمِيعُ الرأيِ مُشْتَرَكُ الرَّحْلِ
وقُـورٌ إذا القَومُ الكـرامُ تَقـاوَلُوا * فَحُلَّتْ حِباهُمُ واستُطِيروا مِن الجَفْلِ
وكنتَ إلى نَفْسِي أشـدَّ حَـــلاوَةً * مِن الماءِ بالماذيِّ مِن عسلِ النَّحْلِ
وكلُّ أَخٍ في الناسِ بعـدَ ابنِ أُمِّـهِ * كساقِطَةٍ إحدى يديهِ مِن الخَبْـلِ
وبعضُ الرجالِ نخلةٌ لا جَنَى لها * ولا ظِـلَّ إلا أن تُعَـدَّ مِن النَّخلِ

يحكى أن عمر ﷺ قال له: **"والله لوددت أني أحسن الشعر؛ فأرثي أخي زيدًا بمثل ما رثيت به أخاك"**-وقد استشهد زيد بن الخطاب ﷺ في اليمامة- فقال له متمم: لو علمت أن أخي صار حيث صار أخوك ما رثيته. فقال عمر: **"ما عزَّاني أحد عن أخي بمثل ما عزَّيتني به"**.

ويروى أن عمر ﷺ قال للحُطَيْئة: **"هل رأيت أو سمعت بأبكى من هذا؟"** فقال: لا والله ما بكى بكاءه عربي قط ولا يبكيه!

ومُتَمِّمٌ هذا هو الذي أشار إليه صاحب الشمقمقية بقوله:

وكُنْ مُتَمِّمًا بُكـا مُتَمِّـمٍ * على الذُّنوبِ وارْجُ عَفْوَ مُعْتِقِ

وقد قال الشيخ المُختار بن حامد -رحمه الله- في رثائه الشيخ محمد عالي بن عبد الودود -يُخاطب أبناءه- يقول:

[الطويل]

وكان أبوكُمْ مالِكِي وابنَ مالكِي * فلا عُـذْرَ لي ألّا أكونَ مُتَمِّمًا

مالكي: يعني شيخي في الفقه. وابن مالكي: يعني شيخي في النحو. فلا عذر لي ألا أكون متمما: فلا عذر لي ألا أبكيه كما بكى متمم أخاه مالكًا.

تُمَـاضِرُ أَرْقَى شَـوَاعِرِ العَـرَبْ ١٩٣ أَحْزَنُ مَنْ بَكَـى وَأَرْثَى مَـنْ نَـدَبْ

تِـلْـكَ الَّـتِي غَـلَـبَـتِ الفُحُـولَا ١٩٤ وَأَبْكَـتِ الطُّلُـولَ وَالحُلُـولَا

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد هي الخَنْساء -رضي الله عنها- صحابية، وقد أجمع أهل المعرفة بالشعر أنه لم تكن امرأة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها، هذا قوله: تماضر أرقى شواعر العرب. وكان بشار بن بُرْد يقول: لم تقل امرأة شعرًا إلا تبيّن الضعف فيه، فقيل له: فالخنساء؟ قال: **"تلك التي غلبت الفحول"**. وهذا قوله: تلك التي غلبت الفحولا.

الطلول: جمع طَلَلْ، والطَّلَلُ ما له شخص من آثار الديار. والحُلُول: جمع حالٍّ للنازل.

تماضر الخنساء كان لها أخوان: معاوية وصخر، وكان معاوية أخاها لأبيها وأمها، ومات قبل صخر؛ فبكته بأشعار كثيرة، منها قولها:

[الوافر]

أَريقي مِن دموعـكِ واسْتَفِيقِي * وصبرًا إن أَطَقْتِ ولن تُطِيقِـي
وقولـي إنَّ خـيرَ بَنِي سُلَيْـمٍ * وفارِسَهُمْ بصحـراءِ العَقيـقِ
فَبَكِّيـهِ فـقد أَوْدَى حميـدًا * أصيلَ الرَّأيِ محمودَ الصَّديقِ

فـلا واللهِ لا تَسْـلاكَ نَفْسِـي * لفـاحشـةٍ أَتَيْـتَ ولا عُـقـوقِ
ولكنّـي رأيتُ الصَّبـرَ خيـرًا * مِن النَّعلينِ والـرَّأسِ الحَلِيـقِ

ثم مات بعد ذلك أخوها صخر؛ فأنستها مصيبتها به مصيبتها بمعاوية، وقالت فيه أشعارًا كثيرة، منها قولها –تصف حالها وقد حملوه على النعش وذهبوا به–:

[الطويل]

وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فاتَ خَطْوَهـا * لِتُدْرِكَهُ يا لَهْفَ نفسي على صَخْرِ
ألا ثَكِـلَتْ أمُّ الذين مَشَـوا بـهِ * إلى القبرِ ماذا يَحْمِلونَ إلى القبرِ

ومن شعرها قولها:

[البسيط]

قَـذًى بعينكِ أم بالعَينِ عُـوَّارُ * أَمْ ذَرَّفَتْ إذ خَلَتْ مِن أَهلِها الدارُ
كـأنَّ عَيْني لـذِكْراهُ إذا خَطـرَتْ * فَيْضٌ يَسيلُ على الخَدَّينِ مِـدْرَارُ

إلى أن تقول:

وإنَّ صَخـرًا لَـوالِينـا وسيـدُنا * وإنَّ صَخرًا إذا نَشْتُـو لنَحَّـارُ
وإنَّ صخرًا لَتَأْتَـمُّ الهُـداةِ بـهِ * كـأنَّـهُ عَـلَـمٌ في رأسـهِ نـارُ

وقالت فيه أيضًا:

[المتقارب]

أَعَـيْنَـيَّ جُـودا ولا تَجْمُـدا * ألا تبكيانِ لِصَخْـرِ النَّـدى
ألا تبكيانِ الجَرِيءَ الجميلَ * ألا تبكيـانِ الفتى السَّيِّـدا
طويلَ العمادِ عظيمَ الرَّما * دِ سـادَ عَشـيرَتَـهُ أَمْـرَدَا
إذا القـومُ مـدُّوا بأيديهـمُ * إلى المَجْدِ مَـدَّ إليهِ اليَـدا

فنالَ الذي فوقَ أيدِيهِمُ * مِن المجدِ ثمَّ غدا مُصْعِدا
يُكَلِّفُهُ القَومُ ما عالَهُمْ * وإن كان أَصْغرَهُمْ مَولِدا
وإن ذُكِرَ المجدُ أَلْفَيْتَهُ * تأزَّرَ بالمَجْدِ ثمَّ ارْتَدى

قال ابن الونان في الشمقمقية:

وابْكِ على ذَنْبٍ وقلبٍ قد قَسا * كالصَّخْرِ مِن هواهُ لم يسْتَفِقِ
بِمُقْلَةٍ كمُقْلَةِ الخنساءِ إذْ * تبكي على صَخْرٍ بلا تَرَفُّقِ

والشيخ المختار بن حامد –رحمه الله– قال يرثي بعض العلماء:

[البسيط]

فما أَسَى بنتِ عمرٍو بن الشَّريدِ على * صخرٍ ولا البَثُّ مِن مَعروفةِ الخَنَسِ
ولا حنينُ ابنِ زَيدونَ الأديبِ إلى * ولّادةٍ وليالي وَصْلِ أندلُسِ
يومًا ببالغِ شِسْعِ النَّعْلِ مِن جَزَعٍ * فينا ولا عُشْرِ المِعْشارِ مِن خُمُسِ

وَمَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ نَفْسَهُ نَعَى ١٩٥ وَقَدْ غَزَا وَلِلضَّلَالِ وَدَّعَا
(جُرَّا رِدَائِيْ وَلِقَبْرِيْ أَوْسِعَا) ١٩٦ مَرْثِيَةٌ تُذْرِي الدُّمُوعَ هُمَّعَا

تذري الدموع: يقال أَذْرَت العين دمعها تُذْرِيهِ؛ إذا صبَّته وأسالته، والذَّرَى ما انصب من الدمع. هُمَّعا: يقال هَمَعَتْ عينه هَمْعًا وهُمُوعًا؛ إذا أسالت دمعها، وسحابٌ هَمِعٌ؛ ماطر.

مالك بن الرَّيب التَّميمي هو من أهل هذا العصر، توفي –رحمه الله– سنة ٥٧ من هجرة النبي ﷺ وهو أشهر من رثى نفسه، وقد كان في أول أمره فاتِكًا لصًّا يقطع الطريق، ثم إن سعيد بن عثمان بن عفان لقيه وهو خارج من المدينة إلى خرسان، وقد ولّاه معاوية بن أبي سفيان ﵁

عليها؛ فاستصلحه وحثه على الغزو معه بدلًا من قطع الطريق، فصحبه مالك وأبلى بلاءً حسنًا في خرسان، وعند قُفُولِهِمَا أراد مالك أن يلبس خُفَّه فإذا بأفعى بداخل الخفّ فلسعته، فلما أحس بالموت أنشد قصيدته التي يرثي بها نفسه ويذكر توبته، قال:

[الطويل]

أَلا لَيْتَ شِعْري هل أَبِيتَنَّ ليلةً * بجَنبِ الغَضَا أُزْجِي القِلاصَ النَّوَاجِيا
فَلَيتَ الغَضَا لم يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرضَهُ * وليتَ الغَضَا ماشى الرِّكابَ لَيالِيا
لقد كان في أهلِ الغَضا لو دَنا الغَضا * مَزارٌ ولكنَّ الغَضا ليس دانيا
ألم تَرَني بِعْتُ الضَّلالةَ بالهُدى * وَأَصْبَحْتُ في جيشِ ابنِ عفَّان غازِيا
تقولُ ابنتي لمَّا رأتْ وَشْكَ رِحْلتي * سِفارُك هذا تارِكي لا أبا لِيا
تَذَكَّرْتُ من يَبْكي عليَّ فلم أَجِدْ * سِوَى السَّيْفِ والرُّمحِ الرُّدَينيِّ باكِيا
وأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ * إلى الماءِ لم يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ ساقِيا
ولكن بِأَطْرَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ * عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ العَشِيَّةَ ما بِيا
صَرِيعٌ على أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ * يُسَوُّونَ قَبْري حيثُ حُمَّ قضائيا
ولمَّا تَرَاءَتْ عندَ مَرْوٍ مَنيَّتي * وحَلَّ بها جِسْمِي وحَانَتْ وفاتِيا
أقولُ لأصحابي ارفعوني لأنني * يَقِرُّ بِعَيْنِي أن سهَيلٌ بَدَا لِيا
فيا صاحِبَيْ رَحْلِي دنا الموتُ فانزِلا * بِرابِيَةٍ إني مُقِيمٌ لَيالِيا
أَقيما عليَّ اليومَ أو بعضَ ليلةٍ * ولا تُعْجِلاني قد تَبَيَّنَ ما بِيا
وقُوما إذا ما اسْتُلَّ رُوحي فهيِّئا * ليَ القبرَ والأكفانَ ثمَّ ابكيا لِيا
وخُطَّا بأطْرَافِ الأسِنَّةِ مَضْجَعي * ورُدَّا على عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدائيا
ولا تَحْسُداني بارَكَ اللهُ فيكُما * من الأرْضِ ذاتِ العَرْضِ أن تُوسِعا لِيا
خُذَاني فجُرَّاني بِبُرْدِي إليكُما * فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا
يقولونَ لا تَبْعَدْ وهمْ يَدْفِنُونَني * وأين مَكانُ البُعْدِ إلا مَكانيا
غَدَاةَ غَدٍ يا لَهْفَ نَفْسي على غدٍ * إذا أَدْلَجُوا عَنِّي وخُلِّفْتُ ثاوِيا

وأصبحَ مالي مِن طَرِيفٍ وتالِدٍ * لِغَيْرِي وكان المالُ بالأمسِ ماليا
ويا ليتَ شِعْرِي هل بَكَتْ أُمُّ مالكٍ * كما كنتُ لو عَالَوا نَعِيَّكِ باكيا
وبالرَّمْلِ مِنِّي نِسْوَةٌ لو شَهِدْنَنِي * بَكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطَّبيبَ المُدَاوِيا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي وابنتاها وخالتي * وباكِيَةٌ أُخرى تَهِيجُ البَوَاكِيا

ثم لما ذكر ما رثى به مالك بن الرَّيب نفسه، استطرد فذكر جماعة ممن رثوا أنفسهم، قال:

وَمِثْلُهُ: فَخْرُ بَنِي عَبَّادِ ١٩٧ (قَبْرَ الغَرِيبِ لَا عَدَاكَ الغَادِي)

وَعَبْدَةٌ نَجْلُ الطَّبِيبِ إِذْ كَبِرْ ١٩٨ وَنَجْلُ خَذَّاقٍ، مُحَمَّدُ الخَضِرْ

هؤلاء ليسوا من أهل هذا العصر، إنما ذكرهم استطرادًا، وهم أربعة:

أولهم: **المُعْتَمِد بن عبَّاد**. وسيأتي ذكر شيء من أخباره وأشعاره في الكلام على الشعر في الأندلس. والمعتمد بن عباد لما أحسَّ بدنو وفاته قال:

[البسيط]

قبرَ الغَرِيبِ سقاكَ الرَّائحُ الغادي * حقًّا ظَفِرْتَ بِأشْلاءِ ابنِ عبَّادِ
بالحِلْمِ بالعِلْمِ بالنُّعْمى إذا اتَّصَلَتْ * بالخِصْبِ إن أَجْدَبوا بالرِّيِّ للصَّادي
بالطَّاعِنِ الضَّارِبِ الرَّامي إذا اقتَتَلُوا * بالموتِ أحمرَ بالضِّرْغامَةِ العادي
بالدَّهرِ في نِقَمٍ بالبحْرِ في نِعَمٍ * بالبَدْرِ في ظُلَمٍ بالصَّدْرِ في النَّادي
نَعَمْ هو الحقُّ وافاني بهِ قَدَرٌ * مِن السَّماءِ فَوافاني لِميعَادِ
ولم أكن قبلَ ذاكَ النَّعْشِ أَعْلَمُهُ * أنَّ الجِبالَ تَهادى فوقَ أَعْوادِ

والثاني: **عَبْدَة بن الطَّبيب** -بسكون الباء في عبدة- وأما علقمة الفحل فهو علقمة بن عَبَدَة -بفتح الباء- لما أَسَنَّ عبدة بن الطبيب ورابه بصره جمع بنيه وأوصاهم، وقصيدته هذه في المُفَضَّليَّات، قال:

[الكامل]

أَبَـنِيَّ إنِّي قـد كَبِرْتُ ورَابَنِي * بَصَرِي وفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَعُ

إلى أن قال:

أُوصِيكُمُ بِتُقَى الإلـهِ فـإنَّـهُ * يُعْطِي الرَّغائبَ مَن يَشَاءُ ويَمْنَعُ
وبِبِرِّ والِدِكُمْ وطـاعـةِ أَمـرِهِ * إنَّ الأبَـرَّ مِـن البَـنِيـنَ الأطْوَعُ
إنَّ الكَـبِيـرَ إذا عَـصَـاهُ أَهْـلُـهُ * ضَـاقَـتْ يَـدَاهُ بـأَمرِهِ ما يَصْنَعُ

والثالث: **يزيد بن خَذَّاق**. في (العِقْد) لابن عبدربِّه قال: قال ابن قتيبة: بلغني أن أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره؛ يزيد بن خذَّاق؛ فقال:

[البسيط]

هل لِلْفَتَى مِن بَنَاتِ الدَّهْرِ من واقِ * أم هل لهُ من حِمَامِ الموتِ مِن رَاقِ
قد رَجَّلُونِي وما بالشَّعْرِ مِن شَعَثٍ * وأَلْبَـسُـونِي ثِـيَابًا غَـيْـرَ أَخْـلاقِ
وطَيَّـبُـونِي وقـالـوا أَيُّـمَـا رَجُـلٍ * وأَدْرَجُـونِي كـأَنِّـي طَـيُّ مِـخْـرَاقِ
وأَرْسَـلُـوا فِـتـيـةً مِن خَيْرِهِمْ حَسَبًا * لِيُـسْـنِـدُوا في ضَرِيحِ القبرِ أَطْبَاقِي
وقَسَّمُوا المالَ وارفَضَّتْ عَوائدُهُمْ * وقـال قـائلُـهُـمْ مـاتَ ابنُ خَـذَّاقِ
هَــوِّنْ عَـليكَ وَلا تُـولَعْ بإشْـفَـاقِ * فـإنَّـمـا مالُـنـا لِلْـوَارِثِ الـبـاقي

والرابع: **الشيخ محمد الخَضِر الحُسين**. ومَرْثِيَته من لون آخر، يقول فيها:

[الطويل]

تُسائلُني هل في صِحابِكَ شـاعـرٌ * إذا مِتَّ قال الشِّعرَ وهْـوَ حَـزينُ
فقلتُ لها لا هَـمَّ لي بعـدَ مَوْتَتـي * سـوى أن أرى أُخْرايَ كيف تكـونُ
وما الشعرُ بالمُغْني فَتيلًا عن امرئٍ * يُـلاقِـي جَــزاءً والجَـزاءُ مُـهـينُ
وإنْ أَحْظَ بالرُّحمى فما ليَ مِن هـوًى * سِـواها وأَهْواءُ النفـوسِ شُجُـونُ

فَخَلِّي فَعُولُنْ فاعِلاتن تُقالُ في * أُناسٍ لهم فوقَ التُّرابِ شؤونُ
وإن شِئتِ تَأبِيني فَدَعْوةُ ساجدٍ * لها بينَ أَحْناءِ الضُّلوعِ حَنينُ

ثم انتقل إلى ذكر شيء من رجز السيرة، ومن نظر في سيرة ابن هشام، وكتب الصحابة كـ(الاستيعاب) و (الإصابة) وكتب التاريخ كـ(تاريخ الطبري) سيجد الشعر يسيل على كل لسان، حتى في مَعْمَعَة الحرب تحت ظلال السيوف في المواطن التي يَخْرَسُ فيها البلغاء؛ تعلو أصواتهم بالشعر ويتصايحون به ويَرْتَجِزون، وقد أشار في هذه الأبيات التالية إلى شيء من رجز السيرة:

مِنْ رَجَزِ السِّيرَةِ قَوْلُ جَعْفَرِ ١٩٩ فِي مُؤْتَةٍ بِمِثْلِهِ فَلْتَفْخَرِ:

(يَا حَبَّذَا الجَنَّةُ وَاقْتِرَابُهَا ٢٠٠ طَيِّبَةٌ وَبَارِدٌ شَرَابُهَا)

قول جعفر: جعفر بن أبي طالب ﷺ

[مشطور الرجز]

يا حَبَّذا الجَنَّةُ واقْتِرَابُها * طَيِّبَةٌ وبارِدٌ شَرابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دَنا عذابُها * كافِرةٌ بعيدةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إن لاقَيْتُها ضِرابُها

قال في الشمقمقية يذكر جعفر بن أبي طالب ﷺ:

وإن حَمَلْتَ رايةَ الأمرِ فكُنْ * كجَعْفَرٍ أو دَعْ ولا تَسْتَبِقِ
قد قُطِعَتْ يَداهُ يومَ مُؤْتَةٍ * ولم يَدَعْها لِكَمِيٍّ سَوْحَقِ
لكنَّهُ احتَضَنَها حُبًّا لها * فيا لَهُ مِن سيِّدٍ مُوَفَّقِ

قَالَ عَلِيٌّ يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَا: ٢٠١ (أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَا)

في فتح خيبر لما برز مَرْحَب اليهودي برز من الحصن وهو يخْطِر بسيفه ويقول:

[مشطور الرجز]

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ * شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

خرج إليه عامر بن الأَكْوَع ﷺ وهو يقول:

[مشطور الرجز]

قد عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عامِرُ * شاكي السِّلاحِ بطلٌ مُغامِرُ

فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في تُرْس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له –أي يضربه من أسفله– فرجع سيفه على نفسه، فقطع أَكْحَلَه؛ فكانت فيها نفسه، ثم خرج إليه علي ﷺ وهو يقول:

[مشطور الرجز]

أنا الذي سَمَّتْنِ أُمِّي حَيْدَرَهْ * كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

فضرب رأس مرحب فقتله، فكان الفتح بعدُ على يديه.

وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ الحُلاحِلُ: ٢٠٢ (مَا عِلَّتِيْ وَأَنَا جَلْدٌ نَابِلُ)

عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح قال في خبر بعث الرَّجيع –وهو ماءٌ لهُذَيْل– لما غُدر بهم، قال:

[مشطور الرجز]

ما عِلَّتي وأنا جَلْدٌ نابِلُ * والقَوسُ فيها وَتَرٌ عُنابِلُ
تَزِلُّ عن صَفْحَتِها المَعابِلُ * الموتُ حقٌّ والحياةُ باطِلُ
وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازِلُ * بالمَرْءِ والمَرْءُ إليهِ آئِلُ
إن لم أقاتِلْكُمْ فأُمِّي هابِلُ

وَابْنُ رَوَاحَةَ الَّذِي مِنْ قِيْلِهِ: ٢٠٣ (خَلُّوا بَنِيْ الكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ)

عبدالله بن رواحة ﵁ حين دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء، دخلها وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول:

[مشطور الرجز]

خَلُّوا بني الكُفَّارِ عن سَبيلِهِ * اليومَ نَضْرِبْكُمْ على تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ * ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ

وَقَالَ: (أَقْسَمْتُ لَتَنْزِلِنَّهْ) ٢٠٤ (يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي) ارْوِيَنَّهْ

في مؤتة لما قُتل زيد بن حارثة وجعفر، أخذ الراية عبدالله بن رواحة ثم تقدم بها وهو على فرسه، وتردَّد بعض التردد، فجعل يَسْتَنْزِل نفسه يقول:

[مشطور الرجز]

أَقْسَمْتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ * لَتَنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أَجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ * ما لي أراكِ تَكْرَهِينَ الجَنَّهْ
قد طالما قد كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ * هل أنتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّهْ

وقال أيضًا:

[مشطور الرجز]

يا نفسُ إلا تُقْتَلي تَمُوتي * هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ
وما تَمَنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ * إنْ تَفْعلِي فِعْلَهُما هُدِيتِ

يريد صاحبيه زيدًا وجعفر.

وَابْنُ الحُمَامِ قَالَ فِي الجِهَادِ: ٢٠٥ (رَكْضًا إِلَى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ)

في غزوة بدر لما دنا المشركون قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ)) . فقال عُمَيْر بن الحُمام: يا رسول الله جنَّة عرضها السماوات والأرض؟! قال: ((نعم)). قال: بَخٍ بَخٍ. فقال رسول الله ﷺ : ((ما يَحْمِلُكَ على قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ)) قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، فأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حَيِيتُ إلى أن آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، فرمى ما معه من تمر، فجعل يقاتلهم وهو يَرْتَجِزُ بهذه الأبيات، يقول:

[مشطور الرجز]

رَكْضًا إلى اللهِ بِغَيْرِ زَادِ * إلَّا التُّقَى وعَمَلِ المَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللهِ على الجِهادِ * وكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غيرَ التُّقَى والبِرِّ والرَّشَادِ

وقاتل حتى أكرمه الله بالشهادة رضي الله عنه.

أَبُو دُجَانَةٍ لَدَى النَّخِيلِ: ٢٠٦ (أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيلِي)

أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة في يوم أحد قال رسول الله ﷺ : ((مَنْ يَأخُذُ هذا السَّيفَ بِحَقِّهِ؟)). فقام إليه رجال فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة فقال: وما حَقُّه يا رسول الله؟ قال: ((أنْ تَضْرِبَ به العَدُوَّ حتَّى يَنْحَنِي)). فأخذه أبو دجانة، ولبس عِصابة الموت، وخرج وهو يقول:

[مشطور الرجز]

أنا الذي عَاهَدَنِي خَلِيلِي * ونَحْنُ بالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَّا أَقُومَ الدَّهْرَ في الكَيُّولِ * أَضْرِب بِّسَيْفِ اللهِ والرَّسُولِ

الكيُّول: آخر صفوف الحرب.

أضرب بِّسيف الله: هكذا على الإدغام الكبير.

كُرْزُ بْـنُ جَـابِرٍ يَقُـولُ إِذْ حُصِــرْ: ٢٠٧ (قَدْ عَلِمَتْ صَفْرَاءُ مِنْ بَـنِي فِهِـرْ)

في فتح مكة كُرْز بن جابر **الفِهْرِيّ** وخُنَيْس بن خالد –رضي الله عنهما- كانا في خيل خالد بن الوليد ﷺ فشَذَّا عنه وسلكا طريقًا غير طريقه؛ فقُتلا جميعًا –رضي الله عنهما- قُتل خنيس بن خالد أوَّلًا؛ فجعله كرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قُتل وهو يرتجز ويقول:

[مشطور الرجز]

قد عَلِمَتْ صَفْرَاءُ مِن بَنِي فِهِرْ * نَقِيَّةُ الوَجْـهِ نَقِيَّـةُ الصَّـدِرْ
لَأَضْرِبَنَّ اليَـومَ عن أَبِي صَخِرْ

وهذه الأبيات شاهد على مذهب للعرب في الوقف على ما أوسطه ساكن؛ فإن من العرب من ينقل حركة (لام) الكلمة إلى (عينها) في الوقف إذا كان الاسم مرفوعًا أو مجرورًا، ولا يفعلون ذلك في النَّصب، وقد قُرئ في الشَّواذ: (وَالعَصِرْ) وكذلك: (وَتَواصَوْا بِالصَّبِرْ).

وَقَالَتْ الشَّـيْـمَـاءُ طَابَـتْ مَحْتِـدَا: ٢٠٨ (يَـا رَبَّنَـا أَبْـقِ لَنَـا مُحَمَّـدَا
حَـتَّى أَرَاهُ يَافِعًـا وَأَمْـرَدَا ٢٠٩ ثُـمَّ أَرَاهُ سَـيِّدًا مُسَـوَّدَا
وَاكْبِـتْ أَعَادِيْـهِ مَعًـا وَالحُسَّـدَا ٢١٠ وَأَعْطِـهِ عِـزًّا يَـدُومُ أَبَـدَا)
صَـلَّى عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَمَجَّـدَا ٢١١ وَآلِـهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الهُـدَى

المَحْتِد: الأصل.

الشيماء أخت نبينا ﷺ من الرضاعة أمها حليمة السَّعديَّة، ومقام ذكر النبي ﷺ مقام إطناب؛ فلم يقتصر على بعض الأبيات وإنما ذكرها كلها، وقد ذكرها في الإصابة ثم قال: كان أبو عروة الأَزْدِيّ إذا أنشد هذا يقول: **"ما أحسن ما أجاب الله دعاءها"**. وكانت تقول أيضًا:

[مشطور الرجز]

هـذا أخٌ لي لم تَلِدْهُ أُمِّي * وليس مِن نَسْلِ أَبِي وعَمِّي
فَدَيْتُهُ مِن مُخْوَلٍ مُعَمِّي * فَأَنْمِهِ اللَّهمَّ فيما تَنْمِي

وكانت حليمة أمها مرضعة النبي ﷺ تقول وهو ﷺ صغير:

[مشطور الرجز]

يا رَبِّ إذ أَعْطَيْتَهُ فَأَبْقِهِ * وأعْلِهِ إلى العُلا وأرْقِهِ
وادحَضْ أباطيلَ العِدَا بِحَقِّهِ

بَعْدَهُمُ الحُطَيْئَةُ الهَجَّاءُ ٢١٢ فِي شَفَتَيْهِ السَّوْءَةُ السَّوْآءُ
هَجَا أَبَاهُ، أُمَّهُ، وَعِرْسَهُ ٢١٣ وَعَمَّهُ، وَخَالَهُ، وَنَفْسَهُ
وَالزِّبْرِقَانَ! مَا يُحَاشِي أَوْ يَذَرْ ٢١٤ حَتَّى اشْتَرَى الأَعْرَاضَ بِالغَالِي عُمَرْ

الحطيئة: هو أبو مُلَيْكَة جَرْوَلُ بن أَوْس. توفي سنة تسع وخمسين، كان جَشِعًا كثير الشَّر، قليل الخير، بخيلًا، قبيح المنظر، رثَّ الهيئة، مَغْمُوزَ النَّسَب، فاسد الدين؛ قاله الأصمعيّ. وكان هَجَّاءً بذيء اللسان، حتى قيل: إنه هجا أباه وأمَّه، وخاله وعمَّه، وعِرْسه ونفسه.

التمس يومًا إنسانًا يهجوه فلم يجد، فضاق عليه ذلك وقال:

[الطويل]

أَبَتْ شَفتايَ اليومَ إلا تَكَلُّمًا * بِشَرٍّ فما أَدْرِي لِمَنْ أنا قائلُهْ

وجعل هذا البيت يدور في حلقه ولا يرى إنسانًا يهجوه؛ فاطَّلع في بئرٍ فرأى وجهه فيه، فاستقبحه وقال:

[الطويل]

أرى لِيَ وَجْهًا قَبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ * فقُبِّحَ مِن وجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

ومما قال في أمه:

[الكامل]

ولقد رَأَيتُكِ في النِّساءِ فسُؤْتِني * وأبا بَنيكِ فَسَاءَني في المَجْلِسِ

وقال لها أيضًا:

[الوافر]

تَنَحَّيْ فاجْلِسي عنِّي بعيدًا * أراحَ اللهُ مِنْكِ العالَمِينا
أَغِرْبالًا إذا اسْتودِعْتِ سِرًّا * وكانُونًا على المُتَحَدِّثِينا
جزاكِ اللهُ شرًّا مِن عجوزٍ * ولقَّاكِ العقوقَ مِن البَنِينا

وقال في أبيه:

[الوافر]

لَحاكَ اللهُ ثمَّ لَحاكَ حَقًّا * أبًا ولحاكَ مِن عمٍّ وخالي
فنِعْمَ الشَّيخُ أنتَ لدى المَخازي * وبئسَ الشَّيخُ أنتَ لدى المَعالي

وقال لامرأته:

[الوافر]

أُطَوِّفُ ما أُطَوِّفُ ثمَّ آوِي * إلى بَيتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

وله خبر مع الزِّبْرِقان بن بدر ﷺ وذلك أن الزبرقان وفد على النبي ﷺ فولَّاه على قومه، ثم أقرَّه على ذلك أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- فقدم في سنة مُجْدِبَةٍ على عمر ليؤدِّي صدقة قومه، فلقيه الحطيئة في الطريق، ومع الحطيئة زوجته وولده ذكورًا وإناثًا، فقال له الزبرقان -وقد عرفه- : إلى أين تريد؟ فقال: إلى العراق، وقد حَطَمَتْنا هذه السنة. قال: فتصنع ماذا؟ قال: وَدِدت أن أُصادِف بها رجلًا يكفيني مَؤونة عيالي، وأُصْفِيهِ مدحي أبدًا. فقال له الزبرقان: فهل لك فيمن يُوسِعك لَبَنًا وتمرًا، ويُجاوِرك أحسن جِوارٍ وأكرمه؟ فقال الحطيئة:

هذا وأبيكَ العيش، وما كنتُ أرجو هذا كله. قال: قد أصبته. قال: وأين؟ قال: عندي. قال: ومن أنت؟ قال: الزبرقان بن بدر. قال وأين مَحَلُّك؟ قال: اركب هذه الناقة، واستقبل مَطْلِع الشمس، وسَلْ عن القمر بن القمر حتى تأتيَ منزلي –لأن الزبرقان في اللغة هو القمر، كما قال الشاعر:

[الوافر]

تُضيءُ لهُ المنابرُ حينَ يَرْقَى * عليها مِثلَ ضَوءِ الزِّبْرِقانِ

وكتب الزبرقان إلى زوجته أن أحسني إليه، وأكثري له من اللبن والتمر؛ فأكرمت المرأة مثواه فبلغ ذلك بني جعفر أنف الناقة بن قُرَيْع؛ فحسدوا الزبرقان عليه، فدسُّوا إلى الحطيئة أن تحوَّل إلينا نُعْطِكَ مائة ناقة، ونشدُّ كل طُنُبٍ من أَطْناب بيتك بحُلَّةٍ نفيسة. قال: وأنَّى لي بذلك؟ قالوا: إنهم يريدون النُّجْعَة فإذا احتملوا فتخلَّف أنت عنهم، ودسُّوا إلى امرأة الزبرقان من يقول لها: إن الزبرقان إنما قدم أمامهم هذا الشيخ ليتزوَّج ابنته –وكانت ذات جمال– فصدَّقت المرأة، وظهر منها للحطيئة جَفْوَة، وهي مع ذلك تُداريه، فلما احتمل القوم تخلَّف الحطيئة عنهم؛ فاحتمله القُرَيْعِيُّون فوَفَّوا له بما وعدوه، وربطوا له بكل طنب من أطناب قُبَّتِهِ حُلَّةً هَجَرِيَّة. فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأُخبِر بقصته؛ فنادى في قومه، وجاء إلى بني قُرَيع، وقال: ردُّوا عليَّ جاري. فقالوا: ليس لك بجارٍ وقد طرحته. فاسْتَعْدى عليهم عمر بن الخطاب ﷺ فحكم عمر أن يخرج الحطيئة وينزل بمنزلٍ بين الحَيَّين ويُخلي سبيله فيكون جار أيِّهما شاء، ففعل به ذلك؛ فاختار القُرَيْعِيين، وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجوَ الزِّبرقان، وهم يحرضونه على هجو الزبرقان، فيأبى ويقول: لا ذنب للرجل عندي. فكان مما مدحهم به قصيدته التي فيها:

[البسيط]

قالتْ أُمامةُ لا تَجْزَعْ فقلتُ لها * إنَّ العـزاءَ وإنَّ الصبرَ قد غُلِبَا
سيري أُمامُ فإنَّ الأكثرينَ حصًى * والأكرَمينَ إذا ما يُنسَبُونَ أبا
قومٌ همُ الأنفُ والأذْنَابُ غيرهمُ * ومَن يُسوِّي بأنفِ النَّاقةِ الذَّنَبا

فصار هذا اللقب مدحًا لهم وفخرًا بعد أن كان ضَعَةً وذمًّا؛ وصاروا يفتخرون به ويقولون: نحن بنو أنف الناقة. وقد سبق هذا في دواعي العناية بالأدب في شواهد رفع الأدب للخامل عند قوله:

ويرفعُ الخامِلَ كن ذا مَصْدَقِ * مثلَ بني الأنفِ وكالمُحلَّقِ

ثم مدحهم بقوله:

[الطويل]

ألا طَرَقَتْنا بعدما هَجَعُوا هندُ * وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلأبَّ بنا نَجْدُ
ألا حَبَّذا هندٌ وأرضٌ بها هندُ * وهندٌ أتى مِن دُونِها النَّأيُ والبُعْدُ

إلى أن قال:

يَسُوسُونَ أَحْلامًا بعيدًا أناتُها * وإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَةُ والجِدُّ
أَقِلُّوا عليهمْ لا أبا لأبِيكُمُ * مِن اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئكَ قومٌ إن بَنَوا أحسَنُوا البُنَى * وإنْ عاهدُوا أَوْفَوا وإنْ عَقَدُوا شَدُّوا
وإنْ كانتْ النُّعْمَى عليهمْ جَزَوا بها * وإنْ أَنعَمُوا لا كدَّرُوها ولا كدُّوا
وإن قالَ مولاهُمْ على جُلِّ حادثٍ * من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكُمْ رَدُّوا
مَطاعِينُ في الهَيْجا مَكاشِيفُ لِلدُّجى * بَنى لهمُ آباؤهُمْ وبَنى الجَدُّ

وهذا من المدح الذي لا يُشقُّ غباره، ولا يُلحق شَأْوُه. ثم إنه صرَّح بعد ذلك بهجاء الزبرقان، قال:

[البسيط]

واللهِ ما مَعْشَرٌ لامُوا امْرَءًا جُنُبًا * في آلِ لأْيِ بنِ شَمَّاسٍ بِأَكْياسِ
ما كانَ ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لَكُمُ * في بائسٍ جاءَ يَحْدُو آخرَ النَّاسِ
لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ * يَومًا يَجِيءُ بها مَسْحِي وإبْساسِي
لمَّا بَدا لِيَ مِنكُمْ عيبُ أنفُسِكُمْ * ولم يكنْ لِجِراحي مِنكُمُ آسِي
أَزْمَعْتُ يَأْسًا مُبِينًا مِن نَوالِكُمُ * ولنْ ترى طارِدًا لِلْحُرِّ كاليَاسِ

جارٌ لقومٍ أطالُوا هُونَ مَنْزِلِهِ * وغادَرُوهُ مُقِيمًا بين أَرْماسِ
مَلُّوا قِراهُ وهَرَّتْهُ كِلابُهُمُ * وجَرَّحُوهُ بأَنْيابٍ وأضْراسِ
دَعِ المَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها * واقْعُدْ فإنَّكَ أنت الطَّاعِمُ الكاسِي

فاشتكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب ﷺ وقال: إنه هجاني. فقال عمر: وماذا قال في هجائك؟ فأنشدهُ قوله: دع المكارم.. فقال: ما أسمع هجاءً ولكنها معاتبة. فقال الزبرقان: أوَما تبلغ مُروءتي إلا أني آكل وألبس؟! فقال عمر: عليَّ بحسَّان. فجيء به؛ فسأله عمر. فقال: لم يهجه ولكنه سَلَحَ عليه. فأمر به عمر فجُعل في قَعْرِ بئر وأُلْقِيَ عليه شيء؛ فجَزِع الحطيئة جزعًا شديدًا، وتضرَّع إلى عمر، وقال شعرًا يستعطفه به؛ فلم يلتفت إليه عمر، ثم شفع فيه عبدالرحمن بن عوف وعمرو بن العاص –رضي الله عنهما- وغيرهما؛ فأخرجه. فلما مثل بين يديه قال:

[البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بِذِي مَرَخٍ * زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظلِمةٍ * فاغفِرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي مِن بعدِ صاحِبِهِ * ألقى إليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يؤثِرُوكَ بها إذ قدَّموكَ لها * لكن لأنفُسِهِمْ كانتْ بكَ الإِثَرُ

فبكى عمر ﷺ لقوله حتى قال عمرو بن العاص: **"ما أقلَّت الغَبْراء، وما أظلَّت الخضراء أعدل من رجلٍ يبكي على تَركةِ الحطيئة"**. ثم إن عمر ﷺ أراد إرهاب الحطيئة فجعل يستشير قومه فيه ويقول: **"ما أراني إلا قاطعًا لسانه.. ايتوني بِطَسْت.. ايتوني بسكِّين.. ايتوني بمُوسى فهي أَحَدّ.."**. فقالوا: لا يعود يا أمير المؤمنين، وأشاروا إليه أن قُل: لا أعود، فقالها. فخلَّى عمر ﷺ سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحدًا، وجعل له ثلاثة آلاف درهم اشترى بها أعراض المسلمين؛ فقال الحطيئة يذكر ذلك في شعره:

[الكامل]

وأَخَذْتَ أَطْرارَ الكلامِ فلم تَدَعْ * شَتْمًا يَضُرُّ ولا مَدِيحًا ينفعُ
ومَنَعْتَني عِرْضَ البَخيلِ فَلَمْ يَخَفْ * شَتْمي وأصبحَ آمنًا لا يَجْزَعُ

أطرار الكلام: أطرافه ونواحيه.

ويروى أن الحطيئة قال له: يا أمير المؤمنين إني والله قد هجوت به أبي وأمي وامرأتي ونفسي؛ فتبسَّم عمر رضي الله عنه وقال: ما الذي قلت؟ فأنشده الحطيئة ما تقدَّم مما قاله في هجائهم.

السَّوأة السوآء: كل عمل وأمرٍ شائن يقال فيه: سَوْأَة.

وَمَـعَ ذَا سَـلِمَ مِـنْ هِجَائِهِ ٢١٥ إِبْلِيسُ شَيْخُ الجِنِّ فَوْقَ مَائِهِ

في صحيح مسلم: «إنَّ إبليسَ يَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ ثمَّ يَبْعَثُ سَراياهُ».

فَلَـمْ يَكُـنْ مِثْـلَ أَبِي فِـرَاسِ ٢١٦ حِينَ سَقَى إِبْلِيسَ شَرَّ كَاسِ

أبو فراس هو الفرزدق همَّام بن غالب بن صَعْصَعَة. هذه إشارة إلى قصيدة له هي مما يُستطرف ويُستظرف، يعلن الفرزدق فيها توبته ويهجو إبليس، مَطْلَعُها قوله:

[الطويل]

إذا شئتُ هاجتْني دِيارٌ مُحِيلَةٌ * ومَرْبِطُ أَفْلاءٍ أمامَ خِيامِ

يقول فيها:

أَلَمْ تَرَني عاهدتُ ربِّي وإنَّني * لَبَيْنَ رِتاجٍ قائمٌ ومَقامِ
على قَسَمٍ لا أَشْتِمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا * ولا خارجًا مِن فِيَّ سوءُ كلامِ

يقول:

أطعتُكَ يا إبليسُ سبعينَ حِجَّةً * فلما انتهى شَيْبِي وتَمَّ تَمامي
فَرَرْتُ إلى ربِّي وأَيْقَنْتُ أنَّني * مُلاقٍ بأيَّامِ المَنونِ حِمامي

فلمَّا دنا رأسُ التي كنتُ خائفًا ❊ وكنتُ أرى فيها لقــاءَ لِـزامِ
حلفتُ على نفسي لَأجْتَهِدَنَّها ❊ على حالِها مِن صِحَّةٍ وسَقامِ
ألا طالما قد بِتُّ يُوضِعُ ناقَتي ❊ أبـو الجِنِّ إبليسٌ بغيرِ خِطامِ
فما أنت يا إبليسُ بالمرءِ أبتغي ❊ رِضــاهُ ولا يَقْـتـادُني بِزِمامِ

فِي مَدْحِهِ مَا شِئْتَ مِنْ جَمَالِ ٢١٧ يُنْسِي بَهِيَّ الدُّرِّ وَاللَّآلِي

غلب على الحطيئة الهجاء والمدح، وقد تعلم الحطيئة إحكام صنعة الشعر من زهير بن أبي سلمى صاحب المعلقة، وقد كان الحطيئة راوية زهير وآل زهير، فكان على شاكلته يعنى بتجويد شعره عناية شديدة، وقد أُثر عن الحطيئة أنه كان يقول: خير الشعر الحَوْليُّ المُحَكَّك. فهو ممن يتأنَّون في أشعارهم، ويعيدون النظر فيها حتى تخرج جميع الأبيات متساوية في الجودة والإتقان والإحسان. حتى قال الأصمعي: "ما تشاء أن تقول في شاعر من عيب إلا وجدته، وقلَّما تجد ذلك في شعر الحطيئة". لذلك قال هنا:

في مدحه ما شئت من جمالِ ❊ يُنسي بهي الدرِّ واللآلي

(قَوْمٌ هُمُ الأَنْفُ) (أَقِلُّوا لَا أَبَا) ٢١٨ (مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ قَضَى مَا وَجَبَا)

لَكِنَّهُ فِي شِعْرِهِ لَمْ يَقِفِ ٢١٩ للهِ مَوْقِفًا وَلَا لِلشَّرَفِ!

(قوم هم الأنف): يشير إلى قوله:

قومٌ همُ الأنفُ والأذنابُ غيرُهمُ ❊ ومَن يسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنَبا

وقد مضى هذا قريبًا.

(أقلُّوا لا أبا): يشير إلى قوله:

أَقِلُّوا عليهمْ لا أبا لأبيكُمُ ❊ مِن اللَّومِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

وقد مضى هذا قريبًا.

(من يفعل الخير قضى ما وجبا): هذا من قصيدته التي يهجو فيها الزبرقان:

دَعِ المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

يقول فيها:

مَن يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ * لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

قال أبو عمرو بن العلاء: "لم تقل العرب بيتًا قطُّ أصدق من بيت الحطيئة: مَن يَفْعَلِ الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ * لا يَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ".

لَكِنَّهُ فِي شِعْرِهِ لَمْ يَقِفِ ٢١٩ للهِ مَوْقِفًا وَلَا لِلشَّرَفِ!

هذا قاله الهاشميّ في (جواهر الأدب) والعُهْدَةُ عليه، قال عن الحطيئة: "إنه لم يقف ببراعته وفصاحته مَوقِفًا لله ولا للشَّرف".

[عصر بني أُميَّة]

بَرْقُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُؤْتَلِقُ ٢٢٠ جَرِيرُ وَالْأَخْطَلُ وَالْفَرَزْدَقُ

كُلٌّ بَرَى نَبْلَ هِجَاءٍ مَاضِيَهْ ٢٢١ تُرِيكَ أَيَّامًا خَلَتْ عَلَانِيَهْ

هذا عصر بني أمية: وهذا العصر يمتد من قيام دولة بني أمية سنة إحدى وأربعين إلى سقوطها سنة ثنتين وثلاثين ومائة.

المؤتلق: المُضيء. يقال: ائتَلَقَ البرقُ؛ إذا أضاء. النَّبل: السِّهام العربية، لا واحد لها من لفظها. يقال: برى السَّهم؛ إذا نَحَته. شبَّه أبيات الهجاء بالنِّبال، وقد قال النبي ﷺ في الهجاء: ‹‹لَهُوَ أشدُّ فيهِمْ مِن رَشْقٍ بالنَّبْلِ››. وقصائدهم ليست هجاءً فحسب؛ بل هي وثائق تاريخية لأيام العرب، فإنهم لم يتركوا يومًا للقبائل التي يتحدثون عنها في الجاهلية والإسلام إلا ذكروه؛ لذلك ترى أبا عُبيدة في شرح النَّقائض يستعين على شرحه لها بأيَّام العرب

وكان أساس الهجاء في النقائض قائمًا على العصبيَّات القبليَّة التي شاعت في العصر الأُمَويّ؛ فكان الشاعر يدرس تاريخ القبائل التي يُحامي ويدافع عنها، ويدرس تاريخ القبائل التي يهجوها ليقف على الأيام التي انهزمت فيها حتى ينشر مثالِبها في الناس، هذا قوله: كل برى نبل هجاء ماضيه * تُريك أيامًا خلت :أي مضت. علانيه: تُرِيكَها علانية كأنها أمامك. ثم إنه دخل في هذه النقائض مدح الخلفاء والولاة والنَّسِيب، فلم تقف عند الفخر والهجاء.

فَـاقَ جَرِيـرٌ فِي هِجًـا فَخْـرٍ بَـذَخْ ٢٢٢ وَغَـزَلٍ مَـدْحٍ تَهَكُّـمٍ إِلَـخْ!

جرير: **هو أبو حَزْرَة جرير بن عَطِيَّة بن الخَطَفَى التَّمِيميّ** الشاعر المشهور. كان من فحول شعراء الإسلام، وقد هاجَى ثمانين شاعرًا فغلبهم وفضحهم، ولم يثبت له إلا الفرزدق. وأجمع علماء الشعر أنَّ جريرًا والفرزدق والأخطل مقدَّمون على من لم يدرك الجاهلية من شعراء الإسلام؛ فهؤلاء الثلاثة هم الشعراء المقدمون في دولة بني أمية؛ لذلك قال: برق بني أمية المؤتلق * جرير والأخطل والفرزدق على أن الأخطل دون الاثنين، والخلاف في الفرزدق وجرير أيهما أشعر. ولكل واحد منهما من يقدمه على الآخر، وأهل الأدب يفضلون جريرًا لِرِقَّتِه، وأهل اللغة يفضلون الفرزدق لجزالة لغته، وقد قالوا: **"لولا شعر الفرزدق؛ لذهب ثُلُث اللغة"**. وقد فاق جريرٌ في جميع أنواع الشعر. قال محمد بن سلَّام: رأيت أعرابيًا من بني أسدٍ أعجبني ظَرْفُه وروايته، فقلت: أيهما عند أشعر، جرير أم الفرزدق؟ فقال: بُيوت الشعر أربعة: مدح، وهجاء، وفخر، ونَسِيب. وفي كلها غلب جرير! في الفخر قوله:

[الوافر]

إذا غَـضِبتْ عليكَ بنـو تَـمِيـمٍ * حـسِبْتَ النـاسَ كُـلَّـهُـمُ غِضابا

وفي المديح قوله:

[الوافر]

أَلَـسْـتُـمْ خيـرَ مَن رَكِبَ المَطايا * وأَنْـدى العـالمينَ بُـطُـونَ راحِ

وفي الهجاء قوله:

[الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ مِن نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا

وفي النَّسِيب قوله:

[البسيط]

إنَّ العُيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ * قَتَّلْنَنا ثمَّ لم يُحْيينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَراكَ به * وهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللهِ إنْسانا

قال ابن سلّام: وبيت النَّسيب عندي قوله:

[الطويل]

فلمَّا التَقى الحَيَّانِ أُلْقِيَتْ العَصا * وماتَ الهَوى لمَّا أُصيبَتْ مَقاتِلُهْ

والغريب في أمر جرير والفرزدق؛ أن الفرزدق كان مشهورًا بالنساء ومع ذلك ليس له في النسيب ما لجرير، وأن جريرًا كان عفيفًا لم يعشق قطّ ومع ذلك فهو أغزل الناس! وقد شهد له الفرزدق بذلك -والحق ما شهدت به الأعداء- فقد قال فيه: "قاتله الله فما أحسن ناحِيَته، وأَشْرَد قافيته، والله لو تركوه لأبكى العجوز على شبابها، والشابَّة على أحبابها.. ولقد قال بيتًا لَأن أكون قلته أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس: إذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا".

تهكم: انظر إلى التَّهَكُّم في بيت جرير الذي اتخذه الناس مثلًا شَرُودًا في السخرية، حين هدد الفرزدق مَرْبَعًا راوِيَة جرير بالقتل؛ فردَّ عليه جرير بقوله:

[الكامل]

زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أن سَيَقْتُلُ مَرْبَعًا * أَبْشِرْ بِطُولِ سلامةٍ يا مَرْبَعُ

ودخل أعرابيٌّ على عبدالملك بن مروان وعنده جرير والفرزدق والأخطل، فلم يعرفهم ولم يكن قط رآهم من قبل، فقال عبدالملك للأعرابي: هل تعرف أَهْجَى بيت قيل في الإسلام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ مِن نُمَيرٍ * فلا كَعْبًا بَلَغْتَ ولا كِلابا

قال: أحسنت. فهل تعرف أمدح بيت قيل في الإسلام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

أَلَسْتُمْ خيرَ مَن رَكِبَ المَطايا * وأَنْدى العالمينَ بُطُونَ راحِ

قال: أصبت وأحسنت. فهل تعرف أَرَقَّ بيتٍ قيل في الإسلام؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قول جرير:

إنَّ العُيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ * قَتَّلْنَنا ثمَّ لم يُحْيينَ قَتلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَراكَ به * وهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللهِ إنْسانا

قال: أحسنت. فهل تعرف جريرًا؟ قال: لا والله، وإني لرؤيته لمشتاق. قال: هذا جرير، وهذا الأخطل، وهذا الفرزدق. فأنشأ الأعرابي يقول:

[المتقارب]

فَحَيَّا الإلهُ أبا حَزْرَةٍ * وأَرْغَمَ أنْفكَ يا أخْطَلُ
وجَدُّ الفرزدقِ أَتْعِسْ بهِ * ودَقَّ خَياشِيمَهُ الجَنْدَلُ

فغضب الفرزدق وقال:

[البسيط]

يا أَرْغَمَ اللهُ أنْفًا أنت حامِلُهُ * يا ذا الخَنا ومَقالِ الزُّورِ والخَطَلِ
ما أنت بالحَكَمِ التُّرْضَى حُكُومَتُهُ * ولا الأصيلِ ولا ذي الرَّأيِ والجَدَلِ

وقام الأخطل وقال:

[البسيط]

يا شرَّ مَن حملتْ ساقٌ على قَدَمٍ * ما مِثلُ قولِكَ في الأقْوامِ يُحْتَمـلُ
إنَّ الحُكومَـةَ ليستْ في أبيكَ ولا * في مَـعْـشَـرٍ أنت منهم إنَّهمْ سَفَـلُ

فقام جريرٌ وقال:

[البسيط]

شَتَمْـتُـما قـائلًا بالحقِّ مُـهْـتـدِيًا * عِنـدَ الخليفةِ والأقـوالُ تَنْتَضِـلُ
أَتَشْتُمانِ سَفاهًـا خيرَكُمْ حَسَبًـا * ففيكُما وإلـهي الـزُّورُ والخَطَـلُ
شَتَمْتُماهُ على رَفْعي ووَضْعِكُما * لا زِلْتُمـا في سَـفـالٍ أيُّـهـا السَّفَـلُ

ثم وثب جرير وقبَّل رأس الأعرابي، وقال: يا أمير المؤمنين جائزتي له –وكانت خمسة عشر ألفًا– فقال عبدالملك: وله مني مثلها. فقبض الأعرابي ذلك كله وخرج.

فخر بذخ: يقال: شرفٌ باذخٌ؛ أي عالٍ. يقال في الماضي منه: بَذِخَ كتَعِبَ، وبَذَخَ كنَصَرَ. فالمعنى؛ فخرٍ علا. إلخ: حروف تكتب اختصارًا؛ فالأصل أنها لا تنطق كما تُكتب بل يقال: "إلى آخره" لكنَّ هذا الاستعمال خرجَ مَخْرَجَ الظرف، ولا ينكره إلا من كان اشتغاله بقواعد النحو والصرف أكثر من اشتغاله بكتب الأدب، وإلا فإن الأدباء يتسامحون في مثل هذا ويستحسنونه؛ لأنه يفضي غالبًا إلى مفاكهة لطيفة، أو مضاحَكَةٍ شريفة، ونحن الآن في فنِّ الأدب فَلْنَجْرِ على طريقتهم. وقد قال ابن قتيبة في ديباجة كتابه (عيون الأخبار): **وكذلك اللَّحن إن مرَّ بك في حديثٍ مِن النَّوادِرِ فلا يذهبنَّ عليكَ أنَّا تعمَّدناه، وأردنا منك أن تتعمَّده؛ لأن الإعراب ربما سلب بعض الحديث حُسْنَه، وشاطَرَ النَّادِرة حلاوتها.** واستشهد بقول الشاعر:

[الخفيف]

مَنْطِـقٌ بـارِعٌ وتَلْحَـنُ أحيـا * نًا وأَحْلَى الحديثِ ما كان لَحْنا

فلا يُنكِر هذا الاستعمال إلا من غلب نَحْوُهُ أَدَبَه. وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب (أضواء البيان) منظومة في الفقه تزيد على ألفيْ بيت، يقول في دِيباجَتِها:

[الرجز]

وقد هَفَا في العلمِ مَن فيهِ رَسَخْ * وقَلَّما يَنْجُو مُؤلِّفٌ إلَخْ

يشير إلى ما قاله خليل في ديباجة مختصره في الفقه، قال: "فما كان من نقصٍ كمَّلوه، ومن خطأ أصلحوه، فقلَّما يَخْلُصُ مُصَنِّفٌ من الهَفَوات، أو يَنْجُو مؤلِّفٌ مِن العَثرات".

مِنْ شِعْرِهِ الَّذِي لَهُ يُخْتَارُ: ٢٢٣ (لَوْلَا الحَيَا لَهَاجَنِي اسْتِعْبَارُ)

(كَمْ بِاليَمَامَةِ) (يَعُودُ الفَضْلُ) ٢٢٤ (أَعْدَدْتُ سَمًّا نَاقِعًا) ذَا وَبْلُ

(لولا الحيا لهاجني استعبار): قال جرير يرثي زوجه خالِدة بنت سعد:

[الكامل]

لَوْلا الحياءُ لهاجَنِي استِعْبارُ * ولَزُرْتُ قَبْرَكِ والحبيبُ يُزارُ
ولقد نظرْتُ وما تَمَتُّعُ نَظْرَةٍ * في اللَّحْدِ حيثُ تَمَكَّنَ المِحْفارُ
ولَّهْتِ قَلْبِي إذ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ * وذَوُو التَّمائمِ من بَنِيكِ صغارُ
كانت مُكَرَّمةَ العَشِيرِ ولم يكنْ * يَخْشَى غَوائلَ أمِّ حَزْرَةَ جارُ
ولقد أراكِ كُسِيتِ أجملَ مَنْظَرٍ * ومَعَ الجمالِ سَكِينةٌ ووَقارُ
والرِّيحُ طيِّبةٌ إذا استَقْبلتَها * والعِرْضُ لا دَنِسٌ ولا خَوَّارُ
صَلَّى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا * والصَّالحونَ عليكِ والأبرارُ
وعليكِ مِن صلواتِ ربِّكِ كلَّما * نَصَبَ الحَجِيجُ مُلَبِّدينَ وغارُوا
لا يُلْبِثُ القُرَناءَ أن يتفرَّقوا * لَيلٌ يَكُرُّ عليهِمُ ونَهارُ

(كم باليمامة): قال جرير يرجو قضاء حاجة من عمر بن عبدالعزيز:

[البسيط]

كَمْ باليمامةِ مِن شَعْثاءَ أَرْمَلَةٍ * ومِن يَتِيمٍ ضعيفِ الصَّوتِ والنَّظَرِ
ممَّن يَعدُّكَ تَكْفِي فقدَ والدِهِ * كالفرخِ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ
يدعوكَ دَعْوَةَ مَلْهوفٍ كأنَّ بِهِ * خَبْلًا مِن الجِنِّ أو مَسًّا مِن النُّشَرِ
إنَّا لَنَرْجُو إذا ما الغَيثُ أَخْلَفَنا * مِن الخليفةِ ما نَرْجُو مِن المَطَرِ
أتى الخِلافَةَ أو كانتْ لهُ قَدَرًا * كما أتى ربَّهَ موسى على قَدَرِ
هذي الأراملُ قد قَضَّيتَ حاجتَها * فمن لحاجَةِ هذا الأرْمَلِ الذَّكَرِ

يقول: قضيت حاجات النِّساء المحتاجات، فمن يقضي حاجة هذا المسكين المحتاج؟! يعني نفسه. وقال يمدحه:

[الوافر]

يعودُ الفضلُ منكَ على قريشٍ * وتَفرِجُ عنهُمُ الكُرَبَ الشِّدَادا
وقد أمَّنْتَ وَحْشَهُمُ برِفْقٍ * ويُعْيِي الناسَ وَحْشُكَ أن يُصادا
وتَدْعُو اللهَ مُجتهِدًا لِيرْضَى * وتَذْكُرُ في رَعِيَّتِكَ المَعادا
فما كَعْبُ ابن مامَةَ وابنُ سُعْدى * بأجْوَدَ مِنكَ يا عمرُ الجَوادا

يقال: فَرَجَ الله الغَمَّ من باب ضَرَبَ، يَفرِجُه؛ كَشَفَه كفرَّجَه.

ولجرير مع عمر بن عبدالعزيز خبر لطيف، لما وليَ عمر بن عبدالعزيز الخلافة وفد عليه الشعراء، ومكثوا ببابه أيامًا لا يأذن لهم، ولا يلتفت إليهم؛ فساءهم ذلك وهمُّوا بالرجوع، فمرَّ بهم رجاء بن حَيْوَة، فقال له جرير:

[البسيط]

يَا أيُّها الرَّجلُ المُرْخِي عِمَامَتَهُ * هذا زَمانُكَ فاسْتَأْذِنْ لَنَا عُمَرا

فمرَّ عَدِيُّ بن أَرْطَأَة، فقال له جرير:

[البسيط]

يا أيُّها الـرَّجلُ المُـزْجِي مَـطِيَّـتَهُ * هذا زَمانُك إنِّي قد مضى زَمَني
أَبْلِـغْ خَـلِيفَـتَنَـا إن كنتَ لاقِيَـهُ * أنِّي لدَى البابِ كالمَصْفُودِ في قَـرَنِ
لا تَـنْسَ حاجَتَنا لُقِّيتَ مَـغْـفِـرةً * قد طَال مُكثيَ عن أهلي وعن وطَني

فدخل وكلمه فيهم، حتى قال: من بالباب؟ قال: الأخطل. قال: أليس القائل:

[الوافر]

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعًا * ولَسْتُ بآكلٍ لَحْمَ الأضاحي
ولستُ بقائمٍ كالعَيْرِ أَدْعُـو * قُبَيْلَ الصُّبحِ حَيَّ على الفَلاحِ
ولكِنِّي سَـأَشْـرَبُـها شَمُـولًا * وأسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّباحِ

والله لا يدخل عليَّ وهو كافرٌ أبدًا، فمن بالباب سواه؟ قال: عمر بن أبي ربيعة. فذكر عمر بن عبدالعزيز له شعرًا، وقال: فلو كان عدو الله إذ فجر كتم وستر على نفسه! والله لا يدخل عليَّ أبدًا. قال: فمن بالباب سواه؟ قال: الفرزدق. فذكر مثل ذلك، وقال مثل ذلك في الأَحْوَص وفي جميل بن مَعْمَر، حتى ذكروا جريرًا، فقال: أما إنه الذي يقول:

[الكامل]

طَرَقتْكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا * حينَ الزِّيارةِ فارْجِعي بِسَلامِ

فإن كان لا بدَّ فَأْذَنْ لجرير، فأَذِن له فدخل على عمر وهو يقول:

[الكامل]

إن الذي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحمَّدًا * جعلَ الخِلافَةَ للإمام العادلِ
وَسِعَ الخَلائقَ عَدْلُهُ ووَفاؤهُ * حتى ارْعَوَى وأقامَ ميل المائلِ
إني لأرجو مِنكَ خيرًا عاجِلًا * والنَّفْسُ مُولَعةٌ بحبِّ العاجِلِ

ثم أنشد قصيدة طويلة يمدحه فيها، فقال له: ويحك يا جرير، لا أرى لك فيما ههنا حقًّا

فقال جرير: إني مسكين وابن سبيل، فقال عمر: إنا ولينا هذا الأمر وليس لنا إلا ثلاثمائة درهم، أخذت أم عبدالله مائة، وابنها مائة، وقد بقيت مائة؛ فأمر له بها. ثم خرج جرير على الشعراء وسألوه ما وراءك يا جرير؟ فقال: ما يسوؤكم، خرجت من عند أمير المؤمنين وهو يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراضٍ. وأنشأ يقول:

[الطويل]

رأيتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تَسْتفِزُّهُ * وقد كان شيطاني مِن الجِنِّ رَاقيا

(أعددت سمًّا ناقعًا) ذا وبل: قال جرير يُجيب الفرزدق عن قصيدته التي مطلعها:

[الكامل]

إنَّ الذي سَمَكَ السَّماء بَنى لنا * بيتًا دعائمُهُ أعزُّ وأطْوَلُ

قال:

[الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ كأنَّها لمْ تُحْلَلِ * بينَ الكِناسِ وبين طَلْحِ الأعْزَلِ
أعددتُ للشُّعراءِ سَمًّا ناقِعًا * فسَقَيتُ آخرَهُمْ بكأسِ الأوَّلِ
لما وَضَعْتُ على الفرزدقِ مِيسَمِي * وضَغَا البَعِيثُ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ
أَخْزى الذي سَمَكَ السَّماءَ مُجاشِعًا * وبَنَى بِناءَكَ في الحَضِيضِ الأسْفَلِ
إني انصَبَبْتُ مِن السماءِ عليكُمُ * حتى اخْتَطَفْتُكَ يا فرزدقُ مِن عَلِ
إنَّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا * عِزًّا علاكَ فما له مِن مَنْقَلِ
أَبْلِغْ بني وَقْبانَ أنَّ حُلُومَهُمْ * خَفَّتْ فلا يَزِنُونَ حَبَّتَ خَرْدَلِ

ووقبان: لقب مُجاشِع.

البَعِيث المُجاشِعيّ شاعر خطيب هاجى جريرًا مدة طويلة وأعانه الفرزدق، ومذهب جرير أن الجمع أولى من الترجيح! فإذا قال قصيدة يهجو فيها الفرزدق أدخل فيها الأخطل وغيره

بأدنى مناسبة، وإذا كانت ردًا على الأخطل أدخل الفرزدق وغيره.

ذا وبل: يقال وَبَلَتْ السَّماءُ وَبْلًا؛ إذا اشتدَّ مطرُها.

أَجْزَلُهُمْ أَفْخَرُهُمْ فِي الْمَعْمَعَهْ: ٢٢٥ هَمَّامٌ ابْنُ غَالِبِ بْنِ صَعْصَعَهْ

نَاهِيكَ مِنْ فَصَاحَةٍ وَمِنْ حَسَبْ ٢٢٦ لَوْلَاهُ ثُلْثُ لُغَةِ الْعُرْبِ ذَهَبْ

الفرزدق أبو فِراس همَّام بن غالب التَّميميُّ الدَّارِميُّ. الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء الأمويين. كان أبوه غالب من سَراة قومه، وكان جَدُّه صَعْصَعة بن ناجِيَة عظيم القدر، وهو أول من أسلم من أجداده، وقد أنقذ ثلاثين موءودة، وفي ذلك يقول الفرزدق يفتخر به:

[المتقارب]

وجَدِّي الذي مَنَعَ الوَائداتِ * وأَحْيَا الوَئِيدَ فلمْ يُوأَدِ

وكان الفرزدق فطِنًا ذكيًا صاحب بديهةٍ وقَّادة. امتاز بخشونة الألفاظ، وجزالتها، وفخامة العبارة، والميل إلى الفخر في هجائه.

أجزلهم: اللَّفظ الجَزْل خلاف الرَّكيك. المعمعة: صوت الأبطال في الحرب، والمقصود المُهاجاة. ومن حسب: له حسبٌ عريق يكثر من ذكره في شعره. لولاه ثلث لغة العرب ذهب: قالوا: "لولا الفرزدق لذهب ثلث اللُّغة". ثم أشار إلى قصيدتين من قصائده:

(إِنَّ الَّتِي بِهَا دُمِغَتَ الفَيْصَلُ) ٢٢٧ وَ(العِزَّةُ القَعْسَاءُ) لَا تُبَدَّلُ

(إن التي بها دمغت الفيصل): قال الفرزدق يهجو جريرًا:

[الكامل]

إن الَّذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنا * بَيْتًا دَعائمُهُ أعزُّ وأطوَلُ
بَيْتًا بَناهُ لنا المَلِيكُ وما بَنى * حَكَمُ السَّماءِ فإنَّهُ لا يُنقَلُ
بَيْتًا زُرَارَةُ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ * ومُجَاشِعٌ وأبُو الفَوارِسِ نَهْشَلُ

يقول فيها:

أحلامُنـا تَـزِنُ الـجِبـالَ رَزانَـةً * وتَـخـالُـنا جِـنًّا إذا ما نَـجْـهَـلُ
فَـادفَـعْ بِكفِّكَ إن أرَدْتَ بِـناءَنا * ثَـهْلانَ ذا الهَضَباتِ هل يَتَحَلْحَلُ
إنَّـا لَـنضرِبُ رأسَ كُـلِّ قَـبِيلَةٍ * وأَبـوكَ خَـلْـفَ أتـانِـهِ يَتَـقَـمَّلُ
وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكرامِ وما بَنَوا * إنَّ اللَّـئيـمَ عن المَكـارِمِ يُشْـغَـلُ
إنَّ التي فُـقِئَـتْ بـهـا أبـصـارُكُـمْ * وهي التي دَمَغَـتْ أبـاكَ الفَـيْـصَـلُ

هذه القصيدة كانت تُسمَّى: "الفَيْصَل".

(والعزة القعساء لا تُبدَّل): للفرزدق في الفخر:

[الطويل]

لَنا العِـزَّةُ القَـعْساءُ والعَـدَدُ الذي * عليهِ إذا عُـدَّ الـحَـصَى يَـتَـخَـلَّـفُ
ومِنَّا الذي لا يَنطِقُ الناسُ عِندَهُ * ولكنْ هُوَ المُسْتَأْذَنُ المُتَصَـرِّفُ
تَراهُـمْ قُـعُـودًا حولَهُ وعُـيونُـهُـمْ * مُـكَـسَّـرَةٌ أَبْـصَـارُهـا ما تَـصَـرَّفُ
تَرى الناسَ إن سِرْنا يَسيرُونَ خَلْفَنا * وإنَّ نَحنُ أَوْمَأْنا إلى الناسِ وَقَّفُوا
ولا عِـزَّ إلا عِـزُّنـا قـاهِـرٌ لَـهُ * ويَسأَلُنا النَّصْفَ الذَّلِيلُ فَنُنْصِفُ
وما قـامَ مِنَّا قـائـمٌ في نَـدِيِّنا * فَـيَـنْـطِـقَ إلا بالتَّي هـيَ أَعْـرَفُ

وقد توفي جرير والفرزدق في سنة واحدة وهي سنة مائة وعشر، وفيها توفي أيضًا الحسن البصري وابن سيرين، وفيها توفي -على قولٍ- آخر الصحابة موتًا وهو أبو الطُّفَيل عامر بن واثلة.

[الرجز]

أبـو الطُّـفَـيْـلِ عـامـرُ بنُ واثِلـهْ * آخرُ مَن ماتَ مِن الأصحابِ لهْ

توفي جرير بعد الفرزدق بيسير، وقد رأى رجل جريرًا في المنام بعد موته، فقال: ما فعل بك ربُّـك؟ قال: غفر لي. قال: بِمَه؟ قال: بتكبيرة كبرتها لله في البادية. قال: فما فعل أخـوك الفـرزدق؟

قال: هيهات.. أهلكه قذف المُحْصنات. قال الأصمعي: "لم يدعه في الحياة ولا في الممات".

غِيَاثُ ابْنُ غَوْثٍ النَّصْرَانِي ٢٢٨ أَجَادَ فِي الْمَدِيحِ وَالْمَعَانِي

غياث بن غَوث التَّغْلِبيّ الأَخْطَل النَّصراني كان مُجيدًا في المديح، ووصف المعارك، ووصف الخمر؛ لمعاقرته لها في وقت أحجم فيه المسلمون عن شربها. وقد قيل للفرزدق: "من أشعر الناس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت. وبجرير إذا هجا. وبابن النَّصرانيَّة إذا امتدح". وقد كان عبدالملك بن مروان يُجزل عطاءه، ويفضِّله في الشعر على غيره.

لَكِنَّهُ كَانَ خَبِيثَ الدِّينِ ٢٢٩ مُجَاهِرًا بِالفِسْقِ وَالْمُجُونِ

وهو القائل:

[الوافر]

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طَوْعًا ❊ ولَسْتُ بآكلٍ لَحْمَ الأضاحي
ولستُ بقائمٍ كالعَيْرِ أدْعُو ❊ قُبَيْلَ الصُّبحِ حَيَّ على الفَلاحِ
ولكِنِّي سَأَشْرَبُها شَمُولًا ❊ وأسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلَجِ الصَّباحِ

وقد قال نوح بن جرير الشاعر: "بينا أنا آكل مع أبي يومًا وفي يده لقمة وفي فِيهِ أخرى، قلت: يا أبتِ أأنت أشعر أم الأخطل. قال: فَجَرِضَ بالتي في فيه –يعني غَصَّ باللُّقمة– ورمى بالتي في يده، وقال: يا بني لقد سَرَرْتَني وسُؤتَني! فأما سرورك إياي؛ فلتعاهدك مثل هذا وسؤالك عنه، وأما ما سؤتني به؛ فذكرك رجلًا قد مات. يا بني لو أدركني الأخطل وله نابٌ آخر لأكلني، ولكن أعانني عليه خَصْلتان: كِبَر سِنِّه، وخُبث دينه".

رَمَى جَرِيرًا بِهِجَاءٍ مَائِقِ ٢٣٠ وَهَلْ يَضُرُّ البَحْرَ شَتْمُ الغَارِقِ!

دخل يومًا جرير على بشر بن مروان وعنده الأخطل، فقال بشر لجرير: أتعرف هذا؟

قال: ومن هذا أيها الأمير؟ قال: هذا الأخطل. فقال الأخطل لجرير: أنا الذي شتمت عرضك، وأسهرت ليلك، وآذيت قومك. فقال جرير: أما قولك: شتمت عرضك؛ فما ضرَّ البحر أن يَشْتِمَهُ من غَرِقَ فيه –هذا قوله: وهل يضر البحر شتم الغارق– وأما قولك: أسهرت ليلك؛ فلو تركتني أنام لكان خيرًا لك. وأما قولك: آذيت قومك؛ فكيف تؤذي قومًا أنت تؤدِّي الجزية إليهم؟! ثم أشار إلى شيء من المُتَخَيَّر المُستجاد من شعره، فقال:

(خَفَّ القَطِينُ) (كَذَبَتْكَ عَيْنُكَا) ٢٣١ (إِنِّي لَقَوَّامٌ) وَلَسْتَ ذَلِكَا

(خف القطين): من شعر الأخطل قوله يمدح عبدالملك بن مروان:

[البسيط]

خَفَّ القَطينُ فَراحُوا مِنكَ أو بَكَرُوا * وأَزعَجَتهُمْ نَوًى في صَرْفِها غِيَرُ

إلى أن يقول:

في نَبْعَةٍ مِن قُرَيشٍ يَعْصِبُونَ بها * ما إن يُوازَى بأعلى نَبْتِها الشَّجَرُ
حُشْدٌ على الحَقِّ عن قولِ الخَنَا خُرُسٌ * وإنْ أَلَمَّتْ بِهِمْ مَكرُوهَةٌ صَبَروا
فإنْ تَدَجَّتْ على الآفاقِ مُظلِمَةٌ * كان لَهُمْ مَخرَجٌ منها وَمُعْتَصَرُ
أعطاهُمُ اللهُ جَدًّا يُنصَرُونَ بهِ * لا جَدَّ إلا صَغيرٌ بَعدُ مُحْتَقَرُ
لَم يَأْشَرُوا فيهِ إذ كانوا مَوالِيَهُ * ولو يكونُ لِقَومٍ غيرِهِمْ أَشِروا
شُمْسُ العَداوَةِ حتى يُسْتَقادَ لَهُمْ * وأَعظَمُ الناسِ أَحلامًا إذا قَدَروا
لا يَسْتَقِلُّ ذَوُو الأضْغانِ حَرْبَهُمُ * ولا يُبَيِّنُ في عِيدَانِهِمْ خَوَرُ
هُمُ الَّذين يُبارُونَ الرِّياحَ إذا * قَلَّ الطَّعامُ على العافِينَ أو قَتَروا
بَني أُمَيَّةَ نُعْماكُمْ مُجَلِّلَةٌ * تَمَّتْ فلا مِنَّةٌ فيها ولا كَدَرُ

(كذبتك عينك): هذه قصيدة يرد بها على جرير، وكان جرير يُقِرُّ أنه لم يغلبه الأخطل إلا في هذه القصيدة. يقول الأخطل:

[الكامل]

كذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ * غَلَسَ الظَّلامِ مِن الرَّبابِ خَيالا
وتَعَرَّضَتْ لك بالأبالِخِ بعدما * قَطَعَتْ بأَبرَقَ خُلَّةً وَوِصالًا
وتَغَوَّلَتْ لِتَرُوعَنا جِنِّيَّةٌ * والغانِياتُ يُرينَكَ الأهْوَالا
يَمْدُدْنَ مِن هَفَواتِهِنَّ إلى الصِّبَا * سَبَبًا يَصِدْنَ بِهِ الغُوَاةَ طُوَالا
ما إن رأيتُ كمَكْرِهِنَّ إذا جَرى * فِينَا ولا كحِبالِهِنَّ حِبالا
المُهْدِياتُ لِمَن هَوَينَ مَسَبَّةً * والمُحْسِناتُ لِمَن قَلَينَ مَقالا
يَرعَيْنَ عَهدَكَ ما رَأَينَكَ شاهِدًا * وإذا مَذِلتَ يَصِرنَ عنكَ مِذالا
وإذا وَعَدْنَكَ نائِلاً أَخْلَفْنَهُ * وَوَجَدتَ عِندَ عِداتِهِنَّ مِطالا
وإذا دَعَونَكَ عَمَّهُنَّ فإنَّهُ * نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِندَهُنَّ خَبالا
وإذا وَزَنتَ حُلُومَهُنَّ إلى الصِّبا * رَجَحَ الصِّبا بِحُلُومِهِنَّ فَمالا

إلى أن قال:

و إذا سَما لِلمَجدِ فَرعا وائلٍ * واستَجْمَعَ الوادي عليكَ فَسالا
كُنتَ القَذى في مَوجِ أكدَرَ مُزْبِدٍ * قَذَفَ الأَتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا
ولقد وَطِئنَ على المَشاعِرِ مِن مِنًى * حتى قَذَفْنَ على الجِبالِ جِبالا
فانعَقْ بِضَأنِكَ يا جريرُ فإنَّما * مَنَّتكَ نَفسُكَ في الخَلاءِ ضَلالا
مَنَّتكَ نَفسُكَ أن تُسامِيَ دارِمًا * أو أن تُوازِنَ حاجِبًا وعِقالا

(إني لقوَّام) ولست ذلكا: أنشد الأخطل عبدالملك بن مروان وجرير خلفه أنشد قوله:

[الطويل]

وإنّي لَقَوّامٌ مَقاوِمَ لم يَكُنْ * جريرٌ ولا مَوْلى جَريرٍ يَقُومُها

فقال جرير: أجل.. صدق والله! إنه ليقوم إلى الخمر فيشربها، وإلى الخنزير فيذبحه، وإلى الصَّليب فيقبله ويسجد له، وما أفعل ذلك أنا ولا مولاي.

كَذَا هَجَا أَنْصَارَ خَيْرِ مُرْسَلِ ٢٣٢ فَلا انْقَضَتْ عَثْرَةُ هَذَا الأَخْطَلِ

قال الأخطل يهجو الأنصار: [الكامل]

ذَهَبَتْ قُرَيشٌ بالمَكارِمِ كُلِّها * واللُؤمُ تَحتَ عَمائِمِ الأنصارِ
فَدَعُوا المكارِمَ لَستُمُ مِن أَهلِها * وخُذوا مَساحِيَكُمْ بَني النَّجَّارِ

فبلغ ذلك النُّعمان بن بشير؛ فأتى معاوية ﷺ وحَسَرَ عمامته عن رأسه فقال: يا معاوية هل ترى من لؤم؟! قال: ما أرى إلا كرمًا. قال: فما الذي يقول فينا عبد الأَراقِم؟ -وذكر البيتين- قال معاوية: قد حكَّمتك فيه. قال: والله ما رضيت إلا بقطع لسانه: [الطويل]

فما ليَ ثَأرٌ دونَ قطعِ لسانِهِ * فدونكَ مَن تُرضيهِ عنكَ الدَّارهمُ

فقال معاوية: قد وهبتك لسانه. وبلغ الأخطل فخاف، ولجأ إلى يزيد بن معاوية، فركب يزيد إلى النعمان فاستوهبه إيَّاه؛ فوهبه له.

(مِنْ آلِ نُعْمِ) أَنْشِدَنْ لِعُمَرِ ٢٣٣ مَنْ شِعْرُهُ كَالفُسْتُقِ المُقَشَّرِ

وَ(لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنَا مَا تَعِدْ) ٢٣٤ (قَالُوا: تُحِبُّ؟ قُلْتُ: بَهْرًا) مُتَّقِدْ

أَعْلَى قُرَيْشٍ فِي القَرِيضِ السَّلْسَلِ ٢٣٥ وَلَسْتَ رَاءٍ مِثْلَهُ فِي الغَزَلِ

من هذا البيت الذي ذكر فيه عمر ابن أبي ربيعة إلى البيت الخمسين بعد المائتين ذكر ثمانية هم من أشهر شعراء الغزل في العصر الأموي، وقد رتبهم على وَفياتهم:

أولهم: **أبو الخطَّاب عمر بن أبي ربيعة المَخْزُوميّ القُرشيّ**. وقد سُئل حماد الرَّاوية عن شعر عمر ابن أبي ربيعة فقال: "ذلك الفُسْتُقُ المُقَشَّر الذي لا يُشْبَعُ منه". ويمتاز شعر عمر ابن أبي ربيعة بسلاسة الأسلوب، والافتِنان في الغزل ولا سيما نوعه القَصَصِيّ. ولم يكن في قريش أشعر منه، وهذا قوله: أعلى قريش في القريض السَّلسل. وأما في شعر الغزل فلم يكن

في قريش ولا في غيرها مثله، فهو زعيم الغَزِلين جميعًا، وهذا قوله: ولست راءٍ مثله في الغزل. ليس له شعر في المدح، ولا في الفخر، ولا في الهجاء؛ وإنما قصر شعره على ذكر النساء، حتى إنه لما قال له سليمان بن عبدالملك: ما لك لا تمدحنا؟ قال: أنا إنما أمدح النساء! وقد قالوا: إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه عمر بن الخطاب ﷺ؛ فكانوا يقولون: "أيُّ خير رفع، وأي شرٍّ وضع". وقد أشار هنا إلى ثلاث من أشهر قصائده، وأشهر شعره وأسناه رائيَّته التي يقول فيها:

[الطويل]

أَمِنْ آلِ نُـعْـمٍ أنتَ غـادٍ فَمُبْكِرُ * غَـداةَ غَـدٍ أَمْ رائِـحٌ فَـمُـهَـجِّـرُ
لِحاجَـةِ نَفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها * فَتُبلِغَ عُـذْرًا والمَقالَـةُ تُـعْـذِرُ
تَـهِيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْـلُ جامِعٌ * ولا الحَبْلُ مَوْصُولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ
ولا قُـرْبُ نُعْمٍ إن دَنَتْ لكَ نافِـعٌ * ولا بُعْدُها يُسْلِي ولا أنتَ تَصْبِرُ

إلى أن قال فيها:

ولَيلَـةَ ذي دَوْرانَ جَشَّمَني السُّرَى * وقد يَجْشِمُ الهَوْلَ المُحِبُّ المُغَـرِّرُ
فَبِتُّ رَقِيْبًا لِلرِّفاقِ على شَفًا * أُحاذِرُ مِنهُـمْ مَن يَطوفُ وأَنظُـرُ
إلَيْهِـمْ متى يَسْتَمْكِنُ النَّومُ مِنهُمُ * ولِي مَجلِسٌ لولا اللُّبانَـةُ أَوْعَـرُ
وباتَتْ قَلُوصِي بالعَراءِ ورَحْلُها * لِطارِقِ لَيلٍ أو لِمَن جاءَ مُعْوِرُ
وبِتُّ أُناجِي النَّفسَ أين خِباؤُها * وكيف لِمَا آتي مِن الأمرِ مَصْدَرُ
فَدَلَّ عليها القَلْبَ رَيَّا عَرَفتُها * لها وهَوى النَّفسِ الَّذي كاد يَظْهَرُ
فلمَّا فَقَدتُ الصَّوتَ مِنهُمْ وأُطفِئَتْ * مَصابِيحُ شُبَّتْ بالعِشاءِ وأَنْوُرُ
وغـابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَهُ * ورَوَّحَ رُعْيانٌ ونَـوَّمَ سُمَّـرُ
ونَفَّضْتُ عنِّي العينَ أَقبَلتُ مِشْيَةَ الـ * ـحُبابِ وَرُكْنِي خَشيةَ الحَيِّ أَزْوَرُ
فَحَيَّيتُ إذ فاجَأْتُها فَتَوَلَّهَتْ * وكادتْ بِمَكْتومِ التَّحِيَّةِ تَجْهَرُ

وقالتْ وعَـضَّـتْ بِالبَنـانِ فَضَحْتَني ❊ وأنتَ امرُؤٌ مَـيْسُـورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ
أَرَيـتَـكَ إذ هُنَّا عليكَ أَلَـمْ تَخَفْ ❊ رَقِيـبًا وحَـولي مِن عَدُوِّكَ حُـضَّـرُ
فَـوَ اللهِ مـا أدري أَتَـعْـجِيـلُ حـاجَـةٍ ❊ سَرَتْ بِكَ أَمْ قد نامَ مَن كُنت تَحْذَرُ
فقلتُ لـها بَل قادَني الشَّوقُ والهَوى ❊ إليكِ وما نَـفْسٌ مِن النَّاسِ تَشْعُرُ
فقالتْ وقـد لانَتْ وأَفْـرَخَ رَوْعُـها ❊ كَـلاكَ بِـحِـفـظٍ رَبُّـكَ المُـتَـكَـبِّرُ
فأنتَ أبـا الخَطَّـابِ غيرُ مُـنـازَعٍ ❊ عَلَيَّ أَمـيرٌ ما مَـكُـثْـتَ مُـؤَمَّـرُ
فَيَا لكَ مِن لـيلٍ تَـقـاصَـرَ طُـولُـهُ ❊ وما كـان لَـيْـلِـي قبلَ ذلكَ يَـقْـصُـرُ

إلى أن قال:

فلمَّا تَـقَـضَّـى اللَّـيلُ إلا أَقَـلَّـهُ ❊ وكـادتْ تَـوالِـي نَـجْـمِـهِ تَـتَـغَـوَّرُ
أشـارتْ بأنَّ الحَيَّ قد حانَ مِنْهُمُ ❊ هُـبُـوبٌ ولـكـنْ مَـوعِـدٌ لكَ عَـزْوَرُ
فـما راعَـني إلا مُـنـادٍ تَـرَحَّـلُـوا ❊ وقد لاقَ مَفْتُوقٌ مِن الصُّبْحِ أَشْـقَـرُ
فـلمَّـا رَأَتْ مَـن قـد تَـنَـبَّهَ مِـنهُـمُ ❊ وأَيـقاظَـهُـمْ قالتْ أَشِر كيف تَأْمُـرُ
فـقلتُ أُبـادِيـهِـمْ فـإمَّـا أَفـوتُـهُـمْ ❊ وإمَّـا يَـنـالُ السَّيفُ ثَـأْرًا فَـيَـثْـأَرُ
فـقـالتْ أَتَـحْـقِـيـقًا لِما قالَ كـاشِحٌ ❊ علينا وتَـصْـدِيـقًا لِما كـان يُـؤثَـرُ
فـإن كـان ما لا بُـدَّ مِـنهُ فَـغَـيـرُهُ ❊ مِـن الأمـرِ أدنى لِلـخَـفـاءِ وأَسْـتَـرُ
أَقُـصُّ عـلى أُختَيَّ بَـدْءَ حَـدِيثِـنا ❊ وما لِيَ مِـن أن تَـعْـلَـما مُـتَـأَخَّـرُ
لعلَّـهُـما أن تَـطْـلُـبا لكَ مَـخْـرَجًا ❊ وَأَن تَـرْحُـبَا صَدْرًا بِما كنتُ أَحْصَرُ
فـقـامَـتْ كَـئـيـبًا ليس في وَجْهِـها دَمٌ ❊ مِن الحُـزْنِ تُـذْرِي عَـبْـرَةً تَـتَـحَـدَّرُ
وقالتْ لِأُخـتَـيْهَـا أَعِينـا على فَـتًى ❊ أَتَـى زائِـرًا والأمـرُ لِلأمـرِ يُـقْـدَرُ
فـقـامـتْ إليـهـا حُـرَّتـانِ عَـليـهِـما ❊ كِـساءانِ مِـن خَـزٍّ دِمَـقْـسٌ وأخضرُ
فـأَقْـبَـلَـتا فَـارْتـاعَـتا ثـمَّ قـالَـتـا ❊ أَقِلِّي عـلـيـكِ اللَّومَ فالخَطْبُ أَيْسَرُ
يـقـومُ فَـيَـمْـشِـي بَـيْـنَـنَا مُـتَـنَـكِّـرًا ❊ فـلا سِـرُّنا يَـفْـشُـو ولا هُـوَ يُـبْـصَـرُ
وقـالَـتْ لها الصُّغْرى سَأُعْطِيهِ مِطْرَفي ❊ ودَرْعِـي وهـذا البُـرْدَ إن كـان يَـحْـذَرُ

فكـان مِجَنِّي دونَ مَن كنتُ أَتَّقِي * ثَلاثُ شُخُوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ
فلـمَّا أَجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ قُلْنَ لي * أَمَا تَتَّقِي الأعداءَ وَاللَّيلُ مُقْمِرُ
وقُلْنَ أهـذا دَأْبُكَ الدَّهرَ سـادِرًا * أَمَا تَسْتَحِي أو تَرْعَوي أو تُفَكِّرُ
إذا جِئتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عينَيكَ غيرَنا * لِكَي يَحْسِبوا أنَّ الهوى حيثُ تَنْظُرُ
فَآخِرُ عَهـدٍ لي بِها حينَ أَعْرَضَتْ * ولاحَ لـها خَدٌّ نَقِيٌّ ومَحْجِرُ

"فكان مِجنِّي...": هذا البيت من شواهد المفسرين عند قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤﴾ [النبأ: ١٤]. وقد أشار إلى مِجنِّه هذا -وكان مجنِّي دون من كنت أتقي- في الشمقمقية بقوله:

واتَّخِذِ الصَّبرَ دِلاصًا سابِغًا * وبِمِجَنِّ عُمَرٍ لا تَتَّقِي

لأن مِجَنَّه كاعبان ومُعْصِر!

وقد قال الأصمعي: أنشد ابن أبي ربيعة عبدالله بن عباس أو طلحة بن عبيدالله قصيدة، فما زال شانِقًا ناقته حتى كُتبت له. وكان بعض ولد الزبير يسأل عما لا يحفظ من شعر ابن أبي ربيعة؛ فإذا ذكر له شيء كتبه ويده ترتعد من الفرح.

(ليت هند أنجزتنا ما تعد): ولعمر قصيدة أخرى أشار إليها ههنا في الأبيات يقول فيها:

[الرمل]

لَيتَ هِندًا أَنجَزَتنا ما تَعِدْ * وشَفَتْ أَنفُسَنا مِمَّا تَجِدْ
واستَبَدَّتْ مَرَّةً واحِدَةً * إنَّما العاجِزُ مَن لا يَستَبِدّ

إلى آخر قصيدته.

والقصيدة الثالثة التي أشار إليها ههنا قوله: (قالوا تحب قلت بهرًا) متقد، قال عمر بن أبي ربيعة:

[الخفيف]

قالَ لي صاحِبي لِيَعْلَمَ ما بي * أَتُحِبُّ القَتُولَ أُخْتَ الرَّبابِ
قلتُ وَجْدِي بها كَوَجْدِكَ بالعَذْ * بِ إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرابِ
مَن رَسُولي إلى الثُرَيَّا بأنِّي * ضِقْتُ ذَرْعًا بِهَجْرِها والكِتابِ
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ إذ دَعَتْها * مُهْجَتِي ما لِقاتِلي مِن مَتابِ
حينَ قالتْ لها أَجِيبِي فقالتْ * مَن دَعاني قالتْ أبو الخَطَّابِ
فأجابتْ عِندَ الدُّعاءِ كما لَبْـ * ـبَى رِجالٌ يَرجونَ حُسْنَ الثَّوابِ
أَبرَزُوهَا مِثلَ المَهاةِ تَهادَى * بينَ خَمسٍ كَواعِبٍ أَتْرابِ
وهْيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ منها * في أَدِيمِ الخَدَّينِ ماءُ الشَّبابِ
دُمْيَةٌ عندَ رَاهِبٍ ذي اجتِهادٍ * صَوَّرُوها في جانِبِ المِحْرابِ
ثُمَّ قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا * عَدَدَ النَّجمِ وَالحَصى والتُّرابِ

بهرًا: أي حُبًّا قويًا.

لَكِنَّ شِعْرَهُ مِنَ المَضْنُونِ بِهْ ٢٣٦ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فَدَيْتُكَ انْتَبِهْ

المقصود أن لشعر عمر ابن أبي ربيعة موقعًا من القلوب، ومدخلًا لطيفًا؛ حتى قال عبدالله بن مصعب بن الزبير: "لو كان شعرٌ يسحر؛ لكان هو". أي لكان شعر عمر ابن أبي ربيعة. وهذا يذكره الأدباء، وقد نقل أبو الفرج في (الأغاني) وابن عبدربه في (العقد) عن بعض العلماء أنه قال: **"ما عُصيَ الله بشعر أحدٍ ما عُصيَ بشعر ابن أبي ربيعة"**. وقال ابن عباس –رضي الله عنهما– –وقد سمع قصيدة: أمن آل نعم– قال لبعض بني مَخْزوم: **"إن بقيَ ابن أخيك هذا؛ ليُخرِجَنَّ المُخَبَّآت من خُدُورِهنَّ"**. وقال عبدالملك بن جُريج الذي وصفه الإمام أحمد بأنه من أوعية العلم قال: **"ما دخل على العَواتِق في حِجالِهنَّ شيء أضرُّ عليهنَّ من شعر عمر ابن أبي ربيعة"**. المقصود أنه إذا كان هذا الشعر سببًا لتحريك السَّاكن، وتهييج

الكامن؛ فهو في حقِّ هذا من المَضْنون به عن غير أهله، وليس هذا خاصًّا بعمر ابن أبي ربيعة، وليس خاصًّا بالشعر بل كل ما كان قد يدعو إلى الفحش والخَنا؛ فإنه يُجنَّبه النَّاشئة؛ لذا قال بعده:

كَمْ مِنْ هَوًى أَوْرَثَ ذُلًّا مَا مُحِي ٢٣٧ نَكَّسَ رَأْسًا وَرَمَى بِالتَّرَحِ
كَمْ مِنْ هَوًى قَبَّحَ ذِكْرًا فِي الوَرَى ٢٣٨ أَوْقَدَ مِنْ نَارِ الهَوَى مَا لَا يُرَى
كَمْ عَاقِلٍ أَرْخَى الزِّمَامَ لِلْهَوَى ٢٣٩ حَتَّى إِذَا انْتَهَى بِهِ الدَّرْبُ هَوَى
كَانَ ابْتِدَاءُ أَمْرِهِ مُجُونَا ٢٤٠ فَمَا ارْعَوَى حَتَّى غَدَا جُنُونَا

بالترح: التَّرح ضد الفرح.

فعلى العاقل أن يسير بقلبه في عواقب الهوى فيتأمل كم أفاتت طاعة الهوى من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم أكلة منعت أكلات، وكم لذة فوّتت لذَّات، وكم من شهوة كسرت جاهًا، ونكَّست رأسًا، وقبَّحت ذكرًا، وأورثت ذمًّا، وأعقبت ذُلًّا، وألزمت عارًا لا يغسله الماء، غير أن عين صاحب الهوى عمياء، وقد أفاض في هذا ابن القيم -رحمه الله- في (روضة المحبِّين).

مُؤْنِسَةُ المَجْنُونِ لِلظَّامِي الصَّدِي ٢٤١ نَابَتْ عَنِ الزُّلَالِ عَذْبِ المَوْرِدِ
(ذَكَرْتُ لَيْلَى) إِذْ رَمَتْ فُؤَادِيَا ٢٤٢ فَبَلَّ دَمْعُ العَيْنِ مِنْ رِدَائِيَا

الصَّدي: أي العَطِشْ.

مجنون ليلى قَيْسُ بن المُلَوَّح له قصيدته المَوسومة بالمُؤنِسة، قيل: إنه كان يحفظها دون باقي أشعاره، وكان لا يخلو بنفسه إلا أنشدها، وهي طويلة وفي رواياتها اختلاف في الترتيب

والزيادة والنقص، مطلعها قوله:

[الطويل]

تَذَكَّرتُ ليلى والسِّنينَ الخَوالِيا * وأَيَّامَ لا نَخشى على اللَّهْوِ ناهِيَا

وفيها يقول:

إذا طَنَّتِ الأُذْنانِ قلتُ ذَكرتِني * أو اخْتَلَجَتْ عَيْني رَجَوْتُ التَّلاقِيَا
أُصَلِّي فما أدري إذا ما ذَكَرْتُها * أَثِنْتَيْنِ صَلَّيْتُ الضُّحى أَمْ ثَمَانِيَا
خَلِيلَيَّ إن ضَنُّوا بِلَيلى فَقَرِّبا * لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واستغفِرا لِيَا
خَلِيلَيَّ إن لا تَبْكِيَا لِيَ أَسْتَعِنْ * خَليلًا إذا أَفْنَيْتُ دَمعي بكى لِيَا
فلو أَنَّني أَشْكُو الذي قد وجدتُهُ * إلى مَيِّتٍ في قَبْرِهِ لَبَكى لِيَا
ولو أَنَّني أشكو الذي قد أَصَابَني * إلى جبلٍ صَعْبِ الذُّرى لانْحَنَى لِيَا
ولو أَنَّني أشكو الذي قد أَصَابَني * إلى مُقْعَدٍ في بَيتِهِ لعَدَا لِيَا
وإنِّي لأَسْتَغْشِي وما بِيَ نَعْسَةٌ * لَعَلَّ خَيالًا منكِ يَلْقَى خَيالِيَا

وفيها يقول:

وقد يَجْمَعُ اللهُ الشَّتِيتَيْنِ بعْدَما * يَظُنَّانِ كلَّ الظَّنِّ أن لا تَلاقِيَا
وخَبَّرْتُمانِي أَنَّ تَيْماءَ مَنزِلٌ * لِليلى إذا ما الصَّيفُ أَلْقى المَراسِيَا
فهذي شهورُ الصَّيفِ عنَّا قد انقَضتْ * فما لِلنَّوى تَرْمِي بِلَيلى المَرامِيَا
أَعُدُّ اللَّيالِي لَيْلَةً بعدَ لَيْلَةٍ * وقد عِشْتُ دهرًا لا أَعُدُّ اللَّيالِيَا
وأَخْرُجُ مِن بين البُيوتِ لَعَلَّني * أُحدِّثُ عنكِ النَّفْسَ في السِّرِّ خالِيَا

ذكر ابن القيم في (مدارج السَّالكين) في كلامه عن الخلوة بالله أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يخرج في بداية أمره إلى الصحراء يخلو عن الناس، ويتمثل ببيت مجنون ليلى هذا:

وأَخْرُجُ مِن بينِ البُيوتِ لَعَلَّني * أُحدِّثُ عنكِ النَّفْسَ في السِّرِ خالِيَا

وفيها يقول:

إذا سِرْتُ في الأرضِ الفضاءِ رَأَيْتُنِي * أُدارِيُ رَحْلِي أن يَمِيلَ حِيَالِيَا
يَمِينًا إذا كانتْ يَمِينًا وإن تكنْ * شِمالًا يُنازِعْني الهوى عن شِمالِيَا
أُحِبُّ مِن الأسماءِ ما وافقَ اسْمَها * وأَشْبَهَهُ أو كان مِنْهُ مُدَانِيَا
هِيَ السِّحْرُ إلا إنَّ للسِّحرِ رُقْيَةً * وإنِّيَ لا أَلْقَى لها الدَّهْرَ راقِيَا

وهو صاحب البيت المشهور:

[الطويل]

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الأُلَى كُنَّ قَبْلَها * وحَلَّتْ مكانًا لمْ يَكُنْ حُلَّ مِن قبلُ

جَمِيلُ بَثْنٍ دَمْعُهُ شَهِيدُ ٢٤٣ (يَا لَيْتَ أَيَّامَ الصَّفَا جَدِيدُ)

جميل بن عبدالله بن مَعْمَر العُذْرِيّ نشأ في البادية، وشعره جميل الأسلوب يجمع بين السهولة والرَّصانة، ويعدُّه النُّقاد في البادية نظير عمر ابن أبي ربيعة في الحاضرة. أشهر شعره قوله:

[الطويل]

أَلا لَيتَ أَيَّامَ الصَّفاءِ جَديدُ * وَدَهْرًا تَوَلَّى يا بُثَينُ يَعودُ
إذا قلتُ ما بي يا بُثَينَةُ قاتِلي * مِن الحُبِّ قالَتْ ثابِتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عَقْلي أَعِش بهِ * مع النَّاسِ قالَت ذاكَ مِنك بَعيدُ
فلا أنا مَرْدُودٌ بِما جِئتُ طالِبًا * ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ
وقد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًا وتالِدًا * وما الحُبُّ إلا طارِفٌ وتَلِيدُ
يقولونَ جاهِدْ يا جَميلُ بِغَزوَةٍ * وأَيَّ جِهادٍ غَيرَهُنَّ أُريدُ
لِكُلِّ حَديثٍ بَينَهُنَّ بَشاشَةٌ * وكُلُّ قَتيلٍ بَيْنهُنَّ شَهِيدُ

وَلِابْـنِ قَـيْسٍ (مُصْـعَبٌ شِـهَابُ) ٢٤٤ (لِلْحُـبِّ مِـنِّيْ سَـوْرَةٌ عُجَـابُ)

عبيدالله بن قيس الرُّقَيَّات القُرَشيّ من شعراء الغزل والسِّياسة. نشأ في قريش وكان ناقمًا على بني أميَّة، منتصرًا لابن الزُّبير، حتى إذا قُتل ابن الزبير واستقر الحكم للأمويين اطمأنَّ إليهم، وكان أوَّل أمره مطاردًا من خلفاء بني أمية لتحريضه عليهم بشعره. وهو سهل الشعر، رقيق المعاني ولا سيما في الغزل والرِّثاء. قال في قصيدة يمدح فيها مصعب بن الزُّبير، ويفتخر بقريش، ويحرِّض على قتال بني أمية:

[الخفيف]

حَبَّذا العَيشُ حين قَوْمِي جَميعٌ * لم تُفَرِّقْ أُمُورَها الأهْواءُ
إنما مصعبٌ شِهابٌ مِن اللَّـ * ـهِ تَجَلَّتْ عن وَجْهِهِ الظَّلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَأفَةٍ ليس فيهِ * جَبرُوتٌ ولا بهِ كِبرياءُ
يتَّقِي اللهَ في الأُمورِ وقد أَفْـ * ـلَحَ مَن كان هَمَّهُ الإتِّقاءُ
كيف نَومِي على الفِراشِ ولمَّا * يَشْمَلِ الشَّامَ غارَةٌ شَعْواءُ
تُذْهِلُ الشَّيخَ عن بَنِيهِ وتُبْدِي * عن بُراها العَقِيلَةُ العَذْراءُ
أنا عنكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزْوَرْ * رٌ وأنتمْ في نَفْسِيَ الأعْداءُ
إنَّ قَتْلى بالطَّفِّ قد أَوْجَعَتْني * كان مِنكُمْ لَئِنْ قُتِلْتُمْ شِفاءُ

كيف نومي على الفراش ولمَّا..: يُحرِّض على حرب بني أمية، وكانت دمشق والشام حاضرتهم.

ترى في هذه الأبيات حَدَبَهُ على قريش عامة وكرهه بني أمية، وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم، ثم إنه مدحهم بعد ذلك وأشار هنا في النظم في الشطر الثاني إلى قصيدته التي قالها يمدح عبدالملك بن مروان، قال:

[المنسرح]

عادَ لَهُ مِن كَثِيرَةَ الطَّرَبُ * فَعَينُهُ بِالدُّمُوعِ تَنْسَكِبُ

كوفِيَّةٌ نَـازِحٌ مَـحَـلَّـتُـها * لا أَمَـمٌ دارُهـا ولا صَـقَـبُ
واللهِ ما إن صَـبَـتْ إلَـيَّ ولا * يُـعْـلَـمُ بَـيـنِي وبـينَـهـا سَـبَـبُ
إلا الذي أَوْرَثَـتْ كَثيـرَةُ في الـ * قَلْبِ ولِلحُبِّ سَـوْرَةٌ عَجَبُ

وفيها يقول:

ما نَـقَـمُـوا مِن بَـنِي أُمَـيَّةَ إلا * أَنَّـهُـمْ يَـحْـلُـمُـونَ إن غَضِبُوا
وأَنَّـهُـمْ مَـعْـدِنُ المُلوكِ فَلا * تَـصْـلُـحُ إلا عَـلَيهِمُ الـعَـرَبُ
إنَّ الفَـنِـيقَ الذي أَبُـوهُ أبو الـ * ـعاصِي عليهِ الوَقارُ والحُجُبُ
خَـلِيفَـةُ اللهِ فَـوقَ مِـنبَرِهِ * جَفَّتْ بِذاكَ الأقـلامُ والكُـتُـبُ
يَـعْـتَـدِلُ التَّاجُ فَـوْقَ مَفْرِقِهِ * على جَـبِـينٍ كـأَنَّـهُ الذَّهَـبُ

لما بلغ هذا البيت قال عبدالملك بن مروان: يا ابن قيس تمدحني بالتَّاج كأنِّي من العجم؟!

وتقول في مصعب بن الزُّبير:

إنما مصعبٌ شِهـابٌ مِن اللَّـ * ـه تَجَلَّتْ عـن وَجْـهِـهِ الظَّلماءُ

ما أعجبه هذا المدح!

(حَنَنْتَ) للصِّمَّةِ قُـلْ مَـا شِـيـتَـا ٢٤٥ شِـعْـرٌ إذا رَوَيْـتَـهُ رَوِيـتَـا
وَقَـالَ بَعْـضُ الأُدَبَـاءِ الأُوَلِ: ٢٤٦ مَـا قِيـلَ مِثْلُـهُ بِشِـعْرِ الغَـزَلِ

الصِّمَّة بن عبدالله القُشَيْريّ كان خطب بنت عمِّه فاشْتَطَّ عليه عمُّه في المَهْر، فسأل أباه أن يعينه فأبى، وسأل عشيرته فأعطوه، فأتى عمه بالإبل، فقال له عمه: لا أقبلها إلا من مال أبيك. وعاود أباه فمنعه؛ فلما رأى ذلك منهما قطع عُقُلَ الإبل وأرسلها، فعاد كل بعير إلى إلافه منها، وتحمَّل الصِّمَّة راحلًا إلى الشام، فقالت بنت عمه: تالله ما رأيت كاليوم فتًى باعته عشيرته بأَبْعِرَة! فمضى حتى لحق بالشام، فقال قصيدته التي قال عنها بعض الأدباء: "لو حلف حالفٌ أنها أحسن أبيات قيلت في النَّسيب في الجاهلية والإسلام ما حَنِث" يقول فيها:

[الطويل]

حَنَنتَ إلى رَيَّـا وَنَفسُكَ باعَدَتْ * مَـزارَكَ مِن رَيَّا وشَعْباكُما مَعا
فما حَسَـنٌ أن تأتِيَ الأمرَ طائِعًا * وتَجْـزَعَ أن داعي الصَّبابَةِ أَسْمَعا
قِفَا وَدِّعا نَجْدًا ومَن حلَّ بالحِمى * وقَـلَّ لِنَـجْدٍ عندنـا أن تُـوَدَّعا
ولمَّا رأيتُ البِشْرَ أَعْـرَضَ دُونَنا * وجالتْ بناتُ الشَّوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعا
بَكَتْ عَينِيَ اليُسرى فلمَّا زَجَرْتُها * عن الجَهْلِ بعدَ الحِلْمِ أَسْبَلَتا مَعا
تَلَفَّتُّ نحوَ الحَيِّ حتى وَجَدتُني * وَجِعْتُ مِن الإصْغاءِ لِيتًا وأَخْدَعا
وأَذكُـرُ أيَّـامَ الحِمـى ثُمَّ أَنثَني * على كبِدي مِن خَشْيَةٍ أن تَصَدَّعا
وليستْ عَشِيَّاتُ الحِمى بِرَواجِعٍ * إليكَ ولكن خَلِّ عَينَيكَ تَدْمَعا

كُثَيِّرٌ يُبْكِيهِ رَبْعُ عَزَّةِ ٢٤٧ (حَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَدْ حُلَّتِ)

كُثَيِّر بن عبدالرحمن الخُزاعيّ من أشعر الإسلاميين، وهو في جمهور غزله يترنَّم بعَزَّة حتى سُمِّيَ: (كثيِّر عزَّة). وقد كان راوية لجميل بثَيْنَة السابق الذكر، وأشهر شعره تائيَّته التي يقول فيها:

[الطويل]

خَلِيلَيَّ هـذا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلا * قَلُوصَيْكُما ثُمَّ ابْكِيَا حَيثُ حَلَّتِ
ومَسَّا تُرابًا كَانَ قَد مَسَّ جِلدَها * وبِيتَا وظَلَّا حيثُ باتَت وظَلَّتِ
وما كنتُ أدري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا * ولا مُوجِعاتِ القَلْبِ حتَّى تَوَلَّتِ
وما أَنصَفَتْ أمَّا النِّساءَ فَبَغَّضَتْ * إلَيْنـا وأمَّـا بِالنَّـوالِ فَضَـنَّتِ
أَباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ الناسُ قَبلَها * وَحَلَّتْ تِلاعًا لم تَكُنْ قَبلُ حُلَّتِ

يريد أنها مَلَكَتْ عليه نَفْسَهُ بالحبِّ حين لم يستطع ذلك سواها، وهذا يُبيِّنه قوله في القصيدة:

فـواللهِ ثـم اللهِ مـا حَـلَّ قبلَها * ولا بعدَها مِن خُلَّةٍ حيثُ حلَّتِ

وكأن قصيدته هذه كانت حاضرة عند الإمام الشَّعْبيّ، فقد استشهد بها في أكثر من موضع، قال مرَّة: ما أعلم لنا وللدنيا مثلًا إلا ما قال كثيِّر:

أَسِيئي بِنا أو أَحْسِني لا مَلُومَةً * لَدَينا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

ومرَّ يومًا بقوم فسمعهم ينتقصونه، فقال:

هَنيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامِرٍ * لِعَزَّةَ مِن أَعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

ودخل مرَّة على ابن عمٍّ له فخلا به في بيته وبينهما تباعد، فجعل ابن عمّ الشعبي يقع فيه، ويأخذ من عرضه؛ فخرج الشعبي وهو يقول:

هَنيئًا مَرِيئًا غيرَ داءٍ مُخامِرٍ * لِعَزَّةَ مِن أَعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

فندم واعتذر إلى الشعبي، وقال: "يا أبا عمرو اعذِرْني، فوالله لا أعود لمثلها".

وَالأَحْـوَصُ الأَوْسِيُّ غَالَـــهُ الجَـوَى ٢٤٨ (إِنْ أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ الهَوَى)

(أَحَبُّ شَيْءٍ لِلْوَرَى الـمَـمْـنُـوعُ) ٢٤٩ وَأَصْـــدَقُ الأَدِلَّـــةِ الدُّمُـــوعُ

الأَحْوَصُ الأَوْسيّ من الأنصار، اسمه: **عبدالله بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح**. جدُّ أبيه عاصم بن ثابت الذي كان يُسمَّى: "حَمِيَّ الدَّبْر" لأنه لما قتله بنو لَحْيان يوم الرَّجِيع، وأرادوا أن يدْفعوه إلى قريش حمته الدَّبْر منهم نهارًا حتى إذا جَنَّ الليل احتمله السَّيل فلم يوجد؛ فسمي حميَّ الدَّبر. وقد مرَّ ما ارتجز به في ذلك اليوم عند قوله:

وعاصمُ بنُ ثابتِ الحُلاحِلُ * (ما عِلَّتي وأنا جَلْدٌ نابِلُ)

وخال أبيه حنظلة بن أبي عامر الذي استشهد يوم أحد وأخبر النَّبي ﷺ أن الملائكة غسَّلته؛ فسُمِّيَ: "غَسِيل الملائكة" وكان الأحوص الأوسي يفتخر بهما، وفي ذلك يقول:

[الخفيف]

غسّلتْ خاليَ الملائكةُ الأبـ * ـرارُ مَيْتًا طُوبَى لهُ مِن صَريعِ
وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبـ * ـرُ قَتيلُ اللَّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ

وهو من شعراء الغزل كسابقيه، من شعره قوله:

[الطويل]

إذا أنتَ لم تَعشَقْ ولم تَدْرِ ما الهَوى * فَكُنْ حَجَرًا مِن يابِسِ الصَّخرِ جَلْمَدَا

وهذا البيت من قصيدته التي مطلعها:

أَلَا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يَتَبَلَّدَا * فقد غُلِبَ المَحْزُونُ أن يَتَجَلَّدَا
بَكَيتُ الصِّبا جُهْدِي فَمَن شاءَ لامَني * ومَن شاءَ آسَى في البُكاءِ وأَسْعَدَا

ثم أشار في البيت الثاني إلى أبيات له يقول فيها:

[البسيط]

يا دِينَ قَلبكَ مِنها لستَ ذاكِرَها * إلا تَرَقرَقَ ماءُ العَينِ أو دَمَعَا
لا أسْتَطيعُ نُزُوعًا عن مَحبَّتِها * أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوقَ الَّذي صَنَعَا
وزادَني كَلَفًا في الحُبِّ أن مُنِعَتْ * وحَبُّ شَيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا

(لَكِنَّنِي أَقْبَلْتُ) رِدْ زُلَالَا ٢٥٠ غَيْلَانُ يَمْدَحُ بِهَا بِلَالَا

غَيلان بن عُقْبَة ذو الرُّمَّة. والرُّمة: قطعة من الحبل. قيل: إنه قيل له ذو الرُّمة لأنه كان يعتريه فزعٌ وهو غلام؛ فكُتبت له مَعَاذَةٌ وعلّقت برُمَّةٍ من حبل فقيل له ذلك، وقيل في سبب هذا اللقب غير ذلك. وهو أحد عشّاق العرب المشهورين، من شعره في النَّسيب قوله:

[الطويل]

وقَفتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقَتي * فما زِلتُ أَبْكِي عندَهُ وأُخاطِبُـهْ
وأَسْقِيـهِ حتَّى كـادَ مِـمَّا أَبُثُّـهُ * تُـكَلِّمُني أَحْـجَارُهُ ومَـلاعِبُـهْ

ومن أشهر شعره قصيدته التي مطلعها:

[البسيط]

ما بالُ عَينِكَ مِنها الماءُ يَنسَكِبُ * كـأَنَّـهُ مِن كُـلَى مَفْـرِيَّـةٍ سَـرِبُ

وهي أول قصيدة في ديوانه. وكان وصَّافًا، كان يقول: "إذا قلتُ: (كأنَّ) ولم أجد لها مخرجًا فقطع الله لساني". ومن أجمل شعره في المدح قوله يمدح بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعريّ:

[الطويل]

ولَـكِنَّـني أَقبَلتُ مِن جانِبَيْ قَـسًـا * أَزورُ فـتًى مَـحْـضًا نَـجِيبًا يَـمَـانِيَـا
مِنَ الِ أَبي موسى تَرى الناسَ حَولَهُ * كـأَنَّـهُـمُ الكِـرْوَانُ أَبْـصَـرْنَ بَـازِيَـا
مُـرمِّـينَ مِن لَـيثٍ عليـهِ مَـهابَـةٌ * تَـفادَى الأُسُودُ الغُـلْـبُ مِنهُ تَـفادِيَـا
فما يُغْرِبُونَ الضِّحكَ إلّا تَـبَـسُّـمًـا * ولا يَـنبِـسُـونَ القَـولَ إلّا تَـنـاجِيَـا
لَـدى مَـلِكٍ يَـعْـلُو الرِّجالَ بِضَوئِهِ * كما يَبْـهَـرُ البَدرُ النُّجـومَ السَّـوارِيَا
فَما الفُحْشَ مِنهُ يَرْهَبُونَ ولا الخَـنا * عليهِمْ ولكِن هَـيْـبَـةً هِـيَ ما هِـيَـا
فَتى السِّنِّ كَهْلَ الحِلْمِ تَسْمَـعُ قَـولَـهُ * يُـوازِنُ أَدْنـــاهُ الجِبـالَ الرَّواسِـيَـا

من عمر ابن أبي ربيعة إلى ذي الرُّمَّة غيلان –إلى هذا الموضع- هؤلاء من أشهر شعراء الغزل في العصر الأمويّ، وقد رُتِّبوا على وَفَياتِهم. ثم انتقل إلى ذكر بعض شعراء الخوارج في هذا العصر، وقد ذكر المُبَرِّد في (الكامل) كثيرًا من أشعارهم، قال:

وَقَطَرِيُّ الخَارِجِيُّ دَاعِ ٢٥١ لِنَفْسِهِ: (وَيْحَكِ لَنْ تُرَاعِي)
(مَا الخَيْرُ فِي حَيَاةِ مَرْءٍ سَاعِ ٢٥٢ وَهْوَ يُرَى مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ)

قَطَرِيُّ بن الفُجاءة المَازِني من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء، قضى مدة طويلة في حرب الأُمويين، من شعره قوله:

[الوافر]

أقولُ لها وقد طارَتْ شَعَاعًا * مِنَ الأبطالِ وَيحَكِ لَن تُراعي
فإنَّكِ لو سَألتِ بَقاءَ يَومٍ * على الأجَلِ الذي لكِ لَم تُطاعي
فَصَبْرًا في مَجالِ المَوتِ صَبْرًا * فَما نَيلُ الخُلودِ بِمُسْتَطاعِ
ولا ثَوبُ البَقاءِ بِثَوبِ عِزٍّ * فَيُطْوَى عن أخي الخَنْعِ اليَراعِ
سَبيلُ المَوتِ غايَةُ كُلِّ حَيٍّ * ودَاعِيهِ لِأهلِ الأرضِ دَاعِي
ومَن لا يُعْتَبَطْ يَسْأَم ويَهْرَمْ * وتُسْلِمُهُ المَنُونُ إلى انقِطاعِ
وما لِلمَرْءِ خَيرٌ في حَياةٍ * إذا ما عُدَّ مِن سَقَطِ المَتاعِ

أُمُّ حَكِيمٍ قَوْلُهَا بُعْدًا لَهُ: ٢٥٣ (أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهُ
وَقَدْ مَلِلْتُ دَهْنَهُ وَغَسْلَهُ ٢٥٤ أَلَا فَتًى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ)

هذه **أمُّ حكيم** إحدى نساء الخوارج المقاتلات، كانت مع قطري وكانت من أشجع الناس، وكانت تحمل على القوم وتَرْتَجِز:

[مجزوء الرجز]

أَحْمِلُ رَأْسًا قد سَئِمْتُ حَمْلَهُ * وقد مَلِلْتُ دَهْنَهُ وغَسْلَهُ
أَلا فَتًى يَحمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ

وَانْظُـرْ لِقَـوْلِ الخَـارِجِيْ عِمْـرَانِ ٢٥٥ -وَهْـوَ مِـنَ البِدْعَـةِ فِي أَشْـطَانِ-:
(أَرَى الوَرَى لَا يَسْأَمُونَ مَـا أَرَى) ٢٥٦ وَ(إِنَّهَا عِنْدِي كَـأَحْلَامِ الكَـرَى)
وَقَوْلِـهِ: (يَـا ضَرْبَـةً مِـنَ التَّـقِي) ٢٥٧ أَجَابَهُ التَّاهَرْتِ: (بَلْ مِـنَ الشَّـقِي)

عمران بن حِطَّان الخارجي حدَّث عن جماعة من الصحابة، وكان شاعرًا مُجيدًا. قال الفرزدق: "عمران بن حطَّان من أشعر الناس؛ لأنه لو أراد أن يقول مثلنا لقال، ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله". وقد تعلق قلبه بابنة عمٍّ له تُسمَّى جمْرة، وكانت خارجية، وقال: سأردُّها إلى السُّنَّة؛ فصرفته إلى مذهبها فصار من كبار الخوارج -نسأل الله العافية-. وكانت ذات جمال، وكان هو قبيحًا دَميمًا، يروى أنها قالت له يومًا: "أنا وأنت في الجنة. قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أُعطيتَ مثلي فشكرتَ، وابتُليتُ أنا بمثلك فصبرتُ، والشاكر والصابر في الجنة".

وهو من البدعة في أشطان: الأشطان؛ جمع شَطَنٍ وهو الحبل الطويل، أخذه من قول المَقَّريّ في (نَفْحِ الطِّيب): "وما أحكم قول ابن حطَّان مع وقوعه من البدعة في أشطان". وذكر شيئًا من شعره.

(أرى الورى لا يسأمون ما أرى): أشار هنا إلى أبيات له كان سفيان الثَّوريّ كثيرًا ما يتمثَّل بها، وهي قوله في التَّزْهيد من الدنيا:

[الطويل]

أَرى أَشقِياءَ الناسِ لا يَسْأَمُونَها * على أَنَّهمْ فيها عُراةٌ وَجُوَّعُ
أَراها وإن كانتْ تُحَبُّ فإنَّها * سَحابَةُ صَيفٍ عن قَليلٍ تَقَشَّعُ
كَرَكْبٍ قَضَوا حاجاتِهِم وتَرَحَّلوا * طَرِيقُهُمُ بادي العلامَةِ مَهْيَعُ

(وإنها عندي كأحلام الكرى): يقول:

[الرمل]

يَأسَفُ المَرءُ على ما فاتَهُ * مِن لُبـاناتٍ إذا لم يَقْـضِها
وتَـراهُ ضاحِـكًا مُسْتَبْشِرًا * بالتي أَمْضَى كأن لم يُمضِها
إنها عندي كأحلامِ الكَـرَى * لَقريبٌ بَعضُها مِن بَعضِها

وقوله (يا ضربة من التَّقي): يقول عمران بن حطَّان يمدح أشقاهم عبدالرَّحمن بن مُلْجَم – بفتح الجيم – قاتل عليٍّ ﷺ:

[البسيط]

يا ضَـرْبَةً مِن تَقِيٍّ ما أرادَ بها * إلا لِيبْلُغَ مِن ذي العرشِ رِضوَانَا
إني لأذْكُـرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُـهُ * أَوْفَى البَرِيَّـةِ عندَ اللهِ مِيزانَا
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ بُطونُ الطَّيرِ قَبرُهُمُ * لم يَخْلِطُوا دِينَهُمْ بَغْيًا وعُدْوَانَا

وهذه أبيات لا تقال إلا بخذلانٍ من الله. أجابه بكر بن حمَّاد التَّاهَرْتِيّ بأبياتٍ طويلة ذكرها ابن عبدالبَرِّ في (الاستيعاب) يقول فيها:

[البسيط]

قُلْ لابنِ مُلْجَمَ والأقدارُ غالِبَةٌ * هَدَمْتَ وَيْلَكَ للإسلامِ أركانَا
قتلتَ أفضلَ مَن يمشي على قَدمٍ * وأوَّلَ النَّاسِ إسلامًا وإيمانَا

إلى أن قال:

بل ضَرْبَةٌ مِن غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظًى * فسوفَ يَلْقى بها الرَّحمنَ غضبانَا
كأنَّهُ لم يُرِدْ قَصْدًا بِضَرْبَتِهِ * إلا لِيَصْلَى عَذابَ الخُلْدِ نيرانَا

وَلِلطِّرِمَّــــاحِ بَيَـــانٌ حَـــائِفُ: ٢٥٨ (إِنِّي لَـمُـقْـتَـادٌ جَـوَادِي قَـاذِفُ)

الطِّرِمَّاح بن حَكيم الطَّائيّ شاميُّ النَّشأة، يجيد الفخر والمديح، ورد الكوفة في جيوش الشام واتَّصل بأحد الخوارج، فدعاه ذلك الخارجي إلى مذهبه حتى اعتقده الطِّرِمَّاح أشد اعتقاد، ومات خارجيًا. من شعره قوله:

[الطويل]

وإنِّي لَمُقْتادٌ جَوادِي وقـاذِفٌ * بِهِ وبِنَفسي العامَ إحدى المَقاذِفِ
لأكسِبَ مالًا أو أَؤُولَ إلى غِنًى * مِن اللهِ يَكْفِيني عُدَاةَ الخَلائِفِ
فَيا رَبِّ إن حانَتْ وَفاتي فلا تَكُنْ * على جَرْشَعٍ تُعْلَى بِخُضْرِ المَطارِفِ
ولكنَّ قبري بَطْنُ نَسْرٍ مَقِيلُهُ * بِجَوِّ السَّماءِ في نُسُورٍ عَواكِفِ
وأُمسي شهيدًا ثاوِيًا في عِصابَةٍ * يُصابُونَ في فَجٍّ مِن الأرضِ خائفِ

الخلائف: جمع خليفة. وكان خُلفاء بني أميَّة حَرْبًا على الخوارج. الجَرْشَع: السَّرير.

الطِّرِمَّاح آخر من ذُكر من شعراء الخوارج، ثم ذكر الكميت وهو من شعراء الشِّيعة:

(طَرِبْتُ) لِلْكُمَيْتِ فَخْرِ أَسَدِ ٢٥٩ شِـــعْرٌ إِذَا سَــمِعْتَهُ فَقُـــلْ: زِدِ

أَذِعْ أَذِعْ شَـــهَادَةُ الفَــــرَزْدَقِ ٢٦٠ فَأَنْتَ أَعْلَى مَنْ مَضَـى وَمَـنْ بَـقِي

الكُميت بن زيد الأَسَديّ مفخرة قومه بني أسد. قال أبو عبيدة: "لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم؛ حبَّبهم إلى الناس، وأبقى لهم ذكرًا". لذا قال هنا: طربت للكميت فخر أسد.

شعر إذا سمعته فقل زد: لما قال الكميت بن زيد (الهاشميات) –وهي القصائد التي يمدح فيها بني هاشم– كتمها وسترها ثم أتى الفرزدق فقال له: يا أبا فراس إنك شيخ مُضَر وشاعرها، وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال: صدقت، أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نُفِثَ على لساني فقلت شعرًا، وأحببت أن أعرضه عليك؛ فإن كان حسنًا

أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحًا أمرتني بسَتْرِه، وكنتَ أولى من ستره عليَّ. فقال الفرزدق: أما عقلك فحسن، وإني لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت. فأنشده قوله:

[الطويل]

طَرِبتُ وما شَوقًا إلى البِيضِ أَطْرَبُ *

فقال الفرزدق: مِمَّ تَطْرَبُ يا ابن أخي؟ فقال:

ولا لَعِبًا مِنِّي وذُو الشَّيبِ يَلْعَبُ

فقال الفرزدق: بلى فالعب؛ فإنَّك في أَوَانِ اللَّعب. فقال:

ولم تُلْهِني دارٌ ولا رَسْمُ مَنزِلٍ * ولم يَتَطَرَّبْني بَنانٌ مُخَضَّبُ

فقال الفرزدق: ما يُطرِبك يا ابن أخي؟ فقال:

ولا السَّانِحَاتُ البَارِحَاتُ عَشِيَّةً * أَمَرَّ سَلِيمُ القَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعضَبُ

فقال الفرزدق: أجل، لا تَتَطَيَّر. فقال:

ولكن إلى أهلِ الفَضَائِلِ والنُّهَى * وخَيرِ بَني حَوَّاءَ والخَيرُ يُطْلَبُ

قال: ومن هؤلاء ويحك؟ قال:

إلى النَّفَرِ البِيضِ الذين بِحُبِّهِمْ * إلى اللهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

فقال الرزدق: أَرِحْني ويحك! من هؤلاء؟ فقال:

بَني هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبيِّ فإنَّني * لَهُمْ وبِهِمْ أَرْضَى مِرَارًا وأَغْضَبُ
بأيِّ كتابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ * ترى حُبَّهُمْ عارًا عليَّ وتَحْسِبُ

فسار في القصيدة، فلما فرغ قال له الفرزدق: "يا ابن أخي أذع.. أذع.. فأنت والله أشعر

مَن مضى وأشعر مَن بقي". وهذا قوله: أذع أذع شهادة الفرزدق..

هؤلاء من أشهر شعراء العصر الأموي، ابتدأ بذكر أشهر شعراء هذا العصر وهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. ثم ذكر أشهر شعراء الغزل في هذا العصر: من عمر بن أبي ربيعة إلى غيلان ذي الرُّمَّة ورتبهم على وَفياتهم. ثم ذكر بعض شعراء الخوارج ورتبهم. ثم ختم بالكميت من شعراء الشيعة على معنى التَّشيُّع في اصطلاح الأولين؛ كأن يُفضِّل عليًّا على عثمان مع سلامة القلب للصحابة، والكميت هو القائل:

[البسيط]

أَهْوَى عليًّا أميرَ المؤمنينَ ولا * أَرْضى بِشَتْمِ أبي بكرٍ ولا عُمرا

والشعراء إلى هذا العصر يُحتج بشعرهم في اللغة دون مَن بعدهم، فمن نبغ بعد سقوط دولة بني أمية لا يُحتجُّ بشعره. ولم يرَ الناس أعجب حالًا من الكميت والطرماح الذي ذكر قبله؛ كان الكميت عَدْنانيًّا عصبيًّا، وكان الطرماح قحطانيًّا عصبيًا. وكان الكميت شيعيًّا، وكان الطرماح خارجيًا. وكان الكميت يتعصب لأهل الكوفة، وكان الطرماح يتعصب لأهل الشام. ومع ذلك كان بينهما من المخالطة والمحبَّة ما لم يكن بين نفسين قطّ!! ثم لم يَجْرِ بينهما صَرْمٌ ولا جَفْوَةٌ ولا إعراضٌ ولا شيء مما تدعو هذه الخصال إليه، ولم ير الناس مثلهما، ومن عجيب الاتفاق الذي لم يقصد أنهما ذكرا معًا متواليين في هذه الأبيات فكانا جميعًا في الحياة وبعد الممات! وقد سُئل الكميت عن سرِّ هذا التوافق بينهما؟ فقال: اتفقنا على بغض العامة.

[العصر العباسي]

شِعْرُ بَنِي العَبَّاسِ عَمّ وَبَلُهُ ٢٦١ إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ فَدُونَكَ ابْلُهُ

انْتُقِيَتْ أَلْفَاظُهُ الرَّشِيقَةُ ٢٦٢ وَشَاعَتِ الأَخْيِلَةُ البَدِيعَةُ

العصر العباسي يمتد من سقوط دولة بني أميَّة وقيام دولة بني العبَّاس وذلك سنة ثنتين وثلاثين ومائة إلى سقوط دولة بني العباس سنة ستٍّ وخمسين وستمائة. وازدهر فيه الشعر

ازدهارًا كبيرًا ترى فيه العناية بالصور البيانيَّة من التَّشبيهات، والاستعارات، والكِنايات، والعناية بالمحسِّنات اللفظية والمعنوية، وترى في أساليبه حينًا الجزالة والرَّصانة، وحينًا الرِّقَّة والعذوبة.

الوبل: هو المطر الشديد الضَّخم القَطْر. ابله: اختَبِرْه. الأخيلة: جمع خيال. والخيال ما تشبَّه لك في اليقظة والحُلْم من صورة. ثم ذكر بعض أشهر أعلام هذا العصر، ورتبهم على وَفياتهم، قال:

بَشَّارُ رَأْسُ الشُّعَرَا فِي حِينِهِ ٢٦٣ لَكِنَّهُ مُتَّهَمٌ فِي دِينِهِ

بَشَّار بن بُرْد أبو معاذ هو رأس الشعراء المُحْدَثِين. وقد وُلد أعمى فلم ينظر إلى الدنيا قط، لكنه كان شديد الذكاء، واسع الخيال، ذا مَلَكَةٍ في الشعر قوية، يأتي بالتشبيهات التي لا يقدر البُصَراء أن يأتوا بمثلها، من مثل قوله:

[الطويل]

كأنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤوسِنا * وأَسْيافَنا ليلٌ تَهاوَى كَواكِبُهْ

وكان كثير الهجاء، ماجِنًا، لا يُبالي ما يقول، ولا ما يفعل، ولا ما يرتكب من التَّهَتُّك والكلام في أعراض الناس، وقد قُتل في الزَّنْدَقة.

(إِنْ بَلَغَ الرَّأْيُ المَشُورَةَ اسْتَعِنْ) ٢٦٤ (إِذَا غَضِبْنَا) بِالرِّوَايَةِ قَمِنْ

(إن بلغ الرأي المشورة استعن): قال بشَّار:

[الطويل]

إذا بلغَ الرَّأيُ المَشُورَةَ فاستَعِنْ * بحَزْمِ نَصِيحٍ أو نَصيحَةِ حازِمِ
ولا تَحْسِبِ الشُّورى عليكَ غَضاضةً * فَرِيشُ الخَوافي قُوَّةٌ للقَوادِمِ
وما خيرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الغَلُّ أُخْتَها * وما خيرُ سَيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وخَلِّ الهُوَيْنَى للضَّعيفِ ولا تكُنْ * نَؤومًا فإنَّ الحَزْمَ ليس بِنائمِ

وأَدْنِ إلى القُرْبى المُقَرَّبَ نَفْسَهُ ❊ ولا تُشْهِدِ الشُّورى امرءًا غيرَ كاتِمِ
وإنَّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهَمَّ بالمُنى ❊ ولا تَبْلُغُ العَلْيا بغيرِ المَكارِمِ

(إذا غضبنا) بالرِّواية قمن: أي جديرٌ وحَقِيقٌ بالرواية، يُشير إلى قوله:

[الطويل]

إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ❊ هَتَكْنا حِجابَ الشَّمسِ أو تُمْطِرَ الدِّما

وقد ذكر ابن رشيق في (العُمْدَة) أن هذا البيت أفخر بيتٍ صنعه مُحْدَث. وقد قيل مرَّةً لبشار: إنك لَتَجِيءُ بالشيء الهَجِين المُتفاوِت. قال: وما ذاك؟ قالوا: بينما أنت تُثير النَّقع، وتخلع القلوب إذ تقول: **إذا ما غَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ❊ هَتَكْنا حِجابَ الشَّمسِ أو تُمْطِرَ الدِّما** نراك تقول:

[مجزوء الوافر]

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ ❊ تَصُبُّ الخَلَّ في الزَّيتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ❊ ودِيكٌ حَسَنُ الصَّوتِ

فقال بشار: لكلٍّ وجهٌ وموضع؛ فربابة جاريتي لها عشر دجاجات وديك تجمع لِيَ البيض، وهذا القول أحسن عندها من: "قِفا نبكِ مِن ذكرى حبيبٍ ومَنزلِ".

(إِنْ كُنْتَ فِي كُلِّ الأُمُورِ تَعْتِبُ) ٢٦٥ (شِعْرُ كَنَوْرِ الرَّوْضِ) بَلْ قُلْ: أَخْصَبُ

(إن كنت في كل الأمور تعتب): من جميل شعره قوله:

[الطويل]

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِبًا ❊ صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحدًا أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ ❊ مُقارِفُ ذَنْبٍ مرَّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنتَ لم تَشْرَبْ مِرارًا على القَذَى ❊ ظَمِئتَ وأيُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

(شعر كنور الروض) بل قل أخصب: قال بشار يصف شعره:

[الطويل]

وشِعْرٍ كَنَوْرِ الرَّوضِ لاءمْتُ بَيْنَهُ * بقولٍ إذا ما أَحْزَنَ الشِّعْرُ أَسْهَـلا

النَّوْر: زَهْرُ النَّبت. والرَّوض: الموضع المُعْجِبُ بالزُّهور.

وَابْـنُ أَبِي حَفْصَـةَ فِي مَعْـنٍ نَشَــرْ   ٢٦٦   مَـدَائِحًا حَـازَ بِهَـا أَسْـنَى الْبِـدَرْ

مروان ابن أبي حفصة اشتُهر بمدحه المهديَّ، ومَعْنَ بن زائدة، وهارون الرَّشيد، والبرامكة. وبرع في المدح براعةً عظيمة، وقد انقطع مروان لمعن بن زائدة الشَّيباني، وكان معن جوادًا كريمًا، وبطلًا مِغْوارًا. ولَّاه الخليفة المنصور اليمن، ثم سِجِسْتان، وقد ملأ معنٌ حَجْر مروان ابن أبي حفصة بالأموال على مدائحه.

البِدَر: جمع بَدْرَة. والبدرة تُطلق على الكيس فيه عَشَرة آلاف درهم. والمقصود أنه أغدق عليه عطاياه الجزيلة، وقد قالوا: إنه لم ينَلْ أحدٌ من الشعراء الماضين ما نال مروان بشعره. يقول فيه:

(إِنْ عُدَّ أَيَّامُ العُـلَا) (بَنُـو مَطَـرْ)   ٢٦٧   (مَضَـى وَأَبْقَى خَلْفَهُ حُسْنَ الأَثَرْ)

(إن عدَّ أيام العلا): يقول:

[الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ بهِ * شَرَفًا إلى شرفٍ بنو شَيبانِ
إن عُـدَّ أيّـامُ الفَعَـالِ فإنّـما * يَوْمَاهُ يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

والفَعال –بفتح الفاء–: الكرم.

(بنو مطر): قال يمدح معن بن زائدة وعشيرته –ومطر جدُّ معن بن زائدة–:

[الطويل]

بنـو مَطَـرٍ يـومَ اللِّقـاءِ كأنَّـهمْ * أُسُـودٌ لها في غِيـلِ خَفَّانَ أَشْبُلُ
هُـمُ يَمْنَعُونَ الجارَ حتى كأنَّما * لِجـارِهِـمُ بيـنَ السِّماكَينِ مَنْزِلُ
بَهالِيلُ في الإسلامِ سادُوا ولم يَكُنْ * كَـأَوَّلِـهِمْ في الجَـاهِـلِـيَّـةِ أَوَّلُ
هُمُ القومُ إن قالوا أَصابُوا وإن دُعُوا * أجابُوا وإن أَعْطَوا أَطابُوا وأَجْزَلُوا
وما يَسْتَطِيعُ الفاعِلونَ فِعالَهُمْ * وإن أَحْسَنُوا في النَّائباتِ وأَجْمَلُوا

وما زال يُوالي في معنٍ مديحه حتى تُوفيَ معن فَأَبَّنَه تَأْبِينًا حارًا بقصائد ترى فيها الحُبَّ الصادق، أحسنها ما أشار إليه هنا: (مضى وأبقى خلفه حسن الأثر)، قال مروان ابن أبي حفصة:

[الوافر]

مَضى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وأَبْقَى * مَكارِمَ لن تَبِيدَ ولن تُنالَا
كأنَّ الشَّمسَ يومَ أُصِيبَ مَعْنٌ * مِن الإظْلامِ مُلْبَسَةٌ جِلالَا
أَصابَ الموتُ يومَ أصابَ مَعْنًا * مِن الأحياءِ أَكرَمَهُمْ فَعالَا
وكانَ النَّاسَ كلُّهُمُ لِمَعْنٍ * إلى أن زارَ حُفْرَتَهُ عِيالَا
أَقَمْنا باليمامةِ بعدَ مَعْنٍ * مُقامًا لا نُرِيدُ بِهِ زِيالَا
وقُلْنَا أينَ نذهبُ بعدَ مَعْنٍ * وقد ذَهَبَ النَّوالُ فلا نَوَالَا

إلى أن قال في آخرها:

حَبـاكَ أخو أُمَيَّةَ بالمَراثي * معَ المِدَحِ التي قد كان قالَا

(دَعْ عَنْكَ لَوْمِي) لِأَبِي نُوَاسٍ ٢٦٨ لَفْظٌ كَخُطُوطِ البَانَةِ المَيَّاسِ

أبو نُواس اسمه: **الحسن بن هانئ**. برع في الشعر حتى بذَّ أهل عصره، وأجاد في كل فنون

الشعر وأوفى على الغاية. وكان قويَّ التصرُّف في الشعر، سَلِس النظم، رشيق الألفاظ؛ لكنه كان ماجِنًا، وصَّافًا للخمر، في خَمْرِياتِه فحشٌ كثير. قَرَضَ الشعر في أبواب المُجون غير مُتأثِّمٍ ولا مُتحرِّج، قال يصف الخمر:

[البسيط]

دَعْ عنكَ لَوْمِي فإنَّ اللَّومَ إغْراءُ * ودَاوِني بالتي كانتْ هيَ الدَّاءُ
صَفراءُ لا تَنزِلُ الأحزانُ ساحَتَها * لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتهُ سَرَّاءُ

إلى أن قال فيها:

لتلكَ أبكي ولا أبكي لِمَنْزِلَةٍ * كانتْ تَحُلُّ بها هندٌ وأسماءُ

لفظ كخوط البانة المياس: الخُوط: هو الغُصْن الناعم. والبانَة: نوعٌ من الشجر. المَيَّاس: المُتَثَنِّي؛ يقال: ماسَ إذا تَثَنَّى وتَبَخْتر.

لَكِنَّ مَعْنَاهُ شَنِيعٌ بَشِعُ ٢٦٩ خُذِ اللُّغَى وَخَلِّ مَا يُسْتَشْنَعُ

في شعره مُجُونٌ وخلاعة كثيرة، وله أشعارٌ بشِعَة شنيعة.

لَهُ: (تَأَمَّلْ فِي النَّبَاتِ وَانْظُرِ) ٢٧٠ (يَا رَبِّ إِنْ تَعْظُمْ ذُنُوبِي فَاغْفِرِ)

له (تأمل في النبات وانظر): له أبيات قالها في النِّرْجِس –بكسر النون وفتحها والكسر أَقْيَس– رأى أبا نواس بعض أصحابه في المنام بعد موته، فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في النِّرجس. وهي قوله:

[الوافر]

تأمَّلْ في نباتِ الأرضِ وانظُرْ * إلى آثارِ ما صَنَعَ المَلِيكُ
عُيونٌ مِن لُجَيْنٍ شاخِصاتٌ * بأَحْداقٍ هيَ الذَّهبُ السَّبِيكُ
على قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شاهِداتٌ * بأنَّ اللهَ ليسَ لهُ شَرِيكُ

(يا رب إن تعظم ذنوبي فاغفر): قال الشافعي –رحمه الله– دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه، فقلنا: ما أعددت لها اليوم؟ فأنشأ يقول:

[الطويل]

تَعاظَمَني ذَنبي فلمَّا قَرَنْتُهُ * بِعَفْوِكَ ربِّي كان عَفْوُكَ أَعْظَما
فما زِلتَ ذا عَفوٍ عن الذَّنبِ لم تَزَلْ * تَجُودُ وتَعْفُو مِنَّةً وتَكَرُّما

ورُوي أنهم وجدوا عند رأسه رُقْعَةً مكتوبًا فيها بخطِّه:

[الكامل]

يا ربِّ إن عَظُمَتْ ذُنوبي كَثْرَةً * فلقد علِمتُ بأنَّ عَفوَكَ أعظَمُ
إن كان لا يرجوكَ إلا مُحْسِنٌ * فبمَن يَلوذُ ويَسْتَجيرُ المُجرِمُ
أدعوكَ ربِّ كما أمرتَ تَضَرُّعًا * فلئنْ رَدَدْتَ يَدِي فمن ذا يَرْحَمُ
ما لي إليكَ وَسيلةٌ إلا الرَّجا * وجميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أنِّي مُسلِمُ

وقد كان نقش خاتمه: (لا إله إلا الله مُخلِصًا) فأوصى أن يُجعل في فمه إذا غسَّلوه ففعلوا به ذلك.

أَبُو العَتَاهِيَةِ طَابَ نَشْرُهُ ٢٧١ فِي الزُّهْدِ فَاقَ وَأَضَاءَ بَدْرُهُ

أبو العتاهية هو إسماعيل بن القاسم، يُكْنَى أبا اسحاق. أشعاره في الزُّهد، والحِكم، والدعوة إلى محاسن الأخلاق كثيرة. يمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى، يكاد شعره من السهولة يكون نثرًا. طاب نشره: النَّشْر؛ الرائحة الطَّيبة.

كَثِيرُ الِافْتِنَانِ سَهْلُ الكَلِمِ ٢٧٢ وَذَاتُ الَامْثَالِ لَهُ فِي الحِكَمِ

كثير الافتنان: يقال: افتَنَّ الرجل في حديثه إذا جاء بأفانين الكلام؛ أي أنواعه. سهل الكلم: اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس، فقال أبو العتاهية لأبي نواس: كم تعمل في اليوم من الشعر؟ قال أبو نواس: بيتًا أو بيتين. فقال: لكنِّي أعمل المائة والمائتين! فقال أبو نواس: لأنك تعمل مثل قولك:

[مجزوء الرجز]

يا عُتْبَ ما لي ولكِ * يـا لَـيْـتَـني لـم أَرَكِ

ولو أردت مثل هذا الألف والألفين؛ لقدرت عليه! وأنا أعمل مثل قولي: -وذكر بيتًا من قصيدته: **دَعْ عنك لومي فإن اللوم إغراء * وداوني بالتي كانت هيَ الدَّاءُ** – قال: ولو أردت أن تأتيَ بمثل هذا لأعجزك.

وذات الامثال له في الحكم: ذات الأمثال يقال: إن فيها أربعة آلاف مثل، وهي كما قال في (الأغاني) من بدائع أبي العتاهية، وما وصلنا منها إلا أقلُّها، فيها قوله:

[الرجز]

حَسْبُكَ مـمَّا تَبْـتَغِيهِ الـقُـوتُ * ما أَكـثَـرَ القُـوتَ لِـمَـنْ يَمـوتُ
الفَـقـرُ فيـما جـاوَزَ الكَـفـافَـا * مَـن اتَّـقـى اللهَ رَجـا وَخـافَـا
إن كان لا يُـغْنِـيك ما يَـكْـفِـيكَا * فَـكُـلُّ ما في الأرضِ لا يُـغْنِيكَـا
هِـيَ المَـقـاديرُ فَـلُـمْـنِـي أو فَـذَرْ * إن كنتُ أَخطَأتُ فما أخطا القَدَرْ
ما انتفَـعَ المـرءُ بـمِـثْـلِ عَـقْـلِـهِ * وخيرُ ذُخْرِ المرءِ حُسْنُ فِـعْلِـهِ
مَن جعـلَ النَّمامَ عَـيْـنًا هَـلَـكَا * مُـبْـلِـغُـك الشَّــرَّ كباغِـيـهِ لـكَا
إنَّ الشَّبابَ والفـراغَ والجِـدَهْ * مَـفْـسَـدَةٌ للمــرءِ أيُّ مَـفْـسَـدَهْ

ثم أشار إلى بعض زُهدياته، قال:

(أَهْـلَ الـقُـبُـورِ) وَ(لِـــدُوا لِلْمَـوْتِ) ٢٧٣ وَ(خَانَكَ الطَّـرْفُ) (أَتَـاكَ صَـوْتِي)

(أهل القبور): من شعره قوله:

[الكامل]

أهلَ القبـورِ عليكُـمُ مِنِّي السَّلامْ * إني أُكلِّـمُكُـمْ وليس بِكُـمْ كـلامْ

لا تَحْسِبُوا أنَّ الأحبَّـةَ لم يَـسُغْ * مِن بعدِكُمْ لهُمُ الشَّرابُ ولا الطَّعامْ
كـلَّا لقد رَفَـضُوكُـمُ واستَبْدَلُوا * بكُـمُ وفَـرَّقَ ذاتَ بَينِكُمُ الحِمامْ
والخَلْـقُ كـلُّهـمُ كذاكَ فكـلُّ مَـن * قـد ماتَ ليس لـهُ على حَـيٍّ ذِمامْ
سَاءلْتُ أَجْداثَ المُلوكِ فأخبرتْـ * ـني أنَّهـمْ فيهِـنَّ أعضـاءٌ وهـامْ
لم يبـقَ مِن أجسـادِهِمْ تلكَ التي * غُـذِيَتْ بأنْعَـمِ عِيشَـةٍ إلا العِظـامْ
للهِ مـا وارى التُّـرابُ مِـن الأُلى * كانوا الكـرامَ هُمُ إذا ذُكِـرَ الكِـرامْ
للهِ مــا وارى التُّــرابُ مِـن الأُلى * كـانوا وجـارُهُــمُ مَنيعٌ لا يُضـامْ
أَفْـناهُــمُ مَن لم يَزلْ يُفْني المُلـو * كَ وللفنـاءِ وللبِـلَى خُلِـقَ الأنــامْ
يا صاحـبيَّ نَسيتُ دارَ إقامَـتي * وعَـمَـرْتُ دارًا ليس لي فيها مُقـامْ
ما نِلْـتُ مِنهـا لــذَّةً إلا وقـد * أَبَتْ الحوادِثُ أن يكون لهـا دَوامْ

وهذه الأبيات من بحر الكامل التَّامِّ المُذَيَّل، **والتَّذييل في بحر الكامل**: زيادة حرف ساكن على (مُتَفاعِلُنْ) فتصير (مُتَفاعِلانْ). وهذا مخالف لما هو مُقرَّرٌ عند العَرُوضِيِّين من أن التذييل لا يكون في الكامل التام بل في مَجْزُوئه. وقد نظم الشيخ محمد عبدالله بن الصِّدِّيق الشِّنقيطي –رحمه الله– أبياتًا على طريقة أبي العتاهية في أبياته هذه التي ذَيَّل فيها الكامل، وعرض ذلك على طلابه، فشارك كثير من طلابه وأُدباء آخرون. قال الشيخ –رحمه الله–:

ظَعَنَ الأحِبَّةُ عنكَ في جُنْحِ الظَّلامْ * وبِبَيْنِهِمْ نَعَبَ الغُدافُ على الإكامْ
زَمُّــوا جِمالَـهُـمُ وقـالَ عَـرِيفُـهُمْ * أَزِفَ الرَّحيلُ فَقَـوِّضوا تلكَ الخِيامْ
وتَـيمَّـمُـوا أرضًـا بها أَثَـرُ الحَيـا * ومَرابِعًا قد جادَهـا صَوبُ الغَمـامْ
وبَقيتَ في أَسَفٍ وشَـوقٍ لاعِـجٍ * لا تستطيعُ بـِهِ القُعُـودَ ولا القِيـامْ
ولربَّما سَمَحَ الزَّمــانُ بِقُرْبِـهِـمْ * فبِقُرْبِهِمْ يُشْفَى السَّقيمُ مِن السَّقـامْ
يا ليتَ نَأْيَـهُـمُ وبُـعْـدَ مَـزارِهِمْ * أمسـى وأصبحَ مِثْـلَ أحلامِ النِّيـامْ

و(لِدوا الموت): من شعر أبي العتاهية قوله:

[الوافر]

لِدُوا للموتِ وابنُوا للخَرابِ * فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إلى ذَهابِ
لِمَن نَبْنِي ونَحنُ إلى تُرابِ * نَصِيرُ كما خُلِقْنا مِن تُرابِ
أَلا يا مَوتُ لم أَرَ مِنكَ بُدًّا * أَبَيْتَ فما تَحِيفُ ولا تُحابي
كأَنَّكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبِي * كما هَجَمَ المَشِيبُ على شَبابي

إلى أن قال:

تَقَلَّدتُ العِظامَ مِن الخَطايا * كأَنِّي قد أَمِنْتُ مِن العِقابِ
سَأُسْأَلُ عن أُمورٍ كُنتُ فيها * فما عُذْرِي هُناكَ وما جَوابي
بِأَيَّةِ حُجَّةٍ تَحْتَجُّ نَفْسِي * إذا دُعِيَتْ إلى طُولِ الحِسابِ
هُما أَمْرانِ يُوضِحُ لي مَقالي * هُنالِكَ حينَ أَنظُرُ في كِتابي
فإمَّا أن أُخَلَّدَ في نَعِيمٍ * وإمَّا أن أُخَلَّدَ في عَذابِ

و (خانك الطَّرف): من زُهْدِيَّاته قوله:

[مجزوء الرمل]

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّموحُ * أَيُّها القَلبُ الجَمُوحُ
لِدَواعي الخَيرِ والشَّرْ * رِ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هل لِمَطْلُوبٍ بِذَنبٍ * تَوبَةٌ مِنْهُ نَصوحُ
أَحْسَنَ اللهُ بِنَا أَنْ * نَ الخَطايا لا تَفوحُ
فإذا المَسْتُورُ مِنَّا * بَينَ ثَوْبَيهِ فُضُوحُ
كُلُّنا في غَفْلَةٍ والـ * ـمَوتُ يَغْدُو ويَرُوحُ
لِبَني الدُّنيا مِن الدُنْـ * ـيَا غَبوقٌ وصَبُوحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ * ـكِينُ إن كنتَ تَنُوحُ
لَسْتَ بالباقي ولو عُمْـ * ـمِرْتَ ما عُمِّرَ نُوحُ

(أتاك صوتي): قال:

[السريع]

اسمَعْ فقد آذَنَكَ الصَّوتُ * إن لم تُبادِرْ فَهُوَ الفَوتُ
خُذْ كُلَّ ما شِئتَ وعِشْ آمِنًا * آخِرُ هذا كُلِّهِ المَوتُ

لِشِعْرِهِ الرَّقِيقِ فِي الجَنَانِ ٢٧٤ وَقْعُ الزُّلَالِ مِنْ صَدٍ ظَمْآنِ

له أبيات في الغزل يقول فيها:

[السريع]

بَسَطتُ كَفِّي نَحوَكُمْ سائِلًا * ماذا تَرُدُّونَ على السَّائِلِ
إن لَمْ تُنِيلُوهُ فقولوا لَهُ * قولًا جميلًا بَدَلَ النَّائلِ
أوكُنتُمُ العامَ على عُسْرَةٍ * وَيْلِي فَمَنُّوهُ إلى قابِلِ

قال ابن المُعْتَزّ معلِّقًا على هذه الأبيات: "لهذا الشعر من قلوب النساء موقع الزُّلال البارِد من الظمآن؛ لرقَّته".

وَأَطْرَبَ الْمَهْدِيَّ حِينَ قَالَا: ٢٧٥ (مُنْقَادَةً تُجَرِّرُ الأَذْيَالَا)

قال أبو العتاهية في المهديّ:

[المتقارب]

أَتَتْهُ الخِلافَةُ مُنْقادَةً * إلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيالَها
فلم تَكُ تَصلُحُ إلا لَهُ * ولم يَكُ يَصلُحُ إلا لها
ولو رامَها أَحَدٌ غَيرُهُ * لَزُلزِلَتْ الأرضُ زِلزالَها

وكان بشَّارٌ في القوم –وهو أعمى كما سبق– فقال لجليسه: انظر ويحك أطار الخليفة عن فراشه؟ فما خرج أحد من الشُّعراء يومئذٍ بجائزة غير أبي العتاهية.

حَبِيــــبٌ الطَّـــائِيْ أَبُـــو تَمَّـــامِ ٢٧٦ بَدِيعُــهُ يُــرْوِي الغَلِيــلَ الظَّــامِي

أبو تمام هو حَبيب بن أَوس الطَّائيّ. كان واحد عصره في حسن اللفظ، وجودة الشعر، ولُطف الأسلوب. وأكثرَ مِن حفظ الشِّعر قصيده وأراجيزه؛ فقد كان يحفظ من الأراجيز أربعة عشر ألفًا غير القصائد والمَقاطيع؛ لذا كان حريًّا بالإجادة والبراعة في قَرْض الشِّعر، ومحاسن شعره تفوت الحصر، وتفوق التَّعْداد.

كَالـمَــاءِ غَيْــرَ أَنَّــهُ لَا يَجْـرِي ٢٧٧ يَــا حُسْنَــهُ أَحْــرِ بِــهِ وَأَحْــرِا!

كالماء: في الصَّفاء والعذوبة. أحر به وأحر: أي ما أحراه؛ ما أَخْلَقَهُ وما أجدره بالإحسان.

كَسَا مَعَـانِيْ الشِّـعْرِ أَحْـلَى رَوْنَـقِ ٢٧٨ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْـرٍ وَمِنْ إِسْـتَـبْـرَقِ

الرونق: الحُسن. السُّندُس: رقيق الحرير. الإستبرق: غليظه. قد كان يعتني بشعره، ويتخير الألفاظ، ويُجوِّد الصياغة، وهو من أوائل من عُنوا بتحرِّي فنون البديع، ولا سيَّما الطِّباق والتَّجنيس، ولا يُعدُّ أبو تمام من أعظم الشعراء العباسيين فحسب؛ بل يعد من أعظم شعراء العربية على الإطلاق.

رِثَــاؤُهُ الطُّــوسِيَّ فِيــهِ أَبْدَعَــا ٢٧٩ كَــادَ لِرِقَّــةٍ يَسِــيلُ أَدْمُعَــا

لأبي تمام تلك الرائيَّة الخالدة التي قالها يرثي بها محمد بن حُمَيد الطُّوسيّ، قال فيها:

[الطويل]

كذا فَلْيَجِلَّ الخطْبُ ولْيَفدَحِ الأمرُ * فليس لِعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
تُوُفِّيَتِ الآمالُ بعدَ مُحَمَّدٍ * وأصبحَ في شُغْلٍ عنِ السَّفَرِ السَّفْرُ
وما كان إلا مالَ مَن قَلَّ مالُهُ * وذُخْرًا لِمَنْ أَمسى وليس لَهُ ذُخْرُ
وما كان يَدْري مُجْتَدي جُودِ كَفِّهِ * إذا ما اسْتَهَلَّت أَنَّهُ خُلِقَ العُسْرُ
ألا في سَبيلِ اللهِ مَن عُطِّلَت لَهُ * فِجاجُ سَبيلِ اللهِ وانثَغَرَ الثَّغرُ

فَتًى كُلَّما فاضَتْ عُيونُ قَبيلَةٍ * دَمًا ضَحِكَتْ عنهُ الأحاديثُ والذِّكْرُ
فَتًى ماتَ بينَ الطَّعنِ والضَّرْبِ مِيتَةً * تَقومُ مَقامَ النَّصْرِ إذ فاتَهُ النَّصْرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مَضْرِبُ سَيفِهِ * مِن الضَّربِ واعتَلَّتْ عليهِ القَنا السُّمْرُ
وقد كان فَوتُ المَوتِ سَهلًا فَرَدَّهُ * إليهِ الحِفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونَفْسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنَّما * هُوَ الكُفْرُ يَومَ الرَّوْعِ أو دُونَهُ الكُفْرُ
فَأَثْبَتَ في مُسْتَنْقَعِ المَوتِ رِجْلَهُ * وقالَ لها مِن تَحتِ أَخْمَصِكِ الحَشْرُ
غَدا غَدْوَةً والحَمْدُ نَسْجُ رِدائِهِ * فلَمْ يَنصَرِف إلا وأَكفانُهُ الأجْرُ
تَرَدَّى ثِيابَ المَوتِ حُمْرًا فما دَجى * لها اللَّيلُ إلا وهيَ مِن سُندُسٍ خُضْرُ
فَتًى كان عَذبَ الرُّوحِ لا مِن غَضاضَةٍ * ولكنَّ كِبْرًا أن يُقالَ بهِ كِبْرُ
فَتًى سَلَبَتْهُ الخَيلُ وهْوَ حِمًى لها * وبَزَّتْهُ نارُ الحَرْبِ وهْوَ لها جَمْرُ
وقد كانتِ البِيضُ المَآثيرُ في الوَغى * بَواتِرَ فَهْيَ الآنَ مِن بَعدِهِ بُتْرُ
أَمِنْ بعدِ طَيِّ الحادِثاتِ مُحَمَّدًا * يكونُ لِأَثْوابِ النَّدى أبدًا نَشْرُ
إذا شَجَراتُ العُرْفِ جُذَّتْ أُصولُها * فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ الوَرَقُ النَّضْرُ
مَضى طاهِرَ الأَثْوابِ لم تَبْقَ رَوضَةٌ * غَداةَ ثَوى إلا اشتَهَتْ أنَّها قَبْرُ
ثَوى في الثَّرى مَن كان يَحيا بِهِ الثَّرى * ويَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهرِ نائِلُهُ الغَمْرُ
عليكَ سَلامُ اللهِ وَقْفًا فإنَّني * رأيتُ الكريمَ الحُرَّ ليس لَهُ عُمْرُ

وقد قال أبو دُلَف لأبي تمام: "لم يمُت مَن رُثيَ بمثل هذا الشِّعر".

(فَتْحُ الفُتُوحِ) لَا تَفِي بِهِ الخُطَبْ ٢٨٠ (تَعَوَّدَ البَسْطَ) يُفَرِّجُ الكُرَبْ

(فتح الفتوح) لا تفي به الخطب: قال أبو تمام يمدح الخليفة المعتصم ويذكر فتح عَمُّوريَّة:

[البسيط]

السَّيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِن الكُتُبِ * في حَدِّهِ الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفائِحِ لا سُودُ الصَّحائِفِ في * مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

والعِلمُ في شُهُبِ الأرْماحِ لامِعَةً * بينَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبعَةِ الشُّهُبِ
أين الرِّوايَةُ بل أين النُّجُومُ وما * صاغُوهُ مِن زُخْرُفٍ فيها ومِن كَذِبِ
تَخَرُّصًا وأَحادِيثًا مُلَفَّقَةً * ليستْ بِنَبْعٍ إذا عُدَّتْ ولا غَرَبِ

إلى أن قال يذكر فتح عمورية:

فَتْحُ الفُتُوحِ تعالى أن يُحِيطَ بِهِ * نَظْمٌ مِن الشِّعرِ أو نَثرٌ مِن الخُطَبِ
فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَّماءِ لَهُ * وتَبْرُزُ الأرضُ في أَثوابِها القُشُبِ
يا يومَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انصَرَفَتْ * عنكَ المُنى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الحَلَبِ
أَبقيتَ جَدَّ بَني الإسلامِ في صُعُدٍ * والمُشرِكينَ ودارَ الشِّركِ في صَبَبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ * لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ في اللهِ مُرْتَقِبِ
لم يَغْزُ قَومًا ولم يَنهَضْ إلى بَلَدٍ * إلا تَقَدَّمَهُ جَيشٌ مِن الرُّعُبِ
لو لم يَقُدْ جَحْفَلًا يومَ الوَغى لَغَدا * مِن نَفسِهِ وحدَها في جَحْفَلٍ لَجِبِ
رَمى بِكَ اللهُ بُرْجَيْها فَهَدَّمَها * ولو رَمى بِكَ غَيرُ اللهِ لم يُصِبِ
إنَّ الأُسُودَ أُسُودَ الغابِ هِمَّتُها * يَومَ الكَرِيهَةِ في المَسْلُوبِ لا السَّلَبِ
خَلِيفَةَ اللهِ جازَى اللهُ سَعْيَكَ عن * جُرْثُومَةِ الدِّينِ والإسلامِ والحَسَبِ
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرى فلمْ تَرَها * تُنالُ إلا على جِسْرٍ مِن التَّعَبِ
إن كان بين صُرُوفِ الدَّهرِ مِن رَحِمٍ * مَوْصُولَةٍ أو ذِمامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللاتي نُصِرتَ بها * وبينَ أَيَّامِ بَدرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ

(تعود البسط) يفرِّج الكُرب: هذه أبيات يمدح فيها المعتصم من قصيدته التي مطلعها:

[الطويل]

أَجَلْ أَيُّها الرَّبْعُ الذي خَفَّ آهِلُهْ * لقد أَدْرَكتْ فيكَ النَّوى ما تُحاوِلُهْ

يقول فيها -وهي من القصائد البالغة الذِّروَة في الإجادة والإحسان-:

هُوَ البَحْرُ مِن أيِّ النَّواحي أَتَيـتَهُ * فَلُجَّتُهُ المَعروفُ وَالجُودُ ساحِلُهْ
تَـعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حتى لَوَ انَّـهُ * ثَـناها لِقَبْضٍ لَم تُطِعْهُ أَنامِلُهْ
ولَـوْ لم يكنْ في كَفِّهِ غَيرُ رُوحِهِ * لَجادَ بـها فَلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُهْ

ثم ذكر بعض ما سار من شعر أبي تمام سَير المثل، فقال:

مِنْ شِعْرِهِ السَّـائِرِ سَيْـرَ الـمَـثَـلِ: ٢٨١ (مَـا الحُـبُّ إِلَّا لِلْحَبِيـبِ الأَوَّلِ)

(ما الحب إلا للحبيب الأول): يقول:

[الكامل]

نَقِّلْ فُؤادكَ حيثُ شئتَ مِن الهَوى * ما الـحُـبُّ إلا للحَـبيبِ الأوَّلِ
كَمْ مَنزِلٍ في الأرضِ يَألَفُهُ الفَتى * وحَـنِيـنُـهُ أبـدًا لأوَّلِ مَـنْـزِلِ

(لَـيْسَ الحِجَـابُ مُقْصِـيًا آمَـالِي) ٢٨٢ (السَّـيْـلُ حَرْبٌ لِلْمَكَـانِ العَـالِي)

(ليس الحجاب مقصيًا آمالي): يقول:

[البسيط]

ليس الحِجاب بِمُقْصٍ عنكَ لي أَمَلًا * إنَّ السَّماءَ تُرجَّى حينَ تَـحْتَـجِبُ

(السيل حرب للمكان العالي): يقول:

[الكامل]

لا تُنكِرِي عَطَلَ الكريمِ مِن الغِنى * فـالسَّيـلُ حَرْبٌ للمَـكـانِ العَـالي

يعني لا تعجبي من فقري؛ فأنا مِعْطاء لا يبقى شيء في يدي، مثل السيل لا يبقى على الجبل بل ينزل للوادي ويبقى الجبل خاليًا من المياه، قمم الجبال وهي أعلى الأماكن لا يستقرُّ بها الماء، فكما أن المكان العالي لا يصل إليه السيل؛ فكذلك علو قدر الكريم هو المانع له من

الغنى. وهذا البيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن رجاء، لمَّا انتهى أبو تمام في إنشاده إلى هذا البيت قام الحسن بن رجاء، وقال: والله ما سمعتها إلا وأنا قائم؛ لما داخله من الأريحيَّة.

(إِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضْلِ) ٢٨٣ (مَا أَضْيَعَ الغِمْدَ بِغَيْرِ نَصْلِ)

(إذا أراد الله نشر فضل): يقول أبو تمام:

[الكامل]

وإذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ * طُوِيَتْ أتاحَ لها لِسَانَ حَسُودِ
لولا اشتِعالُ النَّارِ فِيما جاوَرَتْ * ما كان يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

(ما أضيع الغمد بغير نصل): يقول:

[الرجز]

ما أَضْيَعَ الغِمْدَ بِغَيرِ نَصْلِهِ * والشِّعْرَ ما لم يَكُ عندَ أَهلِهِ

(طُولُ المُقَامِ مُخْلِقٌ فَاغْتَرِبِ) ٢٨٤ (بَصُرْتَ) (إِنْ يُكْدِ) (قَسَا) (لَيْسَ الغَبِي)

(طول المقام مخلق فاغترب): يقول:

[الطويل]

وطُولُ مُقامِ المرءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ * لِدِيباجَتَيْهِ فاغتَرِبْ تَتَجَدَّدِ
فإنِّي رأيتُ الشَّمسَ زِيدَتْ مَحبَّةً * إلى الناسِ أن ليستْ عليهِم بِسَرْمَدِ

(بَصُرتَ): هذا من قصيدته التي يذكر فيها فتح عمورية، يقول:

[البسيط]

بَصُرْتَ بالرَّاحةِ الكُبرى فلمْ تَرَها * تُنالُ إلا على جِسْرٍ مِن التَّعَبِ

(إن يُكْدِ): هذه أبيات يقولها لصاحبه الشاعر علي بن الجَهْم الذي سيأتي ذكره بعد أبي تمام، يقول:

[الكامل]

إن يُكْدِ مُطَّرَفُ الإخاءِ فإنَّنا * نَغْدُو ونَسْرِي في إخاءٍ تالِدِ
أو يَخْتَلِفْ ماءُ الوِصالِ فَماؤنا * عَذْبٌ تَحَدَّرَ مِن غَمامٍ واحِدِ
أو يَفْتَرِقْ نَسَبٌ يؤلِّفُ بَيننا * أدبٌ أَقَمْناهُ مَقامَ الوالِدِ

وقد كان علي بن الجهم يفضل أبا تمام ويعظمه، فقال له رجل: والله لو كان أبو تمام أخاك ما زدت على مدحك هذا! فقال: إن لم يكن أخًا بالنَّسَب، فهو أخٌ بالمودَّة والأدب، أما سمعت ما خاطبني به حيث يقول: -وذكر هذه الأبيات-.

(قَسا):

[الكامل]

فَقَسا لِيَزْدَجِرُوا ومَن يَكُ راحِمًا * فَلْيَقْسُ أحيانًا على مَن يَرْحَمُ

(ليس الغبي):

[الكامل]

ليس الغَبيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِهِ * لكنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

جَنَى الحَمَاسَةِ جَنِيٌّ دَانِ ٢٨٥ أَحْسَنَ فِيهَا أَيَّمَا إِحْسَانِ

(ديوان الحماسة) لأبي تمام هو مختاراته من الشعر العربي، وهو من أكثر كتب الاختيارات الشعرية شهرة، وقد زادت شروح الحماسة على الثلاثين ما بين مطبوع ومخطوط. وقد رتبها أبو تمام على المعاني والأغراض، وقسَّمها إلى عشرة أبواب. ومدار الاختيار عنده على

الجودة والاستحسان للمعاني والأغراض، وهي تدل على أنه ما فاته كبير شيء من شعر الجاهليِّين وشعر من بعدهم إلا قرأه. ومن أشهر شروحها وأنفسها شرحان:

(**شرح المَرْزُوقيّ**) وزاده نفاسة تحقيق الأستاذ عبدالسَّلام هارون.

و(**شرح التِّبْرِيزيّ**) الذي اعتمد على شرح المرزوقي وزاد عليه.

اخْتَطَفَ الأَرْوَاحَ مِنْ أَجْسَامِهَا ٢٨٦ وَاخْتَرَفَ الأَثْمَارَ مِنْ أَكْمَامِهَا

هذا البيت عقد به ما قاله المرزوقي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة، فإنه قال يذكر دواوين الشعراء: "**اختطف** –يعني أبا تمام– **منها الأرواح دون الأشباح، واختَرَفَ الأثمار دون الأكمام**". يُشير إلى حسن اختياره.

لِلْقُرَشِيْ عَلِيِّ ابْنِ الجَهْمِ ٢٨٧ بَدَائِعٌ كَالبَرَدِ المُنْهَمِّ

هو **أبو الحسن علي بن الجهم القرشيّ**. كان من خاصة الخليفة المتوكل حتى إن المتوكل كان يفضي إليه بأسراره، ويثق به، ويأنس بمجالسته، ويُطلعه على أموره الخاصة. وكان علي ابن الجهم أيضًا شديد التعلُّق بالمتوكل لأن المتوكل كان على السُّنة، ففي عهده أزاح الله الغُمَّة عن أهل السُّنة فقُضيَ على فتنة القول بخلق القرآن. وكان ابن الجهم على السُّنة وقد أكثر هجاء شيخ المعتزلة أحمد بن أبي دُؤاد، وفي أحمد بن أبي دؤاد وفي ابنه أبي الوليد يقول:

[الكامل]

يا أَحمَدُ بنَ أبي دُؤَادٍ دَعوَةً ❋ بَعَثَتْ إِلَيكَ جَنادِلًا وحَدِيدا
ما هذه البِدَعُ التي سَمَّيتَها ❋ بِالجَهلِ مِنكَ العَدْلَ والتَّوحِيدا
أَفسَدتَ أَمرَ الدِّينِ حينَ وَلِيتَهُ ❋ وَرَمَيْتَهُ بأَبي الوَليدِ وَلِيدا

وكان أبو الوليد بن أحمد بن أبي دؤاد يتولَّى المظالم بسامرَّاء، وعزله عنها المتوكل حين صادر أمواله وأموال أبيه.

شاعت عن ابن الجهم قصة وهي أنه قدم على المتوكل أول قَدْمَة وكان بدويًا جافيًا، فأنشد قصيدة يمدحه فيها يقول:

[الخفيف]

أنتَ كالكلبِ في حِفاظِكَ لِلوُدْ * دِ وكالتَيسِ في قِراعِ الخُطُوبِ
أنتَ كالدَّلوِ لا عَدِمْتُكَ دَلْوًا * مِن كِبارِ الدِّلا كثيرَ الذَّنوبِ

فعرف المتوكل حسن قصده وخشونة لفظه لملازمته البادية وعدم مخالطته الناس؛ فأمر له بدار حسنة على شاطئ دجلة، وفيها بستان يتخلَّله النَّسيم، والجِسْر قريب منه، وأمر له بجائزة سَنيَّة؛ فلَطُف طبعه وأنشد الأشعار الرقيقة، ثم دخل على المتوكل بعد سنة فأنشده:

[الطويل]

عُيونُ المَها بينَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ * جَلَبْنَ الهَوى مِن حيثُ أَدري ولا أَدري

وهذه القصة مَخايِلُ الوَضْعِ عليها لائحة وإن كانت قصيدة (عيون المها) لابن الجهم؛ إلا أن ابن الجهم كان رجل حاضرة لم يكن بدويًا، وقد مدح المعتصم والواثق قبل ذلك، ثم مدح المتوكل أول ما بُويع بالخلافة، ولم يذكر هذه القصة أحد ممن يُعتمد قوله. والمعنى المذكور فيها صحيح من تأثر الشاعر ببيئته، وقريب من هذا ما ذكره ابن الجوزي في أخبار الحَمْقى والمُغفَّلين من أن رجلًا أراد أن يمدح سيف الدولة وقد انصرف من غزو عدوٍّ له ظَفِر به، فقال:

[الطويل]

فكانوا كفَأْرٍ وَسْوَسُوا خَلْفَ حائطٍ * وكنتَ كسِنَّوْرٍ عليهِمْ تَسَلَّقا

بدائع كالبرد المنهم: البرد: المطر الجامد. المُنْهَم: الذائب، يقال: انهَمَّ البَرَدُ إذا ذاب.

لَهُ: الرُّصَافِيَّةُ وَالمُحَبَّرَهْ ٢٨٨ (قَالَتْ: حُبِسْتَ) حُسْنَهَا انْظُرْهُ تَرَهْ

له (الرصافيَّة): الرُّصافيَّة قصيدة لعلي بن الجهم يمدح فيها المتوكل وهي من أحسن ما قال، يقول فيها:

[الطويل]

عُيونُ المَها بينَ الرُّصافَةِ والجِسْرِ * جَلَبْنَ الهَوى مِن حيثُ أَدري ولا أدري
أَعَدْنَ لِيَ الشَّوقَ القَدِيمَ ولم أكنْ * سَلَوْتُ ولكنْ زِدْنَ جَمْرًا على جَمرِ
سَلِمْنَ وأَسْلَمْنَ القُلُوبَ كأَنَّما * تُشَكُّ بِأَطْرافِ المُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
وقُلْنَ لنا نحنُ الأهِلَّةُ إنَّما * تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيلٍ ولا تَقْرِي
فلا بَذْلَ إلا ما تَزَوَّدَ ناظِرٌ * ولا وَصْلَ إلا بالخَيالِ الذي يَسْرِي
أَزَحْنَ رَسِيسَ القَلبَ عن مُسْتَقَرِّهِ * وأَلْهَبْنَ ما بينَ الجَوانِحِ والصَّدْرِ
خَليلَيَّ ما أَحلى الهَوى وأَمَرَّهُ * وأَعْلَمَني بِالحُلْوِ مِنهُ وبالمُرِّ
كَفى بِالهَوى شُغْلاً وبِالشَّيبِ زاجِرًا * لَوَ انَّ الهَوى مِمَّا يُنَهْنَهُ بالزَّجْرِ

إلى أن يقول:

وما أنا مِمَّنْ سارَ بِالشِّعرِ ذِكْرُهُ * ولكنَّ أَشْعاري يُسَيِّرُها ذِكْري
وما الشِّعْرُ مِمَّا أَسْتَظِلُّ بِظِلِّهِ * ولا زادَني قَدْرًا ولا حَطَّ مِن قَدْري
ولِلشِّعْرِ أَتْباعٌ كَثيرٌ ولمْ أكنْ * لَهُ تابِعًا في حالِ عُسْرٍ ولا يُسْرِ
وما كُلُّ مَن قادَ الجِيادَ يَسُوسُها * ولا كُلُّ مَن أَجْرَى يُقالُ لَهُ مُجْرِي
ولكنَّ إحسانَ الخَليفَةِ جَعْفَرٍ * دَعاني إلى ما قُلتُ فيهِ مِن الشِّعْرِ
فَسارَ مَسِيرَ الشَّمسِ في كُلِّ بَلْدَةٍ * وهَبَّ هُبُوبَ الرِّيحِ في البَرِّ والبَحْرِ
ولَو جَلَّ عن شُكْرِ الصَّنِيعَةِ مُنْعِمٌ * لَجَلَّ أَميرُ المُؤمِنينَ عن الشُّكْرِ
فَتًى تَسْعَدُ الأَبْصارُ في حُرِّ وجْهِهِ * كما تَسْعَدُ الأيدي بنائِلِهِ الغَمْرِ
بِهِ سَلِمَ الإسلامُ مِن كُلِّ مُلْحِدٍ * وحَلَّ بِأَهلِ الزَّيغِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ

إمامُ هُدًى جَلَّى عن الدِّينِ بَعدَما * تَعادَتْ على أَشْياعِهِ شِيَعُ الكُفْرِ
وفَرَّقَ شَمْلَ المالِ جُودُ يَمِينِهِ * على أَنَّهُ أَبقى لَهُ أَحْسَنَ الذِّكْرِ
وما غايَةُ المُثْني عليهِ لَوَ انَّهُ * زُهَيرٌ وأَعْشَى وَامرُؤُ القَيسِ مِن حُجْرِ
إذا نحنُ شَبَّهْناهُ بالبَدْرِ طالِعًا * وبالشَّمْسِ قالوا حُقَّ لِلشَّمْسِ والبَدْرِ
ومَن قالَ إنَّ البَحْرَ والقَطْرَ أَشْبَها * نَداهُ فقدْ أَثْنَى على البَحْرِ والقَطْرِ
وُجُوهُ بَني العَبَّاسِ لِلمُلكِ زِينَةٌ * كما زِينَةُ الأَفْلاكِ بِالأنجُمِ الزُّهْرِ
ولا يَسْتَهِلُّ المُلْكُ إلا بِأهلِهِ * ولا تَرْجِعُ الأَيَّامُ إلا إلى الشَّهْرِ
فَحَيُّوا بَني العَبَّاسِ مِنِّي تَحِيَّةً * تَسِيرُ على الأَيَّامِ طَيِّبَةَ النَّشْرِ

ولكن إحسان الخليفة جعفر: هذا اسم المتوكل.

و (المحبَّرة): المُحَبَّرَة منظومة له في التاريخ جميلة على بحر الرَّجز طُبعت في آخر ديوانه، وطبعت مفردة محقَّقة، من آدم عليه السلام إلى خلافة المُستعين بالله في زمان ابن الجهم، وهو أحمد بن المعتصم أخو المتوكل والواثق. أولها قوله:

[الرجز]

الحمدُ للهِ المُعِيدِ المُبْدِي * حَمْدًا كثيرًا وهْوَ أهلُ الحَمْدِ
ثمَّ الصَّلاةُ أولًا وآخِرا * على النَّبِيِّ باطِنًا وظاهِرا
يا سائلي عن ابتِداءِ الخَلْقِ * مَسْأَلَةَ القاصِدِ قَصْدَ الحَقِّ

وهي في ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين بيتًا، والأراجيز في التاريخ كثيرة ، وأرجوزته هذه من أحسنها سَبْكًا، وأعذبها لفظًا فهي أرجوزة شاعر.

(قالت حبست): سبق أنه كان بينه وبين الخليفة المتوكل محبة عظيمة، فإنه كان من خاصة الخليفة المتوكل، ثم إن جماعة من جلساء المتوكل كادوا له وسعوا به عند المتوكل؛ فتغير قلب المتوكل عليه بعد أن كان مستودع سرِّه نحوًا من سبع سنين، وأمره أن يلزم داره، ففعل وانقطع عن القصر، ثم لم يزل بالمتوكل ندماؤه حتى أمر

بعلي بن الجهم فسُجن، فقال علي بن الجهم في الحبس يظهر لهم تجلُّده، ويهجو خصومه، ويعلن استمرار إخلاصه للخليفة:

[الوافر]

تَوَكَّلنا على رَبِّ السَّماءِ * وسَلَّمْنا لِأسْبابِ القَضاءِ
ووَطَّنَّا على غِيَرِ اللَّيالي * نُفُوسًا سامَحَتْ بعدَ الإباءِ
وأَفْنِيَةُ المُلوكِ مُحَجَّباتٌ * وَبابُ اللهِ مَبْذُولُ الفِناءِ
فما أرجو سِواهُ لِكَشْفِ ضُرِّي * ولم أَفْزَعِ إلى غيرِ الدُّعاءِ
تَوَقَّ النَّاسَ يا ابن أبي وأُمِّي * فَهُمْ تَبَعُ المَخافَةِ والرَّجاءِ
ولا يَغْرُرْكَ مِن وَغْدٍ إخاءٌ * لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاءِ
أَلم تَرَ مُظْهِرينَ عَلَيَّ غِشًّا * وهُمْ بالأمسِ إخوانُ الصَّفاءِ
بُليتُ بِنَكبَةٍ فَغَدَوا وَراحُوا * عَلَيَّ أَشَدَّ أسبابِ البَلاءِ
أَبَتْ أَخْطارُهُمْ أن يَنْصُروني * بِمالٍ أو بِجاهٍ أو بِراءِ
وخافُوا أن يُقالَ لَهُم خَذَلْتُمْ * صَدِيقًا فادَّعَوا قِدَمَ الجَفاءِ
تَضافَرَتِ الرَّوافِضُ والنَّصارى * وأَهلُ الإعتِزالِ على هِجائي
إذا ما عُدَّ مِثلُهُمُ رِجالًا * فما فَضْلُ الرِّجالِ على النِّساءِ
إذا سَمَّيتُهُمْ لِلنَّاسِ قالُوا * أُولئِكَ شَرُّ مَن تَحتَ السَّماءِ
أَنا المُتَوَكِّلِيُّ هَوًى ورَأيًا * وما بالواثِقِيَّةِ مِن خَفاءِ
وما حَبْسُ الخَليفَةِ لي بِعارٍ * وليس بِمُؤيِسي مِنهُ التَّنائي

وله في الحبس قصائد أحسنها قصيدته البارعة التي لم يُقَلْ مثلها، وهي قوله:

[الكامل]

قالَتْ حُبِستَ فَقُلتُ ليس بِضائِري * حَبْسِي وأَيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
أَوَما رأيتِ اللَّيثَ يَأْلَفُ غِيلَهُ * كِبْرًا وأَوْباشُ السِّباعِ تَرَدَّدُ
والبَدرُ يُدرِكُهُ السِّرارُ فَتَنجَلي * أَيَّامُهُ وكأَنَّهُ مُتَجَدِّدُ

والشَّمسُ لولا أنَّها مَحجُوبَةٌ ❊ عن ناظِرَيكِ لَما أَضاءَ الفَرْقَدُ
والزَّاعِبيَّةُ لا يُقِيمُ كُعُوبَها ❊ إلا الثِّقافُ وجَذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ
والنَّارُ في أَحْجارِها مَخبُوءَةٌ ❊ لا تُصْطَلَى إن لَم تُثِرْهَا الأَزْنُدُ
والحَبْسُ ما لمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ ❊ شَنْعاءَ نِعْمَ المَنزِلُ المُتَوَرَّدُ
بَيتٌ يُجَدِّدُ لِلكَريمِ كَرامَةً ❊ ويُزارُ فيهِ ولا يَزورُ ويُحمَدُ
لَو لم يكنْ في الحَبْسِ إلا أنَّهُ ❊ لا تَسْتَذِلُّكَ بِالحِجابِ الأَعبُدُ
غِيَرُ اللَّيالي بادِئاتٌ عُوَّدُ ❊ والمالُ عارِيَةٌ يُفادُ ويَنفَدُ
ولِكُلِّ حينٍ مُعْقِبٌ ولَرُبَّما ❊ أَجْلَى لكَ المَكْرُوهُ عَمَّا تَحْمَدُ
لا يُؤيِسَنَّكَ مِن تَفَرُّجِ نَكْبَةٍ ❊ خَطْبٌ رَماكَ بِهِ الزَّمانُ الأَنكَدُ
كَمْ مِن عَليلٍ قد تَخَطَّاهُ الرَّدى ❊ فَنَجا وماتَ طَبِيبُهُ والعُوَّدُ
صَبْرًا فإنَّ اليومَ يُعْقُبُهُ غَدٌ ❊ ويَدُ الخِلافةِ لا تُطاوِلُها يَدُ

ثم إنه بلغ المتوكل أن علي بن الجهم هجاه، فنفاه إلى خُرسان وكتب إلى طاهر بن عبدالله بأن يُصلب إذا وردها يومًا إلى الليل، فجاءته القصيدة هذه المرة من فوق خشبة الصَّلب، قال:

[الكامل]

لَم يَنصِبوا بِالشَّاذِياخِ عَشِيَّةَ الـ ❊ إثنَينِ مَغْمُورًا ولا مَجْهُولا
نَصَبُوا بَحَمدِ اللهِ مِلءَ عُيونِهِمْ ❊ حُسْنًا وَمِلءَ قُلُوبِهِمْ تَبْجِيلا
ما ضَرَّهُ أن بُزَّ عَنهُ لِباسُهُ ❊ فالسَّيفُ أَهوَلُ ما يُرى مَسْلُولا

وقد قال أبو عبدالله اليَحْصَبيّ -كما في (طبقات الشعراء) لابن المعتز-: "لما قال علي بن الجهم وهو محبوس كلمته التي يخاطب فيها المتوكل: **قالت حُبست فقلت ليس بضائري * حبسي وأيُّ مُهندٍ لا يُغمد** ثم قال حين صُلِب: **ما ضرَّه أن بُزَّ عنه لباسهُ * فالسَّيفُ أهولُ ما يُرى مسلولًا**؛ حكموا له بأنه أشعر الناس، فأذعنت له الشعراء وهابته الأمراء" وذلك لأنه

استعمل السَّيف مُغْمَدًا ومَسْلولًا في الثناء على نفسه فأحسن. وقد سبقت الإشارة إلى هذه القصيدة عند الكلام على تحسين القبيح وتقبيح الحسن في دواعي العناية بالأدب، عند قوله:

ما قاله ابن الجهمِ حينَ سُجنا ❋ ونـجـلُ الانبـاريِّ حين أَبَّـنا

مُقَدَّمٌ فِي عِلْمِهِ بِالشِّعْرِ ٢٨٩ وَحَسَنُ التَّعْلِيلِ عَالِي الفَخْرِ
أَلْفَاظُهُ فَاقَتْ نَثِيرَ دُرِّ ٢٩٠ كَأَنَّمَا يَغْرِفُهَا مِنْ بَحْرِ

من قرأ في (ديوان علي بن الجهم) ونظر في أخباره وجد أن هذه الأوصاف الثلاثة من أصدق ما يُوصف به علي بن الجهم، أما حسن التعليل وعلو الفخر؛ فرأينا معًا شيئًا منه في الأبيات السابقة. وأما علمه بالشعر؛ فكان يقال: "علم علي بن الجهم بالشعر أكبر من شعره". ويُصدِّق علمه بالشعر هذا الخبر الذي ذكره البُحْتُريّ، قال البحتريّ: دعاني علي بن الجهم فمضيت إليه، فأفضنا في أشعار المُحْدَثين إلى أن ذكرنا أَشْجَعَ السُّلَمِيّ فقال لي: "إنه يُخْلِي" وأعادها مرَّات، قال البحتري ولم أفهمها، وأَنِفْتُ أن أسأله عن معناها، فلما انصرفت فكرت في الكلمة، ونظرت في شعر أشجع السُّلمي؛ فإذا هو ربما مرَّت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع، وإذا هو يُريد هذا بعينه، أنه يعمل الأبيات فلا يصيب فيها ببيت نادر، كما أن الراميَ إذا رمى برشقه فلم يُصِب فيه بشيء؛ قيل: "أَخْلَى". قال البحتري: "وكان علي بن الجهم عالمًا بالشعر".

(لِيْ وَطَنٌ آلَيْتُ) لِابْنِ الرُّومِيْ ٢٩١ شِعْرُ كَوَشْيِ السُّنْدُسِ المَرْقُومِ

ابن الرُّوميّ هو أبو الحسن علي بن العباس. وكان مكثرًا من الشعر، ترك ديوانًا ضخمًا، وقد أجاد في فنون الشعر خاصَّةً الوصف والهجاء، يغوص على المعاني النادرة ويبرزها في أحسن صورة. وأبياته المشار إليها هنا طارت لحسنها وملاءمتها للقلب كل مَطار، يقول فيها:

[الطويل]

ولِي وطنٌ آليتُ ألّا أَبيعَهُ ❊ وألّا أرى غيري لهُ الدَّهرَ مالِكا

إلى أن يقول:

وحَبَّبَ أوطانَ الرِّجالِ إليهِمُ ❊ مآربُ قضَّاها الشَّبابُ هُنالِكا
إذا ذَكرُوا أوطانَهُمْ ذَكَّرتْهمُ ❊ عُهودَ الصِّبا فيها فَحَنُّوا لِذَلِكا

شعر كوشي السُّندس المرقوم: السُّندس: رقيق الحَرير. والوَشْيُ: هو النَّقْشُ في الثَّوب. والمرقوم: تقول: رَقَمْتُ الثَّوبَ؛ إذا زَخْرَفْتَه وزيَّنْتَه.

ومن عجيب أمر ابن الرومي أنه كان كثير الطِّيَرَة، ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرَّف تطيرًا بسوء ما يراه أو يسمعه؛ حتى إن بعض الأمراء افتقده، فأُعلم بحاله في الطِّيرة فبعث إليه خادمًا اسمه: (إقبال) ليتفاءل به، فلما أخذ أهبته للرُّكوب قال للخادم: انصرف إلى مولاك فأنت ناقص، ومنكوس اسمك: (لا بقا)". فتطيَّر باسمه بعد أن قلبه. ولنا عودة قريبة إلى ابن الرُّوميّ إن شاء الله في أبيات هذا العصر العباسيّ.

ثم استطرد فأشار إلى أبيات **ليحيى بن طالب الحَنَفيّ** في الحنين إلى الوطن:

وَنَحْوُهُ: مَا قَالَ يَحْيَى الحَنَفِيْ ٢٩٢ (حَقًّا عِبَادَ اللهِ شَوْقِي مُتْلِفِي)

وقد كان يحيى شيخًا جوادًا كريمًا يقري الأضياف ويُطْعِم الطَّعام،؛ فركبه دين فادِح فَجَلى عن اليَمامة وفارقها لعلَّه يُرزق مَن يقضي عنه دينه، وذهب إلى الرَّيّ، فأراد رجل من أهل اليمامة -كان في الريّ- أراد الشُّخُوص إلى اليمامة، فشيَّعه يحيى بن طالب، فلما جلس الرجل على الزَّورق؛ ذرفت عينا يحيى شوقًا إلى بلده اليمامة، وأنشأ يقول:

[الطويل]

أحقًّا عبادَ اللهِ أنْ لستُ ناظرًا ❊ إلى قَرْقَرى يومًا وأَعْلامِها الخُضْرِ
إذا ارتَحَلَتْ نحوَ اليَمامَةِ رُفْقَةٌ ❊ دَعاكَ الهَوى واهتاجَ قَلبُكَ لِلذُّكْرِ

أقولُ لِمُوسَى والدُّموعُ كأنَّها * جداوِلُ ماءٍ في مَسارِبِها تَجْري
ألا هل لشَيخٍ وابنِ سِتِّينَ حِجَّةً * بكى طَرَبًا نَحْوَ اليَمامةِ مِن عُذْرِ
كأنَّ فؤادي كلَّ ما مَرَّ راكبٌ * جَناحا غُرابٍ رامَ نَهْضًا إلى وَكْرِ
فَيَا حَزَنًا ماذا أُجِنُّ مِن الهوى * ومِن مُضْمَرِ الشَّوقِ الدَّخيلِ إلى حَجْرِ
تَغَرَّبتُ عنها كارِهًا فتَرَكْتُها * وكان فِراقِيها أَمَرَّ مِن الصَّبْرِ

وقال أيضًا في الشوق والحنين إليها:

[الطويل]

أيا أَثَلاتِ القاعِ مِن بطنِ تُوضِحٍ * حَنِينِي إلى أَطْلالِكُنَّ طَويلُ
ويا أثلاتِ القاعِ قد مَلَّ صُحْبَتِي * مَسِيرِي فهلْ في ظِلِّكُنَّ مَقِيلُ
ويا أثلاتِ القاعِ قَلْبِي مُوَكَّلٌ * بِكُنَّ وجَدْوَى خَيْرِكُنَّ قَلِيلُ
ألا هلْ إلى شَمِّ الخُزامَى ونَظْرَةٍ * إلى قَرْقَرَى قبلَ المماتِ سَبِيلُ
فأشربَ مِن ماءِ الحُجَيْلاءِ شَرْبَةً * يُداوَى بها قبلَ المماتِ عَلِيلُ
أُحَدِّثُ عنكِ النَّفسَ أن لستُ راجِعًا * إليكِ فحُزني في الفؤادِ دَخِيلُ
أُريدُ هُبُوطًا نَحْوَكُمْ فَيَصُدُّني * إذا رُمْتُهُ دَيْنٌ عليَّ ثَقِيلُ

يُروى أن هارون الرَّشيد غُنِّيَ بهذه الأبيات؛ فتأثَّر بها وسأل عن قائلها، فقيل: هي ليحيى بن طالب الحنفيّ اليَماميّ. فقال: أحيٌّ هو أم مَيْت؟ فقال بعض الحاضرين: هو حيٌّ كمَيْت! قال: ولِمَه؟ قال: هرب من اليمامة في دين عليه ثقيل، فصار إلى الرَّيّ. فكتب الرَّشيد إلى عامله على اليمامة أن يقضيَ دينه كائنًا ما كان، وإلى عامله على الرَّيّ أن يدفع إليه عشرة آلاف درهم، وأن يحمله على البريد إلى اليمامة. فلما عاد يحيى بن طالب إلى اليمامة قال هارون لجلسائه: قد قضينا دين اليماميّ، ووصلناه، وأعدناه إلى وطنه من غير سعي منه في ذلك. هذه رواية التَّنُوخيّ في كتابه (الفرج بعد الشِّدَّة)، ورواها غيره على غير هذا الوجه.

أَبُو عُبَادَةَ الوَلِيدُ البُحْتُرِي ٢٩٣ رَبِيبُ شِعْرٍ وَبَيَانٍ مُزْهِرِ

أبو عُبادة الوليد بن عُبَيْد غلب عليه لقبُ البُحْتُرِيّ نِسْبةً إلى عَشيرته الطَّائيَّة: بُحْتُر. وأول من نوَّه به وأشار إلى نباهته وشهد له بالحِذْق أبو تمام. قال له أبو تمام: أنت أمير الشعراء بعدي. فقال البحتريّ: هذا الكلام أحبُّ إليّ من جميع ما حَوَيْتُه. وقد أوصاه أبو تمام وصايا ترويها كُتُب الأدب، تعدُّ دُسْتُورًا في إحسان صناعة الشِّعر. يمتاز شعر البحتري برقة الأسلوب، وحسن الخيال. وكان يقال لشعر البحتري: "سَلاسَلُ الذَّهَبِ".

مَعْنَاهُ مَقْدُودٌ مِنَ الصَّمَّاءِ ٢٩٤ وَصَوْغُ لَفْظِهِ زُلَالُ المَاءِ

عقد بهذا ما قاله ابن الأثير، فإنه نقل عن أبي الطيِّب المُتنبي أنه سئل عن البحتري، وعن أبي تمام، وعن نفسه. فقال: أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعر البُحتريّ. نقله ابن الأثير في (المثل السائر) ثم قال: **"ولعمري إنه أنصف في حكمه، وأَعْرَبَ بقوله هذا عن متانة علمه؛ فإن أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المَقْدُود من الصَّخرة الصَّمَّاء في اللفظ المَصُوغ من سلاسة الماء"**. ثم أشار إلى ثلاث قصائد هي من مُخْتار شعر البُحتري، قال:

(لَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا) وَ(صُنْتُ نَفْسِي) ٢٩٥ (أَتَاكَ يَخْتَالُ رَبِيعُ الأُنْسِ)

(لو أن مشتاقًا): للبحتري قصيدة يمدح بها المتوكل أحسن فيها كل الإحسان كما يقول ابن خَلِّكان في (وَفيات الأعيان)، مطلعها قول:

[الكامل]

أُخْفِي هوًى لكَ في الضُّلوعِ وأُظْهِرُ * وأُلامُ مِن كَمَدٍ عليكَ وأُعْذَرُ

قال فيها يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر:

بالبِرِّ صُمْتَ وأنتَ أفضلُ صائم * وبسُنَّةِ اللهِ الرَّضيَّةِ تُفطِرُ
فانعَمْ بيومِ الفطرِ عيناً إنهُ * يومٌ أَغَرُّ مِنَ الزَّمانِ مُشَهَّرُ

أَظْهَرْتَ عزَّ المُلكِ فيه بِجَحْفَلٍ ✻ لَجِبٍ يُحاطُ الدِّينُ فيه وينصرُ
خِلْنا الجبالَ تَسِيرُ فيه وقد غَدَتْ ✻ عُددًا يَسِيرُ به العَدِيدُ الأكْثَرُ
فالخيلُ تَصْهَلُ والفَوارِسُ تَدَّعِي ✻ والبِيضُ تَلمَعُ والأسِنَّةُ تَزْهَرُ
والأرضُ خاشعةٌ تَميدُ بِثِقْلِها ✻ والجَوُّ مُعْتَكِرُ الجوانبِ أَغْبَرُ
والشمسُ طالعةٌ تَوَقَّدُ في الضُّحى ✻ طَوْرًا ويُطفِيها العَجاجُ الأكْدَرُ
حتى طَلَعْتَ بضوءِ وجهِكَ فانجَلَى ✻ ذاك الدُّجى وانْجَابَ ذاكَ العِثْيَرُ
فافتَنَّ فيكَ النَّاظرونَ فإصبعٌ ✻ يُومَى إليكَ بها وعينٌ تنظرُ
يجدونَ رؤيتكَ التي فازُوا بها ✻ مِن أَنْعُمِ اللهِ التي لا تُكْفَرُ
ذكروا بِطَلْعَتِكَ النَّبيَّ فهلَّلُوا ✻ لمَّا طَلَعْتَ من الصفوف وكبَّروا
حتى انتهيتَ إلى المُصلَّى لابِسًا ✻ نُورَ الهُدى يَبدو عليكَ ويَظهرُ
ومَشيْتَ مِشْيةَ خاشعٍ متواضعٍ ✻ للهِ لا يُزْهَى ولا يَتَكبَّرُ
ولَوَ انَّ مُشْتَاقًا تَكلَّفَ فوق ما ✻ في وُسْعِهِ لَسَعى إليكَ المِنبَرُ
أُيِّدتَّ مِن فَصْل الخِطابِ بحكمةٍ ✻ تُنْبِي عنِ الحقِّ المُبينِ وتُخْبِرُ
ووَقَفْتَ في بُرْدِ النَّبيِّ مُذَكِّرًا ✻ باللهِ تُنْذِرُ تارةً وتُبَشِّرُ

قال ابن خلكان بعد أن أورد هذه الأبيات في (وفيات الأعيان): "وهذا الشعر هو السِّحر الحلال على الحقيقة، والسَّهل المُمْتنع؛ فللِّهِ دَرُّه ما أَسْلَس قِيادَه، وأعذب ألفاظه، وأحسن سَبْكَه، وألطف مقاصده، وليس فيه من الحَشْوِ شيء؛ بل جميعه نُخَب". وهذا الذي قاله في النظم في البيت بعد هذا: سحر حلال كسلاسل الذهب ✻ ما فيهِ حشوٌ بل جَميعهُ نُخبْ .

و (صُنتُ نفسي): هذه قصيدة له يصف فيها إيوان كسرى بالمَدائن، وكان البحتري رحل إليها يُسلِّي بهذه الرِّحلة نفسه من الهمِّ العظيم الذي ركبه بمقتل المتوكِّل، وقد كان البحتري مقربًا منه جدًا. ثم إن المنتصر بن المتوكل جفا البحتري وقلاه فرحل البحتري إلى المدائن وقال هذه القصيدة السِّينيَّة التي يقول ابن المعتز: "إنه ليس للعرب سينيَّة مثلها". يقول فيها:

[الخفيف]

صُنتُ نَفسي عمَّا يُدَنِّسُ نَفسي * وتَرَفَّعْتُ عن جَـدا كُلِّ جِبْسِ
وإذا ما جُفِيتُ كنتُ جَدِيرًا * أن أُرى غيرَ مُصْبِحٍ حيثُ أُمسي
حَضَرَتْ رَحلِيَ الهُمومُ فَوَجَّهـ * ـتُ إلى أَبْيَضِ المَدائِنِ عَنْسي
أَتَسَلَّى عن الحُظُوظِ وَآسى * لِمَحَلٍّ مِن آلِ ساسانَ دَرْسِ
أَذكَرتْنِيهِمُ الخُطُوبُ التَّوالي * ولقد تُذْكِرُ الخُطوبُ وتُنْسِي
نَقَلَ الدَّهرُ عَهدَهُنَّ عن الجِدْ * ـدَةِ حتى غَدَونَ أَنْضاءَ لُبْسِ

الجدا: العطاء. الجِبس: الجبان اللَّئيم.

أذكرتنيهم الخطوب التوالي..: وقد كان إيوان كسرى مضرب المثل في العمران والعيش الرَّغْد، فأمسى مضرب المثل في انقطاع السُّرور وهوان الدنيا. يقول في وصفه:

ليس يُدْرى أَصُنعُ إنْسٍ لِجِنٍّ * سَكَنوهُ أَمْ صُنعُ جِنٍّ لإنْسِ
غيرَ أنّي أراهُ يَشْهَدُ أن لم * يَكُ بانِيهِ مِن المُلوكِ بِنِكسِ
عُمِّرَتْ بالسُّرُورِ دَهْرًا فصارَتْ * لِلتَّعَزِّي رِباعُهُمْ والتَّأَسِّي

(أتاك يختال ربيع الأنس): يقول البحتري يصف الرَّبيع:

[الطويل]

أتاكَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ يَخْتالُ ضاحِكًا * مِن الحُسْنِ حتى كاد أن يَتَكَلَّما
وقد نَبَّهَ النَّيْروزُ في غَلَسِ الدُّجى * أوائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالأمسِ نُوَّما
يُفَتِّقُها بَرْدُ النَّدى فكأنَّهُ * يَبُثُّ حَدِيثًا كان قبلُ مُكَتَّما
فَمِن شَجَرٍ رَدَّ الرَّبيعُ لِباسَهُ * عليهِ كما نَشَّرْتَ وَشْيًا مُنَمْنَما
أَحَلَّ فأَبْدَى لِلعُيونِ بَشاشَةً * وكان قَذًى لِلعَينِ إذ كان مُحْرِما
وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ حتى حَسِبتُهُ * يَجِيءُ بأنفاسِ الأَحِبَّةِ نُعَّما

سِحْرٌ حَـلَالٌ كَـسَلاسِلِ الذَّهَـبْ ٢٩٦ مَـا فِيـهِ حَشْـوٌ بَـلْ جَمِيعُـهُ نُخَـبْ

سحر حلال كسلاسل الذهب: كان يقال لشعر البحتري كما سبق: "سلاسل الذهب".

لَا السَّـاقِطُ البَـارِدُ لَـوْ تَمَـثَّلَا ٢٩٧ كَـانَ لِتَكْسِيرِ الحِجَارِ مِعْـوَلَا!

يقول: هذا هو الشعر، لا الكلام الساقط البارد الذي لو تمثل –أي تجسَّم- لكان معولًا لتكسير الحجارة.

لِلْمُتَنَـبِّي أَحْمَـدَ الكِـنْدِيِّ ٢٩٨ حَـدَائِقٌ كَـالـمَـنْهَلِ الـرَّوِيِّ

أحمد بن الحسين الكِنْديّ. صاحب الشعر الحكيم والمعاني الدَّقيقة المُخْتَرَعَة، وهو في الشعراء المُحْدَثين كامرئ القيس في المتقدمين.

حدائق كالمنهل الرويِّ: تشبيه قصائده بالحدائق مأخوذ من المتنبي نفسه؛ فإنه قال في مدح الحسين بن طاهر العلويّ:

[الطويل]

حَمَلتُ إليهِ من لساني حديقةً * سقاها الحِجا سَقْيَ الرِّياضَ السَّحائبِ

أطلق الحديقة وأراد قصيدته، والأصل أن يقول: "سقيَ السَّحائبِ الرِّياضَ" لكنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فقال: "سقيَ الرِّياضَ السَّحائبِ".

جَـادَ عَلَيْهَـا وَاكِـفُ الوَسْمِـيِّ ٢٩٩ فَأَنْبَتَـتْ أَحْـلَى جَـنًى جَـنِـيِّ

الوسميّ: مطر الربيع الأول؛ سُمِّيَ كذلك لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. والمطر الذي يأتي بعد الوسمي يُسمَّى: "الوَلِيّ" لأنه يَلي الوسمي. الجَنى: ما يُجْتَنى وهو الثَّمَر، قال الله تعالى: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرحمن: ٥٤]. والجَنِيّ: هو الغَضُّ الطَّريّ الذي جُنِيَ من ساعته، قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: ٢٥]. فالجَنيّ هو المُجْتَنَى من ساعته ما دام غضًّا طريًّا.

مَنْ مَلَأَ الدُّنْيَا وَلِلنَّاسِ شَغَلْ ٣٠٠ شِعْرٌ إِذَا سَمِعْتَهُ قُلْ: حَيَّهَلْ

من ملأ الدنيا وللناس شغل: هذا قاله ابن رَشيق في (العُمْدَة) لما ذكر المُتَنَبي قال: "الذي ملأ الدنيا وشَغَل الناس".

قَدْ أَجْمَعَ الحُذَّاقُ أَهْلُ الفَنِّ ٣٠١ بِأَنَّهُ فَاقَ المَدَى فِي الحُسْنِ
سَبَّاقُ غَايَاتٍ فَلَا يُجَارَى ٣٠٢ صَاحِبُ آيَاتٍ فَلَا يُبَارَى
عَلَا شَآ فَرَعَ فَاقَ فَضَلَا ٣٠٣ بَرَّزَ جَلَّى بَذَّ فَاتَ كَمُلَا!

علا شآ فرع فاق فضلا.. برَّز جلَّى بذَّ فات كمُلا: هذه عشر كلمات كلها تستعمل في تقدُّم الرَّجل على غيره.

مُرَصَّفُ الأَلْفَاظِ لَيْسَ يُخْلِي ٣٠٤ يَسْقِيكَ مِنْ نَفْحِ الصَّبَا مَا يُسْلِي

مرصَّف الألفاظ: المُرصَّف المُنظَّم، تقول: رَصَّفْتُ الحجارة إذا ضَمَمْتَ بعضها إلى بعض.

ليس يُخلي: لا يُخلي قصيدة من قصائده من حكمة سائرة، أو مَثَلٍ شَرود، أو بيتٍ مُنتقًى مُختار.

يسقيك من نفح الصبا: يقال: نَفَحَ الطِّيبُ؛ فاحَ. وله نَفْحَةٌ طيِّبة. الصَّبا: الرِّيح الشرقيَّة.

يُشَنِّفُ الأَسْمَاعَ حُلْوُ شِعْرِهِ ٣٠٥ وَيُسْكِرُ الأَلْبَابَ لُطْفُ سِحْرِهِ
يَبْلُغُ بِالكَلَامِ كُنْهَ القَلْبِ ٣٠٦ يُصِيبُ مَقْتَلَ المَشُوقِ الصَّبِّ
لَوْ حَلَّ فِي الأَخْرَسِ ذِهْنُهُ خَطَبْ ٣٠٧ أَوْ كَانَ لِلْمُقْعَدِ عَزْمُهُ انْتَصَبْ

قال المتنبي في بعض مَمْدُوحِيه:

[البسيط]

لو حَلَّ خاطِرُهُ في مُقْعَدٍ لمَشى * أو جاهِلٍ لَصَحَا أو أَخْرَسٍ خَطَبَا

والمتنبي أولى بهذا الوصف.

إِنْ رَامَ نَظْمًا قَامَتِ الْمَبَانِي ٣٠٨ مُجِيبَةً وَلَبَّتِ الْمَعَانِي

مِنْ شِعْرِهِ السَّائِرِ بَيْنَ الْأُمَمِ: ٣٠٩ (لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ إِلَّا بِالدَّمِ)

هنا سيشير إلى أربعة وعشرين بيتًا هي من سائر شعر المتنبي. والمتنبي أجرى الشعراء لسانًا بحكمة سائرة، ومثل شرود تتعاقبه الأجيال.

(لا يسلم الشرف إلا بالدم): الأول:

[الكامل]

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفيعُ مِن الأذى * حتى يُراقُ على جَوانبِهِ الدَّمُ

يقول ابن جني –وهو من خواصِّ المتنبي قرأ عليه كثيرًا من شعره، وكان المتنبي يقول: ابن جنِّي أعلم بشعري مِنِّي– يقول عن هذا البيت: **"أشهد بالله لو لم يقل المتنبي إلا هذا؛ لكان أشعرَ الشُّعراء المُجِيدين، ولكان له أن يتقدَّم عليهم"**.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى..: يعني لا يسلم للشريف شرفه من أذى المُعادين له حتى يَسُلَّ عليهم سيفه فيُهاب حينئذٍ، ولا يتعرَّض له أحد.

(إِنْ سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَ الظَّنُّ) ٣١٠ (إِنْ عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْخِدْنُ)

(إن ساء فعل المرء ساء الظن): الثاني قوله:

[الطويل]

إذا ساءَ فِعلُ المرءِ ساءتْ ظُنونُهُ * وصَدَّقَ ما يَعتادُهُ مِن تَوَهُّمِ

(إن عظم المطلوب قلَّ الخدن): الثالث قوله:

[الطويل]

وَحِيدٌ مِن الخُلَّانِ في كلِّ بَلْدَةٍ * إذا عَظُمَ المَطْلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

(لَمْ أَرَ فِي عُيُوبِهِمْ) (لَا تَعْذُلِ) ٣١١ (لَيْسَ التَّكَحُّلُ كَمِثْلِ الكَحَلِ)

(لم أر في عيوبهم): الرابع قوله:

[الوافر]

عَجِبتُ لِمَن لهُ قَدٌّ وحَدٌّ * ويَنْبُو نَبْوَةَ القَضِمِ الكَهامِ
ومَن يَجدُ الطَّريقَ إلى المَعالي * فلا يَذَرُ المَطِيَّ بلا سَنامِ
ولم أرَ في عُيوبِ النَّاسِ عَيبًا * كنَقْصِ القادِرينَ على التَّمامِ

ومن اللطيف ما ذكره الأستاذ: عبدالوهاب عزَّام –وقد اعتنى بديوان المتنبي تصحيحًا وتعليقًا- ذكر في كتابه (الشَّوارِد): أنه صلَّى مع صاحب له مرَّةً فاقتصر صاحبه على الفرض ولم يُصلِّ السُّنَّة فأنشده بيت المتنبي هذا. قال فكان يقول لي من بعد: "كلما هممتُ بترك السُّنَّة تذكَّرت بيت صاحبك فصليتها". لعلها تكون في ميزان حسنات المتنبي.

(لا تعذلِ): الشاهد الخامس قوله:

[الكامل]

لا تَعذُلِ المُشْتاقَ في أَشْواقِهِ * حتى يكونَ حَشاكَ في أحْشائهِ

(ليس التكحُّل كمثل الكَحَلِ): الشاهد السادس قوله:

[البسيط]

لأنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لا تَكَلَّفُهُ * ليس التَّكَحُّلُ في العَيْنَينِ كالكَحَلِ

(تَجْرِي الرِّيَاحُ) (إِنْ تَفُقْ) (فِي طَلْعَةِ) ٣١٢ (لَوْلَا الْـمَـشَـقَّـةُ) (أَتَـتْ مَـذَمَّتِي)

(تجري الرِّياح): السابع قوله:

[البسيط]

ما كُلُّ ما يَتمنَّى المرءُ يُدْرِكُهُ * تَجري الرِّياحُ بما لا تَشْتَهي السُّفُنُ

(إن تفُق): الثامن قوله:

[الوافر]

فإن تَفُقِ الأنامَ وأنتَ مِنهُمْ * فإنَّ المِسْكَ بعضُ دَمِ الغَزالِ

(في طلعة): التاسع قوله:

[البسيط]

خُذْ ما تَراهُ ودَعْ شيئًا سَمِعْتَ بِهِ * في طَلْعَةِ البَدْرِ ما يُغْنيك عن زُحَلِ
وقد وَجدتَ مَجالَ القَولِ ذا سَعَةٍ * فإن وَجدتَ لِسانًا قائلًا فَقُلِ

(لولا المشقَّة): العاشر قوله:

[البسيط]

لولا المَشَقَّةُ سادَ النَّاسُ كلُّهُمُ * الجُودُ يُفْقِرُ والإقْدامُ قَتَّالُ

(أتت مذمَّتي): الحادي عشر قوله:

[الكامل]

وإذا أَتَتْكَ مَذَمَّتي مِن ناقِصٍ * فهِيَ الشَّهادَةُ لي بأنَّي كامِلُ

وقد جرت قصة مع هذا البيت بين المَعَرِّيّ والشَّريف المُرْتَضى؛ التقى المعري مرَّة بالشريف المرتضى -وكان الشريف المرتضى يذُمُّ المتنبي ويكثر الوَقِيعَة فيه، أما أبو العلاء فكان مُتعصِّبًا للمتنبي ويقول هو أشعر المُحدثين، ويُفضِّله على بشَّار، وأبي نُواس، وأبي تمَّام؛

حتى إنه سمَّى أحد شرحيه لديوان المتنبي: (مُعْجِزَ أحمد)- فالتَقَيا في مجلس جرى فيه ذكر المتنبي، فتنقَّصه المرتضى وجعل يتتبَّع عيوبه؛ فقال المعرِّي: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله: ***لكِ يا مَنازلُ في القلوبِ مَنازِلُ*** لكفاه فضلا؛ فغضب المرتضى، وأمر به فسُحِب برجله وأُخرج من مجلسه. وقال لجلسائه: أتدرون ماذا أراد هذا الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبي ما هو أجود منها! فقالوا: النَّقيب السَّيد أعرف -أي: أنت أعرف- فقال: أراد قوله في هذه القصيدة: **وإذا أتتكَ مذمَّتي من ناقصٍ * فهي الشَّهادةُ لي بأني كاملُ**

(إِطْـرَاقُ طَـرْفٍ) (وَمِـنَ البَلِيَّـةِ) ٣١٣ (ذُو العَقْلِ يَشْقَى) (مَا لِجُرْحِ مَيِّتِ)

(إطراق طَرْفٍ): الثانيَ عشر قوله:

[الطويل]

وإطْراق طَـرْفِ العَينِ ليس بِنافِعٍ * إذا كان طرفُ القَـلْبِ ليس بِمُطْرِقِ

(ومن البليَّة): الثالث عشر قوله:

[الكامل]

ومِن البَلِـيَّةِ عَـذْلُ مَن لا يَـرْعَوِي * عن غَـيِّـهِ وخِطـابُ مَن لا يَـفْـهَمُ

(ذو العقل يشقى): الرابع عشر قوله:

[الكامل]

ذو العَقْلِ يَـشْقَى في النَّعيمِ بِـعَقْلِهِ * وأَخُـو الجَـهالَـةِ في الشَّـقاوَةِ يَـنْـعَمُ

(ما لجرح ميِّت): الخامس عشر قوله:

[الخفيف]

مَن يَـهُـنْ يَـسْـهُـلِ الـهَـوانُ عـليـهِ * مـا لِـجُـرْحٍ بِـمَـيِّـتٍ إيـلامُ

(مَنْ لَـكَ بِالحُرِّ الَّذِي) (فَلْيُسْـعِدِ) ٣١٤ (وَضْعُ النَّدَى) (مَا الحُسْنُ فِي) (مِنْ نَكَدِ)

(من لك بالحرِّ الذي): السادس عشر قوله:

[الطويل]

ومـا قَتَلَ الأحرارَ كالعفْوِ عنهُمُ * ومَن لكَ بالحُرِّ الذي يَحْفَظُ اليَدا

(فليُسعد): السابع عشر قوله:

[البسيط]

لا خَيْلَ عـندكَ تُهْدِيها ولا مالُ * فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إن لم تُسْعِدِ الحالُ

(وضع النَّدى): الثامن عشر قوله:

[الطويل]

ووَضْعُ النَّدى في مَوضِعِ السَّيفِ بالعُلا * مُضِرٌّ كَوَضْعِ السَّيفِ في مَوْضِعِ النَّدى

(ما الحُسن في): التاسع عشر قوله:

[الطويل]

وما الحُسْنُ في وَجْهِ الفتى شَرَفًا له * إذا لـم يكُنْ في فِعْلِهِ والخلائقِ

(من نكد): العشرون قوله:

[الطويل]

ومِن نَكَدِ الدُّنيا على الحُرِّ أن يَرى * عَـدُوًّا لـهُ مـا مِـن صَداقَتِهِ بُـدُّ

(لَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ) (أُحْمِدَ الصَّمَمْ) ٣١٥ (بِذَا قَضَتْ) (وَالمَجْدُ عُوفِيْ وَالكَرَمْ)

(لا بُدَّ دون الشَّهد): الحادي والعشرون قوله:

[الطويل]

تُرِيدِينَ لُقْيانَ المَعالي رَخيصَةً * ولا بُدَّ دونَ الشَّهْدِ مِن إبَرِ النَّحْلِ

(أُحمِدِ الصَّممِ): الثاني والعشرون قوله:

[البسيط]

لا تَطْلُبَنَّ كريمًا بعدَ رُؤيَتِهِ * إنَّ الكِرامَ بِأسْخاهُمْ يَدًا خُتِمُوا
ولا تُبالِ بِشِعْرٍ بعدَ شاعِرِهِ * قد أُفْسِدَ القولُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

(بِذا قَضت): الثالث والعشرون قوله:

[الطويل]

بِذا قَضَتِ الأيّامُ ما بينَ أهلِها * مَصائبُ قَومٍ عندَ قَومٍ فَوائدُ

(والمجد عُوفي والكرم): الرابع والعشرون قوله:

[البسيط]

المَجْدُ عُوفِيَ إذْ عُوفِيتَ والكَرَمُ * وزالَ عنكَ إلى أعدائكَ السَّقَمُ

لَهُ مِنَ القَلَائِدِ الجِيَادِ: ٣١٦ (وَاحَرَّ قَلْبَاهُ) (هَوَاكَ بَادِ)

له من القلائد الجياد: جعل شعر المُتنبي في حسنه كالقلائد، والقلائد جمع قِلادة، وهي ما تجعله المرأة حول عُنُقِها تتزيَّنُ به. وهذا مأخوذ من المتنبي نفسه فإنه شبَّه شعره بالقلائد في قوله:

[الطويل]

وما الدَّهرُ إلا مِن رُواةِ قَلائدِي * إذا قُلتُ شِعرًا أصبحَ الدَّهرُ مُنْشِدا

(واحر قلباه): للمتنبي قصة مع ابن خالوَيه النَّحْويّ حصلت في مجلس سيف الدَّولة، وذلك أنه جرت مسألة في اللغة تكلَّم فيها ابن خالويه مع أبي الطَّيِّب اللُّغوي والمتنبي ساكت، فقال له سيف الدَّولة: ألا تتكلَّم؟ فتكلم المتنبي بما قوَّى حُجَّة أبي الطَّيب وضعَّف قول ابن خالويه؛ فغضب ابن خالويه وأخرج من كُمِّه مفتاحًا من حديد فضرب به وجه المُتنبي، فأسال دمه على وجهه وثيابه، فنظر المتنبي إلى سيف الدولة ينتظر منه أن ينتصِر له وهو في مجلسه، فلمَّا لم يرَ من سيف الدولة انتصارًا له خرج مغضَبًا، وعلم أن الوِشاية قد بلغت مبلغها.

وكان هذا أحد أسباب فراقه سيف الدولة، وأنشد قبل فراقه قصيدته العجيبة التي ألَّفت أشتات المشاعر، فيها المشاعر المُتضارِبة؛ الغضب والرِّضى، والحبُّ والبُغض، والرَّغبة في الإقامة والعزم على الرَّحيل، وهي من مختار شعر المتنبي، يقول فيها:

[البسيط]

وَاحَـرَّ قَلْبَـاهُ مِمَّـن قَلْبُـهُ شَبِـمُ * ومَـن بِـجِسْمِي وحَالِـي عِنـدَهُ سَقَمُ
مَالِـي أُكَـتِّمُ حُبًّا قـد بَـرَى جَسَـدِي * وَتَـدَّعِي حُـبَّ سَـيفِ الدَّوْلَـةِ الأُمَـمُ
إن كَـانَ يَـجْمَعُنَـا حُـبٌّ لِغُرَّتِـهِ * فَلَيـتَ أَنَّـا بِقَـدْرِ الـحُبِّ نَقْتَسِـمُ
قـد زُرْتُـهُ وَسُـيُوفُ الـهِندِ مُغْمَـدَةٌ * وقَـد نَظَـرْتُ إِلَيـهِ وَالسُّـيُوفُ دَمُ
فَكَـانَ أَحسَـنَ خَلْـقِ اللهِ كُلِّهِـمُ * وكان أَحْسَنَ مَا فِـي الأَحْسَنِ الشِّيَمُ
يا أَعْـدَلَ النَـاسِ إلَّا فِي مُعَامَـلَتِي * فِيكَ الخِصَامُ وَأَنتَ الـخَصْمُ والحَكَمُ
أُعِـيذُهَا نَظَـرَاتٍ مـنكَ صَادِقَةً * أَن تَـحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَن شَحْمُـهُ وَرَمُ
ومـا انتِـفَـاعُ أَخِي الدُّنيَـا بِنَاظِرِهِ * إذا اسْتَـوَتْ عِنـدَهُ الأَنـوَارُ وَالظُّلَـمُ
أنا الذي نَظَـرَ الأَعْـمَى إلى أَدَبِـي * وَأَسْـمَعَتْ كَلِمَاتِـي مَـن بِـهِ صَـمَمُ
أَنَـامُ مِـلْءَ جُفُـونِي عن شَوَارِدِهَـا * ويَسْـهَـرُ الـخَلْـقُ جَرَّاهَا ويَـخْتَصِمُ

وفيها يقول:

إذا رَأَيتَ نُيُوبَ اللَّيثِ بَارِزَةً ❋ فَلا تَظُنَّنَّ أنَّ اللَّيثَ يَبْتَسِمُ

وفيها يقول:

الخَيلُ وَاللَّيلُ وَالبَيْدَاءُ تَعرِفُنِي ❋ والحَرْبُ وَالضَّربُ والقِرْطَاسُ
صحِبْتُ فِي الفَلَواتِ الوَحْشَ مُنفَرِدًا ❋ حتى تَعَجَّبَ مِنِّي القُورُ والأَكَمُ
يَا مَن يَعِزُّ عَلَينَا أَن نُّفَارِقَهُم ❋ وِجْدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
ما كانَ أَخْلَقَنَا مِنكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ❋ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمُ مِنْ أَمْرِنَا أَمَمُ
إن كانَ سَرَّكُمُ ما قَالَ حَاسِدُنَا ❋ فَمَا لِجُرْحٍ إذا أَرْضَاكُمُ أَلَمُ
لَئِن تَرَكْنَا ضُمَيرًا عن مَيَامِنِنَا ❋ لَيَحْدُثَنَّ لِمَن ودَّعْتُهُمْ نَدَمُ

وهذا الذي حصل ندم سيف الدولة بعد ذلك، وكتب إلى المتنبي يطلب منه أن يرجع، لكن المتنبي لم يرجع. يقول فيها:

إذا تَرَحَّلْتَ عن قَومٍ وقد قَدَرُوا ❋ أَلَّا تُفَارِقَهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمُ

وفيها يقول:

بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشِّعْرَ زِعْنِفَةٌ ❋ تَجُوزُ عِندَكَ لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ
هَذَا عِتَابُكَ إلَّا أَنَّهُ مِقَةٌ ❋ قَد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلَّا أَنَّهُ كَلِمُ

(هواك باد): قال المتنبي يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد لما ورد عليه بأَرَّجان:

[الكامل]

بادٍ هَواكَ صَبَرْتَ أم لم تَصْبِرا ❋ وبُكاكَ إن لَم يَجْرِ دَمعُكَ أو جَرى

ويقول فيها:

قَطَفَ الرِّجالُ القَولَ وقتَ نَباتِهِ ❋ وقَطَفتَ أنتَ القَولَ لمَّا نَوَّرا

ويُروى: "قطف الرِّجالُ القولَ قبل تمامه" يقول: أقوال الناس كالثمرة تُقطَف قبل تمامها وإدراكها، أما أنت فقولك قد بلغ الغاية في الحُسن والكمال. يقول:

مَن مُبلِغُ الأعرابِ أَنّي بَعدَها * شاهَدتُ رَسطالِيسَ والإسكَنْدَرا
وسَمِعتُ بَطْلِيمُوسَ دارِسَ كُتبِهِ * مُتَمَلِّكًا مُتَبَدِّيًا مُتَحَضِّرًا
ولَقِيتُ كُلَّ الفاضِلينَ كأنَّما * رَدَّ الإلَهُ نُفوسَهُمْ والأعْصُرا

يقول: إنه لما رأى ابن العميد كأنه رأى هؤلاء كلَّهم.

(الرَّأْيُ أَوَّلُ) (مَلُومُكَ) (فِدَى) ٣١٧ (لَا خَيْلَ عِنْدَكَ) وَ(مَا تَعَوَّدَا)

(الرأي أول): قال يمدح سيف الدَّولة مُنْصَرَفَه من غزو الرُّوم:

[الكامل]

الرَّأيُ قبلَ شَجاعَةِ الشُجعانِ * هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني
فإذا هُما اجتَمَعا لِنَفسٍ مِرَّةٍ * بَلَغَتْ مِن العَلياءِ كُلَّ مكانِ
ولَرُبَّما طَعَنَ الفَتى أَقرانَهُ * بالرَّأيِ قبلَ تَطاعُنِ الأَقْرانِ

فإذا هما اجتمعا لنفس مِرَّة: ويُروى (حُرَّةٍ).

(ملومك): قال المتنبي يذكر الحُمَّى التي كانت تغشاه بمصر ويُعرِّض بالرحيل عنها:

[الوافر]

مَلومُكُما يَجِلُّ عنِ المَلامِ * ووَقعُ فَعالِهِ فوقَ الكَلامِ

إلى أن قال يذكر الحُمَّى:

وَزائِرَتي كأَنَّ بها حَياءً * فليس تَزورُ إلا في الظَّلامِ
بَذَلتُ لها المَطارِفَ وَالحَشايا * فَعافَتها وباتَت في عِظامي
أَبِنتَ الدَّهرِ عِندي كُلُّ بِنتٍ * فكيفَ وَصَلْتِ أنتِ مِنَ الزِّحامِ

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لم يَبقَ فيهِ * مكانٌ لِلسُّيُوفِ ولا السِّهامِ
يقولُ ليَ الطَّبيبُ أكَلتَ شَيئًا * وداؤُكَ في شَرابِكَ والطَّعامِ
وما في طِبِّهِ أنّي جَوادٌ * أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طولُ الجِمامِ
تَعَوَّدَ أن يُغَبِّرَ في السَّرايا * ويَدْخُلَ مِن قَتامٍ في قَتامِ

يقول: يظن الطَّبيب أن سبب دائي هو الأكل والشرب، فيقول: أكلتَ كذا مما يضرّ. وليس في طبِّه أن الذي أضرّ بجسمي هو طول لُبثي وقعودي عن الأسفار؛ كالفرس الجواد طول قيامه في المَرابِط يَضرُّ بجسمه فيضعف، ويفتر.

(فِدى): هذه قصيدة قالها يودِّع عَضُدَ الدَّولة وهي آخر ما قال، قال:

[الوافر]

فِدًى لكَ مَن يُقَصِّرُ عَن مَداكا * فَلا مَلِكٌ إذَن إلّا فَداكا
ولَو قُلنا فِدًى لَكَ مَن يُساوِي * دَعَونا بِالبَقاءِ لِمَن قَلاكا

يقول فيها:

أَرُوحُ وقد خَتَمتَ على فُؤادي * بِحُبِّكَ أن يَحِلَّ بِهِ سِواكا
وقد حَمَّلتَني شُكرًا طَويلًا * ثَقيلًا لا أُطيقُ بِهِ حَراكا
ولَو أنّي استَطَعتُ خَفَضتُ طَرفي * فلَم أُبصِر بِهِ حتى أَراكا
إذا اشتَبَهَتْ دُمُوعٌ في خُدُودٍ * تَبَيَّنَ مَن بَكى مِمَّن تَباكى

(لا خيل عندك): هذه قصيدة قالها يمدح فاتِكًا أبا شُجاع، وكان قد وصل أبا الطيب وحمل إليه هديَّة عظيمة؛ فقال المتنبي يثني عليه ويشكره:

[البسيط]

لا خَيلَ عِندَكَ تُهدِيها ولا مالُ * فَليُسعِدِ النُّطقُ إن لَم تُسعِدِ
واجْزِ الأميرَ الذي نُعْمَاهُ فاجِئَةٌ * بِغَيرِ قَولٍ ونُعْمَى النَّاسِ أَقوالُ

وما شَكَرتُ لأنَّ المـالَ فَرَّحَني * سِيَّانَ عنـديَ إكثـارٌ وإقْـلالُ
لكنْ رأيتُ قَبيحـًا أن يُجادَ لَنا * وأنَّنا بِـقَضاءِ الحَـقِّ بُـخَّـالُ
لا يُدرِكُ المَجدَ إلا سَيِّـدٌ فَطِنٌ * لِما يَشُقُّ على السَّاداتِ فَعَّـالُ

ثم قال يصف أبا شجاع:

تَمَلَّكَ الحَمْدَ حتى ما لِمُفْتَخِرٍ * في الحَمدِ حاءٌ ولا مِيمٌ ولا دالُ
وقد أطـالَ ثَنـائي طولُ لابِسِهِ * إنَّ الثَّنـاءَ على التِّنْبالِ تِنْبالُ

وفيها قوله:

لولا المَشَقَّةُ سادَ النَّاسُ كـلُّهُمُ * الجُودُ يُفْقِرُ والإقْـدامُ قَتَّـالُ

و (ما تعوَّدا): قال المتنبي يمدح سيف الدولة ويُهنِّئه بعيد الأضحى، وقد أنشده هذه القصيدة وهما على فرسيهما، قال:

[الطويل]

لِكُـلِّ امرِئٍ مِن دَهرِهِ مـا تَـعَوَّدا * وعادَةُ سَيفِ الدَّولَةِ الطَّعْنُ في العِـدا
وما قَـتَلَ الأحـرارَ كالعَفـوِ عَـنهُمُ * ومَن لكَ بِالحُـرِّ الذي يَحـفَظُ اليَدا
إذا أنتَ أكـرَمتَ الكـريـمَ مَلَكـتَـهُ * وإن أنتَ أكـرَمْتَ اللَّـئيـمَ تَـمَرَّدا
ووَضْعُ النَّدى في مَوضِعِ السَّيفِ بِالعُلا * مُضِرٌّ كوَضعِ السَّيفِ في مَوضِعِ النَّدى
ولكنْ تَفوقُ النَّاسَ رَأيًـا وحِكمَـةً * كما فُقتَهُم حـالًا ونَفْـسًا وَمَحْتِـدا

يقول:

ومـا الدَّهـرُ إلّا مِن رُواةِ قَـلائِدي * إذا قُلتُ شِعرًا أَصبحَ الدَّهرُ مُنْشِـداً
فَسـارَ بِـهِ مَن لا يَسيرُ مُشَمِّـرًا * وغَنَّى بِـهِ مَن لا يُغَنِّي مُغَـرِّدا
وقَـيَّدتُ نَفسي في ذَراكَ مَحَبَّـةً * ومَن وَجَدَ الإحسـانَ قَيـدًا تَقَيَّـدا

وما الدهر إلا من رواة قلائدي: وصدق نحن الآن نُنشد شعره بعد إنشاده له بأكثر من عشـرة

قرون. وكانت عادة المتنبي ألّا يُنشد سيف الدولة إلا قاعدًا، فقال بعض الحاضرين -يريد أن يكيد المتنبي- لو أنشدها قائمًا لأسمع فإن أكثر الناس لا يسمعون، فقال أبو الطيب: أما سمعت قولي في أولها: **لكلِّ امرئ من دهره ما تعوَّدا!** وهذا من مُسْتَحْسَنِ الأجوبة.

(غَامَرْتَ) (مَا لَمْ يَبْقَ) (مِثْلِي يَأْرَقُ) ٣١٨ (بِقَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ) شِعْرٌ مُورِقُ

(غامرت): يقول المتنبي:

[الوافر]

إذا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ * فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الموتِ في أَمْرٍ صَغِيرٍ * كَطَعْمِ الموتِ في أَمْرٍ عَظِيمِ

يقول:

يَرى الجُبَنَاءُ أنَّ العَجزَ عَقلٌ * وتلكَ خَديعَةُ الطَّبعِ اللَّئيمِ
وكُلُّ شَجاعَةٍ في المَرءِ تُغني * ولا مِثلَ الشَّجاعَةِ في الحَكيمِ
وكمْ مِن عائِبٍ قَولًا صَحيحًا * وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ
ولكنْ تَأخُذُ الآذانُ مِنْهُ * على قَدْرِ القَرائحِ والعُلومِ

(ما لم يبق): قال المتنبي يمدح سيف الدولة، ويذكر الفِداء الذي طلبه رسول ملك الرُّوم، ويذكر كتابه إليه:

[الطويل]

لِعَينَيكِ ما يَلقَى الفُؤادُ وما لَقي * ولِلحُبِّ ما لَم يَبْقَ مِنِّي وما بَقي
وما كُنتُ مِمَّنْ يَدخُلُ العِشقُ قَلبَهُ * ولكِنَّ مَن يُبصِرْ جُفُونَكِ يَعشَقِ
وبينَ الرِّضا والسُّخطِ والقُرْبِ والنَّوَى * مَجالٌ لِدَمْعِ المُقْلَةِ المُتَرَقْرِقِ
وأَحلى الهَوى ما شَكَّ في الوَصلِ رَبُّهُ * وفي الهَجْرِ فَهْوَ الدَّهْرَ يُرجو ويَتَّقِي
وما كُلُّ مَن يَهْوَى يَعِفُّ إذا خَلا * عَفافِي ويُرْضِي الحِبَّ والخَيلُ تَلتَقِي

ثم تخلَّص من الغزل إلى مدح سيف الدولة تخلُّصًا يُعجب أهل البديع، قال:

نُـوَدِّعُـهُـمْ والبَـيْـنُ فِـينَا كـأنَّـهُ * قَـنا ابنِ أبي الهَيْجاءِ في قَلْبِ فَيلَقِ
قَواضٍ مَواضٍ نَسْجُ داوُودَ عِندَها * إذا وَقَعَتْ فيهِ كَنَسْجِ الخَدَرْنَقِ
هَـوادٍ لِأَمـلاكِ الجُـيـوشِ كـأنَّـها * تَخَـيَّـرُ أَرْواحَ الكُـمـاةِ وتَـنْتَقِي
تَـقُـدُّ عـلـيـهِم كُلَّ دِرعٍ وجَـوْشَـنٍ * وتَـفْـرِي إلَـيـهِـمْ كُلَّ سُورٍ وخَندَقِ
فَـلا تُـبلِـغـاهُ مـا أَقـولُ فـإنَّـهُ * شُجـاعٌ متى يُذكَرْ لَهُ الطَّعنُ يَشْتَقِ

إلى أن قال:

وإطْـراقُ طَـرْفِ العَينِ ليس بنافِعٍ * إذا كان طَرْفُ القَلْبِ ليس بِمُطْرِقِ
فَـيا أيُّـهـا المَطْلُوبُ جاوِرهُ تَمْتَنِعْ * وَيا أيُّـهـا المَحْـرومُ يَـمِّـمْـهُ تُـرْزَقِ
وَيا أَجْبَنَ الفُرْسانِ صاحِبْهُ تَجْتَرِئْ * وَيا أَشْجَعَ الشُّجْعانِ فارِقْهُ تَفْرَقِ
إذا سَعَتِ الأعـداءُ في كَـيـدِ مَجْدِهِ * سَعى جَـدُّهُ في كَيدِهِمْ سَعيَ مُحْنَقِ
وما يَنْصُرُ الفَضْلُ المُبينُ على العِدا * إذا لَم يَكُنْ فَضلَ السَّعيدِ المُوَفَّقِ

(مثلي يأرَقُ): قال المتنبي في صباه:

[الكامل]

أَرَقٌ عـلى أَرَقٍ ومِـثْـلِـيَ يَـأْرَقُ * وجَـوًى يَـزِيـدُ وعَـبْـرَةٌ تَتَرَقْرَقُ
جُـهْـدُ الصَّبابَةِ أن تكونَ كما أُرى * عَـيـنٌ مُسَـهَّـدَةٌ وقَلْبٌ يَخْـفِـقُ
مـا لاحَ بَـرقٌ أو تَـرَنَّـمَ طـائِـرٌ * إلا انْثَنَيتُ وَلي فُـؤادٌ شَـيِّـقُ
جَرَّبتُ مِـن نـارِ الهَوى ما تَنطَفي * نـارُ الغَضى وتَـكِـلُّ عـمَّـا تُـحْـرِقُ
وعَـذَلْـتُ أَهـلَ العِشْقِ حتى ذُقتُـهُ * فَعَجِبتُ كيفَ يَموتُ مَن لا يَعْشَقُ
وعَـذَرْتُـهُـمْ وعَـرَفـتُ ذَنـبيَ أَنَّني * عَـيَّـرتُـهُـمْ فَـلَقِيتُ فيهِ مـا لَقُوا
أَبَـنِي أَبِـيـنَـا نَـحـنُ أَهْـلُ مَـنـازِلٍ * أَبَـدًا غُرابُ البَيْنِ فـيـهـا يَـنْـعِـقُ
نَبكِي على الدُّنيا وما مِن مَعْشَـرٍ * جَمَعَتْهُمُ الدُّنـيـا فـلَـمْ يَـتَـفَـرَّقُـوا

أينَ الأكاسِرَةُ الجَبابِرَةُ الأُلى * كَنَزوا الكُنوزَ فما بَقِينَ ولا بَقُوا
مِن كُلِّ مَن ضاقَ الفَضاءُ بِجَيشِهِ * حتى ثَوَى فَحَواهُ لَحْدٌ ضَيِّقُ
خُرْسٌ إذا نُودُوا كأن لم يَعْلَموا * أنَّ الكلامَ لهُمْ حَلالٌ مُطلَقُ
والمَوتُ آتٍ والنُفوسُ نَفائِسٌ * والمُسْتَغِرُّ بما لَدَيهِ الأحْمَقُ

إلى أن قال:

أمَّا بَنو أَوسِ بنِ مَعنِ بنِ الرِّضا * فأَعَزُّ مَن تُحْدَى إليهِ الأيْنُقُ
كَبَّرتُ حَولَ دِيارِهِمْ لمَّا بَدَتْ * منها الشُّموسُ وليس فيها المَشْرِقُ
وعَجِبْتُ مِن أَرضٍ سَحابُ أَكُفِّهِمْ * مِن فَوقِها وصُخُورُها لا تُورِقُ
وتَفُوحُ مِن طِيبِ الثَّناءِ رَوائِحٌ * لَهُمْ بِكُلِّ مَكانَةٍ تُسْتَنْشَقُ
مِسْكِيَّةُ النَّفَحاتِ إلا أَنَّها * وَحْشِيَّةٌ بِسِواهُمُ لا تَعْبَقُ
أَمُريدَ مِثلَ مُحَمَّدٍ في عَصرِنا * لا تَبْلُنا بِطِلابِ ما لا يُلحَقُ
لم يَخْلُقِ الرَّحمَنُ مِثلَ مُحَمَّدٍ * أبدًا وظَنِّي أنَّه لا يَخْلُقُ
يا ذا الذي يَهَبُ الجَزيلَ وعِندَهُ * أنِّي عليهِ بِأَخذِهِ أَتَصَدَّقُ
أَمطِرْ عَلَيَّ سَحابَ جُودِكَ ثَرَّةً * وانظُرْ إليَّ بِرَحمَةٍ لا أَغرَقُ

(بقدر أهل العزم) شعر مورق: قال المتنبي يمدح سيف الدولة:

[الطويل]

على قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ * وتَأتي على قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وتَعظُمُ في عَينِ الصَّغيرِ صِغارُها * وتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ
هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها * وتَعلَمُ أيَّ السَّاقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتْها الغَمامُ الغُرُّ قبلَ نُزولِهِ * فلمَّا دَنا مِنها سَقَتْها الجَماجِمُ
بَناها فَأعلى والقَنا تَقْرَعُ القَنا * ومَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ
وكانَ بها مِثلُ الجُنونِ فأصبَحَتْ * ومِن جُثَثِ القَتلى عليها تَمائِمُ

ومن لطيف ما فيها قوله يخاطب سيف الدولة:

إذا كان ما تَنْويهِ فِعلًا مُضارِعًا * مَضى قبلَ أن تُلْقَى عليهِ الجَوازِمُ

يقول فيها:

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ * كأنَّكَ في جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِمُ
تَمُرُّ بِكَ الأبطالُ كَلْمَى هَزيمَةً * ووَجهُكَ وَضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ

سَمْحُ القَرِيحَةِ طَلِيقُ المِفْصَلِ ٣١٩ (وَمَنْزِلٍ لَيْسَ لَنَا بِمَنْزِلِ)

المِفصَل: بكسر الميم وفتح الصاد؛ اللسان. والمَفْصِل: بفتح الميم وكسر الصاد؛ واحد مَفَاصِل الأعضاء. دخل المتنبي يومًا على أبي عليّ الأُوراجي، فقال له أبو علي: وَدِدْنا يا أبا الطيب لو كنت معنا، فقد ركبنا ومعنا كلب فصدنا به ظبيًا. فقال المتنبي: أنا قليل الرَّغبة في مثل هذا. فقال أبو علي: إنما اشتهيتُ أن تراه فتستحسنه فتقول فيه شيئًا من الشِّعر. فقال المتنبي: أنا أفعل. أفتحبُّ أن يكون الآن؟ قال أبو علي: أيكون مثل هذا؟! قال: نعم، وقد حكَّمتك في الوزن والقافية. قال أبو علي: لا، بل الأمر فيهما إليك. فأخذ أبو الطيب ناحية وأخذ أبو علي ناحية أخرى يكتب فيها كتابًا، فقطع عليه أبو الطيب الكتاب وأنشده قصيدته هذه التي مطلعها:

[مشطور الرجز]

ومَنْزِلٍ ليس لَنا بِمَنزِلِ * ولا لِغَيرِ الغادِياتِ الهُطَّلِ
نَدي الخُزامى ذَفِرِ القَرَنْفُلِ * مُحَلَّلٍ مِلْوَحْشِ لَم يُحَلَّلِ

إلى أن قال يصف كلب الصيد:

يكادُ في الوَثْبِ مِن التَّفَتُّلِ * يَجمَعُ بينَ مَتْنِهِ والكَلْكَلِ
وبينَ أعْلاهُ وبينَ الأسْفَلِ * شَبيهُ وَسْمِيِّ الحِضارِ بالوَلي
فَانْبَرَيا فَذَّينِ تحتَ القَسْطَلِ * قد ضَمِنَ الآخَرُ قَتلَ الأوَّلِ

فِي هَبْوَةٍ كِلاهُما لَم يَذْهَلِ * لا يَأْتَلي في تَركِ أن لا يَأْتَلي
مُقْتَحِمًا على المكانِ الأهْوَلِ * يَخالُ طُولَ البَحرِ عرضَ الجَدْولِ
حتى إذا قيلَ لهُ نِلْتَ افْعَلِ * افتَرَّ عن مَذْرُوبَةٍ كالأنْصُلِ
فَحالَ ما لِلقَفْزِ لِلتَّجَدُّلِ * وصارَ ما في جِلْدِهِ في المِرْجَلِ
فلمْ يَضِرْنا مَعْهُ فَقْدُ الأجْدلِ * إذا بَقيتَ سالِمًا أبا عَلي

فالمُلْكُ لِلَّهِ العَزيزِ ثُمَّ لِي

يجمع بين متنه والكلكل: يعني يكاد يجمع بين ظهره وصدره من سرعته ولين أعطافه. **فانبريا**: أي الظبي والكلب. **القسطل**: الغبار. **قد ضمن الآخر قتل الأول**: ضمن الكلب قتل الظبي. **الهبوة**: الغَبَرة. **لا يأتلي في ترك أن لا يأتلي**: لا يقصِّر في ترك التقصير. **مقتحمًا على المكان الأهول**: أي إن الكلب في وُثوبه وسرعة عدوه لا يبالي بما يستقبله من هول، فهو يقتحم الأهوال حتى لو استقبله بحر لظنَّه جَدْولًا فوثب إلى الشَّطِّ الآخر كما يثب إذا قطع عرض الجدول. **حتى إذا قيل له نلت افعل**: حتى إذا دنا الكلب من الصيد، وقيل له بلسان الحال: أدركت الظبي فافعل ما تريد فعله. **افتر عن مذروبة كالأنصل**: يعني كَشَّرَ عن أنيابٍ مُحدَّدة كأنها نِصال السُّيوف. **فحال ما للقفز للتَّجدُّل**: يعني انقلبت قوائم الظبي التي هي للقفز فصارت ساقطة على الجدالة. والجدالة؛ الأرض. **وصار ما في جلده في المرجل**: صار لحم الظبي في المِرْجَل. والمرجل؛ القِدْر. **فلم يضرنا معه فقد الأجدل**: الأجدل؛ الصقر. يقول: مع وجود هذا الكلب لا يضيرُنا فقدان الصقر؛ لأنه يفعل فعل الصقر.

الشاهد أن نظمه هذه الأرجوزة التي يصف فيها هذا الصيد الذي لم يحضره دليل على ما ذكره في الشطر الأول من أنه: سمح القريحة طليق المِفصل.

مِنْ شِعْرِهِ الوَاهِي الَّذِي تَهَلْهَلَا: ٣٢٠ (قَلْقَلْتُ بِالهَمِّ الَّذِي قَدْ قَلْقَلَا)

الذي تهلهلا: الذي ضَعُف، يقال تَهَلْهَلَ الثَّوبُ إذا رَقَّ حتى كاد يَبْلَى.

(قلقلت بالهمِّ الذي قد قلقلا): يقول المتنبي في قصيدة قالها في صِباه:

[الطويل]

فَقَلْقَلْتُ بالهَمِّ الذي قَلْقَلَ الحَشا * قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ

يقول حرَّكت بسبب الهم الذي حرَّك نفسي إبلًا خِفافًا في السَّير كلهنَّ خفاف، يعني أنهن خِفاف الخِفاف، وسِراع السِّراع. وقد عاب الصَّاحب بن عَبّاد المتنبي بهذا البيت، فقال: "ما له قلقل الله أحشاءه وهذه القافات الباردة". وكان الصاحب مُبغضًا للمتنبي، وله كتاب (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي).

قال الثعالبي: قال لي أبو نَصْر بن المَرْزُبان: ثلاثة من رُؤساء الشعراء: شَلْشَل أحدهم، وسَلْسَل الثاني، وقَلْقَل الثالث. أما الذي شلشل؛ فالأعشى، قال:

[الطويل]

وقد غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُني * شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

الشَّاوِي: اسم فاعل من شَوى يَشْوِي. والمِشَلّ: الجَيِّدُ السَّوْقِ للإبل، وهو الخفيف. وكذلك الألفاظ بعده متقاربة تدل على معنى الخِفَّة، أراد بذكرها والجمع بينها المبالغة.

وأما الذي سلسل؛ فمُسْلِم بن الوليد، وهو أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاريّ بالوَلاء، الملقَّب: "صَرِيع الغَواني" قال:

[الكامل]

سُلَّتْ وسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُها * فَأتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسْلُولا

وأما الذي قلقل؛ فالمتنبي، وذكر بيته هذا. ثم قال: فبَلْبِل أنت أيضًا. قال الثعالبي: فقلت: أخشى أن أكون رابع الشعراء، أعني قول الشاعر:

[مشطور الرجز]

الشعراءُ فاعلَمَنَّ أربعهْ * فشاعرٌ يَجْري ولا يُجْرى مَعَهْ
وشاعرٌ يُنشِدُ وَسْطَ المَعْمَعَهْ * وشاعرٌ مِن حَقِّهِ أن تَسْمَعَهْ
وشاعرٌ مِن حَقِّهِ أن تَصْفَعَهْ

قال: ثم قلت بعد حين من الدهر:

[الكامل]

وإذا البَلابِلُ أَفْصَحَتْ بِلُغاتِها * فانْفِ البَلابِلَ باحْتِساءِ بَلابِلِ

(عِشِ ابْقَ) ذِي رُقْيَةُ مَنْ قَدْ أَدْنَفَا ٣٢٢ لَيْسَ لَـهُ أَسْخَفُ مِنْ (مَا أَنْصَفَا)

(عش ابق): للمتنبي من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويعتذر إليه مطلعها قوله:

[البسيط]

أَجابَ دَمْعِي وما الدَّاعي سِوى طَلَلِ * دَعا فَلَبَّاهُ قبلَ الرَّكْبِ والإبِلِ

ومن مختار أبياتها قوله:

وما صَبابَةُ مُشْتاقٍ على أَمَلٍ * مِن اللِّقاءِ كمُشْتاقٍ بلا أَمَلِ

وقوله:

والهَجْرُ أَقْتَلُ لي مِمَّا أُراقِبُهُ * أَنا الغَرِيقُ فما خَوْفي مِن البَلَلِ

وقوله:

لَعَلَّ عَتْبَكَ مَحْمُودٌ عَواقِبُهُ * فَرُبَّما صَحَّتِ الأجسامُ بِالعِلَلِ

يقول فيها لسيف الدولة:

أَقِل أَنِل أَقطِعِ احمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ * زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدنِ سُرَّ صِلِ

وهذا البيت فيه أربعة عشر فعلًا يقول: **أقل**: من الإقالة. **أنل**: من الإنالة وهي الإعطاء. **أقطع**: من قولهم: أَقْطَعَهُ أرضَ كذا؛ أي جعل له غَلَّتها. **واحمل**: من قولهم: حمله على فرس. **وعَلِّ**: أي ارفع جاهي، من التَّعْليَة. **وسَلِّ**: من التَّسْليَة وهي إذهاب الغمّ. **وأعِد**: أي أعدني إلى موضعي من حُسْن رأيك. **وزِد**: أي زدني من إحسانك. **وهَشَّ**: أمرٌ من قولهم: هَشَّ إلى

كذا يَهَشُّ. **وبَشَّ:** من قولهم: بَشَّ بالرجل يَبَشُّ إذا ابتسم إليه وآنسه.

ويُحكى أن سيف الدولة وقَّع تحت قوله: "أقل" قد أقلنا. وتحت قوله: "أنل" يُحمل إليه كذا وكذا من الدراهم. وتحت "أقطع": قد أعطيناك الضَّيعة الفلانية. وتحت "عَلِّ": قد رفعنا مقامك. وتحت "سلِّ": قد فعلنا؛ فاسْلُ. وتحت "أَعِدْ": قد أعدناك إلى حالك من حسن رأينا. وتحت "زِد": يُزاد كذا وكذا. وتحت "تَفَضَّل": -وهو من الإفضال- قد فعلنا. وتحت "أَدْنِ": قد أَدْنَيناك منَّا. وتحت "سُرَّ": قد سَرَرْناك. فقال المتنبي: إنما أردت من التَّسَرِّي؛ فأمر له بجارية. وتحت "صِل": قد وصلناك وسنَصِلُك. وكان بحضرة سيف الدولة حينئذ شيخ ظريف؛ فحسد المتنبي على ما أمر له به، فقال لسيف الدولة: قد أجبته إلى كل شيء سألك إيَّاه، فهلَّا وقَّعت تحت قوله: "هشَّ بشَّ" هئ هئ هئ ! -يعني حكاية الضحك- فضحك سيف الدولة وقال: ولك أيضًا ما تُحب، وأمر له بصِلَة. وأصل هذا المنهج قول امرئ القيس:

[المتقارب]

أفادَ وجادَ وسادَ وزادَ * وذادَ وقادَ وعادَ وأفْضَلْ

يقال: إن المتنبي لما فرغ من إنشاد قصيدته رآهم يستكثرون حروف هذا البيت، فقال بيتًا فيه أربعة وعشرون فعلًا، زاد على البيت الأول عشرة أفعال، قال:

[الطويل]

عِشِ ابقَ اسمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انهَ رِ فِ اسرِ نَلْ * غِظِ ارمِ صِبِ احمِ اغزُ اسبِ رُعِ زَعِ دِلِ اثنِ نُلْ
وهذا دُعاءٌ لَو سَكَتُّ كُفِيتَهُ * لأنِّي سَأَلتُ اللهَ فيكَ وقد فَعَلْ

عِش: من العيش. **ابقَ:** من البقاء. **اسمُ:** من السُّموّ وهو الارتفاع. **سُدْ:** من السِّيادة. **قُدْ:** من قَود الجيش: أي قُد الجيوش إلى أعدائك. **جُدْ:** من الجُود. **مُرْ انْهَ:** من الأمر والنَّهي، أي كن صاحب أمرٍ ونهي. **رِ:** من الوَرَى وهو داءٌ في الجوف، يريد: أَصِب رِئات أعدائك بأن توجعهم.

فِ: من الوفاء لأوليائك بالإحسان إليهم. **اسْرِ**: من سَرَى يَسْري إذا سار ليلًا، أي اسرِ إلى أعدائك بجيوشك لتستأصلهم. **نَلْ**: من النَّيْل، أي نل ما تُريد. **غِظْ**: من الغيظ أي غظ حسَّادك. **ارْمِ**: من الرَّمي، أي ارم بأسك من يكيدك ويبغضك. **صِبْ**: من صابَ السَّهم الهدف، لغة في أصاب، أي أصب أعدائك برميك. **احْمِ**: من الحماية، أي احْمِ حوزَتك. **اغْزُ**: من الغزو، أي اغز أعداءك. **اسْبِ**: من السَّبي، أي اسب أعداءك. **رُعْ**: أي أفزِع أعداءك. **زَعْ**: من وَزَعَهُ إذا رَدَعَهُ، أي اردع أعداءك. **دِ**: أي تحمل الدِّيَة عمَّن تجب عليه، **لِ**: من الولاية، أي لِ الأمصار والبُلدان محمودًا في ولايتك. **اثنِ**: من ثناه بمعنى ردَّه، أي اصرف أعداءك عن مرادهم. **نُلْ**: من ناله ينوله إذا أعطاه، أي أعط سائليك وقاصديك؛ فنَلْ: في آخر الشطر الأول من نال ينال إذا ظفِر بمطلوبه. ونُل: في آخر الشطر الثاني من نال ينُولُ إذا أعطى. وهذا البيت: (رقية العَقْرَب) كما قال ابن وكيع – نقله عنه ابن رشيق في العمدة– **ورقية العقرب**: يشبَّه بها ما لا يفهم من الكلام، قاله الثعالبي. وقد قال المتنبي لابن جني: "إنه ما قرأ عليَّ هذا البيت صحيحًا كقراءتك منذ عملته غيرك". هذا قوله: (عش ابق) ذي رقية من قد أدنفا: يقال أدنف المريض إذا ثَقُلَ ولازمه المرض، وهذه إشارة إلى ما قاله ابن وكيع.

ليس له أسخف من (ما أنصفا): هذه إشارة إلى قصيدته التي مطلعها: [المجتث]

ما أَنْصَفَ القومُ ضَبَّهْ

هجا فيها رجلًا يقال له: ضَبَّة بن يزيد العَيْنيّ، فأَقْذَعَ فيها وأفحش، وهي من سخيف شعره، ذكر ابن العَديم في (بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حَلَب) أنه ما للمتنبي شعرٌ أسخف من هذا الشعر، ولا أَوْهَى كلامًا؛ فكان على سخافته وركاكته سبب قتله، وقتل ابنه، وذهاب ماله. لمَّا سمع فاتِك الأسدي خال ضبَّة بهذا الشعر؛ داخلته الحميَّة لابن أخته فعرض للمتنبي هو ورجاله، فأراد المتنبي أن يَفِرّ؛ فقال له غلامه: لا يتحدث الناس عنك بالفرار وأنت القائل:

الخيلُ والليلُ والبَيْداءُ تَعْرِفُني * والطَّعْنُ والضَّرْبُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ

فكرَّ راجعًا فقتل. ولئن كان قتل فلم يُقتل إبداعه، لا يعلم شاعر في القديم والحديث شرَّق

شعره وغرَّب كالمتنبي، وما أصدق قول المتنبي عن شعره:

[الطويل]

فَشَرَّقَ حتى ليس للشَّرْقِ مَشْرِقٌ * وغَرَّبَ حتى لليس للغَرْبِ مَغْرِبُ
إذا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِن وُصولِهِ * جِدارٌ مُعَلًّى أو خِباءٌ مُطَنَّبُ

سَلَّ عَلَيْهِ صَارِمَ السِّنَانِ ٣٢٣ قَصِيدُهُ أَعْظِمْ بِدَا اللِّسَانِ!

أعظم بدا اللسان: أي أعظم بِدَاءِ اللِّسان، قَصَرَهُ للضَّرورة، أي ما أعظم داء اللسان. ثم استطرد فذكر جماعة ممن قتلهم شعرهم، قال:

وَمِثْلُهُ: أَعْشَى بَنِي هَمْدَانِ ٣٢٤ فِي فِتْنَةِ ابْنِ الأَشْعَثِ اليَمَانِي

ومثله: مثل المتنبي. أعشى بني همدان: أيضًا ممن قتله شعره أعشى بني همدان، واسمه: **عبدالرحمن بن عبدالله بن الحارث الهَمْداني، والأعشى لقب له**. وفي قبائل العرب ما يزيد على ثلاثين شاعرًا يعرفون بهذا اللقب ينسبون إلى قبائلهم؛ فيقال: أعشى همدان، وأعشى باهلة، وأعشى شيبان، وأعشى مازِنة تمييزًا لهم عن الأعشى الكبير ميمون بن قيس صاحب المعلقة: *وَدِّعْ هُريرَةَ إنَّ الرَّكبَ مُرتحِلُ* وكان أعشى همدان شاعر اليمانيِّين بالكوفة، وفارسهم في عصره، وهو من شعراء الدولة الأموية، وكان من الشعراء الخطباء الفقهاء العلماء، وعدَّه الأصمعيّ من الفحول الإسلاميين المكثرين، وكان يحفظ له كثيرًا من الأشعار والأخبار. ولما خرج ابن الأشعث على الحجاج انحاز إليه أعشى همدان، وقصر شعره على نصر ابن الأشعث ومدحه وذمِّ الحجاج والتَّحريض على الخروج عليه، فكان شاعر الثورة بلا مُنازِع، شارك فيها بلسانه وسِنانه؛ فلما دارت الدائرة على ابن الأشعث وأصحابه كان أعشى همدان ممن أُسِر، فأُتِيَ به ووُقف بين يدي الحجاج، فقال الحجاج: الحمد لله الذي أمكن منك، ألست القائل:

[الكامل]

وإذا سَأَلتَ المَجدُ أينَ مَحَلُّهُ * فالمجدُ بينَ محمَّدٍ وسَعيدُ
بينَ الأَشَجِّ وبينَ قَيسٍ باذخٌ * بَـخْ بَـخْ لِوالدِهِ وللمَولودِ

قال الحجاج: والله لا تُبَخْبِخ بعدها أبدًا، وضُربت عُنُقه فهو ممن قتله شعره.

طَرَفَةٌ وَصَالِحٌ إِذْ نَطَقَا: ٣٢٥ (وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ مَا تَخَلَّقَا)

طرفة: طرفة بن العَبْد الشاعر المشهور صاحب المعلَّقة: ***لخولة أطلال ببرقة ثَهْمَدِ*** هو أيضًا ممن قتله شعره. وكان طرفة هجا الملك عمرو بن هند بأبياتٍ يقول فيها:

[الوافر]

فليتَ لنا مكان المَلْكِ عمروٍ * رَغُوثًا حَوْلَ قُبَّتِنا تَخُورُ
مِن الزَّمِراتِ أَسْبَلَ قادِماها * وضَرَّتُها مُرَكَّنَةٌ دَرورُ
يُشارِكُنا لنا رَخِلانِ فيها * وتَعْلُوها الكِباشُ فما تَنُورُ
لَعَمْرُكَ إنَّ قابوسَ بن هِندٍ * لَيَخْلِطُ مُلْكَهُ نَوكٌ كثيرُ

يقول: إنه يتمنى لو كان لهم مكان الملك عمرو بن هند نَعْجَة مُرْضِع تصيح بجوار قُبَّتِهم، وتُدِرُّ عليهم اللَّبن! ثم تخلَّص إلى هجاء قابوس بن هند -وهو أخو الملك، وكان الملك يرشحه ليكون له الأمر بعده- فقال: **لعمرك إن قابوس بن هند * ليخلط ملكه نوكٌ كثير**

فبلغت هذه الأبيات عمرو بن هند فدعاه ودعا خاله المُتَلَمِّس؛ لأنه خاف إن مكر بطرفة وحده أن يهجوه المتلمِّس فدعاهما معًا، وأظهر لهما أنه يريد إكرامهما، وأعطاهما شيئًا من الهدايا والجوائز، وكتب لكل واحد منهما كتابًا إلى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما إذا وصلا إليه، وأوهَمهما أنه كتب لهما بصلة، فلما وصلا إلى الحيرة قال المتلمِّس لطرفة: كلانا قد هجا الملك، ولو أراد أن يعطينا لأعطانا ولم يكتب لنا؛ فهلم ندفع كتبنا إلى من يقرأها فإن كان فيها خير مضينا له، وإن كان فيها شرٌّ اتَّقيناه -وكانت العرب إذ ذاك أمة أميَّة- فقال

طرفة: ما كنت لأفتح كتاب الملك. فقال المتلمِّس: والله لأفتحنَّ كتابي ولأعلمنَّ ما فيه، ولا أكون كمن يحمل حتفه بيده. فنظر المتلمس فإذا غلام قد خرج من الحِيرة فقال له: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم. فقال: هلم فاقرأ هذا الكتاب. فإذا فيه: "أما بعد.. فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه، وادفنه حيًّا". وقيل: إن الغلام لما نظر في الكتاب قال: ثكلت المتلمس أمُّه. فاكتفى المتلمس منه بذلك، وقال لطرفة: تَعلَّم والله إن الذي في كتابك مثل الذي في كتابي. فقال: إن كان اجترأ عليك فلم يكن ليجترئ عليَّ، ويوغر صدور قومي بقتلي. وكان طرفة شابًّا طائشًا حتى إنه قتل وهو ابن ستٍّ وعشرين سنة، كما قالت أخته لأمِّه خِرْنِق في رثائه:

[الطويل]

عَـدَدْنا لـهُ ستًّا وعشرينَ حِجَّـةً * فلمَّا توفَّاها استوى سيِّدًا ضَخْما
فُجِعْنـا بـهِ لمَّـا رَجَـوْنا إيابَـهُ * على خيرِ حالٍ لا وليدًا ولا قَحْما

فأما المتلمس فألقى صحيفته في نهر الحِيرة وأخذ نحو الشام ونجا، قال في الشمقمقيَّة:

وافعَلْ بِمَنْ تَرْتابُ مِنهُ مِثلَ فِعْـ * ـلِ المُتَـلَمِّسِ اللَّبيبِ الحَذِقِ
أَلْقى الصَّحيفـةَ بِنَهرِ حِيـرَةٍ * وقـالَ يا ابن هندٍ ارعُـدْ وابـرُقِ

وأما طرفة فقد نصح له المتلمس لكنه لم يقبل نصيحته، وفي هذا يقول المتلمس:

[الكامل]

ولقدْ نصحتُ لهُ فردَّ نصيحَتي * وجرَتْ لهُ بعدَ السَّعادةِ أَنْحُسُ

سار طرفة إلي البحرين حتى إذا بلغها أخبره صاحب البحرين بمضمون الكتاب، وقال: إنك في حَسَبٍ كريم، وبيني وبين أهلك إخاء قديم، وقد أُمِرتُ بقتلك فاهرب، فإن كتابك إن قُرئ لم أجد بُدًّا من أن أقتلك، فأبى طرفة وظنَّ أنه لا يجترئ على قتله، فحبسه ثمَّ قتله.

وصالح إذ نطقا: **صالح بن عبدالقدُّوس** نُسبت إليه أبيات فيها زندَقة ذكرها ابن المُعتزّ في طبقاته، فعُقد يومٌ لمحاكمته، وتولَّى هارون الرشيد المحاكمة بنفسه، فلما دخل صالح

قال له الرشيد: أنت القائل هذه الأبيات؟ فقال صالح: والله ما قلتها، ولا تسفك دمي بشبهة. وأخذ يُرَقِّق قلبه، ويستنزله عما عزم عليه بفصاحته وبيانه حتى رقَّ له هارون الرشيد، وأمر بتخليَته، ثم قال أنشدني قصيدتك السِّينيَّة، فأنشده صالح قصيدته حتى بلغ:

[السريع]

ما يَبْلُغُ الأعداءُ مِن جاهلٍ * ما يبلغُ الجاهلُ مِن نَفْسِهِ
والشَّيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَهُ * حتى يُوَارى في ثَرى رَمْسِهِ
إذا ارعوَى عادَ إلى جهلِهِ * كذي الضَّنى عادَ إلى نُكْسِهِ

فقال هارون الرشيد: نحن نتمثَّل وصيتك، فأمر به فقُتِل. وكان صالح بن عبدالقدُّوس –كما في ترجمته– رأس المَانَوِيَّة، والمُجادل عن عقيدتهم، وكان يعلن زندقته ويُجاهر بها حينًا، ويسترها حينًا إذا خاف على نفسه من بعض الحُكَّام، حتى إنه ليُصلِّي صلاة المسلمين، وقد سأله بعض من يعرف مذهبه عن صلاته متعجِّبًا، فقال صالح: سنَّة البلد، وعادة الجسد، وسلامة الأهل والولد!

صَيَّرَهُمْ قَصِيدُهُمْ جُذَاذَا ٣٢٦ فَيَا أَخِي (كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا)

هذه إشارة إلى قوله ﷺ لمعاذ ﵁: «ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذلكَ كُلِّهِ». قال: قلت: بلى يا رسولَ اللهِ. فأَخَذَ بِلِسانِهِ وقالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هذا». قال: قلت: يا نبيَّ اللهِ وإنَّا لمُؤاخَذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بهِ؟ فقال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وهل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ –أو قال: على مَنَاخِرِهِمْ– إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». فأصل الخير وجماعه في حفظ اللسان، وهؤلاء الشعراء قتلهم شعرهم، فالقول له تبِعَة، والكلمة قد تهلك صاحبها ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٨].

ثم لما ذكر صالح بن عبدالقدُّوس فيمن قتله شعره استطرادًا –لأنه توفي في أول العصر العباسيّ قبل بشار بن برد أول من ذكر في شعراء هذا العصر– لما ذكره استطرادًا استطرد أيضًا فأشار إلى قصيدته: (الزَّيْنَبيَّة) وهي قصيدة حِكَميَّة فيها مواعظ وآداب، قال:

لِصَـالِحٍ: قَـدْ (صَرَمَتْـكَ زَيْنَـبُ) ٣٢٧ شِـعْرٌ سَـقَاهُ مِـنْ جَمَـالٍ صَـيِّبُ

قال صالح في الزَّينبيَّة:

[الكامل]

صَرَمَتْ حِبالَكَ بعدَ وَصْلِكَ زينبُ * والدَّهْـرُ فيـهِ تَـغَـيُّـرٌ وتَـقَـلُّـبُ
وكـذاكَ وَصْـلُ الغانِيـاتِ فإنَّـهُ * آلٌ بِـبَلْـقَـعَـةٍ وبَـرقٌ خـلَّـبُ
فَـدَعِ الصِّبـا فلقـدْ عَـداكَ زَمانُـهُ * وازْهَـدْ فَعُمْرُكَ مَـرَّ مِنـهُ الأطْيَبُ
ذهبَ الشَّبـابُ فما لـهُ مِـن عَـوْدَةٍ * وأَتَى المَشِيبُ فأينَ مِنـهُ المَهْـرَبُ
دَعْ عنكَ ما قـد كـان في زَمَنِ الصِّبا * واذكُـرْ ذُنُوبَكَ وابْكِها يا مُذْنِبُ
واذكُـرْ مُناقَشَةَ الحِسَـابِ فإنَّـهُ * لا بُـدَّ يُحْصَى ما جَنَيْتَ ويُكْتَبُ
لم يَـنْسَـهُ المَلَكـانِ حِينَ نَسِيتَهُ * بل أثْـبَتَـاهُ وأنتَ لاهٍ تَـلـعَـبُ
والرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَـةٌ أُودِعْتَهَا * سَتَـرُدُّهَا بالـرَّغْمِ منكَ وتُسْلَبُ
وغُـرُورُ دُنْيـاكَ التي تَسْعَى لها * دارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَـاعٌ يَـذْهَـبُ
والليلُ فَـاعْلَـمْ والنَّهـارُ كلاهُما * أنْفـاسُـنَا فيـها تُـعَـدُّ وتُحْسَبُ
وجَميعُ مـا حَصَّلْتَـهُ وجَمَعْتَـهُ * حَقًّا يَـقِينًا بـعدَ مَوْتِكَ يَذْهَبُ

قال فيها:

لا خَيْرَ فِي وُدِّ امرِئٍ مُتَمَلِّقٍ * حُـلْـوِ اللِّسـانِ وقَـلْبُـهُ يَتَلَهَّبُ
يُعْطِيكَ مِن طَـرَفِ اللِّسانِ حَـلاوةً * ويَـرُوغُ منكَ كما يَـرُوغُ الثَّعْلَبُ
وصِلِ الكِرامَ وإنْ رَمَوكَ بِجَفْوَةٍ * فالصَّفْحُ عنهمْ والتَّجاوُزُ أَصْوَبُ
واخْتَرْ قَرِينَكَ واصْطَفِيهِ تَفاخُرًا * إنَّ القَـرِينَ إلى المُقـارِنِ يُنْسَبُ
واخْفِضْ جَناحَكَ للأقارِبِ كُلِّهِمْ * بِتَذَلُّلٍ واسْمَحْ لـهـمْ إنْ أذْنَـبُوا
ودَعِ الكَذُوبَ فلا يكنْ لكَ صَاحِبًا * إنَّ الكَـذُوبَ يَشِينُ حُـرًّا يَصْحَبُ
وَزِنِ الكَـلامَ إذا نَطَقْتَ ولا تكنْ * ثَـرْثـارَةً في كُـلِّ نـادٍ تَخْطُبُ
واحْـفَـظْ لِسَـانَكَ واحْتَرِزْ مِن لَفْظِهِ * فَالـمَـرْءُ يَسْلَمُ باللِّسَـانِ ويَعْطَبُ

والسِّـرَّ فَـاكْـتُـمْـهُ ولا تَـنْـطِـقْ بِـهِ * إنَّ الـزُّجـاجَـةَ كَسْرُها لا يُشْعَبُ
وكـذاكَ سِـرُّ المَـرْءِ إن لم يَـطْـوِهِ * نَـشَـرَتْـهُ ألْسِـنَـةٌ تَـزِيـدُ وتَـكْذِبُ
لا تحْـرِصَنْ فالحِـرْصُ ليس بـزائِدٍ * في الرِّزْقِ بل يُشْقِي الحَرِيصَ ويُتْعِبُ
وارْعَ الأمـانـةَ والخِيانـةَ فَاجْتَنِبْ * وَاعْدِلْ ولا تَظْلِمْ يَطِبْ لكَ مَكْسَبُ
وإذا أصـابَـكَ نَكْـبَـةٌ فَاصْبِـرْ لها * مَنْ ذا رأيتَ مُـسَـلَّـمًا لا يُـنْـكَـبُ
وَاحْـذَرْ مُـصاحَـبَـةَ اللَّئيمِ فـإنَّـهُ * يُعْدِي كما يُعْدِي الصَّحيحَ الأجْرَبُ

قال:

وَاحْـذَرْ مِن المَظْلُومِ سَهْمًا صائبًـا * وَاعْـلَـمْ بـأنَّ دُعـاءَهُ لا يُـحْـجَـبُ
وإذا رأيتَ الـرِّزْقَ ضـاقَ بِـبَـلْـدَةٍ * وخَـشِـيـتَ فيها أن يَضِيقَ المَكْسَبُ
فَارْحَـلْ فَـأرْضُ اللهِ وَاسِـعَـةُ الفَـلا * طُـولًا وعَـرْضًا شَـرْقُها والمَغْـرِبُ
فلقـدْ نَصَحْـتُـكَ إن قَـبِلْـتَ نَصِيحَتي * فالنُّصْـحُ أَغْـلَـى ما يُـبـاعُ ويُوهَـبُ

شعر سقاه من جمال صَيِّب: سقاه صيِّبٌ لا من المطر بل من الجمال.

أَمَّـــا أَبُـــو فِـــرَاسِ الحَمْـــدَانِي ٣٢٨ فَشَـمْسُ عَصْـــرِهِ بِـذَا الـمَـــيْدَانِ

بَيَانًـــا اوْ فَخَـــارًا اوْ ضِرَابَـــا ٣٢٩ أَصَابَ مِنْ لُـبَـابِـهَـا الـلُّـبَـابَـا

يَقُـولُ: (مِـثْـلِـيَ لَا يُـذَاعُ سِرُّهُ) ٣٣٠ (مَنْ يَخْطُبِ الحَسْـنَـاءَ طَابَ مَهْرُهُ)

أبو فراس هو الحارث بن حَمْدان التَّغْلِبيّ، وهو ابن عمِّ سيف الدولة أمير حلب مَمدوح المتنبي. كان شاعرًا أديبًا فارسًا طالما قاتل الرُّوم بين يدي سيف الدولة، وأُسِرَ في إحدى وقائعه معهم وطال أسره، وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد في إنقاذه، وكانت تَعْسُرُ عليه مُفاداته، ثم إنه بعد ذلك فَكَّ أسره. ويغلب على شعر أبي فراس؛ الفخر، والشَّكوى، والعِتاب. وقد قال الصاحب بن عبَّاد: "بُـدِئ الشِّعـرُ بِمَـلِك وخُتِـم بِمَـلِك".

يعني امرأ القيس وأبا فراس. والقصيدة المشار إليها هنا هي قوله –وهو في أسر الروم–:

[الطويل]

أَراكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شيمَتُكَ الصَبرُ * أما لِلهَوى نَهيٌ عليكَ ولا أَمرُ
بَلى أنا مُشْتاقٌ وعندِيَ لَوعَةٌ * ولكنَّ مِثْلي لا يُذاعُ لهُ سِرُّ
إذا اللَّيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى * وأَذْلَلتُ دَمْعًا مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ
تكادُ تُضِيءُ النَّارُ بينَ جوانِحي * إذا هِيَ أَذْكَتْها الصَّبابَةُ والفِكرُ
أُسِرتُ وما صَحْبي بِعُزْلٍ لَدى الوَغى * ولا فَرَسِي مُهرٌ ولا رَبُّهُ غُمْرُ
ولكنْ إذا حُمَّ القَضاءُ على امرِئٍ * فليس لهُ بَرٌّ يَقيهِ ولا بَحرُ
سَيَذكُرُني قَومي إذا جَدَّ جِدُّهُم * وفي اللَّيلَةِ الظَّلماءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ
فإن عِشتُ فالطَّعنُ الذي تَعرِفونَهُ * وتلكَ القَنا والبِيضُ والضُّمَّرُ الشُّقْرُ
وإن مُتُّ فالإنسانُ لا بُدَّ مَيِّتٌ * وإن طالَتِ الأيّامُ وانْفَسَحَ العُمْرُ
ونحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندَنا * لَنا الصَّدرُ دونَ العالَمِينَ أو القَبرُ
تَهونُ علينا في المَعالي نُفوسُنا * ومَن يَخطُبِ الحَسناءَ لَم يُغلِها المَهرُ

ثم استطرد فذكر شيئًا من شعر الحمام، وابتدأه بقوله:

سَجْعُ الحَمامِ يُطْرِبُ الخَلِيَّا ٣٣١ وَيُتْلِفُ المَحْزُونَ وَالشَّجِيَّا

الشعراء يكثرون من ذكر الحمام في شعرهم، وينزِّلون صوت الحمام على حالهم؛ فإذا سمع أحدهم صوت الحمام وكان فرحًا قال: الحمام يُغَنِّي. وإذا كان حزينًا قال: الحمام يَنُوح. كما قال الشاعر:

[الوافر]

لقد عَرَضَ الحمامُ لنا بِسَجْعٍ * إذا أَصْغى لهُ رَكْبٌ تَلاحى
شَجى قلبَ الخَلِيِّ فقال غَنَّى * وبَرَّحَ بالشَّجِيِّ فقال ناحا

وابتدأ بذكر أبيات لأبي فراس قالها في الحمام وهو مأسور –وهذه هي مناسبة الاستطراد من

ذكر أبي فراس إلى ذكر شعر الحمام- قال:

(يَا جَارَتَا هَلْ تَشْـعُرِينَ) (هِجْنَـنِي ٣٣٢ فَازْدَدْتُ شَوْقًا) (كِذْنَ أَنْ يُمِتْنَـنِي)

(ياجارتا هل تشعرين): سمع أبو فراس حمامة وهو في أَسْرِه تنوح على شجرة فخاطبها بهذه الأبيات التي اشتهرت، وتناقلها الناس، ونسج على مَنوالِها عدد من الشعراء:

[الطويل]

أَقولُ وقد ناحَتْ بِقُربي حَمامَةٌ * أَيا جارَتا هـل تَشعُرينَ بِحالي
أَيَضحَكُ مَأسورٌ وتَبكي طَليقَةٌ * ويَسكُتُ مَحزونٌ ويَندُبُ سالِ
لقد كُنتُ أَولى مِنكِ بِالدَّمعِ مُقْلَةً * ولكنَّ دَمعي في الحَوادِثِ غالِ

يتعجب يقول لهذه الحمامة: كيف تبكين وأنت حُرَّةٌ طليقة، وأنا المأسور ولا أبكي!

(هجنني فازددت شوقا): هذه إشارة إلى أبيات **لجَحْدَر بن مالك**. وكان فتَّاكًا شجاعًا قد أغار على أهل حَجْرٍ وناحيتها؛ فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف الثَّقَفيّ، فكتب إلى عامله على اليمامة أن يَجِدَّ في طلب جحدر، وأن يبعث به إلى الحجاج، فتمكَّن جماعة من الفتيَة مقابل جُعْلٍ جُعِلَ لهم من الظَّفَر به وإرساله إلى الحجاج في العراق، وهو في الطريق رأى حمامًا على شجر، فقال:

[الوافر]

وممَّا هاجَني فازددتُ شوقًا * بُكاءُ حَمامَتَينِ تَجاوَبانِ
تَجاوَبَتا بِلَحْنٍ أَعْجَميٍّ * على غُصْنَينِ مِن غَرَبٍ وبانِ
فقلت لصاحِبَيَّ وكنتُ أَحْزُو * ببعضِ الطَّيرِ ماذا تَحْزُوانِ
فقالوا الدَّارُ جامِعَةٌ قريبٌ * فقلتُ بلَ انتُما مُتَمَنِّيانِ
فكانَ البانُ أن بانَتْ سُلَيْمَى * وفي الغَرَبِ اغْتِرابٌ غيرُ داني
أليس اللَّيلُ يَجْمَعُ أُمَّ عمرو * وإيَّانا فذاكَ بِنا تَداني
أَجَلْ وترى الهِلالَ كما أَراهُ * ويَعْلُوها النَّهارُ كما عَلاني

إذا جاوَزْتُما نَخَلاتِ حَجْرٍ * وأَوْدِيَةَ اليَمامةِ فانْعَياني
وقُولا جَحْدرٌ أمسى رَهِينًا * يُحاذِرُ وَقْعَ مَصْقُولٍ يَماني

على غصنين من غرب وبان: هما ضَرْبان من الشجر.

فكان البان أن بانت سُليمى: سليمى زوجه، يقول: إنه سيقتل، ولن يرجع إلى أهله.

وفي الغرب اغتراب غير دان: هذا من الطِّيرة المَنْهِيِّ عنها.

لما أُدخِل على الحجاج قال له الحجاج: ما حملك على ما كان منك؟ فقال جحدر: جرأة الجَنان، وجفاء السُّلطان، وكَلَبُ الزَّمان. فقال الحجاج: وما الذي بلغ منك فيجترئ جنانك، ويجفوك سلطانك، ويَكْلَب زمانك؟ فقال: لو بلاني الأمير أكرمه الله لوجدني من صالح الأعوان، وبُهَم الفرسان. ولوجدني من أنصح رعيَّته؛ وذلك أني ما لقيت فارسًا قط إلا كنت في نفسي عليه مقتدرًا. قال الحجاج: إنا قاذفون بك في حائر –الحائر: المكان المُسْتَدير المُحاط بسور– فيه أسد عاقر ضارٍ فإن هو قتلك كفانا مؤنتك، وإن أنت قتلته خلينا سبيلك.

قال أصلح الله الأمير: عظُمت المِنَّة، وأُعطيت المُنْيَة، وقويت المِحْنَة. فقال الحجاج: فإنا لسنا بتاركيك لتقاتله إلا وأنت مُكبَّلٌ بالحديد. فأمر به الحجاج فغُلَّت يمينه إلى عُنُقِه، وأرسل به إلى السجن، وكتب الحجاج أن يوجَّه إليه بأسدٍ ضارٍ، عاتٍ، ويُجَرَّ على عجل، فلما ورد الأسد على الحجاج أمر به فجعل في حائر وأُجيع ثلاثة أيام، وأرسل إلى جحدر فأُتي به من السجن ويده اليمنى مغلولة إلى عنقه، وأعطي سيفًا، والحجاج وجلساؤه ينظرون، فلما نظر جحدر إلى الأسد أنشأ يقول:

[مشطور الرجز]

لَيثٌ ولَيثٌ في مَجالٍ ضَنْكِ * كِلاهُما ذو أَنَفٍ ومَحْكِ
وشِدَّةٍ في نَفْسِهِ وفَتْكِ * إن يَكشِفِ اللهُ قِناعَ الشَّكِّ
فَهْوَ أَحقُّ مَنْزِلٍ بِتَركِ

فلما نظر إليه الأسد زأر زَأْرَةً شديدة وتَمَطَّى وأقبل نحوه، فلما صار منه على قدر الرُّمح وثب وثبة شديدة، فتلقَّاه جحدر بالسيف فضربه ضربة حتى خالط ذُباب السيف لَهَواتِه؛ فخَرَّ الأسد كأنه خيمة قد صرعتها الريح، وسقط جحدر على ظهره من شدة وثبة الأسد؛ فكبَّر الحجاج والناس جميعًا، ثم قال له الحجاج: إن شئت أَسْنَينا عطيَّتك، وإن شئت خلينا سبيلك. قال: لا، بل أختار مُجاورة الأمير أكرمه الله، ففرض له ولأهل بيته وأحسن جائزته.

(كدن أن يُمتنني): أشار هنا إلى قول **مجنون ليلى**:

[الطويل]

أَلا يا حَماماتِ اللِّوى عُدْنَ عَودَةً * فإنِّي إلى أَصواتِكُنَّ حَزِينُ
فَعُدنَ فلمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني * وكِدتُ بِأسراري لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بِتَرْدادِ الهَدِيرِ كأنَّما * شَرِبنَ حُمَيَّا أو بِهِنَّ جُنونُ
فلَمْ تَرَ عَيني مِثْلَهُنَّ حَمائمًا * بَكَينَ ولمْ تَدْمَعْ لَهُنَّ عُيونُ

(لَمْ أَرَ مِثْلِي شَاقَهُ) (أَرَّقَنِي ٣٣٣ بِالرَّيِّ نَوْحُهَا) (شَجَانِي أَنَّنِي)

(لم أر مثلي شاقه): يشير إلى أبيات **لحُمَيد بن ثَور الهِلاليّ** ﵁، قال في (زَهْرِ الآداب): "هي أجود شعر حميد". ومن أجود ما فيها قوله:

[الطويل]

عَجِبْتُ لها أنَّى يكونُ غِناؤها * فَصِيحًا ولمْ تَفْغَرْ بِمَنطِقِها فَمَا
فلَمْ أَرَ مِثْلي شاقَهُ صَوتُ مِثلِها * ولا عَرَبيًّا شاقَهُ صَوتُ أَعْجَما

(أرَّقني بالرَّيّ نوحها): هذه إشارة إلى أبيات **لعَوْف بن مُحَلِّم الشَّيبانيّ**، سبقت عند بيان أن الأدب يُكسِب سرعة البديهة، عند قوله: في كلِّ عامٍ غُربةٌ لعوفِ * مَن شعرُهُ يُذكي لهيبَ الجَوفِ ولا بأس أن نأخذ موطن الشاهد منها وهو قوله:

[الطويل]

وأَرَّقَـني بالـرَّيِّ نَـوحُ حَـمامَـةٍ * فَنُحْتُ وذو الشَّجْوِ الحزينُ يَنُوحُ
على أَنَّها ناحَتْ ولم تُذْرِ دَمْعَةً * ونُحْتُ وأَسْرابُ الدُّمُوعِ سُفُوحُ
وناحتْ وفَرْخاها بحيثُ تَراهُما * ومِن دُونِ أَفْراخِي مَهامِهُ فِيحُ

ثم ضمنَّ بيت أبي كبير الهُذَليّ:

ألا يا حمامَ الأيكِ إلْفُكَ حاضِرٌ * وغُصْنُكَ مَـيَّـادٌ ففِيـمَ تَـنوحُ

(شجاني أنني): هذه أبيات لابن الرِّقاع أو لِنُصَيب –قولان- :

[الطويل]

و ممَّا شَـجاني أَنَّني كُنتُ نائِمًا * أُعَلَّلُ مِن بَـرْدِ الكَرى بـالتَّـنَسُّم
إلى أن بَكَتْ وَرْقاءُ في غُصنِ أَيْكَةٍ * تُـرَدِّدُ مَبْكاها بِـحُسْنِ التَّرَنُّـمِ
فَلَو قبلَ مَبكاها بَكَيتُ صَبابَةً * بِلَيلى شَفَيتُ النَّفسَ قبلَ التَّنَدُّمِ
ولكنْ بَكَتْ قَبلي فَهيَّجَ لي البُكا * بُكاها فَقُلتُ الفَضْلُ للمُتَقَدِّمِ

أَرَقُّ مَا فِي البَـابِ: صَـوْتٌ صَـدَحَا ٣٣٤ يَـا (رُبَّ وَرْقَـاءَ هَتُـوفٍ بِالضُّـحَا)

أشار هنا إلى أبيات الشِّبْليّ التي يقول فيها:

[الرمل]

رُبَّ وَرْقاءَ هَتُوفٍ في الضُّحى * ذاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ في فَـنَنِ
ذَكَرَتْ إلْفًا ودَهْـرًا ماضيًا * فَبكَتْ حُزْنًا فَهاجَتْ شَجَني
فَـبُكـائِي رُبَّـمـا أَرَّقَـهـا * وبُـكـاهـا رُبَّـمـا أَرَّقَـنِـي
ولـقَـدْ تَـبْكِي فما أفهمها * ولقَدْ أبـكي فـما تَفْهَمُني
غَيرَ أنِّي بالـجَوى أَعْـرِفُها * وَهْيَ أيضًا بالـجَوى تَعْرِفُني
أَتُـراهـا بـالبُـكـا مُـولَعَـةً * أَمْ سَقـاهـا البَيْنُ ما جَـرَّعَني

(حُكْمُ المَنِيَّةِ) بَكَى التَّهَامِي ٣٣٥ بِهَا ابْنَهُ بِأَدْمُعٍ سِجَامِ

بأدمع سِجامِ: يقال: سَجَمَ الدَّمْعُ سِجامًا؛ إذا سال.

التَّهامي هو أبو الحسن علي بن محمد التَّهاميّ. كان الشِّعر طوع لسانه ومَدَّ خياله؛ كأنما خُلِّيَ بينه وبين ضُروب البيان يأخذ منها ما شاء، فجاء شعره في غاية الحسن، وقد ذاعت مَرْثِيَته الرَّائية التي قالها في ابنه، وكانت سبب اشتهاره، قال فيها:

[الكامل]

حُكْمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جاري * ما هذِهِ الدُّنيا بِدارِ قَرارِ
بَيْنا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِرًا * حتى يُرى خَبَرًا مِن الأخبارِ
طُبِعَتْ على كَدرٍ وأنتَ تُريدُها * صَفْوًا مِن الأقذارِ والأكْدارِ
ومُكَلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طِباعِها * مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نارِ
فإذا رَجَوتَ المُستَحيلَ فإنَّما * تَبْنِي الرَّجاءَ على شَفيرٍ هارِ
فالعَيشُ نَومٌ والمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ * والمَرْءُ بَيْنَهُما خَيالٌ ساري
والنَّفسُ إن رَضِيَتْ بذلِكَ أو أَبَتْ * مُنْقادَةٌ بِأَزِمَّةِ المِقْدارِ
فاقضُوا مآرِبَكُمْ عِجالًا إنَّما * أَعْمارُكُمْ سَفَرٌ مِن الأسْفارِ
وتَراكَضوا خَيلَ الشَّبابِ وحاذِرُوا * أن تُسْتَرَدَّ فإنَّهُنَّ عَواري
يا كَوكَبًا ما كانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ * وكذاكَ عُمْرُ كَواكِبِ الأسْحارِ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقولُ مُعْتَذِرًا لَهُ * وُفِّقْتَ حينَ تَرَكتَ أَلْأَمَ دارِ
جاوَرْتُ أَعْدائي وَجاوَرَ رَبَّهُ * شَتَّانَ بينَ جِوارِهِ وجِواري

ذكروا في ترجمته أنه رُئِيَ بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بقولي:

جاورت أعدائي وجاورَ ربَّهُ * شتَّانَ بينَ جِوارِهِ وجِواري

ثم استطرد فذكر مختارات من رثاء الأبناء في الشعر العربي، قال:

وَمِثْلُـهُ: ابْنُ الرُّومِ إِذْ طَوَى الـرَّدَى ٣٣٦ وَاسِـــطَةَ العِقْـــدِ ابْنَـــهُ مُحَمَّـــدَا

ابن الرُّوميّ من شعراء هذا العصر العبَّاسيّ وقد تقدَّم ذكره، وذكر شيء من مُختار شعره عند قوله: لي وطنٌ آليتُ لابن الرُّومـي * شعرٌ كوَشي السُّندسِ المَرقومِ قـال يرثي ابنه محمدًا –وهي من أعذب قصائده– :

[الطويل]

بُكاؤكُما يَشْفي وإن كان لا يُجْدِي * فَجُودا فقد أوْدَى نَظيرُكُما عندي
بُنَيَّ الـذي أهْـدَتْهُ كَـفَّـايَ للثَّرَى * فَيَا عِـزَّةَ المُهْدَى ويا حَسْرَةَ المُهدِي
تَوَخَّى حِمَامُ المَوتِ أوْسَطَ صِبْيَتي * فَلِلَّهِ كيف اختارَ وَاسِطَـةَ العِقْـدِ
على حِينَ شِمْتُ الخيرَ من لَمَحَاتِهِ * وآنَسْتُ مِن أفْـعـالِهِ آيَـةَ الرُّشـدِ
طَـوَاهُ الرَّدَى عـنِّي فأضحَى مَزَارُهُ * بعيدًا على قُـرْب قريبًا على بُعْدِ
ولكـنَّ ربِّـي شـاءَ غَيـرَ مَشِيئَتي * ولِلـرَّبِّ إمْضَـاءُ المَشَيئةِ لا العَبْـدِ
عليكَ سـلامُ اللهِ منِّـي تَحِـيَّـةً * ومِن كلِّ غيْثٍ صادِقِ البَرقِ والرَّعْدِ

وَلِلْبَهَـــا (مَـــا لِيَ لَا أَرَاكَـــا) ٣٣٧ (حَسْـبُكَ مِنْ دَمْعِيَ مَـا سَقَاكَـا)

بهاء الدِّين زُهَير شعره محبَّبٌ إلى النَّاس لسهولته، يسيل عـذبًا سـائغًا شـرابُه، قـال في قصيدته التي يرثي بها ولده:

[الوافر]

نَـهـاكَ عـنِ الغَـوايَـةِ مـا نَـهـاكـا * وذُقْتَ مِن الصَّبابَـةِ ما كَفاكـا

وفيها يقول:

فَيا مَن غابَ عَنِّي وَهْـوَ رُوحي * وكيف أُطِيقُ مِن رُوحي انفِكاكا
حَـبِيبِي كيف حتى غِبتَ عـنِّي * أتَـعْلَـمُ أنَّ لـي أحَـدًا سِـواكا
أَراكَ هَـجَرْتَـني هَـجْرًا طَـويلًا * ومـا عَـوَّدتني مِـن قَـبلُ ذاكا

وفيها يقول:

عَـهِدتُكَ لا تُـطِيقُ الصَّبرَ عنِّي * وتَـعْـصِـي في وِدادي مَن نَـهاكا
فكيف تَـغَـيَّـرَتْ تلكَ السَّجايا * ومَن هــذا الــذي عنِّي ثَـنـاكا
وما فـارَقْـتَـني طَـوْعًـا ولكنْ * دَهــاكَ مِـن المَـنِـيَّةِ ما دَهـاكا
يَـعِـزُّ عَـلَـيَّ حِينَ أُدِيـرُ عَـيني * أُفَـتِّـشُ في مَـكـانِـكَ لا أَراكا
خَـتَمْتُ على وِدادِكَ في ضَـمِيري * وليس يَــزالُ مَـخْـتـومًا هُناكا

وقد صف ابن خلّكان شعره بالسَّهل الممتنع.

لِلْحَارِثِ البَكْرِيِّ (لَهْفَ نَفْسِـي ٣٣٨ عَلَى بُجَـيْرٍ) إِذْ غَـدَا فِي الــرَّمْسِ

الحارث بن عُبَاد من بني بكر بن وائل، وكان من حُكَّام ربيعة وفرسانها المعدودين، وهذه القصيدة قالها في يوم من أيام حرب البَسُوس، وكان الحارث قد اعتزل الحرب وقال: لا ناقة لي فيها ولا جمل. ثم إنه أرسل بُجيرًا -وهو ابنه وقيل ابن أخيه- أرسله في الصُّلح بين بكر وتَغْلِب، فقتله مُهَلْهِل بن ربيعة التَّغْلِبيّ، وقال له: "بُـؤ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيب" فقال الغلام: إن رضيت بنو بكر رضيت. فلما بلغ الحارث مصرع بجير قال: نعم القتيل قتيلًا أصلح الله به بين بكر وتغلب، وباء بكليب. فقيل له: إنما قال مهلهل: "بُـؤ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيب". فغضب الحارث وتَشَمَّرَ للحرب وقال في ذلك قصيدته هذه وفيها رثاء بجير، قال:

[الخفيف]

كُـلُّ شَـيءٍ مَـصيرُهُ لِلـزَّوالِ * غَـيرَ رَبِّـي وصالِـحِ الأعـمالِ
قُـل لِأُمِّ الأغَــرِّ تَبكي بُجَـيرًا * حِـيلَ بـينَ الـرِّجالِ والأمـوالِ
ولَـعَـمْـري لأبكِـيَـنَّ بُجَـيرًا * ما أَتى الماءُ مِن رُؤوسِ الجِبالِ
لَـهْـفَ نَـفْسي على بُجَيرٍ إذا ما * جالَتِ الخَيلُ يومَ حَرْبٍ عُضالِ
يا بُجَيرَ الخَيراتِ لا صُلْحَ حتى * نَـمْلأَ البِيـدَ مِن رُؤوسِ الرِّجالِ

وتَقَرَّ العُيونُ بعدَ بُكاها * حينَ تَسقي الدِما صُدورَ العَوالي
أَصبَحَت وائِلٌ تَعِجُّ مِن الحَرْ * بِ عَجِيجَ الجِمالِ بالأَثْقالِ
لم أَكُن مِن جُناتِها عَلِمَ اللـ * ـهُ وإنِّي بِحَرِّها اليَومَ صالِ
قد تَجَنَّبتُ وائِلاً كيْ يُفِيقُوا * فَأَبَتْ تَغْلِبُ عَلَيَّ اعتِزالي
وأَشابُوا ذُؤابَتي بِبُجَيرٍ * قَتَلُوهُ ظُلْمًا بِغيرِ قِتالِ
قَتَلوهُ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيبٍ * إنَّ قَتلَ الكَريمِ بالشِّسْعِ غالِ
يا بَني تَغلِبٍ خُذوا الحِذرَ إنَّا * قد شَرِبْنا بِكأسِ مَوتٍ زُلالِ
يا بَني تَغْلِبٍ قَتَلتُمْ قَتِيلًا * ما سَمِعْنا بِمِثْلِهِ في الخَوالي
قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَةِ مِنِّي * لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَن حِيالِ

وهي قصيدة طويلة تبلغ نحو مائة بيت كرر فيها قوله: **قرِّبا مربط النعامة منِّي** في نحو خمسين بيتًا من أبياتها، وسبقت الإشارة إليها وإنشاد بعض أبياتها في الكلام عن حرب البسوس.

إذ غدا في الرَّمس: الرَّمْسُ؛ القبر.

لِلْهُذَلِيِّ (عَبْرَةٌ لَا تُقْلِعُ) ٣٣٩ عَلَى بَنِيْهِ بَعْدَمَا تَصَدَّعُوا

الهذليّ: هو أبو ذُؤَيب مشهور بكنيته واسمه: خُوَيلد بن خالد. وهو من المُخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم وحَسُنَ إسلامه، قال الجُمَحيّ: "كان شاعرًا فَحْلًا لا غَمِيزَة فيه ولا وَهَن". وقال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان ﷺ من أشعر النَّاس؟ قال: حيًّا أو رَجلًا؟ قيل: حيًّا. قال: **"أشعر الناس حيًّا هُذيل، وأشعر هذيل غير مُدافَعٍ أبو ذؤيب"**. وقد هلك بنوه الخمسة في عام واحد أصابهم الطَّاعون، وكانوا رجالًا ولهم بأسٌ ونجدة، فبكاهم جميعًا بهذه القصيدة الرَّائعة، قال فيها:

[الكامل]

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ * والدَّهرُ ليس بِمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ
قالتْ أُمَيمَةُ ما لِجسمِكَ شاحِبًا * مُنذُ ابتُذِلْتَ ومِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أَمْ ما لِجَنبِكَ لا يُلائِمُ مَضْجَعًا * إلا أَقَضَّ عليكَ ذاكَ المَضْجَعُ
فأَجَبتُها أن ما لِجِسْمِيَ أَنَّهُ * أَوْدَى بَنيَّ مِن البِلادِ فَوَدَّعُوا
أَوْدَى بَنيَّ وأَعْقَبُوني غُصَّةً * بعدَ الرُّقادِ وعَبْرَةً لا تُقْلِعُ
سَبقوا هَوَيَّ وأَعْنَقوا لِهَواهُمُ * فَتُخُرِّموا ولِكُلِّ جَنبٍ مَصْرَعُ
فَغَبَرتُ بَعدَهُمُ بِعَيشٍ ناصِبٍ * وإخالُ أنِّي لاحِقٌ مُسْتَتْبَعُ
ولقدْ حَرَصتُ بأن أُدافِعَ عَنهُمُ * فإذا المَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ
وإذا المَنِيَّةُ أَنشَبَتْ أَظْفارَها * أَلفَيتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لا تَنفَعُ
فالعَينُ بَعْدَهُمُ كأنَّ حِداقَها * سُمِلَتْ بِشَوكٍ فَهْيَ عُورٌ تَدْمَعُ
حتى كأَنِّي لِلحَوادِثِ مَرْوَةٌ * بِصَفا المُشَرَّقِ كُلَّ يَومٍ تُقْرَعُ
وتَجَلُّدِي لِلشَّامِتينَ أُرِيهِمُ * أَنِّي لِرَيبِ الدَّهرِ لا أَتَضَعْضَعُ
والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رَغَّبتَها * وإذا تُرَدُّ إلى قَليلٍ تَقْنَعُ
ولَئِن بِهِمْ فَجَعَ الزَّمانُ ورَيْبُهُ * إنِّي بأَهلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّعُ
كَمْ مِن جَميعِ الشَّملِ مُلْتَئِمِ القُوى * كانوا بِعَيشٍ قَبلَنا فَتَصَدَّعوا
ولقد أَرى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ * ولسوفَ يُولَعُ بالبُكا مَن يُفْجَعُ

وَنَجْلُ عَبْدِ الرَّبِّ فِي فَرِيدِهِ ٣٤٠ أَذْرَى دُمُوعَهُ عَلَى فَقِيدِهِ

ابن عبدربِّه الأندلسيّ أحمد بن محمد العلامة الأديب صاحب كتاب (العقد) في الأدب كان كما قال الذهبي في (سير أعلام النُّبلاء) موفَّقًا نبيلًا بليغًا شاعرًا، في كتابه العقد ذكر أربع قصائد يرثي فيها ابنًا له، منها قوله:

[الكامل]

بَلِيَتْ عِظامُكَ والأسَى يَتَجَدَّدُ * والصَّبرُ يَنْفَدُ والبُكا لا يَنْفَدُ
يا غائبًا لا يُرتَجَى لإيابِهِ * ولِقائِهِ حتى القِيامَةِ مَوْعِدُ
ما كان أَحسَنَ مُلْحَدًا ضُمِّنْتَهُ * لو كان ضَمَّ أباكَ ذاكَ المُلْحَدُ

بالْيَأْسِ أَسْلو عنكَ لا بِتَجلُّدِي * هَيْهاتَ أينَ مِن الحَزِينِ تَجَلُّدُ

ثم رجع إلى سرد أعلام الشعر في هذا العصر فقال:

(لَا تَعْذُلِي) لِابْنِ زُرَيْقٍ هَاكَا ٣٤١ عَيْنِيَّةً بَرِّدْ بِهَا حَشَاكَا

أبو الحسن علي بن زُرَيق البغداديّ له قصيدة غرَّاء بديعة، يقال: "مَن تَخَتَّم بالعَقِيق، وقرأ لأبي عمرو، وتَفَقَّه للشافعيّ، وحفظ قصيدة ابن زُرَيق؛ فقد استكمل الظَّرْف". كان قد خرج من بغداد إلى الأندلس ليمدح أبا عبد الرحمن الأندلسي؛ لأنه بلغه أنه يعطي الشعراء، فلما ذهب إليه وألقى قصيدته بين يديه لم يعطه إلا دريهمات يسيرة -قيل إنه أراد أن يبلوه ويختبره- فقال ابن زُرَيق: إنا لله وإنا إليه راجعون! سَلَكْت البَرَارِيَ والبحار، والمَهَامِهَ والقفار إلى هذا الرجل فأعطاني هذا العطاء النَّزْر؛ فانكسرت إليه نفسه واعتلَّ فمات! وشُغِل عنه الأندلسي أيامًا ثم سأل عنه، فخرجوا يطلبونه، فوجدوه قد مات وعند رأسه رُقْعَة مكتوبةٌ فيها هذه الأبيات:

[البسيط]

لا تَعْذُلِيهِ فإنَّ العَذْلَ يُولِعُهُ * قد قُلْتِ حَقًّا ولكِن ليس يَسْمَعُهُ
جَاوَزْتِ فِي لَومِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ * مِن حَيثُ قَدَّرْتِ أنَّ اللَّومَ يَنفَعُهُ
فَاسْتَعْمِلِي الرِّفْقَ فِي تَأْنِيبِهِ بَدَلًا * مِن عَذْلِهِ فَهْوَ مُضْنَى القَلْبِ مُوجَعُهُ
قد كان مُضطَلِعًا بالخَطبِ يَحمِلُهُ * فَضُلِّعَتْ بِخُطُوبِ الدَّهرِ أَضلُعُهُ
يَكْفِيهِ مِن لَوعَةِ التَّشتِيتِ أنَّ لَهُ * مِن النَّوى كُلَّ يَومٍ ما يُرَوِّعُهُ
ما آبَ مِن سَفَرٍ إلا وأزْعَجَهُ * رَأْيٌ إلى سَفَرٍ بالعَزمِ يُزْمِعُهُ
كأنَّما هُوَ في حَلٍّ ومُرْتَحَلٍ * مُوَكَّلٍ بِفَضاءِ اللهِ يَذْرَعُهُ
إذا الزَّمانُ أَراهُ في الرَّحِيلِ غِنًى * ولو إلى السِّندِ أضحى وَهْوَ يُزْمِعُهُ
تأبَى المَطامعُ إلا أن تُجَشِّمَهُ * للرِّزْقِ كَدًّا وكم ممَّن يُودِّعُهُ
وما مُجاهَدَةُ الإنسانِ تُوصِلُهُ * رِزْقًا ولا دَعَةُ الإنسانِ تَقْطَعُهُ

قـد وَزَّع اللهُ بينَ الخَلقِ رِزْقَـهُـمُ * لـم يَـخلُـقِ اللهُ مِن خَـلْـقٍ يُـضَيِّـعُـهُ
لَكِنَّهُم كُلِفوا حِرصًا فلستَ تَـرى * مُسْتَرْزِقًا وسِوى الغاياتِ تُـقْـنِعُـهُ
والحِرصُ في الرِّزقِ والأرزاقُ قد قُسِمَت * بَغـيٌ أَلا إنَّ بَغْـيَ المَـرْءِ يَصْـرَعُـهُ

إلى أن قال:

أَسْـتَودِعُ اللهَ فـي بَغْـدَادَ لـي قَمَـرًا * بِـالكَرْخِ مِـن فَلَـكِ الأَزْرَارِ مَطْلِعُـهُ
وَدَّعْتُــهُ وبِــوُدِّي لــو يُوَدِّعُنِــي * صَفْــوُ الحَيَــاةِ وَأَنِّــي لا أُوَدِّعُـهُ
كـم قــد تَشَــبَّثَ بِــي أَلّا أُفَارِقَــهُ * ولِلضَّــرُورَاتِ حَــالٌ لا تُشَــفِّعُهُ
وكم تَشَبَّثَ بِي يَومَ الرَّحِيلِ ضُحًى * وَأَدْمُعِــي مُسْــتَهِلّاتٌ وأَدمُعُــهُ
لا أَكْذِبُ اللهَ ثَوبُ الصَّبـرِ مُنْخَرِقٌ * عَنِّــي بِفُـرقَتِــهِ لكــن أُرَقِّـعُــهُ
إنِّي أُوَسِّـعُ عُـذْري في جِنايَتِـهِ * بالبَيـنِ عَنـهُ وقَلْبي لا يُـوَسِّـعُـهُ
أُعْطِيتُ مُلْكًا فلـم أُحْسِـن سِيَاسَتَهُ * وَكُلُّ مَن لا يَسُوسُ المُلكَ يُخلَعُهُ
ومَـن غَـدَا لابِسًـا ثَـوبَ النَّعِيـمِ بِـلا * شُــكْرٍ عَلَيــهِ فــإنَّ اللهَ يَنْزِعُــهُ

ثُـمَّ الـمَـعَـرِّيُّ أَبُـو العَـلَاءِ ٣٤٢ أُعْـجُـوبَـةٌ فِي الحِفْـظِ وَالذَّكَـاءِ

تَمَلَّـكَ القَصِـيدَ مِـنْ مَقَـادِهِ ٣٤٣ لَكِنَّـهُ يُـزَنُّ فِي اعْتِقَـادِهِ

أبو العلاء أحمد بن سليمان التَّنُوخِيّ المَعَرِيّ اللُّغويّ الشاعر. كان علامة عصره، مُتَضلِّعًا من فنون الأدب. أخذ عنه الناس، وسار إليه الطَّلبة من الآفاق، وكاتبه العلماء، والوزراء، وأهل الأقدار. وانقطع عن الناس وعن أكل كلِّ ذي روح، وما يخرج منه، وكان يعدُّ التناسل جناية؛ لأنه أصل الشرور والآفات، هكذا يرى! ولذلك أوصى أن يكتب على قبره:

[مجزوء الكامل]

هـذا جَناهُ أَبي عَليْ * يَ وما جَنَيتُ على أَحَدْ

وقد تشبَّث بآراءٍ جرَّت عليه كثيرًا من الشُّبه في عقيدته، وقد قال القحطانيُّ في نونيَّته:

[الكامل]

تَـعِـسَ العَمِيُّ أبـو العلاءِ فـإنَّهُ * قـد كـان مَجْمُوعًا لـهُ العَمَيانِ
ولقد نَظَمْتُ قصيدَتينِ بِهَجْوِهِ * أبـيـاتُ كـلِّ قـصيدَةٍ مـائـتـانِ

وبالجملة فقد كان نادرة في الحفظ، والذكاء، وسعة الاطِّلاع، وإحكام الشعر.

(يَدٌ بِخَمْسٍ) (فِي سَبِيلِ الـمَـجْـدِ ٣٤٤ مَـا أَنَـا فَاعِـلٌ) وَ(غَـيْـرُ مُجْـدِ)

(يد بخمس): أشار هنا إلى قول أبي العلاء:

[البسيط]

يَـدٌ بِـخَمْسِ مِئٍ مِن عَسْجَدٍ وُدِيَتْ * ما بالُـهَا قُطِعَتْ فِـي رُبْعِ دِينَارِ
تَنَـاقُضٌ مـا لنَـا إلا السُّـكُوتُ لَـهُ * وأن نَّعُـوذَ بِـمَوْلانـا مِـن النَّـارِ

هكذا يقول! فأجابه العلماء وردُّوا عليه، وممن أجابه القاضي عبد الوهاب البغداديّ، قال: "لمَّا كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت". وأجابه أيضًا شعرًا فقال:

[البسيط]

صِيَانَةُ العُضْـوِ أَغْلاهَـا وأَرْخَصَـهَا * خيانةُ الـمَالِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ البَـارِي

(في سبيل المجد ما أنا فاعل): قال أبو العلاء يفتخر:

[الطويل]

ألا في سبيـلِ المَجْـدِ ما أنا فاعلُ * عَـفـافٌ وإقــدامٌ وحَــزْمٌ ونــائِلُ
أَعِـندِي وقـد مارسْتُ كلَّ خَفِيَّةٍ * يُـصَـدَّقُ واشٍ أو يُـخَـيَّـبُ سـائِلُ
أقَلُّ صُدُودِي أنَّني لكَ مُبْغِضٌ * وأيْسَرُ هَجْرِي أنَّني عنكَ راحلُ
إذا هَـبَّتِ النَّكبـاءُ بَيني وبينَكُمْ * فأهْـوَنُ شـيءٍ مـا تقـولُ العَـواذِلُ
تُـعَدُّ ذُنُـوبِـي عـندَ قَـومٍ كـثيـرَةً * ولا ذَنبَ لـي إلا العُـلا والفَضـائلُ

وقد سارَ ذِكْري في البلادِ فمَنْ لهمْ * بإخفاءِ شمسٍ ضَوْؤها مُتكامِلُ
يُهِمُّ اللَّيالي بعضُ ما أنا مُضْمِرٌ * ويُثْقِلُ رَضْوَى دونَ ما أنا حامِلُ
وإنِّي وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ * لآتٍ بِما لمْ تَسْتَطِعْهُ الأوائلُ

إلى أن قال:

ولما رأيتُ الجهلَ في النَّاسِ فاشيًا * تَجاهَلْتُ حتى قيلَ إنِّيَ جاهلُ
فَوا عَجَبًا كمْ يَدَّعي الفَضْلَ ناقصٌ * ووَا أسَفًا كم يُظْهِرُ النَّقصَ فاضلُ
وكيف تَنامُ الطَّيرُ في وُكُناتِها * وقد نُصِبَتْ للفَرْقَدَينِ الحَبائلُ
يُنافِسُ يَومِي فِيَّ أَمْسِي تَشَرُّفًا * وتَحسُدُ أسْحاري عليَّ الأصائلُ
وطالَ اعتِرافي بالزَّمانِ وصَرْفِهِ * فلستُ أُبالي مَن تَغُولُ الغَوائلُ
فَلَوْ بانَ عَضْدي ما تأسَّفَ مَنْكِبِي * ولو ماتَ زَنْدِي ما بَكَتْهُ الأنامِلُ
إذا وَصَفَ الطَّائيَّ بالبُخْلِ مادِرٌ * وعَيَّرَ قُسًّا بالفَهاهَةِ باقِلُ
وقال السُّهى للشَّمسِ أنتِ خَفِيَّةٌ * وقالَ الدُّجى يا صُبْحُ لَونُكَ حائلُ
وطاوَلتِ الأرضُ السَّماءَ سَفاهَةً * وفاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجَنادِلُ
فَيا موْتُ زُرْ إنَّ الحياةَ ذَميمَةٌ * ويا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دَهْرَكِ هازِلُ

و (غير مُجدٍ): هذه قصيدة يرثي بها فقيهًا حنفيًا، وهي في ديوانه (سَقْط الزَّنْد) وهي من أشهر قصائده، يقول:

[الخفيف]

غَيرُ مُجدٍ في مِلَّتي واعتِقادي * نَوحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادِ
وشَبِيهٌ صَوْتُ النَّعيِّ إذا قِيـ * ـسَ بِصَوتِ البَشيرِ في كلِّ نادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ الحَمامَةُ أَمْ غَنْـ * ـنَتْ على فَرْعِ غُصْنِها المَيَّادِ
صَاحِ هذي قُبُورُنا تَمْلأ الرَّحْـ * ـبَ فأينَ القُبُورُ مِن عَهدِ عادِ
خَفِّفِ الوَطْءَ ما أظُنُّ أديمَ الْـ * أَرْضِ إلا مِن هذهِ الأجسادِ
وقَبِيحٌ بِنَا وإن قَدُمَ العَهْـ * ـدُ هَوَانُ الآباءِ والأجْدادِ

سِرْ إنِ اسْطَعْتَ في الهَوَاءِ رُوَيدًا * لا اخْتِيالًا على رُفَاتِ العِبادِ
رُبَّ لَحْدٍ قد صارَ لَحْدًا مِرارًا * ضَاحِكٍ مِن تَزَاحُمِ الأضْدادِ
ودَفِينٍ على بَقايا دَفِينٍ * في طَويلِ الأزمانِ والآبادِ
فاسْألِ الفَرْقَدَينِ عَمَّنْ أحَسَّا * مِن قَبيلٍ وآنسَا مِن بلادِ
كَمْ أقامَا على زَوالِ نَهارٍ * وأَنارا لِمُدْلِجٍ في سَوَادِ
تَعَبٌ كُلُّها الحَياةُ فما أَعْـ * ـجَبُ إلا مِن راغِبٍ في ازْدِيادِ

(فَدَّتْكَ أَنْفُسٌ وَلَمْ تُفَادَا) ٣٤٥ وَ(تَكْبُرُ العَنْقَاءُ أَنْ تُصَادَا)

(فدتك أنفسٌ ولم تُفادا): هذه أبيات يُظهر فيها حزنه لفراق خاله، وكان خاله سافر إلى المغرب لطلب الكسب، يقول المعريُّ فيها:

[الوافر]

تُفَدِّيكَ النُّفوسُ ولا تُفادى * فَأَدْنِ القُرْبَ أو أَطِلِ البِعادا
أَرانا يا عليُّ وإن أقَمْنَا * نُشاطِرُكَ الصَّبابَةَ والسُّهادا
ولولا أنْ يُظَنَّ بِنا غُلُوٌّ * لِزدْنا في المَقالِ مَن اسْتَزادا
وقِيلَ أفادَ بالأسْفارِ مَالًا * فَقُلْنا هلْ أفادَ بها فُؤادا
إذا هادَى أخٌ مِنَّا أخاهُ * تُرابَكَ كان أَلْطَفَ ما يُهادى
ظَعَنْتَ لِتَسْتَفِيدَ أخًا وَفِيًّا * وضَيَّعْتَ القَدِيمَ المُسْتَفادا
أَقِمْ في الأقْرَبينَ فكُلُّ حَيٍّ * يُرَاوَحُ بالمَعِيشَةِ أو يُغادى
وليس يُزادُ في رِزْقٍ حَريصٌ * ولو رَكِبَ العَواصِفَ كيْ يُزادا
نُراسِلُكَ التَّنَصُّحَ في القَوافي * وغَيرُكَ مَن نُعَلِّمُهُ السَّدادا
فإن تَقْبَلْ فذاكَ هَوى أُناسٍ * وإن تَرْدُدْ فلَمْ نَأْلُ اجتِهادا

تُفدِّيك النفوس ولا تفادى: يقول نفوسنا غالية لا يمكن أن تفديها نفس، ومع ذلك فهي فداء لك.

و (تكبر العنقاء أن تُصادا): قال المعري في الفخر:

[الوافر]

أَرى العَنْقاءَ تَكْبُرُ أن تُصادا * فعانِدْ مَن تُطِيقُ لهُ عِنادا

إلى أن يقول:

فَظُنَّ بسائِرِ الإخْوانِ شَرًّا * ولا تَأْمَنْ على سِرٍّ فُؤادا
فلو خَبَرَتْهُمُ الجَوزاءُ خُبْري * لما طَلَعَتْ مَخافَةَ أن تُكادا
تَجَنَّبْتُ الأنامَ فلا أُواخي * وزِدْتُ عن العدُوِّ فلا أُعادى

يقول فيها:

ولكِنَّ الشَّبابَ إذا تَوَلَّى * فجَهْلٌ أن تَرُومَ لهُ ارْتِدادا
وأحْسِبُ أنَّ قَلبي لو عَصاني * فَعاوَدَ ما وَجَدْتُ لهُ افْتِقادا

(أَصَالَةُ الرَّأْيِ) أَتَى الطُّغْرَائِي ٣٤٦ فِيهَا بِمَا يَبْهَرُ كُلَّ رَاءِ
عِزٌّ يُسَامِي مَنْكِبَ الجَوْزَاءِ ٣٤٧ فِي حُلْوِ لَفْظٍ كَزُلَالِ المَاءِ

الطُّغْرائي هو مُؤَيَّد الدِّين أبو إسماعيل الحُسين بن علي. قيل له الطُّغرائيّ نسبةً إلى "الطُّغْرى" والطُّغرى كلمة أعجمية استعملتها العرب معناها "الطُّرَّة" التي تُكتب عادة في أعلى الكتاب بالخط الغليظ تتضمَّن نعوت الملك الذي يصدر الكتاب باسمه، وقد قال أحمد شوقي في هَمْزِيَّته:

[الكامل]

نُظِمَتْ أَسامي الرُّسْلِ فَهْيَ صَحِيفَةٌ * في اللَّوحِ واسْمُ مُحَمَّدٍ طُغْراءُ

وكان الطغرائي غزير الفضل، لطيف الطَّبع، فاق أهل عصره بصنعة الشعر والنَّثر. ومن مُستجاد شعره "لاميَّة العَجَم" التي أشار إليها هنا بذكر مطلعها: (أصالة الرَّأي) وقد نالت

شهرة واسعة، وشُرحت شروحًا كثيرة، أشهرها: (شرح الصَّفَديّ). مطلعها قوله:

[البسيط]

أصالةُ الرَّأيِ صانَـتْـنِي عن الخَطَلِ * وحِلْـيَـةُ الفَضْلِ زانَـتْني لدى العَطَلِ

يقول فيها:

حبُّ السَّلامةِ يَـثْني عَـزْمَ صاحِبِهِ * عن المَعالي ويُغْرِي المَرْءَ بالكَسَلِ
فإن جَنَحْتَ إليـهِ فاتَّـخِـذْ نَفَـقًا * في الأرضِ أو سُلَّمًا في الجَوِّ فاعتَزلِ
ودَعْ غِمارَ العُـلا للمُقْدِمينَ على * رُكُوبِها واقْـتَنِعْ مِـنْـهُـنَّ بالبَـلَلِ

يقول فيها:

إنَّ الـعُـلا حَـدَّثَـتْني وَهْيَ صادِقَـةٌ * في ما تُـحَـدِّثُ أنَّ العِـزَّ في النُّـقَلِ
لو أنَّ في شَرَفِ المَـأوَى بُلـوغَ مُنًى * لَمْ تَـبْرَحِ الشَّمسُ يَـومًا دارةَ الحَمَلِ

وآخرها قوله:

قـد رشَّـحُـوكَ لأمرٍ إنْ فَـطِنْتَ لـهُ * فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أنْ تَرْعَى مَعَ الهَمَلِ

هذا آخر الكلام عن الشعر في العصر العباسي، ولـم يبق مـن عصـور الأدب إلا عصـر الـدول المتتابعة والعصر الحديث؛ إلا أنَّ الشعر في العصر الأندلسيّ يستحقُّ أن يُذكر فأفرده بأبيات بين عصر الدول المتتابعة والعصر الحديث، وقد جرى على ذلك بعض من كتب في تاريخ الأدب.

[عصر الدول المتتابعة]

وَبَعْـدَهُمْ تَتَابَعَـتْ تِيـكَ الدُّوَلْ ٣٤٨ وَرَوْنَـقُ الشِّـعْرِ ضَـوَى وَمَـا أَفَـلْ

بعد العصر العباسي عصر الـدول المتتابعـة، ويُسمِّيه بعض المعاصرين: "عصر الانحطاط الأدبيّ" وهـذا الحكـم لـيس على إطلاقـه فقـد كـان فيـه شـعراء مُجيـدون، وإن كانـت السِّـمَة الغالبة في هذا العصر نزول مكانة الشِّعر عمَّا كانت عليه في العصر السَّالف. رونق الشِّعر: حُسْنه. ضوى وما أفل: أي ضَعُفَ لكن لم يَغِبْ، بل كـان في هـذا العصر شعراء مُجيدون.

والأصل أن يقال: ضَوِيَ، لكنَّه أتى به على لغة طَيِّء؛ فإنهم اقتصروا على شِقِّ قاعدة: **أن حرف العلَّة إذا تحرَّك وانفتح ما قبله قُلِبَ ألفًا**، فلم يشترطوا أن ينفتح ما قبله؛ فيقولون مثلًا في خَفِيَ: خَفَى. وفي بَقِيَ: بَقَى. وفي رَضِيَ: رَضَى. وفي ضَوِيَ: ضَوَى. وهو كثير في أشعار الطَّائيِّين، وربما وُجِد في أشعار غيرهم من العرب، ومنه قول زيد الخيل الطَّائيّ:

[الطويل]

فلَوْلا زُهَيرٌ أنْ أُكَدِّرَ نِعْمَةً * لَقاذَعْتُ كَعْبًا ما بَقِيتُ وما بَقَى

قال النَّاظم:

[الرجز]

والكَسْرَ فَتْحًا رُدَّ واليَا أَلِفَا * لِطَيِّءٍ كَخَفِيَ اردُدْهُ خَفَى

(سَلِي الرِّمَاحَ) لِلصَّفِيِّ الحِلِّي ٣٤٩ (وَاسْتَشْهِدِي البِيضَ) وَكُلَّ نَبْلِ

الصَّفِيُّ الحلِّيّ هو عبدالعزيز بن عليّ الشَّهير بِصَفِيِّ الدِّين الحِلِّيّ. شاعر عصره على الإطلاق، أجاد القصائد المُطوَّلة والمَقاطيع، وأتى بما أَخْجَلَ زُهْرَ النُّجوم في السَّماء، كما أَزْرى بزَهْرِ الأرض في الرَّبيع، هذا قوله:

حُلْوُ البَيَانِ كَالنُّجُومِ الزُّهْرِ ٣٥٠ يُنْسِي بَدِيعُهُ أَنِيقَ الزَّهْرِ

(سَلِي الرِّماح): من مختار شعره قوله في الحماسة والفخر:

[البسيط]

سَلِي الرِّماحَ العَوالي عن مَعالِينَا * واسْتَشْهِدِي البِيضَ هل خابَ الرَّجا فِينَا
لقد سَعَينا فلمْ تَضْعُفْ عَزائِمُنا * عَمَّا نَرُومُ ولا خابَتْ مَساعِينَا
قَومٌ إذا اسْتُخْصِمُوا كانوا فَراعِنَةً * يَومًا وإن حَكَمُوا كانوا مَوازِينَا
تَدَرَّعوا العَقْلَ جِلْبَابًا فإنْ حَمِيَتْ * نارُ الوَغَى خِلْتَهُمْ فيها مَجانِينَا

إذا ادَّعَـوا جـاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً * وإنْ دَعَـوا قـالـتِ الأيَّــامُ آمِـينَا
إنَّـا لَـقَـومٌ أَبَـتْ أَخـلاقُـنـا شَـرَفًـا * أنْ نَـبْـتَـدي بـالأذَى مَـن ليس يُـؤْذِينَـا
بِـيضٌ صَنائِـعُـنا سُـودٌ وَقـائِـعُـنَـا * خُـضْـرٌ مَـرابِـعُـنَـا حُـمْـرٌ مَـواضِـينَـا
لا يَـظْـهَـرُ العَجْـزُ مِـنَّـا دونَ نَـيْـلِ مُنًى * ولَـوْ رَأَيْـنَـا الـمَـنَـايَـا في أَمانِـينَـا

(الجَدُّ فِي الجِدِّ) قَصِيدُ الصَّفَدِي ٣٥١ قَدْكَ مِنَ التَّقْصِيرِ وَالنَّوْمِ قَدِ

صلاح الدِّين الصَّفَديّ هو خَليل بن أَيْبَك. تلقَّى العلوم والفنون على مشاهير العُلماء مثل: التَّقيّ السُّبْكيّ، والذَّهَبيّ، وأبي حيَّان وأمثالهم. وأخذ الأدب عن أجلَّاء الأُدباء مثل: ابن نُباتة. وكتب الخطَّ المَليح، وقال النَّظم الرَّائق، وألَّف المؤلَّفات الفائقة في التَّاريخ والأدب.

ومن شعره لاميَّته التي يقول عنها الشَّوكاني في (البدر الطَّالع): إنَّ الصَّفدي سلك فيها مسلك الطُّغْرائيّ في لاميَّة العجم -وقد سبق أنَّه شرح لاميَّة العجم؛ فلا غَرْوَ أن يتأثَّر بالطغرائي وأن يَنْتَهِجَ منهجه- قال الشوكاني: وهي قصيدة رائقة، مشتملة على حكم نافعة. قال فيها الصَّفَدي:

[البسيط]

الجَدُّ في الجِدِّ والحِرمانُ في الكَسَلِ * فانصَبْ تُصِبْ عنْ قريبٍ غايةَ الأملِ
واصْبِرْ على كُلِّ ما يَأْتِي الزَّمانُ بِهِ * صَبْرَ الحُسامِ بكَفِّ الدَّارِعِ البَطَلِ
ولا تَكُونَنْ على ما فاتَ ذا حَزَنٍ * ولا تَظَلَّ بِمَا أُوتِيتَ ذا جَذَلِ
واستَشْعِرِ الحِلْمَ في كلِّ الأُمُورِ ولا * تُسْرِعْ بِبَادِرَةٍ يَوْمًا إلى رَجُلِ
وإنْ بُلِيتَ بِشَخْصٍ لا خَلاقَ لَهُ * فَكُنْ كأنَّكَ لمْ تَسْمَعْ ولمْ يَقُلِ
ولا يُغْرَّنْكَ مِنْ يُبْدِي بَشاشَتَهُ * إليكَ خِدْعًا فإنَّ السُّمَّ في العَسَلِ
وإنْ أَرَدتَ نَجاحًا أو بُلُوغَ مُنًى * فاكْتُمْ أُمُورَكَ عنْ حافٍ ومُنْتَعِلِ

هذا قوله: (الجَدُّ في الجِدِّ) قصيد الصفدي.. قَدْكَ: أي حَسْبُكَ وكافِيكَ مِن التقصير والنَّوم قَدِ.

[الشعر في الأندلس]

إِنْ رُمْتَ أَفْنَانَ رِيَاضِ الأَنَسِ ٣٥٢ فَعُجْ عَلَى رَيَّا صَبَا الأَنْدَلُسِ

إن رُمت: أردت. أفنان: الأفنان جمع فَنَنٍ للغُصْنِ؛ فالأفنان: الأغصان. أو جمع فَنٍّ للحال والضَّرْبِ من الشَّيء، وقد قيل بهما في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ٤٨﴾ [الرحمن: ٤٨]. أي أغصان، أو أصناف النَّعيم وألوان اللذَّات. رياض: الرِّياض جمع رَوْضَة وهي المَوضِع المُعْجِب بالزُّهور. الأَنَس: ضد الوَحْشَة وهو مصدر أَنِسَ به. ويقال فيه: أَنَسَ به يَأْنِس بالكسر، والمصدر الأُنْس بالضمِّ. فَعُجْ: يقال عاجَ عليه؛ إذا وقف عليه وعَرَّجَ عليه. قال الشاعر:

[البسيط]

عُجْنَا على رَبْعِ سَلْمَى أيَّ تَعْرِيجِ

وضع التَّعريج مكان العَوْج لأن معناهما واحد. الرَّيَّا: الرِّيح الطَّيبة. قال امرؤ القيس في معلقته:

إذا قامَتا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنهُما * نَسِيمَ الصَّبا جاءتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

الصَّبا: الرِّيح التي تُقابل الدَّبور، قال ﷺ: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ». وكان نصره بها في غزوة الأحزاب التي قال الله فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾ [الأحزاب: ٩]. هذه الرِّيح هي ريح الصَّبا.

رَقَّ وَرَاقَ عَنْهُ قَلْبِي مَا صَحَا ٣٥٣ هَلْ رَيْتَ كَفًّا حَجَبَتْ شَمْسَ الضُّحَا!

فشعر الأندلس شعر رقيق رائق، وقد أعانهم عليه حُسْن بلادهم، وصفاء طبيعتهم. يقول: إن حسنه وجماله ظاهر لا ينكره أحد كما أن الشمس ظاهرة لا يستطيع أحد أن يحجب ضوءها بكفِّه. وقد كان فتح الأندلس عام اثنين وتسعين من الهجرة، وكان سقوطها عام ثمانمائة وسبع وتسعين، وكانت دولة الإسلام في الأندلس على أَوْجِها عندما قامت دولة بني أُميَّة في

تلك البلاد، واستمرَّت ما شاء الله حتى كانت بعد ذلك دول الطَّوائف، فتفرَّقوا حتى صاروا كما قال الشَّاعر:

[الكامل]

وتَفرَّقوا شِيَعًا فكلُّ مَحِلَّةٍ * فيها أميرُ المؤمنينَ ومِنْبَرُ

وقال الحسن بن رَشِيق:

[البسيط]

مِمَّا يُزَهِّدُني في أرضِ أَندلُسٍ * أَسْماءُ مُعْتَضِدٍ فيها ومُعْتَمِدِ
أَسْماءُ مَمْلَكَةٍ في غيرِ مَوْضِعِها * كالهِرِّ يَحْكي انتِفاخًا صَولَةَ الأسَدِ

ثم انتهت بانتهاء آخر مَعْقِل من مَعاقِل المسلمين وهو غَرْناطَة في حكم عبدالله الصَّغير. وخلال هذه المدَّة الممتدَّة شهد الأدب العربيّ ازدِهارًا كبيرًا، واشتهر أدباء الأندلس بالرِّقة ووصف الطَّبيعة.

(أَضْحَى التَّنَائِي) لِابْنِ زَيْدُونَ شَفَى ٣٥٤ غَلِيلَهُ بِذِكْرِ مَكْنُونِ الوَفَا

ابن زيدون من أعلام الشعر والنَّثر في الأندلس، له مدائح رائعة، ومَراثٍ بديعة؛ غير أنَّ اللَّبِنَة الذَّهبيَّة في بناء شعره هي هذه القصيدة المُشار إليها، التي تسيل عذوبة ورقَّة، وتَكتَظُّ بلوعات قلب محترق، يقول فيها:

[البسيط]

أَضْحَى التَّنائي بَديلًا عن تَدانِينا * ونابَ عن طِيبِ لُقْيانا تَجافِينا
بِنْتُمْ وبِنَّا فما ابتَلَّتْ جوانِحُنا * شَوقًا إلَيكُمْ ولا جَفَّتْ مَآقِينا
نكادُ حينَ تُناجِيكُمْ ضَمائِرُنا * يَقْضِي علينا الأسى لولا تَأَسِّينا
حالَت لِفَقْدِكُمُ أيّامُنا فَغَدَتْ * سُودًا وكانتْ بِكُمْ بِيضًا لَيالِينا
إذ جانِبُ العَيشِ طَلْقٌ مِن تَأَلُّفِنا * ومَرْبَعُ اللَّهْوِ صافٍ مِن تَصافِينا
وإذ هَصَرنا فُنونَ الوَصْلِ دانِيَةً * قِطافُها فَجَنَينا مِنهُ ما شِينا

لِيُسْقَ عَهْدُكُمُ عَهدُ السُّرورِ فما * كُنتُمْ لِأَرْواحِنـا إلا رَياحِينا
لا تَحسِبوا نَأيَكُمْ عنَّا يُغيِّرُنا * إذ طالَما غَيَّرَ النَّأْيُ المُحِبِّينا
واللهِ ما طَلَبَتْ أَهْواؤُنـا بَـدَلًا * مِنكُمْ ولا انصَرَفَتْ عَنكُمْ أَمانِينا

وله تلك المَقْطوعَة الجميلة التي قالها في الذِّكرى مُتَوَجِّعًا:

[الرمل]

وَدَّعَ الصَّبـرَ مُحِبٌّ وَدَّعَـكْ * ذائِعٌ مِن سِرِّهِ ما استَودَعَكْ
يَقْرَعُ السِّنَّ على أن لمْ يكُنْ * زادَ في تِلكَ الخُطا إذ شَيَّعَكْ
يا أَخا البَدرِ سَنـاءً وسَنًا * حَفِظَ اللهُ زَمانًا أَطْلَعَكْ
إن يَطُلْ بَعدَكَ لَيلي فَلَكَمْ * بِتُّ أَشكو قِصَرَ اللَّيلِ مَعَكْ

(فِيمَا مَضَى قَدْ كُنْتَ) لِلْمُعْتَمِدِ ٣٥٥ (مَلْكٌ إِذَا حُدِّثْتَ عَنْهُ قُلْ: زِدِ)

(ملك إذا حُدِّثت عنه قل: زِدِ): هذا الشَّطر مضمَّن من (رَقْمِ الحُلَلِ في نَظْمِ الدُّوَلِ) للسان الدِّين ابن الخطيب، فإنه قال:

[الرجز]

أَميرُ حِمْصَ وسِواها المُعْتَمِدْ * مَلْكٌ إذا حَدَّثْتَ عنهُ قُلْ وزِدْ

وعملًا بما قال لسان الدين ينبغي أن نزيد في الحديث عن المُعتمِد بن عبَّاد.

المعتمد بن عبَّاد عَلَمٌ من أعلام الأندلس شعرًا، وحُكمًا، وسياسة، وشجاعةً، ورأيًا. خشيَ –وكان من كبار ملوك الطَّوائف– أن تسقط دولته إشْبِيلِيَّة على أيدي النَّصارى؛ فعزم على أن يكتب إلى يوسف بن تاشَفِين –وهو أمير المسلمين آنذاك على بلاد المغرب– فيعينه بجيوشه وينتصر على النصارى، فحذَّره ملوك الطوائف من ذلك، وقالوا له: إن المُلْك عقيم، والسَّيفان لا يجتمعان في غِمْد. يريدون أن ابن تاشفين إذا رأى خضرة البلاد وحسنها؛ استولى على الأندلس وضمَّها إلى مُلْكِه. فقال المعتمد كلمته التي سارت مثلًا: رَعْيُ

الجِمال خيرٌ مِن رَعْي الخنازير. يعني أن أكون أسيرًا عند ابن تاشفين أرعى جماله في الصحراء، خيرٌ من أن أكون أسيرًا عند النصارى أرعى خنازيرهم. وقدم يوسف والتقى هو والمعتمد في صفٍّ واحد في معركة الزَّلَّاقة الشهيرة التي قيل: إنَّ الله حفظ بلاد الأندلس من السقوط أربعة قرون بسببها. وكان فيها النصر الذي يتحدَّث عنه التاريخ، وقد سبقت الإشارة إليها عند قوله: ما فتحُ عمُّوريَّةٍ وإن عَلَتْ ❋ كشَقْحَبٍ زلَّاقَةٍ إن قُورِنتْ ثم لما ألقت الحرب أَوْزارها رجع يوسف إلى بلده، لكنه رجع وقد عزم على أن يعود؛ لما رأى فيها من افتراق الكلمة، وكيد بعض أمراء الأندلس لبعض، واستعانتهم بالنصارى على إخوانهم. رجع بعد سُنَيْهاتٍ يسيرة والتقى يوسف بن تاشفين والمعتمد مرَّة أخرى لكنَّهما كانا هذه المرَّة في صَفَّين متقابلين متقاتلين، أحاط جيش يوسف بقصر المعتمد، ودخل إليه رجلان فخرج المعتمد إليهما ليس عليه سوى قميصه وسيفه، فحمل على أحدهما وقتله، ففزع الآخر وهرب؛ فأنشد المعتمد على البديهة والارتجال وقد أُحيط به:

[مجزوء الكامل]

لـمَّا تَماسَكَتِ الدُّموعُ ❋ وتنبَّهَ القَلبُ الصَّدِيعُ
قالوا الخُضُوعُ سِياسَةٌ ❋ فَلْيَبْدُ مِنكَ لَهُمْ خُضوعُ
وألَذُّ مِن طَعْمِ الخُضُو ❋ عِ على فَمِي السُّمُّ النَّقِيعُ
قد رُمْتُ يومَ قِتالِهِمْ ❋ ألَّا تُحَصِّنَني الدُّرُوعُ
وبَرَزْتُ ليس سِوى القَمِيـ ❋ ـصِ عن الحَشَا شيءٌ دَفُوعُ
أَجَلِي تَأَخَّرَ لم يكنْ ❋ بِهَوايَ ذُلِّي والخُشُوعُ
ما سِرتُ قَطُّ إلى القِتا ❋ لِ وكانَ مِن أَمَلِي الرُّجوعُ
شِيَمُ الأُلى أنا مِنْهُمُ ❋ والأصلُ تَتْبَعُهُ الفُروعُ

وقع المعتمد في آخر الأمر أسيرًا في يد يوسف بن تاشفين ، ووضعه في سفينة ورُحِلَ بالمعتمد وآله بعد استئصال جميع أحواله ليُنْفَى إلى أَغْمات في المغرب العربيّ، وتعرَّض أبو الحسن الحُصْريّ الشاعر في طَنْجَة للمعتمد بشعر يمدحه فيه –والمعتمد أسير– فوجَّه إليه المعتمد

بشيء من الأُعْطِيات، ومع الأعطيات قطعة فيها شعر يعتذر من قلَّتها، فتسامع الشعراء بذلك فقصدوه من كل ناحية، فقال -رحمه الله-:

[الكامل]

شُعَراءُ طَنْجَةَ كلُّهُمْ والمَغْرِبِ * ذَهَبوا مِن الإغْرابِ أَبعَدَ مَذْهَبِ
سألوا العَسِيرَ مِن الأَسِيرِ وإنَّهُ * بِسُؤالِهِمْ لأَحَقُّ فاعجَبِ واعْجَبِ
لولا الحَياءُ وعِزَّةٌ لَخْمِيَّةٌ * طَيَّ الحَشا سَاواهُمُ في المَطْلَبِ

ولما رأى النَّاس المعتمد بن عبَّاد أسيرًا تركوا كل ما عندهم إذ هو أعظم ملوكهم، ووقفوا على جانِبَي النَّهر يستعبرون ويبكون، ومعهم ابن اللَّبانة وكان منقطعًا إلى المعتمد، فقال ابن ابن اللُّبانة قصيدته المشهورة:

[البسيط]

تَبكِي السَّماءُ بدَمْعٍ رائحٍ غادي * على البَهالِيلِ مِن أَبْناءِ عَبّادِ
نَسِيتُ إلا غَداةَ النَّهْرِ كَوْنَهُمُ * في المُنْشَآتِ كأمواتٍ بألْحادِ
و النَّاسُ قد مَلَؤوا العِبرَيْنِ واعتَبَرُوا * مِن لُؤلُؤٍ طافِياتٍ فوقَ أَزْبادِ
حُطَّ القِناعُ فلَمْ تُسْتَرْ مُخَدَّرَةٌ * ومُزِّقَتْ أَوْجُهٌ تَمْزِيقَ أَبْرادِ
حانَ الوَداعُ فَضَجَّتْ كلُّ صارِخَةٍ * و صارِخٍ مِن مُفَدَّاةٍ ومِن فادي
سارَتْ سَفائنُهُمْ و النَّوحُ يَصْحَبُها * كأنَّها إبِلٌ يَحْدُو بها الحادي

وأول عيد فطر أدرك المعتمد وهو مأسور، جاءت فيه بناته إلى السِّجن يُهنِّئنه بالعيد، فلما نظر إليهن رأى وجوهًا قد أجدبت، وأقدامًا حافية تطأ في الطِّين؛ فتذكَّر قصة حصلت له معهن، وهي أن أُمَّهنَّ الرُّمَيكِيَّة الملقبة باعتِماد رأت ذات يوم نساء البادية يبِعن اللَّبن في القِرَب وهن رافِعات عن سُوقِهِنَّ في الطين، فقالت له: أشتهي أن أفعل أنا وجواريَّ مثل هؤلاء النِّساء؛ فأمر المعتمد بالعنبر، والمسك، والكافور، وماء الورد، وصيَّر الجميع طينًا في القصر، وجعل له قِرَبًا وحِبالًا من إبْرِيسَم، وخرجت تخوض في الطين هي وبناتها وجواريها،

فلما رآهنَّ الآن يطأن في الطين حافيات؛ حزِن حُزْنًا شديدًا أنطقه بأشهر قصيدة له، وهي القصيدة المُشار إليها في النَّظم، وهي قوله:

[البسيط]

فيما مَضى كُنتَ بِالأعيادِ مَسْرُورا * فَساءَكَ العِيدُ في أَغْماتَ مَأسُورا
تَرى بَناتِكَ في الأَطْمارِ جائِعَةً * يَغزِلْنَ لِلنَّاسِ ما يَمْلِكْنَ قِطمِيرا
بَرَزْنَ نَحْوَكَ لِلتَّسْلِيم خاشِعَةً * أَبْصارُهُنَّ حَسِيراتٍ مَكاسِيرا
يَطَأْنَ في الطِّينِ والأقدامُ حافيَةٌ * كأَنَّها لَمْ تَطَأْ مِسْكًا وكافُورا
لا خَدَّ إلا تَشكَّى الجَدْبَ ظاهِرُهُ * وليس إلا مَعَ الأنفاسِ مَمْطُورا
أَفْطَرتَ في العِيدِ لا عادَتْ إساءَتُهُ * فكان فِطْرُكَ للأكبادِ تَفْطِيرا
قد كان دَهْرُكَ إن تأمُرهُ مُمْتَثِلًا * فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مَنْهِيًّا ومَأمُورا
مَن باتَ بَعْدَكَ في مُلْكٍ يُسَرُّ بِهِ * فإنَّما باتَ بالأحلامِ مَغْرورا

وكان والد المعتمد وهو عبَّاد بن محمد بن إسماعيل رأى رؤيا عُبِرَت له بأنَّ رجلًا يأتي من بلاد المغرب، ويستولي على دولتك هذه، ويأخذ أميرها أسيرًا، فجلس العبّاد مع بنيه وقال: يا بَنيّ إني رأيت في المنام كذا وكذا، فليت شعري أيُّكم الذي سيكون هذا في عهده؟ فقال المعتمد –وأراد تَطْييبَ خاطر والده-: جُعِلت فداءك. وشاء الله أن تدور الأيام ويكون المعتمد هو الذي تحقَّقت فيه هذه الرُّؤيا. وسبق إنشاد قصيدته التي رثى بها نفسه استطرادًا عند ذكر من رثى نفسه من الشعراء في قوله: ومالكُ بن الرَّيبِ نفسَهُ نَعَى * وقد غزا وللضَّلالِ ودَّعا * جُرا ردائي ولقبري أَوسِعا * مَرثيَةٌ تُذري الدُّموع هُمَّعا * ومثلُهُ فَخرُ بني عبادِ * قبرَ الغَريبِ لا عداكَ الغادي.

لِابْنِ خَفَاجَةَ الرَّقِيقِ الـمَـاءِ: ٣٥٦ (لِلّٰهِ نَهْرٌ سَالَ فِي بَطْحَاءِ)

ابن خفاجة هو أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة. أشهر وُصَّاف الطبيعة في الأندلس، ومن شعره

قوله يصف نهرًا ينساب في البطحاء مَحْفُوفًا بما حوله من فتنة الأرض وجمالها:

[الكامل]

لِلَّهِ نَهْرٌ سالَ في بَطْحاءِ * أَشْهَى وُرُودًا مِن لَمَى الحَسْناءِ
مُتَعَطِّفٌ مِثلَ السِّوارِ كأَنَّهُ * والزَّهْرُ يَكْنُفُهُ مَجَرُّ سَماءِ
قد رَقَّ حتى ظُنَّ قُرْصًا مُفْرَغًا * مِن فِضَّةٍ في بُرْدَةٍ خَضْراءِ
والرِّيحُ تَعْبَثُ بِالغُصُونِ وقد جَرى * ذَهَبُ الأَصيلِ على لُجَينِ الماءِ

وقد جرى ذهب الأصيل على لُجين الماء: شبَّه الأصيل قبل الغروب بالذهب، والماء باللُّجين أي الفِضَّة.

(لِكُلِّ شَيْءٍ) لِأَبِي البَقَاءِ ٣٥٧ مُشْجِيَةٌ مِنْ أَصْدَقِ الرِّثَاءِ

أبو البقاء صالح بن شريف الرُّنْديّ –بضمِّ الراء– كان من كبار أدباء الأندلس، وكان بارع التَّصرُّف في منظوم الكلام ومنثوره، وكان فقيهًا فَرَضِيًّا مُحدِّثًا ، وقد طارت شهرة أبي البقاء شرقًا وغربًا لقصيدته النونيَّة التي نظمها بعد سقوط مدن الأندلس الكبرى في يد النَّصارى؛ قُرْطُبَة، وإشْبِيلِيَة، وبَلَنْسِيَة، وجَيَّان، قالها وهو يراها بعينيه تسقط حصنًا بعد حصن، وتتبدَّل بعزِّها ذُلًّا، وبقوتها ضعفًا، وقد توفي الرُّندي في سنة أربع وثمانين وستمائة، وسقوط الأندلس كان بسقوط آخر ممالكها غَرْناطَة التي كانت آخر مَعاقِل المسلمين سنة سبع وتسعين وثمانمائة؛ فقصيدته هذه كانت قبل سقوط الأندلس بأكثر من مائتي سنة، يقول فيها:

[البسيط]

لِكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمَّ نُقْصانُ * فلا يُغَرَّ بِطِيبِ العَيشِ إنسانُ
هِيَ الأُمُورُ كما شاهَدتَها دُوَلٌ * مَن سَرَّهُ زَمَنٌ ساءَتهُ أَزْمانُ
وهذِهِ الدَّارُ لا تُبْقِي على أَحَدٍ * ولا يَدُومُ على حالٍ لها شانُ
أين المُلوكُ ذَوو التِّيجانِ مِن يَمَنٍ * وأين مِنهُمْ أَكالِيلٌ وتِيجَانُ
وأين ما شادَهُ شَدَّادُ في إِرَمٍ * وأينَ ما ساسَهُ في الفُرْسِ ساسانُ

وأين ما حازَهُ قارونُ مِن ذَهَبٍ * وأين عادٌ وشدَّادٌ وقَحْطانُ
أَتى على الكُلِّ أَمْرٌ لا مَرَدَّ لَهُ * حتى قَضُوا فكأنَّ القَومَ ما كانُوا
وصارَ ما كان مِن مُلْكٍ ومِن مَلِكٍ * كما حَكى عن خَيالِ الطَّيفِ وَسْنانُ
فَجائِعُ الدَّهْرِ أَنواعٌ مُنَوَّعَةٌ * وللزَّمانِ مَسَرَّاتٌ وأَحْزانُ
وللحَوادِثِ سُلْوانٌ يُهَوِّنُها * وما لِمَا حَلَّ بالإسلامِ سُلوانُ
دَهَى الجَزِيرَةَ أَمْرٌ لا عَزاءَ لَهُ * هَوَى لَهُ أُحُدٌ وانْهَدَّ ثَهْلانُ

إلى أن قال في آخرها:

لِمثلِ هذا يَذُوبُ القلبُ مِن كَمَدٍ * إن كانَ في القَلبِ إسلامٌ وإيمانُ

وقد ذكر المَقَّريُّ في (نَفْحِ الطِّيب) بعد إنشاده لها من رواية وثيقة أن بأيدي الناس منها زيادات نُدِبَت فيها مُدن الأندلس التي ظلَّت تسقط مدينة بعد مدينة بعد وفاة أبي البقاء الرُّندي حتى سقوط غرناطة بعد أن ظلَّت شمس الإسلام ساطعة في سمائها ثمانية قرون.

وَمِثْلُهَا: سِينِيَّةُ القُضَاعِي ٣٥٨ (أَدْرِكْ بِخَيْلِكَ) حِمَى الأَصْقَاعِ

محمد بن أبي بكر بن عبدالله القُضاعيّ البَلَنْسيّ المشهور بابن الأَبَّار من أهل بَلَنْسِيَة له قصيدة قريبة من قصيدة أبي البقاء الرُّندي، وهو من مؤرِّخي الأندلس وعلمائها البَرَرة الموثوق بهم. له كتاب (التَّكْمِلَة لكتاب الصِّلَة) في تَراجِم علماء الأندلس وكتاب (الحُلَّة السِّيَراء) في تراجِم الأمراء والأَعْيان في الأندلس والمغرب و (تُحْفَة القادِم) في شعراء عصره، و (إعتاب الكتَّاب) في الكتاب الذين فقدوا مكانتهم وحُظْوَتهم عند الأمراء واستعادوها، وكتبه مرجع أصيل عند من كتب عن الأندلس وأعلامها من المعاصرين. وكان ابن الأَبَّار شاعرًا مُجيدًا له قصيدة من غُرَر القصائد، قال عنها المَقَّريّ في (نفح الطِّيب): "قصيدة فريدة فضحت مَن باراها، وكَبا دونها من جاراها". يقول فيها:

[البسيط]

أَدْرِكْ بِـخَـيْـلِكَ خَـيْـلِ اللهِ أَنـدلُـسَـا * إِنَّ السَّـبِـيـلَ إلى مَـنْـجـاتِـهـا دَرَسَـا
وَهَبْ لهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا الْتَمَسَتْ * فـلَـمْ يَـزَلْ منكَ عِـزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسا
يا لِلْجَزِيرَةِ أضحى أهلُـها جَزَرًا * لِلنَّائباتِ وأضحى جَدُّهَا تَـعِسا
مَدائنٌ حَـلَّها الإِشْـرَاكُ مُبْتَسِمًا * جَـذْلانَ وارتَـحَـلَ الإيمانُ مُبْتَئِسا
يا لِلْمَساجِدِ عَـادَتْ للعِـدَا بِيَعًا * ولِلنِّداءِ غَـدَا أَثْـنـاءَهـا جَـرَسا
فأين عَـيْشٌ جَنَيْنَاهُ بِها خَضِرًا * وأين غُـصْنٌ جَنَيْناهُ بِها سَلِسا
مَحَـا مَحَـاسِنَها طـاغٍ أُتِيحَ لـها * ما نـامَ عن هَضْمِها حِينًا ولا نَعَسَا
خَلا لَهُ الجـوُّ فَامْتَدَّتْ يَداهُ إلى * إدْراكِ ما لَمْ تَـطَأْ رِجْلاهُ مُخْتَلِسا
وأَكْثَرَ الزَّعْـمَ بالتَّثْلِيثِ مُنْفَرِدًا * ولَـوْ رَأَى رايَـةَ التَّـوحِيدِ ما نَبَسا

في قصيدة طويلة.

وَ(جَادَكَ الغَيْثُ إِذَا الغَيْـثُ هَـمَى) ٣٥٩ لِابْنِ الخَطِيبِ هَـاكَ عِقْـدًا نُمْنِمَـا

من أعلام شعراء الأندلس **لسان الدِّين ابن الخطيب ذو الوِزارَتين** وهو مفخرة من مفاخر الأندلس، صاحب بيان رائق، وشعر فائق. روى كثيرًا من أشعاره وأخباره المَقَّرِيُّ في كتابه: (نَفْحِ الطِّيب مِن غُصْنِ الأندلُسِ الرَّطِيب وذِكْرِ وَزِيرِها لسانِ الدِّين ابنِ الخَطِيب) ومن أشهر شعره مُوَشَّحته المشار إليها هنا في البيت، يقول فيها:

[الرمل]

جادَكَ الغَـيْثُ إذا الغَيْثُ هَمى * يا زَمانَ الوَصْـلِ بالأَنْـدَلُسِ
لَمْ يكُنْ وَصْلُكَ إلا حُلُمًا * في الكَرَى أو خُلْسَةَ المُخْتَلِسِ
إذ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتاتَ المُنَى * تَنْقُلُ الخَطْوَ على ما يَرْسُمُ
زُمَـرًا بيـنَ فُـرادَى وثُـنَى * مِثْلَما يَدْعو الوُفودَ المَوْسِمُ
والحَيا قد جَلَّلَ الرَّوضَ سَنا * فَثُغُورُ الزَّهْرِ فيهِ تَبْسِمُ

ورَوَى النُّعْمانُ عن ماءِ السَّما * كيف يَـرْوِي مالِكٌ عن أَنَسِ
فَكَساهُ الحُسْنُ ثَوْبًا مُعْلَمًا * يَـزْدَهِي مِنهُ بأبْهَى مَلْبَسِ
في لَيالٍ كَتَمَتْ سِرَّ الهَوى * بالدُّجَى لولا شُمُوسُ الغُرَرِ
مالَ نَجْمُ الكأسِ فيها وهَوى * مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الأثَرِ
وَطَرٌ ما فيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى * أنَّـهُ مَـرَّ كَلَمْحِ البَصَرِ
حينَ لَذَّ الأُنْسُ شيئًا أو كما * هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الحَرَسِ
غـارَتِ الشُّهْبُ بِنا أو ربَّما * أثَّرَتْ فيها عُيونُ النَّرْجِسِ

ويحسن أن نختم المجلس بما قاله لسان الدِّين ابن الخطيب نفسه في منظمته (رَقْم الحُلَل في نَظْم الدُّوَل) –وقد مررنا في هذا المجلس على حوادث من تاريخ الأندلس- قال يذكر أهميَّة علم التاريخ:

[الرجز]

وبَعْدُ فالتَّارِيخُ والأخبارُ * فيهِ لنفسِ العاقلِ اعتِبارُ
وفيهِ للمُسْتَبْصِرِ استِبْصارُ * كيف أتى القومُ وكيف صارُوا
يُجْري على الحاضرِ حُكمَ الغائب * فَيُثْبِتُ الحقَّ بسهمٍ صائبِ
ويَنظُرُ الدُّنيا بعينِ النُّبْلِ * ويَتركُ الجهلَ لأهلِ الجهلِ

هاك عقد نُمنِما: يقال: نَمْنَمَ الشيءَ؛ إذا رَقَّشَهُ وزخرفه وزيَّنه.

[العصر الحديث]

بِعَصْرِنَا الحَدِيثِ كَمْ مِنْ مُفْلِقِ ٣٦٠ فَسِيحِ طَبْعٍ بِالبَيَانِ المُونِقِ

المُفْلِق: هو الذي يأتي بالمعاني العجيبة. المُونِق: المُعْجِب. وذكر ثلاثة من أعلام الشعر في العصر الحديث:

(سِــوَايَ بِالتَّحْنَــانِ) لِلْبَــارُودِي ٣٦١ مُحْــيِي رُفَـاتِ الشِّــعْرِ مِــنْ هُمُــودِ

محمود سامي البارُوديّ باعث الشعر في العصر الحديث، وهو شاعر مُجيد، أشعاره دُرَر، وقصائده غُرَر، جزل الأسلوب، فحل الألفاظ والمعاني. من مُتَخيِّرِ شعره قوله:

[الطويل]

سِوَايَ بِتَحْنانِ الأَغارِيدِ يَطْرَبُ * وغَيرِيَ باللَّذَّاتِ يَلْهُو ويُعْجَبُ
وما أنا مِمَّنْ تَأْسِرُ الخَمْرُ لُبَّهُ * ويَمْلِكُ سَمْعَيْهِ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ
ولكنْ أَخُو هَمٍّ إذا ما تَرَجَّحَتْ * بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ العُلا رَاحَ يَدْأَبُ
نَفَى النَّومَ عن عَيْنَيْهِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ * لها بينَ أَطْرافِ الأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
إذا أنا لَمْ أُعْطِ المَكارِمَ حَقَّها * فَلا عَزَّني خالٌ ولا ضَمَّني أَبُ
ومَن تكنِ العَلْياءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ * فَكُلُّ الذِي يَلْقَاهُ فيها مُحَبَّبُ

محيي رفات الشعر من همود: الهُمُود: الموت. فهو باعث الشعر في هذا العصر الحديث.

لِحَــافِظٍ عَلَى لِسَــانِ اللُّغَــةِ ٣٦٢ (رَجَعْتُ) تَـنْعَى حَظَّهَـا فِي الأُمَّـةِ

حافظ إبراهيم كان شاعرًا مُوفَّقًا في الاجتماعيَّات مُلْهِبًا للمشاعر، وشعره سهل المعاني، قويُّ الأسلوب، متين البِناء. من شعره قصيدته التي قالها على لسان العربيَّة تَنعى حظَّها بين أهلها:

[الطويل]

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصاتِي * ونادَيتُ قَوْمِي فَاحتَسَبتُ حَياتي
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبابِ ولَيْتَنِي * عَقِمْتُ فلمْ أَجْزَعْ لِقَولِ عُداتي
وَلَدتُ ولمَّا لمْ أَجِدْ لِعَرائسي * رِجالًا وأَكْفاءً وَأَدتُ بَناتي
وَسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفظًا وغايَةً * وما ضِقْتُ عن آيٍ بهِ وعِظاتِ
فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ * وتَنْسِيقِ أَسْماءٍ لِمُخْتَرَعاتِ
أنا البَحرُ في أَحْشائِهِ الدُّرُّ كامِنٌ * فهل سَألوا الغَوَّاصَ عن صَدَفاتي

(وَالعِلْمُ مَا لَـمْ يَكْــتَنِفْهُ الخُلُـقُ)   ٣٦٣   تَسْكَــابُ غَيْــثٍ نَبْتُــهُ لَا يُــورِقُ

من جميل شعر حافظ قوله:

[الكامل]

إنِّي لَتُطْرِبُني الخِـلالُ كَـريمَـةً ❋ طَـرَبَ الغَـريبِ بِـأَوْبَـةٍ وتَـلاقي
وتَـهُـزُّني ذِكرى المُـروءَةِ والنَّدى ❋ بيـنَ الشَّمـائِلِ هِــزَّةَ المُـشْـتـاقِ
فـإذا رُزِقْـتَ خَـلِيقَـةً مَـحْـمـودَةً ❋ فـقـد اصْـطَـفـاكَ مُـقَـسِّـمُ الأرزاقِ
والعِلـمُ إن لمْ تَـكـتَـنِفْهُ شَمائِلٌ ❋ تُـعْلِـيهِ كـانَ مَـطِـيَّـةَ الإخْـفـاقِ
لا تَـحْسِـبَـنَّ العِلمَ يَـنْـفَـعُ وَحـدَهُ ❋ مـا لـمْ يُـتَـوَّج رَبُّــهُ بِـخَــلاقِ

وفيها يقول:

الأُمُّ مَـدْرَسَــةٌ إذا أَعْـدَدتَـهـا ❋ أَعـدَدتَ شَـعْبًا طَـيِّـبَ الأعـراقِ
الأُمُّ رَوضٌ إن تَـعَـهَّـدَهُ الحَـيـا ❋ بالـرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّــمــا إيــراقِ

والعلم إن لم يكتنفه الخلق..تَسكاب غيث نبته لا يُورق: يقال: أَوْرَقَ الشَّجَرُ إذا أخرج وَرَقَه، والمقصود أن العلم بدون خلق كالنَّبت الذي يُصِيبه المطر لكن لا يورِق ولا يخضَّر فلا ينتفع بالغيث، كذلك حال من يطلب العلم لكن لا أثر للعلم على خُلُقِه.

وَلِأَمِــيرِ الشُّــعَرَاءِ شَــوْقِي   ٣٦٤   بَــدَائِعٌ تُرِيــكَ حُسْــنَ الذَّوْقِ

أحمد شَوْقي من أشهر شعراء العصر الحديث وأطولهم نفسًا، أُوتيَ موهبة شعريَّة فَذَّة وبديهة سيَّالة، وهو من أكثر الشعراء تصرُّفًا في فنون الشعر، حتى لقد اصطلح جمهور الأدباء على تلقيبه بـ(أمير الشُّعراء). ثم أشار إلى أربع قصائد له هي من مُخْتار شعره، فقال:

(قم للمعلِّم): من جميل شعره قصيدته الذَّائعة في المعلم التي يقول فيها:

[الكامل]

قُمْ للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا * كاد المُعَلِّمُ أن يكون رَسُولا
أَعَلِمْتَ أَشرَفَ أو أَجَلَّ مِن الذي * يَبْنِي ويُنْشِئُ أَنفُسًا وعُقولا
سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ خيرَ مُعَلِّمٍ * عَلَّمْتَ بالقَلَمِ القُرونَ الأولى
أَخْرَجْتَ هذا العَقْلَ مِن ظُلُماتِهِ * وهَدَيْتَهُ النُّورَ المُبينَ سَبِيلا
أَرْسَلتَ بالتَّوراةِ موسى مُرْشِدًا * وابنَ البَتولِ فَعَلَّمَ الإنجيلا
وفَجَرتَ يَنْبوعَ البَيانِ مُحَمَّدًا * فَسَقى الحَدِيثَ وناوَلَ التَّنزيلا

ومن لطيف الشعر ما قاله إبراهيم طُوقان الشَّاعر الفلسطينيّ في معارضة قصيدة شوقي هذه، يقول:

شَوْقِي يقولُ وما دَرى بِمُصِيبَتي * قُمْ للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلا
اقْعُدْ فَدَيْتُكَ هل يكونُ مُبَجَّلًا * مَن كان لِلنَّشْءِ الصِّغارِ خَلِيلا
ويكادُ يَفْلِقُني الأميرُ بقوْلِهِ * كاد المُعَلِّمُ أن يكونَ رَسُولا
لو جَرَّبَ التَّعْلِيمَ شَوْقِي ساعةً * لَقَضَى الحَيَاةَ شَقاوَةً وخُمُولا
حَسْبُ المُعَلِّمِ غُمَّةً وكآبَةً * مَرْأى الدَّفاتِرِ بُكْرَةً وأَصِيلا
مِئَةٌ على مِئَةٍ إذا هِيَ صُلِّحَتْ * وَجَدَ العَمَى نَحْوَ العُيُونِ سَبِيلا
ولَوَ انَّ في التَّصْلِيحِ نَفْعًا يُرْتَجَى * وأَبِيكَ لَمْ أَكُ بالعُيُونِ بَخِيلا
لكنْ أُصَلِّحُ غَلْطَةً نَحوِيَّةً * مَثَلًا وأَتَّخِذُ الكِتابَ دَلِيلا
مُسْتَشْهِدًا بالغُرِّ مِن آياتِهِ * أو بالحَدِيثِ مُفَصَّلًا تَفصِيلا
وأَغُوصُ في الشِّعْرِ القَدِيمِ فأنتَقِي * ما ليس مُلْتَبِسًا ولا مَبْذُولا
وأكادُ أَبْعَثُ سِيبَوَيهِ مِنَ البِلَى * وذَوِيهِ مِن أَهْلِ القُرُونِ الأُولَى
فأَرَى حِمَارًا بعد ذلك كُلِّهِ * رَفَعَ المُضافَ إليهِ والمَفْعُولا
يا مَن يُرِيدُ الانتِحارَ وَجَدْتَهُ * إنَّ المُعَلِّمَ لا يَعِيشُ طَويلا

(سلوا قلبي): هذه إشارة إلى قصيدته البائيَّة التي مطلعها:

[الوافر]

سَلُوا قلبي غَداةَ سَلا وثابا * لَعَلَّ على الجَمالِ لهُ عِتابا

يقول فيها يمدح النَّبي ﷺ:

أبا الزَّهراءِ قد جاوَزتُ قَدْري * بِمَدْحِكَ بَيْدَ أنَّ لِيَ انتِسابا
فما عَرَفَ البلاغةَ ذو بَيانٍ * إذا لم يَتَّخِذْكَ لهُ كِتابا
مَدَحْتُ المالِكِينَ فَزِدتُ قَدْرًا * فحينَ مَدَحتُكَ اقْتَدتُ السَّحابا

(وُلِد): هذه إشارة إلى قصيدته الهمزيَّة في مدح النَّبي ﷺ أيضًا، يقول فيها:

[الكامل]

وُلِدَ الهُدى فالكائناتُ ضِياءُ * وفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وثَناءُ
زانَتكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ * يُغْرَى بِهِنَّ ويُولَعُ الكُرَماءُ

يقول:

وإذا رَحِمتَ فأنتَ أُمٌّ أو أَبٌ * هذانِ في الدُّنيا هُما الرُّحَماءُ
وإذا غَضِبْتَ فإنَّما هِيَ غَضْبَةٌ * في الحَقِّ لا ضِغْنٌ ولا بَغْضاءُ
وإذا رَضِيتَ فذاكَ في مَرضاتِهِ * ورِضَى الكثيرِ تَحَلُّمٌ ورِياءُ
وإذا خَطَبْتَ فللمَنابِرِ هِزَّةٌ * تَعرُو النَّدِيَّ ولِلقُلوبِ بُكاءُ

(ريمٌ على القاع): هذه إشارة إلى قصيدته المِيمِيَّة التي مطلعها:

[البسيط]

رِيمٌ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ * أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأشهُرِ الحُرُمِ

يقول فيها:

أَسْرى بِكَ اللهُ لَيلًا إذ مَلائكُهُ * والرُّسلُ في المَسجِدِ الأقصى على قَدَمِ
لَمَّا خَطَرْتَ بِهِ التَفُّوا بِسَيِّدِهِم * كالشُّهبِ بالبَدرِ أو كالجُنْدِ بالعَلَمِ

صَلَّى وَراءَكَ مِنهُمْ كُلُّ ذي خَطَرٍ * ومَن يَفُزْ بِحَبيبِ اللهِ يَأْتَمِمِ

أجمل قصائد شوقي في مدح النَّبي ﷺ ثلاث قصائد: **البائيَّة** (سَلُوا قلبي) ، **والهمزيَّة** (وُلِد الهدى)، **والميميَّة** (ريمٌ على القاع) هذا قوله: جمالٌ مُتَّقِد.

ثم أشار إلى أبياتٍ له سائرة، فقال:

مِنْ دُرِّهِ التَّثِيرِ فِي شِعْرِ الحِكَمْ: (دَقَّاتُ قَلْبِ المَرْءِ) (إِنَّمَا الأُمَمْ) ٣٦٦

(مَا أَصْعَبَ الفِعْلَ) (إِذَا أُصِيبَا) (وَالْتَمِسِ العُذْرَ تَكُنْ مُصِيبَا) ٣٦٧

(دقات قلب المرء):

[الكامل]

دَقَّاتُ قلبِ المَرْءِ قائلَةٌ لَهُ * إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانِ

(إنما الأمم):

[البسيط]

وإنَّما الأُمَمُ الأخْلَاقُ ما بَقِيَتْ * فإنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُمْ ذَهَبُوا

(ما أصعب الفعل):

[السريع]

ما أَصْعَبَ الفِعْلَ لِمَنْ رامَهُ * وأَسْهَلَ القَوْلَ على مَنْ أرادْ

(إذا أُصيب):

[الكامل]

وإذا أُصِيبَ القَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ * فَأَقِمْ عَلَيهِمْ مَأْتَمًا وعَوِيلَا

(والتمس العذر تكن مصيبا):

[البسيط]

رُزِقْتَ أَسْمَحَ ما في النَّاسِ مِن خُلُقٍ * إذا رُزِقْتَ التِماسِ العُذْرِ في الشِّيَـمِ

والختم بهذا البيت في الكلام عن عصور الأدب مقصود، والغرض منه الاعتذار عن التَّطَفُّل بين يَدَيْ الأدباء فإن من يتكلَّم عن عصور الأدب ينبغي أن يكون قد حفظ أوَّله، وفهم آخره، ودرس ما بين ذلك، ولمَّا لم يكن النَّاظم كذلك ختم ببيت شوقي هذا.

* * *

فصلٌ في مِزاحِ الأَئمَّة

كنا قد تعاطينا في المجالس الماضية كؤوس الأدب شربناها معًا زُلالًا، وأدرناها بيننا حلالًا، ولا يستغني أهل الأدب وأولو الأرب عن معرفة ظريف المُضحكات، ولطيف المفاكهات، إذا لاطفوا ظريفًا أو مازحوا شريفًا؛ لذا ختم بفصلين: أولهما في مزاح الأئمة، والآخر في أخبار الحَمقى والمغفلين، وقد قال الأصمعيّ: "بالعِلْمِ وَصَلْنَا، وبالمُلَحِ نِلْنَا".

فَصْلُ أُخَيَّ مِنْ صَنِيعِ السَّلَفِ ٣٦٨ تَرْوِيحُكَ القَلْبَ بِذِكْرِ الطُّرَفِ

وقد قال أبو الفتح البُسْتيّ في هذا المعنى:

[الطويل]

أَفِدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بِالجِدِّ رَاحَةً * يَجِمَّ وعَلِّلْهُ بِشَيءٍ مِن المَزْحِ
ولكِنْ إذا أَعْطَيْتَهُ المَزحَ فَلْيَكُنْ * بِمِقْدَارِ ما تُعْطِي الطَّعَامَ مِن المِلْحِ

وقيل لسفيان بن عُيينة: المِزاح هُجْنَة؟ قال: "بل سُنَّة، ولكن الشأن فيمن يُحسنه ويضعه مواضعه".

فَأَرْسِلِ النَّفْسَ عَلَى السَّجِيَّةِ ٣٦٩ وَامْزَحْ مِزَاحَ السَّادَةِ الأَئِمَّةِ

فأرسل النَّفسَ على السَّجيَّة: أَحَبَّ لك أن تُرسل نفسك على سجيَّتها، وأن تَرْغَبَ بها عن لِبْسَة التَّصَنُّع؛ فإنَّ الله يُحِب أن تؤتى رُخصه كما يُحبُّ أن تؤتى عزائمه.

وامزح مزاح السَّادة الأئمة: لم يتَرَخَّص لك في إرسال اللسان بالمزح على أن تجعله هِجِّيراك في كل حال، ودَيْدَنكَ في كل مقال؛ فإن الإفراط في المزح مُجُون، والاقتصاد فيه ظرافة.

وخَلِّ عَنْ تَزَمُّتٍ لَا وَجْهَ لَهْ ٣٧٠ فَـ(سَاعَةً وَسَاعَةً يَا حَنْظَلَهْ)

فقد قال النَّبي ﷺ لحنظلة –كما في صحيح مسلم- : ((يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً)).

وَانْظُرْ لِبَابِ الْمَزْحِ فِي الشَّمَائِلِ ٣٧١ رَوِّ الصَّدَى مِنْ هَذِهِ الْمَنَاهِلِ

في كتاب (شمائل النَّبي ﷺ للتِّرمذيّ) ترجم بقوله: [**بابُ ما جاءَ في صِفَةِ مِزاحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**].

رَوِّ الصَّدى: الصَّدى؛ العطش. والرِّيُّ من الماء كالشِّبَعِ من الطَّعام. والمنهل: مَوْرِدُ الماءِ. ثم أشار إلى خمسة أخبار في مزاح النَّبي ﷺ كلها ثابتة عنه، ومنها ما في الصَّحيح، وكلها تحت الباب المشار إليه من كتاب شمائل النَّبي ﷺ للترمذيّ:

(مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟) يَعْنِي: الطَّائِرَا ٣٧٢ (مَنْ يَشْتَرِي ذَا العَبْدَ؟) مِنِّي زَاهِرَا

(ما فعل النُّغَيْرُ؟) يعني الطَّائرا: قال أنس ﵁: إن كان رسول الله ﷺ لَيُخالِطُنا حتى يقول لأخٍ لي صغير: ((**يا أبا عُمَيرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**)). **والنُّغير**: تصغير نُغَر، والنُّغَر فرخ العصفور. وإنما قال له النَّبي ﷺ ذلك لأنه كان له نُغَيرٌ يلعب به فمات فحزن عليه؛ فمازحه النَّبي ﷺ وقال: ((**يا أبا عُمَيْرٍ ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**)).

(من يشتري ذا العبد؟) منِّي زاهرا: أشار إلى حديث أنس ﵁ أنَّ رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، وكان يُهدي إلى النَّبي ﷺ هدية من البادية؛ فيُجهِّزه النَّبي ﵁ إذا أراد أن يخرج، فقال النَّبي ﷺ : ((**إنَّ زاهِرًا بادِيَتُنا ونحنُ حاضِرُوهُ**)). وكان ﷺ يجهزه إذا أراد أن يخرج، وكان أزهر رجلًا دَمِيمًا فأتاه النَّبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصِره؛ فقال: من هذا..؟ أَرْسِلْني.. فالتفت فعرف النَّبي ﷺ فجعل لا يَأْلُو ما ألصق ظهره بصدر النَّبي ﷺ حين عرفه؛ فجعل النَّبي ﷺ يقول –وهذا الشاهد–: ((**مَنْ يَشْتَرِي هذا العَبْدَ؟**)). فقال: يا رسول الله إذن والله تجِدُني كاسِدًا. فقال النَّبي ﷺ: ((**لَكِنْ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكاسِدٍ**)) أو قال: ((**أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غالٍ**)).

(هَلْ يَلِدُ الجَمَلُ غَيْرَ النَّاقَةِ؟) ٣٧٣ مَا لِلعَجُوزِ وَدُخُولِ الجَنَّةِ

(هل يلد الجمل غير النَّاقة؟): أشار إلى حديث أنس ﵁: أنَّ رجلًا استحمل رسول الله ﷺ

فقال: احملني يا رسول الله. فقال ﷺ: ((إنِّي حامِلُك على وَلَدِ النَّاقةِ)). فقال: يا رسول الله وما أصنعُ بولدِ النَّاقة؟! فقال ﷺ: ((هل تَلِدُ الإبلُ إلا النُّوقُ)).

ما للعجوز ودخول الجنَّة: أشار إلى حديث الحسن أنه قال: أتت عجوزٌ إلى النَّبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادْعُ اللهَ أن يُدْخِلَني الجَّنة. فقال: ((يا أمَّ فُلان إنَّ الجَنَّةَ لا تَدْخُلُها عَجُوزٌ)). قال: فَوَلَّتْ تبكي. فقال: ((أَخْبِرُوها أنَّها لا تَدْخُلُها وهيَ عجوزٌ، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾)) [الواقعة: ٣٥ – ٣٧].

وَقَالَ: (يَا ذَا الأُذُنَيْنِ) لِأَنَسْ ٣٧٤ أَفْلَحَ مَنْ مِنْ نُورِ هَدْيِهِ اقْتَبَسْ

وقال: (يا ذا الأذنين) لأنس: أشار إلى حديث أنس رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال له: ((يا ذا الأُذُنَينِ)). قال الرَّواي: يعني يُمازِحُه. أفلح مَن مِن نور هديه اقتبس: هديه ﷺ كلُّه نور، أفلح من اقتبس من هديه.

مِزَاحُهُ الزُّلَالُ بَلْ أَرَقُّ ٣٧٥ يَا حُلْوَ مَزْجِهِ فِدَاهُ الخَلْقُ

مزاحه الزُّلال: يقال: ماءٌ زُلالٌ أي عَذْبٌ.

وَهْوَ كَذَا مِنْ شِيَمِ الصَّحَابَةِ ٣٧٦ وَتَابِعِيهِمْ مِنْ ذَوِي الإِصَابَةِ

وهو كذا: أي المِزاح. ثم أشار إلى شيء من مِزاح الصَّحابة رضي الله عنهم:

تَبَادُحُ البِطِّيخِ وَاشْتِدَادُ ٣٧٧ مَا بَيْنَ الاَغْرَاضِ وَذَا سَدَادُ

تبادح البطِّيخ: قال بكر بن عبد الله: "كان أصحاب النَّبي ﷺ يَتَبَادَحُونَ بالبِطِّيخ -أي يَترامَوْنَ به- فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرِّجال".

واشتداد..ما بين الاغراضِ وذا سداد: قال بلال بن سعد: "أدركتهم يَشْتَدُّونَ بين الأغراض، ويضحكُ بعضهم إلى بعض، فإذا كان اللَّيلُ كانوا رُهْبانًا".

مِـنْهُمْ: نُعَيْمَـانُ (ضِرَارٌ ذُو الـدَّدِ ٣٧٨ مُـزَوِّجُ الحُـورِ مِـنَ اهْـلِ أُحُـدِ)

منهم نعيمان: أي من المزَّاحين من الصَّحابة **نُعَيمانُ بن عمرو بن رِفاعَة الأنصاريّ**. شهد بَدْرًا، وأُحُدًا، والخندق، والمشاهد كلها، وكان من قُدماء الصَّحابة وكبرائهم، وكانت فيه دُعابَةٌ زائدة يُضْحِك النَّبي ﷺ وكان النَّبي ﷺ يُسَرُّ بمزاحه، وقد عُرِف عنه ذلك حتى إنه كان يُقبل منه ما لا يُقبل من غيره. له أخبارٌ طريفة في دُعابته ذكر شيئًا منها ابن عبدالبَرِّ في ترجمته من (الاستيعاب) والحافظ ابن حجر في ترجمته من (الإصابة) منها ما يُروى من خبره مع سُوَيْبِط بن حَرْمَلَة -وكلاهما بَدْرِيّ- أنَّ أبا بكر خرج تاجِرًا إلى بُصْرى ومعه نُعيمان وسُويبط، وكان سويبط على الزَّاد فجاءه نُعيمان فقال: أطعمني. فقال: لا، حتى يَجيء أبو بكر. فقال نعيمان: لأغِيظنَّك. فذهب إلى ناس جلبوا ظَهْرًا فقال: ابتاعوا منِّي عبدًا عربيًّا فارِهًا، وهو ذو لسان ولعلَّه يقول: أنا حُرٌّ. فإن كنتم تاركيه لذلك فدعوه ولا تُفسِدوا عليَّ غلامي. فقالوا: بل نبتاعه منك بعَشْرِ قلائص، فأقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عَقَلَها ثم قال: دونكم هو هذا. فجاء القوم فقالوا: قد اشتريناك. فقال سويبط: هو كاذب، أنا رجل حُرٌّ. قالوا: قد أُخبِرنا خبرك. فطرحوا الحبل في رقبته فذهبوا به، فجاء أبو بكر فأُخبِر؛ فذهب أبو بكر وأصحاب له فردُّوا القلائص وأخذوا سويبطًا، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر؛ فضحك من ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلًا!

وممَّا يُروى من خبره أنَّ أعرابيًّا جاء إلى النَّبي ﷺ فدخل المسجد وأناخ ناقته بفناء المسجد، فقال بعض أصحاب النَّبي ﷺ لنعيمان: لو نحرتها فأكلناها؛ فإنَّا قد قَرِمْنا إلى اللَّحم -القَرَمُ: الشَّهوة إلى اللَّحم، وعلموا أنهم لا ينفعهم في هذا الموقف إلا نعيمان- ويَغْرَمُ رسول الله ﷺ ثَمَنَها. قال: فنحرها نعيمان، ثم خرج الأعرابيّ فرأى راحلته؛ فصاحَ: واعَقْرَاه.. يا محمد.. فخرج النَّبي ﷺ فقال: «مَنْ فَعَلَ هذا؟». قالوا: نعيمان. فاتَّبعه يسأل عنه، فوجده في دار ضُباعَة بنت الزُّبير بن عبدالمطَّلب، قد اختفى في خَنْدَقٍ وجعل عليه الجريد والسَّعَف، فأشار

إليه رجلٌ ورفع صوته يقول: ما رأيته يا رسول الله -وهو يشير إليه بإصبعه- فأخرجه رسول الله ﷺ وقد تغير وجهه بالسَّعَف الذي سقط عليه. فقال له: ((ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟)). فقال نعيمان: الذين دلُّوك عليَّ يا رسول الله هم الذين أمروني. قال: فجعل رسول الله ﷺ يمسح عن وجهه ويضحك، ثم غرمها رسول الله ﷺ.

ويُروى أنه أهدى رسول الله ﷺ مَرَّةً جَرَّةَ عسل وكان اشتراها من أعرابيٍّ بدينار، وأتى بالأعرابيّ إلى باب رسول الله ﷺ وقال له: خُذِ الثَّمَنَ من ههنا. فلما قسمها رسول الله ﷺ بين نسائه قال له الأعرابي: أعطني يا رسول الله ثمن العسل؟ فقال ﷺ: إحدى هَناتِ نعيمان. وسأله: ((لِمَ فَعَلْتَ هذا؟)). فقال: أردت أن أُبَرَّكَ يا رسول الله وليس معي شيء. فتبسَّم رسول الله ﷺ وأعطى الأعرابيّ حقَّه.

ويروى أن عُيَيْنَة بن حِصْن شكى إلى نعيمان صعوبة الصِّيام عليه، فقال له نعيمان: صُمْ بالليل! فدخل عيينة مرَّة على عثمان، فقال عثمان: العشاء. فقال عيينة: أنا صائم. فقال عثمان: أتصوم بالليل؟! قال: هو أخفُّ عليَّ وقد أمرني نعيمان بذلك. فضحك عثمان وقال: إحدى هنات نعيمان.. إحدى هنات نعيمان..!

(ضِرار ذو الدَّدِ.. مُزوج الحورِ مِنَ اهلِ أحدِ): هذا تضمين من (عَمود النَّسَب) للبَدَويّ.

وضرار: **هو ضِرار بن الخطَّاب**. أشار هنا إلى خبر هو أنَّ الأوس والخزرج اختلفوا فيمن كان أشجع يوم أحد، هل الأوس كانوا أشجع أو الخزرج؟ فمرَّ بهم ضرار بن الخطَّاب -وكان يوم أحد في صفِّ المشركين ثم أسلم بعدُ وحسُن إسلامه ﷺ- فقالوا: هذا شهدها وهو عالم بها، فبعثوا إليه فتًى منهم فسأله عن ذلك، فقال: والله ما أدري ما أَوْسُكُم من خَزْرَجِكُم، ولكنِّي زوجت يوم أحد منكم أحد عشر رجلًا من الحور العين!

وقال يومًا لأبي بكر الصِّديق: نحن كنَّا لقريش خيرًا منكم؛ أدخلناهم الجنَّة، وأوردتموهم النار!

ثم أشار إلى بعض مزاح التابعين، فقال:

وَ(هَذِهِ الشَّعْبِيُّ)، (ظِـلَّـــهُ اضْرِبِ) ٣٧٩ (إِلَى بُــدُوِّ العَظْــمِ حُــكَّ وَادْأَبِ)

و(هذه الشَّعبي): لقي رجل مغفل الشعبي ومعه امرأة تمشي، فقال: أيُّكما الشعبي؟! فقال الشعبي: هذه!

(ظلَّه اضرب): قال رجل لعكرمة: فلان قَذَفَني في النَّوم. فقال: اضرب ظلَّه ثمانين.

(إلى بُدُوِّ العظم حُكَّ وادْأبِ): سأل رجلٌ الشَّعبيّ: هل يجوز للمُحْرِم أن يَحُكَّ جسده؟ قال: نعم. قال: إلى كم؟ قال: حتى يبدُوَ العَظْم!

هَذَا وَهُـمْ فُرْسَـانُ حَـرْبِ البُـهَـمِ ٣٨٠ إِيمَـانُهُمْ فَـوقَ السَّـمَا وَالأَنْجُـمِ

إِنْ كَـانَ طَعْـنٌ فَهُـمُ الفُرْسَـانُ ٣٨١ حَقًّا وَهُـمْ فِي لَيْلِهِـمْ رُهْبَـانُ

سُئل إبراهيم النَّخَعي: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: "نعم، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرَّواسي".

* * *

فصلٌ في نَوادِر الحَمْقَى والمغفَّلين

انتقل هنا إلى فصل في نوادر الحمقى والمُغَفَّلين، وقد ذكر ابن الجوزي في صدر كتابه (أخبار الحمقى والمغفَّلين) ثلاث فوائد لرواية أخبارهم، عقدها في هذين البيتين:

نَــوَادِرَ الحَمْــقَى ارْوِهَــا إِذْ تُعْلِــمُ ٣٨٢ قَــدْرَ الَّــذِي وُهِبْــتَ مِمَّــا حُرِمُــوا
وَتَــتَّقِي أَسْبَــابَ غَفْلَــةٍ تَصِــمْ ٣٨٣ صَــاحِبَهَا كَــذَاكَ لِلــنَّفْسِ تُجِــمْ

الأولى: أنَّ العاقل إذا سمع أخبارهم؛ عرف قدر نعمة العقل التي وهبه الله إيَّاها؛ فحمده وشكره. وهذا قوله: نوادر الحمقى اروها إذ تُعلِم * قدر الذي وُهِبتَ ممَّا حرموا

والثانية: أنَّ ذكر هذه الأخبار ينبِّه الإنسان إلى ما قد يَغْفُلُ عنه. وهذا قوله: وتتَّقي أسباب غفلةٍ تَصِم..صاحبها: أي: تَعِيبُه.

والثالثة: أنَّ في هذا تَرْوِيحًا عن النَّفس؛ لما في هذه الأخبار من الظَّرْف واللُّطْف، كما في صحيح مسلم: «**يا حنظلةُ ساعةً وساعةً**». وهذا قوله: كذاك للنَّفس تُجِم.

ثم زادك في البيت الأخير من هذا الفصل فائدة رابعة: وهي أنَّ هذه الأخبار و الحكايات فيها لغة سليمة، ونادرة لطيفة، وحكاية بديعة، وأحيانًا فيها موعظة حسنة؛ ففيها الغَناء عمَّا قد يتحدَّث به بعض الناس مما يكون فيه الهُجْر، وسوء القول، والكلام الذي لا تؤمن تبعته في الآخرة. هذا قوله: واغْنَ بذا عن سَقَطِ الكلامِ * في الحلِّ غُنْيَةٌ عن الحرامِ

كَــأَشْعَبٍ، وَأَزْهَــرٍ، وَعِــجْــلِ ٣٨٤ يَا رَبِّ جَــنِّــبْــنَــا رَدِيءَ الجَــهْــلِ

كأشعبٍ: أشعب كان مولًى لآل عثمان بن عفان حَدَّثَ عن نفسه قال: نشأتُ أنا وأبو الزِّنَاد في حَجْر عائشة بنت عثمان، فلم يَزَلْ يعلو وأسفل حتى بلغ كلٌّ منَّا المنزلة التي ترون. وكان صاحب سَند، يروي حديث النبي ﷺ «**لو دُعِيتُ إلى ذِرَاعٍ أو كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أو كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**». وهو مَضْرِب مثل في الطَّمَع، لما قدم بغداد في أيام المهدي تلقَّاه النَّاس لأنه كان ذا إسناد، قالوا حدِّثنا، قال: حَدَّثَني سالم بن عبد الله بن عمر –وكان

يبغضني في الله- قال: "خَصْلَتَان لا تجتمعان في مؤمن". وسكت، قالوا: ما هـما؟ قـال: نسي سالم إحداهما ونسيت أنا الأخرى.

ومرَّ أشعب مرة في طريق فعبث به الصبيان، فقال: وَيْحَكُمْ! سالم يقسم تمرًا. فمرُّوا يعدون فعدا أشعب معهم وقال: ما يدريني لعلَّه حق.

وقيل لأشعب: ما بلغ من طَمَعِك، قال: ما رأيت اثنين يَتَسَارَّان إلا ظننتُهما يأمران لي بشيء.

وقد وقف مرةً على امرأة تصنع طَوقًا من خُوص، فقال زِيدِيه طوقًا أو طَوْقَين. فقالـت: أتريد أن تشتريه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدِي إليَّ فيه شيئًا، فيكون كبيرًا خيرٌ مِن أن يكون صغيرًا.

وقال رجلٌ يومًا لأشعب: إن سالم بن عبد الله بن عمر قد مضى إلى بُسْتَان كذا ومعه طعامٌ كثير، فبَادَر حتى لَحِقَه، فأغلق سالم الباب في وجهه، فتَسَوَّر عليه، فقال سالم: ويحك! بناتي. فناداه أشعب: لقد علمتَ ما لنا في بناتك مِن حَقٍّ وإنك لتعلم ما نريد. فأمر سالم له بالطعام.

وذُكِر عنه أن توضأ مرةً فترك رجله اليُمنى وغسل اليُسرى، فقيل له: لـمَ تركت غسل اليمنى؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: «أُمَّتي غُـرٌّ مُـحَجَّلُونَ مِـنْ أَثَـرِ الوُضـوءِ». وأنا أحب أن أكون أغرَّ مُحَجَّلًا ثلاثًا، مُطْلَقَ اليمنى -وهو وصف محمود في الخيل-.

وأزهرٍ: أَزْهَر يقال له: "أزهر الحمار". كان يُجالس الأمير وكان كثير الكلام والكذب، فقدم يومًا على الأمير رسول من السلطان، فقال الأمير لأَزْهَـر: جَـمِّلْنَا اليوم بسكوتك، فسكت طويلًا ثم لم يصبر، فقال لرسول السُّلطان: بَنَيتُ في القرية بُرْجًا ارتفاعه ألفُ خطوة. فَأَوْمَأ إليه حاجب الأمير أن اسكت. فقال له الرسول: في عرض كم؟ قال: في عرض خطوة واحدة. فقال له الرَّسول: ما كان ارتفاعه ألفَ خطوة لا يكون عرضه خطوة! فقـال: أردت أن أزيد فمنعني هذا الواقف!

وقدم رسول آخر فقيل لأزهر: لا تتكلَّم اليوم، وتَجَمَّلْ لهذا الرَّسول. فسكت ساعةً، فعَطَسَ الرسول، فأراد أزهر أن يُشَمِّته –فيقول: يرحمك الله– فقال: صَبَّحك الله! فقال الأمير: أليس قد قدَّمتُ إليك ألَّا تتكلَّم؟! فقال: أردت ألَّا يرجِع الرسول إلى بغداد فيقول: إنَّ هؤلاء لا يعرفون العربيَّة!

وعِجْلِ: عِجلُ بن لُجَيْم كان معه فرس، فقيل له: ما سمَّيت فرسك؟ فقام إليه ففَقَأَ إحدى عينيه وقال: سمَّيته الأعور! فقال بعضهم:

[الطويل]

رَمَتْني بَنو عِجْلٍ بِداءِ أَبِيهِمُ * وأيُّ امرئٍ في النَّاسِ أَحْمَقُ مِن عِجْلِ
أليسَ أبُوهُمْ عارَ عَينَ جَوادِهِ * فصارتْ بِهِ الأمثالُ تُضْرَبُ بالجَهْلِ

لذا قال: يا ربِّ جنبنا رديء الجهل.

مُطَلِّقٌ فِي خُطْبَةٍ شَرِيفَةِ ٣٨٥ رَسُولُ حَجَّاجٍ مِنَ الخَلِيفَةِ

مطلِّق في خطبة شريفة: هذه إشارة إلى خبر ذلك الرَّجل الذي وَلِيَ أمر قرية فتهيَّب أن يَخْطُب، فأراد أن يُنِيب غيره؛ فألحَّت عليه زوجه أن يخطب، وقالت: أتُنِيبُ غيرك في هذا المقام الشَّريف وهو مقام الأنبياء والعلماء؟! فألجأته إلى أن يخطب، فلما صَعِدَ المنبر أُرْتِجَ عليه من الرَّهبة، فقال: أيها الناس اعلموا أني هَمَمْتُ أن أَسْتَعْفِيَ من هذا المقام، وما ألجأتني إليه إلا زوجتي أمُّ فلان، فأُشهدكُم أنها طالق! فقال له الناس: أبعدك الله. وقبَّحوا ما أتى به.

رسول حجاجٍ من الخليفة: نابت الحجاج في صديق له مصيبة، ورسول لعبدالملك بن مروان عنده، فقال الحجاج: هل فيكم من يُجيد الشِّعر فيعزِّيني بأبياتٍ؟ فقال الرسول: ائذن لي أيها الأمير. قال: قل. قال: وكلُّ خليلٍ سوفَ يُفارقُ خليلَهُ يموتُ أو يُصابُ أو يقعُ مِن فوقِ البيت أو يقع عليه البيت أو يسقطُ في البئر أو يكونُ شيءٌ آخرُ لا نعرفُه! فقال الحجاج: قد والله سَلَّيتني عن مصيبتي بمصيبةٍ أعظم منها أن بعث إليَّ أمير المؤمنين برسول مثلك!

وَبَاقِلُ، فِنْدٌ، وَرَامِي اللَّوْزِ ٣٨٦ وَانْظُرْ هُنَا مَا كَتَبَ ابْنُ الجَوْزِي

وباقِل: باقل كان مشهورًا بالعِيِّ والفَهاهَة، يضرب به المثل في ذلك فيقال: "أَعْيَى مِن باقل". بلغ من عِيِّهِ أنه اشترى ظبيًا بأحد عشر درهمًا، فمرَّ بقوم فقالوا له: بكم اشتريت الظَّبي؟ فمدَّ يديه ودَلَعَ لسانه -أي أخرجه- يريد أحد عشر؛ فشرد الظَّبي.

فِندٌ: فند مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقَّاص، كانت مولاته أرسلته ليأتيها بنار، فخرج لذلك فلقي عِيرًا تخرج إلى مصر فخرج معها، فلما كان بعد سنة رجع فأخذ نارًا فدخل على مولاته وهو يَعْدُو فعَثَرَ وقد قرب منها وتبَدَّدَ الجمر، فقال: "تَعِسَت العجلة!" وأرسلها مثلًا.

ورامي اللَّوز: رامي اللوز هو أبو عبدالله الجَصَّاص. أخباره كثيرة ذكر ابن الجوزي شيئًا منها في عشر صفحات في كتابه (أخبار الحَمقى و المغفلين) منها: أنه رمى لوزةً أو ضربها بشيء ليكسرها، فطارت اللوزة، فقال: سبحان الله! كل شيء يفِرُّ من الموت حتى البهائم. وفي مثل هؤلاء يقول الشاعر:

[الكامل]

لو قِيلَ كمْ خَمْسٌ وَخَمْسٌ لاغْتَدَى * يَوِمًا ولَيْلَتَهُ يَعُدُّ وَيَحْسُبُ
ويقولُ مُعْضِلَةٌ عَجِيبٌ أَمْرُهَا * ولَئِن فَهِمْتُ لها لَأَمْرِيَ أَعْجَبُ
خَمْسٌ وخَمْسٌ سِتَّةٌ أو سَبْعَةٌ * قولانِ قَالَهُمَا الخَليلُ وثَعْلَبُ

وَاغْنَ بِذَا عَنْ سَقَطِ الكَلَامِ ٣٨٧ فِي الحِلِّ غُنْيَةٌ عَنِ الحَرَامِ

❖ ❖ ❖

هُنَـا ثَـنَى نَظْـمِيَ مِـنْ عِنَانِـهِ ٣٨٨ يَرْجُو شِـفَا الأَدِيـبِ مِـنْ أَشْـجَانِهِ

حِينَ خَبَا بِعَصْـرِنَا مِـصْـبَـاحُـهُ ٣٨٩ وَرَكَـــدَتْ بَــيْنَ الْـوَرَى أَرْوَاحُـهُ

حين خبا بعصرنا مصباحه: يقـال: خَبَتِ النَّارُ إذا سَكَنَتْ وطَفِئَت ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ۝٩٧﴾ [الإسراء: ٩٧]. أي كلما سكن لَهِيبُهَا.

وركدت بين الورى أرواحه: يقال: رَكَدَتْ الرِّيحُ إذا سَكَنَتْ. والأَرْوَاحُ: جمعُ رِيحٍ، تجمع الرِّيح على أَرْواحٍ ورِياحٍ.

وَصَوَّحَ الْـمُـخْـضَـرُّ مِـنْ رِيَاضِـهِ ٣٩٠ وَنَـضَــبَ النَّمِـيرُ مِـنْ حِيَاضِـهِ

وصوَّح المخضرُّ من رياضه: صَوَّحَ؛ يَبِسَ وذهبت نَداوَتُهُ.

ونضب النَّمير من حياضه: نَضَبَ الماءُ؛ إذا غارَ في الأرض. والنَّمير: الماء النَّمير هو النَّاجِعُ في الرِّيِّ، أي النافع للبَدَنِ. من حياضه: الحِياض: جمع حَوضٍ.

نَظَمْتُهَـا وَقَـدْ خَـلَا وِفَـاضِي ٣٩١ وَقَـدْ بَـدَا لِمَـنْ يَـرَى إِنْفَـاضِي

نظمتها وقد خلا وِفاضي: الوِفاضُ جمع وَفْضَةٍ وهي اسم لما يحمل فيه الرَّاعي متاعه وزاده.

وقد بدا لمن يرى إنفاضي: يقال: أَنْفَضَ الرَّجلُ؛ إذا فَنِيَ زادُهُ.

لِكَـيْ يَعُـودَ النَّصْـلُ فِي قِرَابِـهِ ٣٩٢ وَيَرْجِـعَ الأَمْــرُ إِلَى نِصَـابِهِ

لكي يعود النَّصل في قرابه: النَّصْلُ؛ حديدة السَّيف. والقِراب؛ جَفْنُ السَّيفِ. وهي كناية عن رجوع النَّاس إلى ما كانوا عليه من العنـاية بالأدب، والإقبال على كتبه والنَّهَل من مَعِينها.

ويرجع الأمر إلى نصابه: نِصابُ كلِّ شيءٍ؛ أَصلُهُ ومَرْجِعُهُ.

وَتُقْبِـلَ النَّفْـسُ عَلَى أَبْوَابِـهِ ٣٩٣ فَـذَاكَ مِنْـكَ يَـا أَخِي أَوْلَى بِـهِ

حَاشَيْتُهَا حَشْوًا وَتَطْوِيلًا يُمَلْ ٣٩٤ خَيْرُ كَلَامِ الْمَرْءِ مَا قَلَّ وَدَلْ

جَازَتْ إِلَيْكَ سَبْسَبًا فَسَبْسَبَا ٣٩٥ حُلَّ الحُبَا وَقُلْ لَهَا: يَا مَرْحَبَا

جازت إليك سبسبًا فسبسبا: السَّبْسَبُ؛ المَفازَةُ الواسعة.

حلِّ الحُبا وقل لها يا مرحبا: الحُبا؛ من احْتَبا إذا جمع ظَهْرَهُ وساقَيْهِ بثوبٍ أو غيره، وقد يَحْتَبي بيديه، والاسم: الحِبْوَة –بالكسر وتُضَمُّ–.

لَمَّا جَلَوْتُ حُسْنَهَا بَيْنَ الْمَلَا ٣٩٦ (لَفَّتْ حَيَاءً وَجْهَهَا أَنْ تَفْضُلَا)

لما جلوت: أَظْهَرْتُ وأَوْضَحْتُ.

بِهَا بَلَغْتُ الآنَ مُنْتَهَاهَا ٣٩٧ إِنْ قُبِلَتْ وَاهًا لَهَا وَوَاهَا

واهًا لها وواها: إذا تَعَجَّبْتَ مِن طِيبِ شيءٍ قلتَ: "واهًا له!". فهي كلمة تعجُّب من طيب كلِّ شيء.

ونختم بهذا الدُّعاء:

يَا رَبِّ يَا رَبِّ بِكُلِّ اسْمٍ لَكَا ٣٩٨ انْفَعْ بِهَا وَصَفِّهَا لِوَجْهِكَا
يَا رَبِّ وَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا ٣٩٩ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ لَهَا فَمَنْ لَهَا!
فَأَنْتَ لِيْ نِعْمَ الوَلِيْ وَأَنْتَ لِي ٤٠٠ رَبِّيَ الحَفِيْ وَأَنْتَ لِيْ وَلِيْ وَلِي
وَمَا بَقَاءُ الدَّمْعِ فِي العَيْنِ وَقَدْ ٤٠١ جَهِلْتُ مَا أَنَالُهُ فِي يَوْمِ غَدْ
وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدْ قَالَا: ٤٠٢ كُونِيْ فَكَانَتْ رَوْضَةً مِحْلَالَا

ثُــمَّ الصَّــلَاةُ وَالسَّــلَامُ وَالثَّنَــا ٤٠٣ وَالحُــبُّ وَالتَّعْظِـيمُ مَـا صَـبَّ رَنَـا
عَلَى نَـبِـيِّـنَــا البَلِيــغِ الهَــادِي ٤٠٤ أَفْصَــحِ كُــلِّ نَــاطِقٍ بِالضَّــادِ
وَآلِـــهِ وَصَحْـبِـــهِ الأَبْــرَارِ ٤٠٥ مَعَــادِنِ التَّقْــوَى وَنُــورِ السَّــارِي

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، بهذا نكون قد فرغنا من مدارسة هذه المنظومة نسأل الله أن يتقبَّل من الجميع، وأن يجعل هذه المجالس في موازين حسناتنا، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

ويشرِّفني أن أُجيز كل من حضر معنا في هذه المنظومة، وقد قال السُّيوطيّ:

وقد رَوى الكبارُ عن صِغارِ * في العلمِ أو في السِّنِّ والمِقْدارِ
أو فيهما...

وقد قالوا: "لا يَنْبُلُ الرَّجلُ حتى يأخذ عمَّن هو أقلُّ منه" وعليه فيَحِقُّ لجميع من في هذا المجلس أن يرويها، ورُبَّ حامل أدبٍ ليس بأديب، ورُبَّ حامل أدبٍ إلى من هو آدبُ منه.

ثم إني أشكر الشَّيخين الكريمين: **الشَّيخ أبا الحسن عليَّ بن الحسن العامريّ** صاحب "إحياء البيان" على القراءة العذبة التي غطَّت عيوب المنظومة. **والشيخ عبدالرحمن السَّيد** على حسن تقديمه وتنسيقه و متابعته، وأشكرهما على كلِّ ما بذلاه من جهد ووقت، ما علمت من ذلك وما لم أعلمه، وأنا أَكِلُ مكافأتهما إلى الكريم سبحانه فاللهم اجزهما أحسن الجزاء وأوفره، وأحسن إليهما في الدنيا والآخرة.

وأشكر لجميع من حضر فردًا فردًا، وأسأل الله أن يرزقنا جميعًا العلم النَّافع، والعمل الصالح، وأن يجعل ما تعلَّمناه في موازين حسناتنا، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

⁂

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة الشارح ٥
مقدمة المنظومة ١٠
۞ **دواعي العناية بالأدب وشواهد تأثيره...........** ١٥
١/ الإسلام رفع شأن الأدب ١٦
٢/ الأدب يعين على فهم القرآن ٣٣
٣/ الأدب عنوان هوية الأمم ٣٦
٤/ الأدب يحمل على الاتصاف بالكمالات ٣٨
٥/ الأدب يزيد في العقل ٤٠
٦/ الأدب يخلد المفاخر ٤٨
٧/ الأدب يهيج الأحقاد ٥٠
٨/ الأدب ينزع الأحقاد ٥٤
٩/ الأدب يرفع الخامل ٦١
١٠/ الأدب يخفض العالي ٦٣
١١/ الأدب تحمى به الأعراض ٦٨
١٢/ الأدب ينجز ما تأخر من الصِّلات ٧٢
١٣/ الأدب يمضي الشفاعات ٧٤
١٤/ الأدب يثمر السلامة من اللَّحن ٨٠
١٥/ الأدب يورث سرعة البديهة ٨٢
١٦/ الأدب يُروِّح القلب ٩٧

١٧/ عناية العلماء بالأدب ٩٩

عصور الأدب.................................. ١٢٤

١/ العصر الجاهلي ١٢٥

المعلقات العشر ١٢٥

ذكر شيء من الشعر الجاهلي سهل الألفاظ ١٣٢

ذكر أبيات من الشعر الجاهلي جرت مجرى المثل ١٤٠

ذكر بعض الحكم في معلقة زهير بن أبي سلمى ١٤٣

ذكر بعض شعر زهير بن أبي سلمي ١٤٤

قصيدة عبديغوث الحارثي (ألا لا تلوماني) ١٤٦

ذكر بعض القصائد الجياد في العصر الجاهلي ١٤٧

لاميَّة أبي طالب عمِّ النَّبي ﷺ ١٥٠

ذكر أشهر صعاليك الجاهلية ١٥٣

ذكر المعارك الكبار في الجاهلية ١٥٥

٢/ عصر صدر الإسلام ١٦٠

ذكر شعراء النَّبي ﷺ ١٦١

ذكر بعض من قال الشعر من الصحابة ﷺ ١٦٧

ذكر بعض المراثي التي رثى بها الصحابة النَّبي ﷺ ١٧٩

استطراد في ذكر بعض أشهر المراثي، ومن رثى نفسه ١٨١

عَوْدٌ إلى صدر الإسلام وذكر بعض رجز السِّيرة ١٨٩

ذكر الحطيئة وشيء من أخباره وشعره ١٩٤

٣/ عصر بني أميَّة	٢٠١
ذكر أعلام الشعر في عصر بني أميَّة	٢٠٢
ذكر أشهر شعراء الغزل فيه	٢١٥
ذكر أشهر شعراء الخوارج فيه	٢٢٩
ذكر أشهر شعراء الشيعة فيه (الكميت)	٢٣٢
٤/ عصر بني العباس	٢٣٤
ذكر أعلام الشعر في عصر بني العباس	٢٣٥
ذكر أبيات لأبي تمام جرت مجرى المثل	٢٤٨
استطراد في ذكر الحنين للوطن (خبر يحيى الحنفي)	٢٥٨
عود إلى ذكر أعلام الشعر	٢٦٠
ذكر أبيات للمتنبي جرت مجرى المثل	٢٦٥
ذكر شيء من جياد شعره	٢٧٠
ذكر شيء من شعره الواهي	٢٨٠
استطراد في ذكر بعض من قتله شعره	٢٨٥
عود إلى ذكر أعلام الشعر	٢٩٠
استطراد في ذكر شيء من شعر الحَمام	٢٩١
عود إلى ذكر أعلام الشعر	٢٩٦
استطراد في ذكر رثاء الأبناء	٢٩٧
عود إلى ذكر أعلام الشعر	٣٠١

٥/ عصر الدول المتتابعة ٣٠٧
ذكر أعلام الشعر في عصر الدول المتتابعة ٣٠٨
٦/ الشعر في الأندلس ٣١٠
ذكر أعلام الشعر في الأندلس ٣١١
٧/ العصر الحديث ٣١٩
ذكر أعلام الشعر في العصر الحديث ٣٢٠
ذكر أشهر قصائد أحمد شوقي في مدح النَّبي ﷺ ٣٢٢
ذكر أبيات لأحمد شوقي جرت مجرى المثل ٣٢٤
۞ فصل في مزاح الأئمَّة............................ ٣٢٦
بيان الرُّخصة في المزاح المقتصد ٣٢٧
ذكر بعض مزاح النَّبي ﷺ ٣٢٨
ذكر بعض مزاح الصحابة رضي الله عنهم ٣٢٩
ذكر بعض مزاح التابعين – رحمهم الله- ٣٣٢
۞ فصل في نوادر الحمقى والغفلين................ ٣٣٣
بيان فوائد رواية أخبار الحمقى والمغفلين ٣٣٤
ذكر بعض أخبار أشهر الحمقى والمغفلين ٣٣٤
۞ الخاتمة.................................... ٣٣٨
۞ فهرس الموضوعات........................ ٣٤١

هَمْعٌ: العلم للرُّوح كالغيث للأرض

https://t.me/Ham3on

جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ.